

الجامع لمسائل العقيدة الواسطية

لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله

المتوفى سنة ٧٢٨ هـ

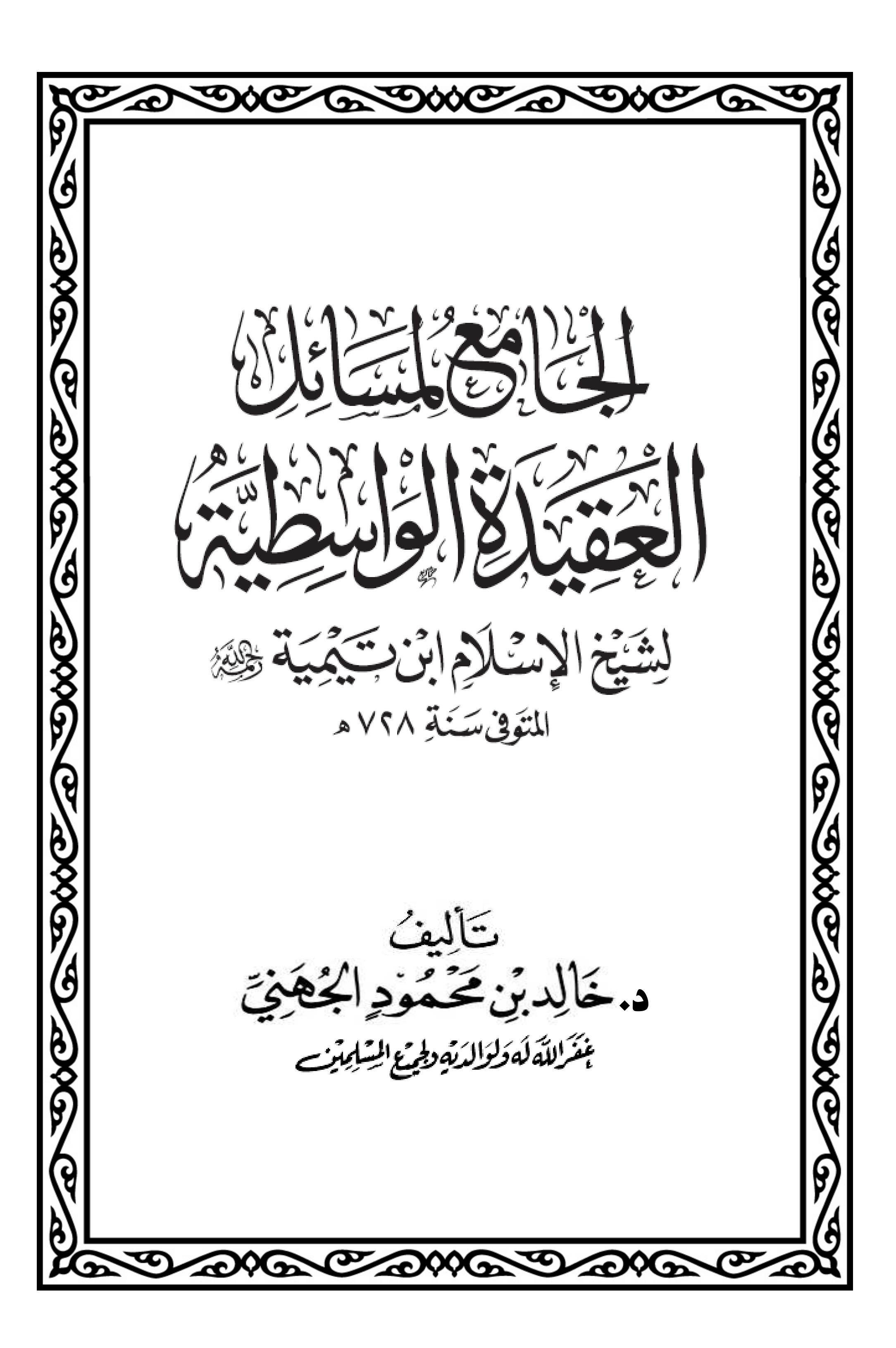
تأليف

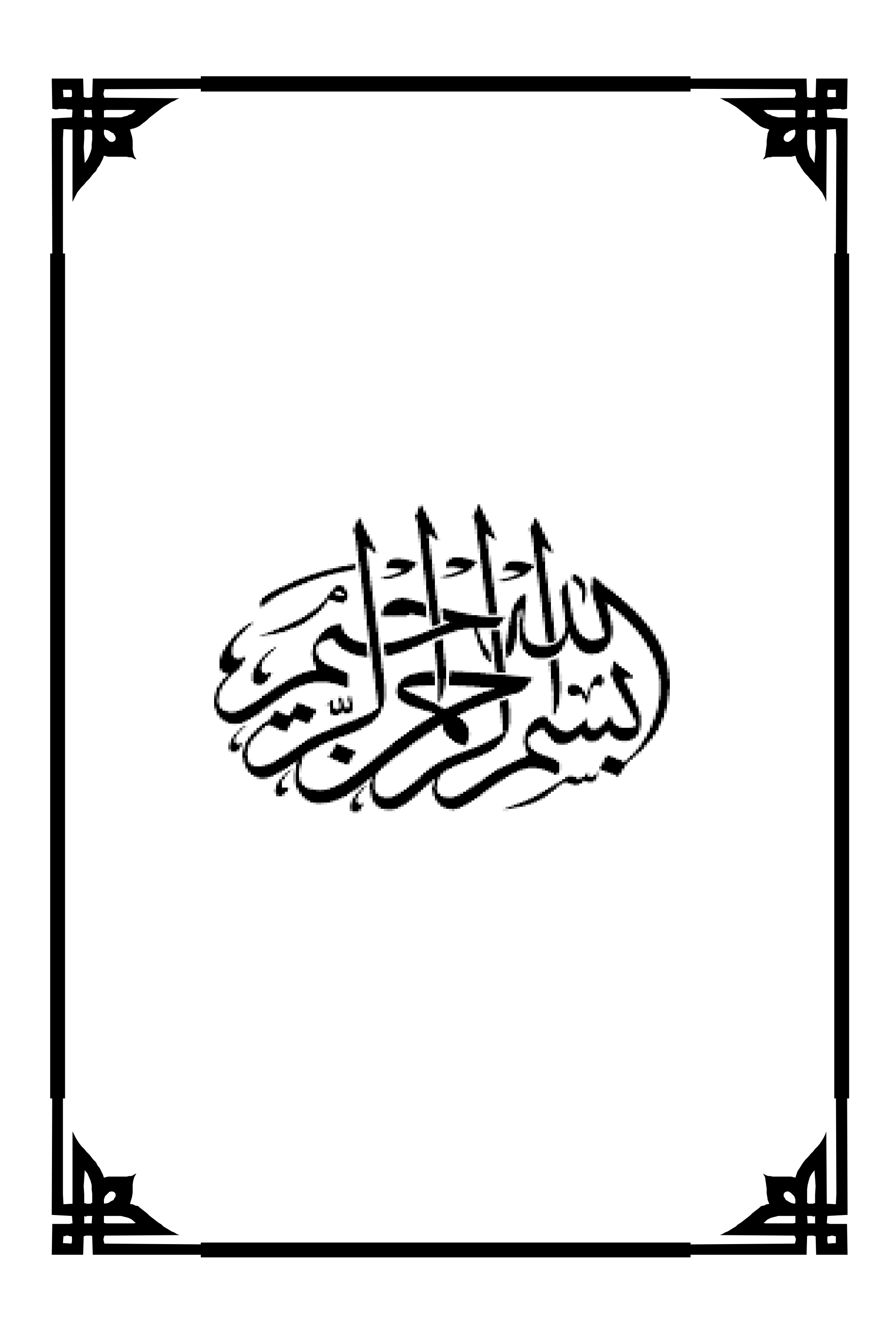
د. خالد بن محمود الجهني

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين






الجامع لمسائل
العقيدة الواسطية
لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله
المتوفى سنة ٧٢٨ هـ
تأليف
د. خالد بن محمود الجهني
غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين


بسم الله الرحمن الرحيم



إن الحمدَ لله، نحمدُه، ونستعينُه، ونستغفرُه، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسِنا، ومن سيئاتِ أعمالِنا، من يهدِه اللهُ فلا مضلَّ له، ومن يضللْ فلا هاديَ لهُ، وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أن محمدًا عبدُه ورسولُه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد، فإن أصدق الحديث كتاب الله عَزَّوَجَلَّ، وخيرَ الهدي هديُ

محمدٍ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وشرَّ الأمورِ محدثاتُها، وكلَّ محدثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٌ، وكلَّ ضلالةٍ في النارِ، وبعدُ.

فإن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أرسل نبيه محمدا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هاديا إلىٰ الصراط المستقيم، فقام علىٰ ذلك بشيرا ونذيرا حتىٰ استجاب له من كتب الله له النجاة، والسعادة في الدارين، ثم خلفه أصحابه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عاملين داعين إلىٰ سنته حتىٰ فتح الله بهم مشارق الأرض ومغاربها، ودخل الناس عربهم وعجمهم في دين الله أفواجا.

ظل الناس علىٰ العقيدة الصافية المستمدة من الكتاب والسنة النبوية الصحيحة إلىٰ القرن الرابع الهجري، وكان للعلماء حينئذ السيادةَ والقوة، كلما ظهرت فكرة منحرفة أدحضوها، وأماتوها، فلم يستطع أهل الباطل إظهار أفكارهم المنحرفة إلىٰ أن تولىٰ الخلافة المأمون بن هارون الرشيد، واستعان بأهل الضلال كابن أبي دؤاد، وبِشْر المِرِّيسِيِّ فزينوا له الباطل حتىٰ أنشأ دارا؛ لترجمة الكتب الأعجمية بما فيها من ضلال، ومن هنا دخلت العقائد المنحرفة علىٰ المسلمين، وما زال الحال ينتقل من ضعف إلىٰ ضعف إلىٰ أن جاء شيخ الإسلام ابن تيمية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في فترة انتشرت فيها البدع والضلالات، فأقام الله تعالىٰ به الدين، ونصر به السنة، وأدحض به أهل البدع والضلال، وانتشرت دعوته في أقطار الأرض.

ولا يزال أهل العلم إلىٰ يومنا هذا يستفيدون من علم شيخ الإسلام

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ومما لا يستغني عنه طالب علم كتاب «**العقيدة الواسطية**»؛ لما اشتمل عليه من مسائل عقدية تُعدُّ فيصلا بين أهل السنة وأهل البدع، لذلك اهتم أهل العلم بتدريسه للطلاب في حلق العلم، وغيرها.

هذا، وقد شرفني الله بشرحه لإخواني من طلاب العلم عدة مرات، انتهيت منه آخر مرة في الخامس من جمادىٰ الآخرة عام ١٤٣٤هجريا، وكنت أقيِّدُ الشرح في كُراس عندي قبل إلقائه، فاستحسنت نشره؛ ليعم نفعه؛ لعل الله أن يتقبله مني، فأفوز فوزا عظيما.

وامتاز الشرح بأنه اشتمل علىٰ مقاصد هذه العقيدة المباركة، وبيان مسائلها بمنهج علمي رصين، وأسلوب سهل، وعبارات وألفاظ واضحة.

أسأل الله أن يتقبله مني، وسائر أعمالي؛ إنه ولي ذلك، والقادر عليه.

وصلِّ اللهم، وسلِّم، وبارك علىٰ نبينا محمد، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

وكتب

خالد بن محمود الجهني

١٤٤٢/١/٢٧هجريا

ترجمة موجزة
لشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ

نسبه:

هو تقي الدين أبو العباس أحمد بن الشيخ الإمام العلامة شهاب الدين أبي المحاسن عبد الحليم ابن الشيخ الإمام العلامة شيخ الإسلام مجد الدين أبي البركات عبد السلام بن أبي محمد عبد الله بن أبي القاسم الخَضِر بن محمد بن الخضر بن علي بن عبد الله ابن تيمية الحَرَّانِي[(١)].

لقبه:

تقي الدين، وابن تيمية، قيل: إن جده محمد بن الخضر حج على دَرْب تيماء فرأى هناك طفلة، فلما رجع وجد امرأته قد ولدت له بنتا، فقال: يا تيمية، يا تيمية، فلُقِّب بذلك.

وقيل: إنَّ جده محمدا كانت أمه تسمى تيمية، وكانت واعظةً،

(١) انظر: العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، لابن عبد الهادي، صـ (١٨).

فنُسب إليها، وعُرف بها[١].

كنيته:

يُكنَّىٰ شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ بأبي العباس.

مولده:

وُلد بِحَرَّان[٢] يوم الاثنين عاشر، وقيل: ثاني عشر ربيع الأول سنة ٦٦١ هـ، وسافر والداه به وبإخوته إلىٰ الشام لما جار التتار في البلاد وأفسدوا، فساروا بالليل ومعهم الكتب علىٰ عجلة؛ لعدم وجود دابة يركبونها، فكاد العدو يلحقهم ووقفت العجلة فابتهلوا إلىٰ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، واستغاثوا به، فنجوا، وسلِموا[٣].

شيوخه:

شيوخه رَحِمَهُ ٱللَّهُ الذين سمع منهم أكثر من مائتي شيخ[٤]، منهم:

- عبد الصمد بن عساكر الدمشقي.
- محمد بن عبد القوي المرداوي.
- القاضي شمس الدين بن عطاء الحنفي.

---

(١) انظر: العقود الدرية، صـ(١٨).

(٢) حرَّان: تقع حاليا في جنوب شرق تركيا.

(٣) انظر: العقود الدرية، صـ(١٨).

(٤) السابق، صـ(١٩).

- الشيخ جمال الدين بن الصيرفي.
- النجيب بن المقداد.
- ابن أبي بكر الهروي.

تلاميذه:

أخذ العلم عن شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ خلقٌ كثير، منهم من صار إماما يُقتدىٰ به، منهم:

- الحافظ المِزِّي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.
- ابن عبد الهادي المقدسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.
- شمس الدين الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.
- ابن قيم الجوزية رَحِمَهُ ٱللَّهُ.
- ابن مفلح رَحِمَهُ ٱللَّهُ.
- الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ.
- عمر بن علي البزَّار رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

مذهبه:

نشأ شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ حنبليا، ثم صار مجتهدا لا يتقيد بمذهب معين، إنما يتبع الدليل.

عقيدته:

عاش شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ سلفيا متبعا لعقيدة الصحابة

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، والتابعين، وجاهد المبتدعة بلسانه مدافعا عن هذه العقيدة.

مؤلفاته:

أثرىٰ شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ المكتبة الإسلامية بمؤلفات عظيمة في شتىٰ العلوم الشرعية تبلغ خمسمائة مجلدة[(١)].

قال الحافظ الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «جمعتُ مصنفات شيخ الاسلام تقي الدين أبي العباس أحمد بن تيمية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فوجدتها ألف مصنَّف، ثم رأيت له أيضا مصنفات أخر»[(٢)].

ومن أشهر مؤلفاته:

- درء تعارض العقل والنقل.
- الاستقامة.
- مجموع الفتاوىٰ.
- الفتوىٰ الحموية.
- التدمرية.
- الفرقان بين أولياء الله وأولياء الشيطان.

عبادته:

كان ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ يقطع جُل وقته في العبادة حتىٰ إنه لم

---

(١) انظر: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لابن العماد (٨/ ١٤٧).
(٢) انظر: الرد الوافر، لابن ناصر الدين، صـ (٣٥).

يجعل لنفسه شاغلة تشغله عن الله تعالىٰ، وكان إذا ذهب الليل وحضر مع الناس بدأ بصلاة الفجر، يأتي بسنتها قبل إتيانه إليهم، وكان إذا أحرم بالصلاة تكاد تتخلع القلوب لهيبة إتيانه بتكبيرة الإحرام فإذا دخل في الصلاة ترتعد أعضاؤه، وكان من عادته أنه لا يكلمه أحد بعد صلاة الفجر بغير ضرورة، فلا يزال في الذِّكر يسمع نفسه، وربما يسمع ذِكره من إلىٰ جانبه مع كونه في خلال ذلك يكثر من تقليب بصره نحو السماء هكذا دأبه حتىٰ ترتفع الشمس ويزول وقت النهي عن الصلاة[(١)].

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إنه ليقف خاطري في المسألة والشيء، أو الحالة التي تشكل عليَّ، فأستغفر الله تعالىٰ ألف مرة أوأكثر أو أقل حتىٰ ينشرح الصدر وينحل إشكال ما أُشكل، وأكون إذ ذاك في السوق أو المسجد أو الدَّرب أو المدرسة، لا يمنعني ذلك من الذكر والاستغفار إلىٰ أن أنال مطلوبي[(٢)].

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إني لا أترك الذِّكر إلا لإراحة نفسي؛ لأستعد بتلك الراحة لذكر آخر[(٣)].

وقال ابن عبد الهادي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ختم ابن تيمية **رَحِمَهُ ٱللَّهُ** القرآن مدة

---

(١) **انظر**: الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية، للبزار، صـ(٣٦-٣٨).

(٢) **انظر**: العقود الدرية، صـ(٢١-٢٢).

(٣) **انظر**: الوابل الصيب، لابن القيم، صـ(٤٢).

إقامته بسجن القلعة ثمانين أو إحدىٰ وثمانين ختمة، انتهىٰ في آخر ختمة إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ۝٥٤ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ۝٥٥﴾[القمر:٥٤-٥٥]، كان كلَّ يوم يقرأ ثلاثة أجزاء يختم في عشرة أيام[١].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «حضرت شيخ الإسلام ابن تيمية مرة صلىٰ الفجر، ثم جلس يذكر الله تعالىٰ إلىٰ قريب من انتصاف النهار، ثم التفت إليَّ وقال: هذه غدوتي، ولو لم أتغد الغداء سقطت قوتي»[٢].

ثناء العلماء عليه:

قال ابن سيد الناس رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ألفيته ممن أدرك من العلوم حظًّا، وكاد يستوعب السنن والآثار حفظا، إن تكلم في التفسير فهو حامل رايته، أو أفتىٰ في الفقه فهو مدركٌ غايته، أو ذاكر بالحديث فهو صاحب علمه، وذو روايته، أو حاضر بالنِّحل والملل لم يُرَ أوسع من نِحْلته في ذلك، ولا أرفع من درايته، برز في كل فنٍّ علىٰ أبناء جنسه، ولم تر عينُ من رآه مثله، ولا رأتْ عينُه مثل نفسه»[٣].

وقال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كانت العلماء، والصّلحاء، والجند،

---

(١) انظر: العقود الدرية، صـ(٢٨٤).

(٢) انظر: الوابل الصيب، صـ(٤٢).

(٣) انظر: العقود الدرية، صـ(٢٦).

والأمراء، والتّجار، وسائر العامّة تحب ابن تيمية؛ لأنه منتصب لنفعهم ليلا ونهارا، بلسانه، وعلمه[(١)].

وقال الحافظ الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هو أكبر من أن يُنبِّه مثلي على نعوته، فلو حلفت بين الركن والمقام لحلفت أني ما رأيت بعيني مثله، ولا والله ما رأى هو مثلَ نفسه في العلم»[(٢)].

وقال أيضا: شيخنا الإمام شيخ الإسلام، فَرْد الزمان، بحر العلوم، تقي الدين، قرأ القرآن والفقه وناظر واستدل وهو دون البلوغ، برع في العلم والتفسير وأفتى ودرَّس وله نحو العشرين، وصنَّف التصانيف وصار من أكابر العلماء في حياة شيوخه.

وله المصنفات الكبار التي سارت بها الركبان، ولعل تصانيفه في هذا الوقت تكون أربعة آلاف كُراس وأكثر، وفسر كتاب الله تعالى مدة سنين من صدره، وكان يتوقد ذكاء، وسماعاته من الحديث كثيرة، وشيوخه أكثر من مائتي شيخ، ومعرفته بالتفسير إليها المنتهى، وحفظه للحديث ورجاله وصحته وسقمه فما يُلحق فيه.

وأما نقله للفقه ومذاهب الصحابة والتابعين فضلا عن المذاهب الأربعة فليس له فيه نظير.

---

(١) انظر: شذرات الذهب في أخبار من ذهب (٨/ ١٤٧).

(٢) انظر: العقود الدرية، صـ (١٣٤).

وأما معرفته بالمِلل والنِّحل والأصول والكلام فلا أعلم له فيه نظيرا، ويدري جملة صالحة من اللغة، وعربيتُه قوية جدًّا، ومعرفته بالتاريخ والسير فعجب عجيب، وأما شجاعته وجهاده وإقدامه فأمر يتجاوز الوصف ويفوق النعت، وهو أحد الأجواد الأسخياء الذين يضرب بهم المثل، وفيه زهد وقناعة باليسير في المأكل والمشرب[1].

وقال محمد بن عبد البر السُّبكي الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ما يبغض ابن تيمية إلا جاهل، أو صاحب هوىٰ؛ فالجاهل لا يدري ما يقول، وصاحب الهوىٰ يصده هواه عن الحق بعد معرفته به»[2].

وقال ابن دقيق العيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لما اجتمعت بابن تيمية رأيت رجلا كل العلوم بين عينيه يأخذ ما يريد ويدع ما يريد»[3].

وقال أبو الحجَّاج المِزِّي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ما رأيت مثله، ولا رأىٰ هو مثل نفسه، وما رأيت أحدا أعلم بكتاب الله وسنة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا أتبع لهما منه»[4].

---

(١) انظر: الشهادة الزكية في ثناء الأئمة علىٰ ابن تيمية، لمرعي الكرمي، صـ(٤٠).
(٢) انظر: الرد الوافر، صـ(٢٤).
(٣) انظر: تاريخ ابن الوردي (٢/ ٢٧٨).
(٤) انظر: الرد الوافر، صـ(١٢٨-١٢٩).

وقال القاضي ابن فضل الله العمري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كان ابن تيمية لا تأخذه في الحق لومة لائم، وليس عنده مداهنة، وكان مادحه وذامُّه في الحق عنده سواء»[(١)].

قال ابن عبد الهادي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هو الشيخ الإمام الرباني إمام الأئمة، ومفتي الأمة، وبحر العلوم، سيد الحفاظ، وفارس المعاني والألفاظ، فريد العصر، شيخ الإسلام بركة الأنام، وعلامة الزمان، وترجمان القرآن، علم الزهاد، وأوحد العباد، قامع المبتدعين، وآخر المجتهدين، وصاحب التصانيف التي لم يُسبق إلىٰ مثلها[(٢)].

وقال ابن الزَّمْلَكَانِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كان ابنُ تيميةَ إذا سُئل عن فنٍّ من العلم ظن الرائي والسامع أنه لا يعرف غير ذلك الفن، وحَكم بأن لا يعرفه أحد مثله، وكانت الفقهاء من سائر الطوائف إذا جالسوه استفادوا في مذاهبهم منه أشياء، ولا يُعرف أنه ناظر أحدا فانقطع معه، ولا تكلم في علم من العلوم سواء كان علوم الشرع أو غيرها إلا فاق فيه أهله، واجتمعت فيه شروط الاجتهاد علىٰ وجهها[(٣)].

---

(١) انظر: الشهادة الزكية في ثناء الأئمة علىٰ ابن تيمية، صـ(٣٣).

(٢) انظر: العقود الدرية، صـ(١٨).

(٣) انظر: تاريخ ابن الوردي (٢/ ٢٧٧).

تواضعه:

قال عمر بن عليٍّ البزَّار: ما رأيت ولا سمعتُ بأحد من أهل عصره مثله في ذلك؛ كان يتواضع للكبير والصغير، والجليل والحقير، والغني الصالح والفقير، وكان يدني الفقير الصالح ويكرمه ويُؤنسه ويباسِطه بحديثه المستحْلَىٰ زيادةً علىٰ مثله من الأغنياء حتىٰ أنه ربما خدَمه بنفسه، وأعانه بحمل حاجته جبراً لقلبه، وتقرُّبا بذلك إلىٰ ربه.

وكان لا يسأم ممن يستفتيه أو يسأله بل يقبل عليه ببشاشة وجه، ويقف معه حتىٰ يكون هو الذي يفارقه، كبيرًا كان أو صغيرا، رجلا أو امرأة، حرا أو عبدا، عالما أو عاميا، حاضرا أو باديا، ولا يحرجه ولا ينفره بكلام يُوحشه، بل يجيبه ويفهمه، ويعرفه الخطأ من الصواب بلطف وانبساط، وكان لا يذكرني باسمي بل يلقِّبني بأحسن الألقاب.

وأظهر لي من حسن الأخلاق والمبالغة في التواضع بحيث إنه كان إذا خرجنا من منزله بقصد القراءة يحمل هو بنفسه النسخة ولا يدع أحدا منا يحملها عنه، وكنت أعتذر إليه من ذلك خوفا من سوء الأدب فيقول: لو حملتُه علىٰ رأسي لكان

ينبغي، ألَا أحمل ما فيه كلام رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[(١)].

وفاته:

ظلَّ شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ عمره كله ينتقل من محنة إلىٰ أخرىٰ، وقد حُبسَ في آخر حياته، ولم يزل بمحبسه حتىٰ انتقل إلىٰ رحمة الله تعالىٰ، وكان يومه ذلك يوما مشهودًا ضاقت بجنازته الطريق، وانتابها المسلمون من كل فجٍّ عميق، وذلك في ليلة العشرين من ذي القَعدة سنة ٧٢٨ هجريا بقلعة دِمَشق[(٢)].



(١) انظر: الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية، صـ(٥٠-٥١).
(٢) انظر: العقود الدرية، صـ(٢٨-٢٩).

مقدمات عامة

قبل الشروع في شرح هذه العقيدة المباركة أودُّ أنْ أقدم لها بتسع مقدمات عامة لا يستغني عنها طالب علم[١]:

١- تعريف العقيدة:

العقيدة لغة: علىٰ وزن فَعيلة بمعنىٰ مفعولة، أي معتقد؛ وأصلها: عَقَد، وهو يدل عَلَىٰ شَدٍّ، وَشِدَّةِ وُثُوقٍ[٢].

يقال: اعتقدت كذا، أي عقدت عليه القلب، والضمير.

والعقيدة: ما يدين الإنسان به، يقال: له عقيدة حسنة سالمة من الشك[٣].

وعقيدة الرجل: دينه الذي يعتقده[٤].

واصطلاحا: هي حكم الذهن الجازم، فإن كان موافقا للحقيقة فهو

(١) **انظر:** الهداية الرشيدة شرح البداية في العقيدة، للمصنف، صـ(٩-١٦).

(٢) **انظر:** مقاييس اللغة، لابن فارس، مادة «عقد».

(٣) **انظر:** المصباح المنير، للفيومي، مادة «عقد».

(٤) **انظر:** شمس العلوم، لنشوان الحميري (٧/ ٤٦٦٢).

صحيح، وإلا فهو فاسد[1].

مثاله: اعتقاد النصارىٰ أن المسيح ابن الله اعتقاد فاسد؛ لأنه غير موافق للحقيقة.

أما اعتقادنا أن الله واحد أحد فاعتقاد صحيح؛ لأنه موافق للحقيقة.

وقولنا: «حكم الذهن»: خرج به ما ينطق به الإنسان؛ لأنه إذ قد يقول ما لا يعتقد، فلا يسمىٰ كل ما يتكلم به الإنسان عقيدة إلا إذا اعتقده.

وقولنا: «الجازم»: خرج به الشك؛ لأن الشك لا يسمىٰ عقيدةً.

٢- موضوع العقيدة:

تتناول العقيدة عدة موضوعات تتعلق بإيمان العبد؛ وأعظم هذه الموضوعات الإيمان بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وما يتضمنه من توحيد الربوبية، وتوحيد الإلهية، وتوحيد الأسماء والصفات.

وتتناول ما يجب اعتقاده نحو الملائكة، والرسل عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وصحابة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والتابعين لهم بإحسان.

كما تتناول ما يجب اعتقاده في الكتب التي أنزلها الله تعالىٰ، واليوم

---

(١) انظر: الحدود الأنيقة، لزكريا الأنصاري، صـ(٦٩)، وكشاف اصطلاحات الفنون، للتهانوي (٢/ ١٢٢١-١٢٢٢)، ولوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية، للسفاريني (١/ ٦٠).

الآخر وما يتضمنه من أحداث وأهوال، والقضاء والقدر.

٣- الفائدة من تعلم العقيدة:

إن العقيدة الإسلامية الصحيحة بأصولها الثابتة، وأسسها السليمة، وقواعدها المتينة هي - دون غيرها- التي تحقِّق للناس سعادتهم، ورفعتهم، وفلاحهم في الدنيا والآخرة؛ لوضوح معالمها، وصحَّة دلائلها، وسلامة براهينها وحججها، ولموافقتها للفطرة السليمة، والعقول الصحيحة، والقلوب السويَّة.

ولهذا فإن العالَمَ الإسلامي كله في أشدِّ الحاجة إلىٰ معرفة هذه العقيدة الصافية النقيَّة.

ومن أهم الفوائد والثمرات التي تثمرها العقيدة في نفس المؤمن:

١-أنها تصحح الإيمان بأركانه الستة.

٢-أنها تقوِّم الجوارح، والقلوب؛ فإذا آمن الإنسان بأسماء الله وصفاته أثمر ذلك خوفه من عذاب الله، ورجاءه فيما عند الله.

وإذا آمن بأن الله هو الرزاق توكل عليه وحده في جلب الرزق دون غيره.

وإذا آمن بأن الله يسمع ويرىٰ فلن يقول قولا، ولا يفعل فعلا لا يرضي الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

٣-التعرف علىٰ صفات الله جَلَّجَلَالُهُ وأسمائه، ومعانيها، ومن ثَمَّ يزداد حبًّا لربنا سبحانه؛ لأن الإنسان كلما تعرف علىٰ أوصاف محبوبه ازداد حبًّا له.

٤-تجنب البدع، وأهل الخذلان؛ فمن عرَف السُّنَّة تجنب البدعة.

٥-اتباع من سلف من أهل الإيمان، وهم الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ، والتابعون لهم بإحسان.

قال تعالىٰ: ﴿لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ ٱلْمُعْتَدُونَ ﴿١٠﴾﴾[التوبة:١٠].

٦-السعادة في الدنيا والآخرة .

فتحقيق الإيمان بالله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ سبب لسعادة الإنسان، وانشراح صدره، وراحة باله في الدنيا والآخرة.

لقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾[النحل:٩٧].

وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَنْ أَرَادَ ٱلْءَاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾﴾[الإسراء:١٩].

٤- نسبة العقيدة:

العقيدة أصل، وما سواها فرع؛ إذ هي الأساس لهذا الدين؛ وهي

أعظم العلوم الشرعية قدرا، وأشرفها نسبًا.

٥- فضل العقيدة:

العقيدة فضلها عظيم، فهي:

١-أول الواجبات.

أول ما يجب علىٰ العباد هو إفراد الله بالتوحيد.

فعنِ ابنِ عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: لما بعثَ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ معاذًا نحوَ اليمنِ قالَ لهُ: «**إِنَّكَ تَقْدَمُ عَلَىٰ قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَىٰ أَنْ يُوَحِّدُوا اللهَ تَعَالَىٰ، فَإِذَا عَرَفُوا ذَلِكَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِهِمْ وَلَيْلَتِهِمْ، فَإِذَا صَلَّوْا، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ زَكَاةً فِي أَمْوَالِهِمْ، تُؤْخَذُ مِنْ غَنِيِّهِمْ فَتُرَدُّ عَلَىٰ فَقِيرِهِمْ، فَإِذَا أَقَرُّوا بِذَلِكَ فَخُذْ مِنْهُمْ، وَتَوَقَّ كَرَائِمَ أَمْوَالِ النَّاسِ**»[(١)]، يعني لا تأخذ أنفس الأموال وأغلاها ثمنا عند جمع الزكاوات بل خذ الوسط.

٢-شرط لصحة العبادات .

فلا يقبل الله جَلَّ وَعَلَا من أحدٍ عبادة حتىٰ يؤمن به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

لقوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾[الزُّمَر:٦٥].

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٤٠٩٠)، ومسلم (١٩) .

أي لئن صرفتَ يا محمدُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شيئا من العبادة ليبطلن عملك في الدنيا، ولتكونن من الخاسرين في الآخرة، وهذا خطاب للأمة كلها[1].

٣-السبب في قبول الطاعات.

فلا يقبل الله عَزَّوَجَلَّ عبادة إلا من الموحِّد، فمن اجتهد في العبادة اجتهادا كبيرا، ولم يوحِّد الله، فلا ينفعه اجتهاده.

فعنْ جابرِ بنِ عبدِ الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أنَّ رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالَ: «**مَنْ لَقِيَ اللهَ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ لَقِيَهُ يُشْرِكُ بِهِ دَخَلَ النَّارَ**»[2].

وعَنْ عبدِ اللهِ بنِ مَسعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنَّ رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**مَنْ مَاتَ وَهْوَ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللهِ نِدًّا دَخَلَ النَّارَ**»[3]، والندُّ هو المِثل، والنظير.

٤-أصل دعوة النبين والمرسلين.

ما من نبي أرسله الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ إلا كان أصل دعوته التوحيد؛ كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾[النحل:٣٦]، والطاغوت هو كل ما عُبِد من دون الله وهو راضٍ.

---

(١) انظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، لابن تيمية (٣/ ٣٥٧).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٩٣) .

(٣) صحيح: رواه البخاري (٤٤٩٧).

وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾[الأنبياء:٢٥].

وقال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾﴾[الشورى:١٣].

وقال تعالىٰ: ﴿وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾﴾[الزُّخرُف:٤٥].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «**الْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ لِعَلَّاتٍ**(١)**، أُمَّهَاتُهُمْ شَتَّىٰ**(٢) **وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ**(٣)»(٤).

فالدِّين واحدٌ، والعقيدة واحدةٌ، وإنَّما حصل التنوُّعُ بينهم في الشرائع، كما قال الله تعالىٰ: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾[المائدة:٤٨].

---

(١) إخوة لعلات: هم إخوة لأب من أمهات شتىٰ، وأما الإخوة من الأبوين فيقال لهم: إخوة الأعيان. [انظر: شرح صحيح مسلم، للنووي (١٥/ ١١٩)].

(٢) أمهاتهم شتىٰ: أي شرائعهم مختلفة. [انظر: النهاية في غريب الحديث، لابن الأثير (٢/ ٤٤٣)].

(٣) دينهم واحد: أي أصول التوحيد واحد، وأصل طاعة الله تعالىٰ واحدة وإن اختلفت صفتها. [انظر: شرح صحيح مسلم (١٥/ ١٢٠)].

(٤) متفق عليه: رواه البخاري (٣٢٥٩)، مسلم (٢٣٦٥).

٥-غاية خلق الجن والإنس أجمعين.

إنَّ الحكمة الغاية من خلق الجن والإنس هي عبادة الله وحده، كما قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات:٥٦].

والعبادة معناها: أن تعمل بشرع الله عَزَّوَجَلَّ، ممتثلا الأوامر، ومجتنبا النواهي.

٦- من هو واضع العقيدة؟

العقيدة تنزيل من رب العالمين تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ نزل بها الروح الأمين عَلَيْهِ السَّلَامُ علىٰ النبيِّ الأمين صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ ليبلغها للناس أجمعين، واستنبط تقسيماتها الأئمة الفحول كالإمام مالك، والشافعي، وأحمد، وشيخ الإسلام ابن تيمية، وغيرهم رَحِمَهُمُ اللَّهُ.

٧- أسماء العقيدة:

تعددت أسماء علم العقيدة عند أهل العلم؛ لشرفها، وعلو قدرها؛ إذ كثرة الأسماء تدل علىٰ شرف المسمىٰ، ومن ذلك: السُّنة، والتوحيد، والإيمان، والاعتقاد، والشريعة، وأصول الاعتقاد، وأصول الدين، والفقه الأكبر.

٨- من أين تستمد العقيدة أدلتها؟

تستمد العقيدة أدلتها من الكتاب والسنة، ولا مجال للعقل

فيها، وبناء علىٰ هذا يجب الوقوف فيها علىٰ ما جاء به الكتاب والسنة فلا يزاد فيها ولا ينقص؛ لأن العقل لا يمكنه إدراك ما يستحقه الله تعالىٰ من الأسماء والصفات، فوجب الوقوف علىٰ النص.

قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾[الإسراء:٣٦].

ولما كان غير ممكن للعقول أن تستقلَّ بمعرفة تفاصيل ذلك بعث الله رسلَه وأنزل كتبَه؛ لإيضاحه وبيانه وتفصيله للناس حتىٰ يقوموا بعبادة الله علىٰ علم وبصيرة، وأسسٍ واضحةٍ، ودعائم قويمةٍ، فتتابع رسلُ الله علىٰ تبليغه، وتوالوا في بيانه كما قال سبحانه: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾[فاطر:٢٤].

٩- حكم تعلم العقيدة وتعليمها:

حكم تعلم العقيدة: منه ما هو فرض عين، ومنه ما هو فرض كفاية.

فأما فرض العين، فهو معرفة ما تصح به العقيدة بالأدلة الإجمالية، وهو ما يُسأل عنه جميع الخلق.

وأما فرض الكفاية، فهو ما زاد علىٰ ذلك من التفصيل، والتدليل، والتعليل، والقدرة علىٰ إلزام المعاندين، وإفحام

المخالفين[١].

حكم تعليم العقيدة: فرض كفاية إذا قام به من يكفي سقط عن الباقين، وإذا لم يقم به أحد أثم جميع المقتدرين علىٰ ذلك.

---

(١) **انظر:** درة البيان في أصول الإيمان، د. محمد يسري، صـ (٤).

فرض العين: هو ما يجب علىٰ جميع المكلفين. **وفرض الكفاية:** هو ما يجب علىٰ جماعة المكلَّفين، إذا قام به من يكفي سقط عن الباقين.

تمهيد

سبب كتابة العقيدة الواسطية:

كان سبب كتابة هذه العقيدة أنه قدم علىٰ شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ من أرض واسط القاضي رضي الدين الواسطي الشافعيُّ، قدم عليه حاجا، وكان من أهل الخير والدين، وشكَا ما الناس فيه بتلك البلاد وفي دولة التَّتَر من غلبة الجهل والظلم ودروس الدين والعلم، وسأله أن يكتب له عقيدة تكون عمدة له ولأهل بيته، فاستعفىٰ شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ من ذلك، وقال: قد كتب الناس عقائد متعددة؛ فخذ بعض عقائد أئمة السنة، فألحَّ في السؤال، وقال: ما أحب إلا عقيدة تكتبها أنتَ، فكتبَ له شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذه العقيدة، وهو قاعد بعد العصر[(١)].

نسبتها:

الواسطية نسبة إلىٰ بلدة بناها الحجاج بن يُوسف الثقفي سنة أربع وثمانين للهجرة، وفرغ منها سنة ست وثمانين، وكان الحجاج أميرا

(١) انظر: مجموع الفتاوىٰ، لابن تيمية (٣/ ١٦٤).

للخليفة الأُموي عبد الملك بن مرْوان في موضع جنوبي العراق، وسميت واسطا؛ لأن بينها وبين الكوفة فرسخا، وبينها وبين البصرة مثلُ ذلك، وبينها وبين المدائن مثل ذلك[1]، والفرسخ ستة كيلو متر تقريبا.

مميزاتها:

أهم ما تتميز به العقيدة الواسطية:

١- سهولة الأسلوب، ووضوح العبارة والألفاظ.

٢- صحة الاستدلال، حيث صاغ فيها شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ ما فهمه من أقوال السلف من الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، والتابعين.

٣- الإكثار من الأدلة القرآنية، والنبوية.

٤- تفصيل ما أجمله العلماء من قبل.

٥- ذكر بعض حجج المبتدعة، والرد عليها.

أهم الموضوعات التي اشتملت عليها:

١- أركان الإيمان الستة: الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره.

وقد أكثر شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ فيها من الأسماء

---

(١) انظر: معجم البلدان، لياقوت الحموي (٥/ ٣٤٨)، ومعجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، للبكري (٤/ ١٣٦٣).

والصفات؛ لشدة الحاجة إليها، وكثرة المخالفين فيها.

٢- ما يجب لله تعالىٰ من صفات الكمال، وما وصفه به رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

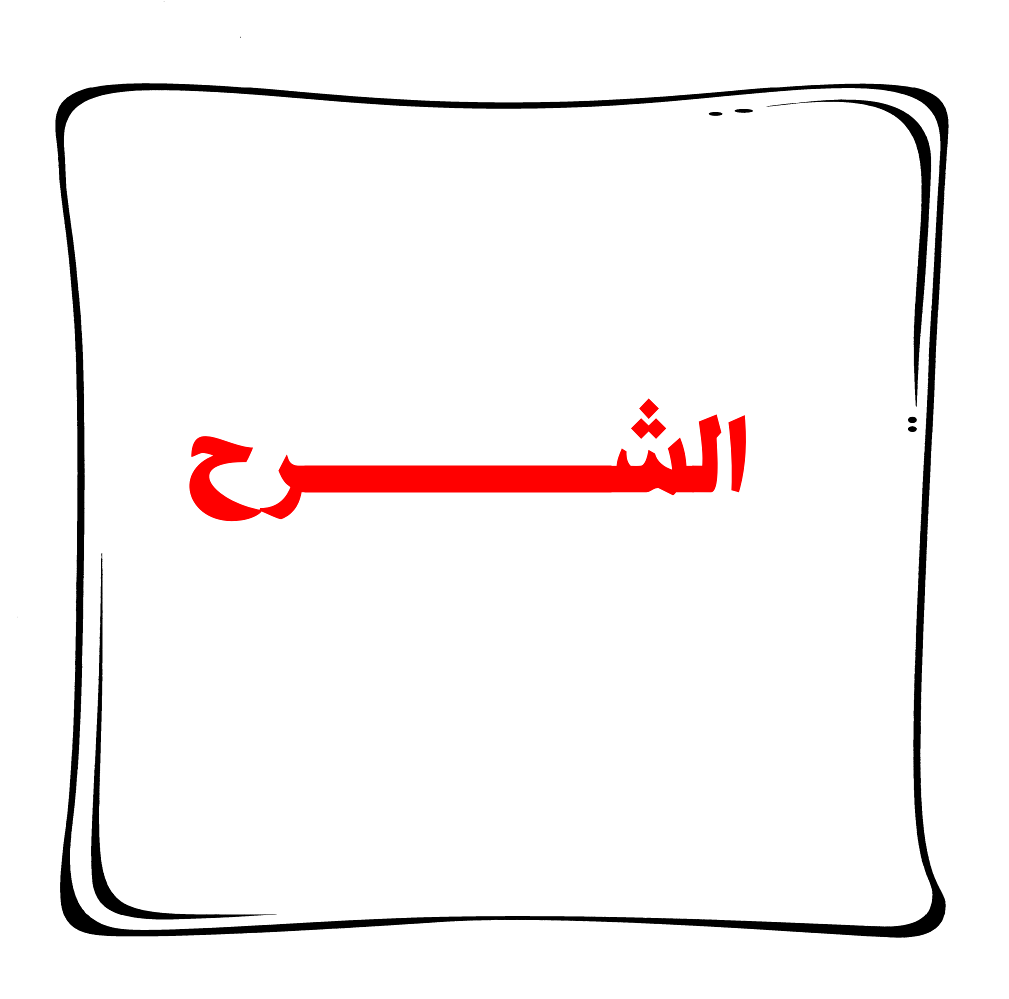
٣- الأحكام المتعلقة بالإمامة العظمىٰ، وما يجب لولاة الأمور.

٤- اعتقاد أهل السنة والجماعة في الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وآل بيت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

٥- منهج أهل السنة والجماعة في التعامل مع الناس.

٦- بعض أحكام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٧- بعض أصول الأخلاق عند أهل السنة والجماعة.


الشرح

مُقَدِّمَةٌ

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

الحَمْدُ للهِ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالهُدَىٰ وَدِينِ الحَقِّ؛ لِيُظْهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ، وَكَفَىٰ بِاللهِ شَهِيدًا.

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ إِقْرَارًا بِهِ وَتَوْحِيدًا، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ، وَعَلَىٰ آلِهِ، وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا مَزِيدًا.

.... الشـــرح ....

قَــولُــهُ: «**الحَمْدُ**»: الألف واللام للاستغراق، والمعنىٰ أن جميع أنواع المحامد لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

والحمد لغة: الثناء بالأوصاف الجميلة، والأفعال الحسنة[1]، والثناء هو ذكر النعم، والأفعال الحسنة.

واصطلاحا: هو الثناء باللسان علىٰ الجميل الاختياري؛ تعظيما وتبجيلا، وإجلالا سواء كان في مقابلة نعمة أم لا، والمدح: هو الثناء

---

(١) **انظر**: تهذيب اللغة، للأزهري، مادة «حمد»، ولسان العرب، لابن منظور، مادة «حمد».

علىٰ الجميل مطلقًا.

تقول: حمدت زيدًا علىٰ علمه وكرمه، ولا تقول: حمدته علىٰ حُسنه، بل مدحته؛ لأن العلم والكرم باختيار زيد بخلاف الحُسن فليس باختياره[1].

مسألة [١]: الفرق بين الحمد، والمدح:

١- الحمدُ لا بدَّ أن يكونَ دافعُه الحبَّ، والتعظيمَ.

أما المدحُ فهو إخبار عن الأوصاف الجميلة التي تكون بالممدوح، ولا يُشترطُ فيه أنْ يكونَ عن محبَّةٍ وتعظيمٍ؛ فالشعراءُ يمدحونَ الملوكَ، والسلاطينَ، والأمراءَ، ولا يحبُّونهم، ولا يعظِّمونَهم[2].

٢- الحمد هو الثناء علىٰ الجميل الاختياري، والمدح هو الثناء علىٰ الجميل مطلقا كما تقدَّم.

وعلىٰ هذا فالحمد أخص من المدح.

مسألة [٢]: الفرق بين الحمد، والشكر:

فرَّق العلماءُ بين الحمدِ والشكرِ من وجهينِ:

---

(١) انظر: تفسير البيضاوي (١/ ٢٧)، وبدائع الفوائد، لابن القيم، (٢/ ٩٢)، وفتح القدير، للشوكاني (١/ ٢٣).

(٢) انظر: بدائع الفوائد (٢/ ٩٢-٩٣).

أحدهما: أن الحمدَ لا يكونُ إلا باللسانِ.

أما الشكرُ فيكونُ باللسانِ، والجوارحِ، والقلبِ.

فشكرُ اللسانِ: الذِّكرُ.

وشكرُ الجوارحِ: استعمالُها فيما يرضي اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وشكرُ القلبِ: اعتقادُ أنَّ كلَّ نعمةٍ من عندِ اللهِ وحدَه دونَ غيرِه.

وقد جمع الشاعر أنواع الشكر الثلاثة، فقال:

أفادَتْكم النَّعْماءُ مِنِّي ثلاثــةً ... يَدِي ولِسانِي والضَّمِيرَ المُحجَّبا[1]

يعني إن نعمتكم عليَّ إفادتكم من يدي ولساني وجناني، فهي وأعمالها لكم، كأنه قال: كثرت نعمتكم عندي فوجب عليَّ شكركم بجميع أنواع الشكر.

الثاني: أنَّ الحمدَ يكونُ علىٰ نعمةٍ، أو غيرِ نعمةٍ، والشُّكرُ لا يكونُ إلَّا علىٰ نعمةٍ.

أيْ أنَّ العبدَ يَحمدُ اللهَ عَزَّوَجَلَّ سواءٌ أنعمَ عليهِ أو لم يُنْعِمْ، ولا يشكرُ اللهَ عَزَّوَجَلَّ إلَّا إذا أنعمَ عليه بنعمةٍ[2].

وهذا معنىٰ قولهم: الحمد أخص آلة، وأعم متعلَّقا، والشكر

---

(١) **انظر**: غريب الحديث، للخطابي، (١/ ٣٤٦)، وتفسير الزمخشري (١/ ٨).

(٢) **انظر**: عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، صـ (١٥٠)، ومدارج السالكين (٢/ ٢٣٧)،لابن القيم.

بالعكس أي أعم آلة، وأخص متعلقا.

معنىٰ «أخص آلة»: أي لا يكون إلا باللسان.

ومعنىٰ «أعم متعلَّقا»: أي يتعلق علىٰ نعمة، أو غير نعمة.

معنىٰ «أعم آلة»: أي يكون باللسان، والجوارح، والقلب.

ومعنىٰ «أخص متعلَّقا»: أي يتعلق علىٰ نعمة فقط.

قَولُهُ: «لِلَّهِ»: اللام للاستحقاق؛ فالحمد كله لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ إما مِلكا، أو استحقاقا، فحمده لنفسه استحقاق، وحمدُ العباد له، وحمدُ بعضهم لبعض مِلك له[١].

والله: عَلَم علىٰ الذات الإلهية، وأصله «الإله» حُذفت الهمزة منه؛ للتخفيف، وإله علىٰ وزن فِعالٍ؛ بمعنىٰ مَأْلُوهٍ، وأَلَهَ إلاهَةً وأُلُوهَةً وأُلُوهِيَّةً: أي عَبَدَ عِبادَةً[٢]؛ فالهَمْزَةُ وَاللَّامُ وَالهَاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ التَّعَبُّدُ؛ فَالإِلَهُ: اللهُ تَعَالَىٰ، وَسُمِّيَ بِذَلِكَ؛ لِأَنَّهُ مَعْبُودٌ؛ وَيُقَالُ: تَأَلَّهَ الرَّجُلُ: إِذَا تَعَبَّدَ[٣]، ومنه قول رُؤْبَةَ:

لِلهِ دَرُّ الغَانِيَاتِ المُدَّهِ سَبَّحْنَ وَاسْتَرْجَعْنَ مِنْ تَأَلُّهِي[٤]

---

(١) انظر: بدائع الفوائد (٢/ ٩٢).

(٢) انظر: القاموس المحيط، للفيروز آبادي، مادة «أله».

(٣) انظر: مقاييس اللغة، مادة «أله».

(٤) انظر: الكامل في اللغة والأدب، لابن المبرد (٣/ ١٠٨)، ومقاييس اللغة (١/ ١٧٢).
الغانيات: جمع غانية، وهي المرأة الحسنة التي استغنت بجمالها عما يجملها من أنواع الزينة. المده: جمع ممدوهة، أي ممدوحة بجمالها. سبَّحن: أي قلن: سبحان الله من=

مسألة: أنواع المحامد:

المحامد التي يُحمد الله سبحانه عليها كثيرة، جماعها خمسة:

الأول: يُحمد سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ علىٰ تفرده بالربوبية؛ إذ لا رب معه يملك هذا الملكوت، ويدبر أمره، ويقوم علىٰ شؤونه.

فيثنىٰ عليه بتفرده بالربوبية، بأنه سبحانه هو الخالق الرازق المحيي المميت.

قال تعالىٰ: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾﴾ [يونس:٣١].

الثاني: يحمد سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ علىٰ تفرده بالألوهية، فهو الإله الذي عُبد بحق دون ما سواه، فيثنىٰ عليه بتفرده في ألوهيته.

قال تعالىٰ: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء:٢٢].

لو كان في السماء والأرض آلهة غير الله لخَربتا، وهلك من فيهما بوجود التمانع بين الآلهة؛ لأن كل أمر صدر عن اثنين فأكثر يؤدي إلىٰ الخراب والفساد ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾﴾

=التعجب. **استرجعن:** أي قلن: إنا لله وإن إليه راجعون، من الحسرة عليه. **تألهي:** أي تعبدي لله تعالىٰ.

[المؤمنون:٩١][1].

الثالث: يحمد سبحانه على أسمائه، وصفاته، فهو تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ له الأسماء الحسنى والصفات العلى، وليس له سَمِيٌّ ولا مثيل، فيُثنى عليه بكل صفة له على حدة.

قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾[الأعراف:١٨٠].

الرابع: يحمد سبحانه على شرعه، وأمره، فلم يتركنا هَمَلا بلا أمر، ولا نهي، بل أرسل إلينا الرسل، وشرع لنا الشرائع، فيثنى عليه على دين الإسلام الذي جعله دينا للناس، وعلى أوامره ونواهيه في كتابه، وسنة نبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾[الأعراف:٥٤].

الخامس: يحمد سبحانه على خلقه وقدره، فيثنى عليه على تصريفه لهذا المُلك، وتقديره لكل شيء.

قال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾[القمر:٤٩].

قَولُهُ: «**الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ**»: أي بعث رسوله محمدا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وبقية رسله عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ.

والرسول لغة: فعول بمعنى مفعول، أي مرسَل، وهو الذي يتابع

---

(١) **انظر**: تفسير البغوي (٥/ ٣١٤)، وتفسير ابن كثير (٥/ ٣٣٧).

أخبار الذي بعثه؛ أُخذ من قولهم: جاءت الإبل رَسَلًا، أي: متتابعة[١].

والرسول: من بُعِثَ برسالة، يقال: أرسله بكذا، إذا طُلب منه تأديته، وتبليغه، وسُمي الرسول رسولا؛ لأنه ذو رسالة[٢].

والرسول في الشرع: من بعثه الله تعالىٰ بشرع جديد يدعو الناس إليه[٣]، وهو أخص من النبي، فكلُّ رسول نبي، وليس كل نبي رسولا؛ فالرسالة أعم من جهة نفسها، وأخص من جهة أهلها؛ فالنبوة جزء من الرسالة؛ والنبي من بعثه لتقرير شرع سابق، كأنبياء بني إسرائيل الذين كانوا بين موسىٰ وعيسىٰ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ[٤].

والمعنىٰ: أن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يحمد علىٰ نعمه التي لا تحصىٰ، فمن أجلّها أن أرسل رسله عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

مسألة: الفرق بين النبوة والرسالة، والرسول والنبي:

المعنىٰ اللغوي:

الرسول في اللغة بمعنىٰ الإرسال، والبعث كما تقدم.

---

(١) انظر: تهذيب اللغة، مادة «رسل».

(٢) انظر: تهذيب اللغة، مادة «رسل»، ولسان العرب، مادة «رسل».

(٣) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٥/ ٤)، وشرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز (١/ ١٥٥)، وتفسير الماتريدي (١/ ١٦٢)، وتفسير الماوردي (٤/ ٣٤-٣٥)، ومجموع الفتاوىٰ (٧/ ١٠).

(٤) انظر: معاني القرآن، للزجاج، (٣/ ٤٣٤)، وتفسير الرازي (٢٣/ ٢٣٦)، وشرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز (١/ ١٥٥)، وتفسير الألوسي (٩/ ١٦٥).

والنبي في اللغة: مشتق من النَّبْوَةِ، أو النباوة، وهو الارتفاع، كأنه مفضَّل علىٰ سائر الناس برفع منزلته.

وعلىٰ هذا المعنىٰ سمي النبي نبيا؛ لارتفاع قدره، ولأنه شُرِّف علىٰ سائر الخلق، وذو منزلة أعلىٰ وأرفع منهم[1].

قال الله تعالىٰ عن إدريس عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾﴾ [مريم:٥٧].

وقيل: النبي مشتق من النبأ، وهو الخبر[2].

قال تعالىٰ: ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢﴾﴾ [النبأ:١-٢].

وعلىٰ هذا المعنىٰ سمي النبي نبيا؛ لأنه يُخبر عن الله تعالىٰ[3]؛ فهو مخبِرٌ، ومخبَرٌ.

المعنىٰ الاصطلاحي:

الرسول أخص من النبي، فكلُّ رسول نبي، وليس كل نبي رسولا؛ فالرسالة أعم من جهة نفسها، وأخص من جهة أهلها؛ فالنبوة جزء من الرسالة؛ وهذا قول عامة أهل العلم[4].

---

(١) **انظر**: تهذيب اللغة، ومقاييس اللغة، والقاموس المحيط، مادة «نبأ».

(٢) **انظر**: العين، ولسان العرب، مادة «نبأ».

(٣) **انظر**: القاموس المحيط، مادة «نبأ».

(٤) **انظر**: النهاية في غريب الحديث والأثر (٥/ ٤)، وشرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز (١/ ١٥٥)، وتفسير الماتريدي (١/ ١٦٢)، وتفسير الماوردي (٤/ ٣٤-٣٥)، ومجموع الفتاوىٰ (٧/ ١٠).

فالرسول من بعثه الله تعالىٰ بشرع جديد يدعو الناس إليه، والنبي من بعثه لتقرير شرع سابق كأنبياء بني إسرائيل الذين كانوا بين موسىٰ، وعيسىٰ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ[(١)]، فكلاهما مُرسَلٌ، ولكن لا يُسمىٰ النبيُّ رسولا عند الإطلاق.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «فالنبي هو الذي يُنْبِئه الله، وهو ينبئ بما أنبأ الله به؛ فإن أُرسل مع ذلك إلىٰ من خالف أمر الله ليبلغه رسالة من الله إليه؛ فهو رسول، وأما إذا كان إنما يعمل بالشريعة قبله، ولم يُرسل هو إلىٰ أحد يبلغه عن الله رسالةً؛ فهو نبي، وليس برسول»[(٢)].

ومن الأدلة علىٰ ذلك:

١-العطف في قوله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ﴾[الحج:٥٢] يدل علىٰ المغايرة بين الرسول والنبي، فصفة الرسول غير صفة النبي[(٣)].

٢-عن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، كَمْ وَفَّىٰ عِدَّةُ الْأَنْبِيَاءِ؟ قَالَ: «**مِائَةُ أَلْفٍ وَأَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ أَلْفًا الرُّسُلُ مِنْ ذَلِكَ ثَلَاثُ**

---

(١) انظر: معاني القرآن، للزجاج (٣/ ٤٣٤)، وتفسير الرازي (٢٣/ ٢٣٦)، وتفسير الألوسي (٩/ ١٦٥).

(٢) انظر: تهذيب اللغة، مادة «رسل»، ولسان العرب، مادة «رسل».

(٣) انظر: تفسير الماوردي (٤/ ٣٤-٣٥).

مِائَةٍ وَخَمْسَةَ عَشَرَ جَمًّا غَفِيرًا»[١]، أي مجتمعين كثيرين[٢].

٣-وصف الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بعض رسله بالنبوة والرسالة مما يدُل علىٰ أن الرسالة أمر زائد علىٰ النبوة، كقوله في حقِّ موسىٰ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥١﴾﴾ [مريم:٥١][٣].

٤-جاء في السُّنَّة أن أول رسل الله إلىٰ أهل الأرض هو نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، كما في حديث الشفاعة: «**فَيَأْتُونَ نُوحًا، فَيَقُولُونَ: يَا نُوحُ أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَىٰ أَهْلِ الأَرْضِ**»[٤]، بينما وصف آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بأنه «**نَبِيٌّ مُكَلَّمٌ**»[٥]، فعدم حصول آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ علىٰ وصف الرسالة دلَّ علىٰ الفرق بين النبي، والرسول.

وقيل: لا فرق بين الرسول والنبي، فكل نبي رسول وكل رسول نبي[٦].

وقيل: النبي أعلىٰ مرتبة من الرسول، وهذا قول لغلاة الصوفية.

---

(١) صحيح: رواه أحمد (٢٢٢٨)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٦٦٨)

(٢) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (١/ ٣٠٠).

(٣) انظر: الرسل والرسالات، صـ(١٤).

(٤) متفق عليه: رواه البخاري (٣٣٤٠)، ومسلم (١٩٣)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٥) صحيح: رواه أحمد (٢٢٢٨)، من حديث أبي أمامة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٦٦٨).

(٦) انظر: تفسير الماوردي (٤/ ٣٤-٣٥)، وتفسير الرازي (٢٣/ ٢٣٦)، والتعريفات، للجرجاني، صـ(١١٠).

وكلا القولين ضعيفان لا تقوم بهما حُجة.

قَـولُـهُ: «بِالهُدَىٰ»: أي بما جاء به في القرآن، والسنة من الأخبار الصادقة، والإيمان الصحيح، والعلم النافع[١]؛ كما قال تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ﴾[التوبة:٣٣].

مسألة: الهداية أربعة أنواع[٢]:

أحدها: الهداية العامة المشتركة بين الخلق المذكورة في قوله تعالىٰ: ﴿قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَىۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ٥٠﴾[طه:٥٠]، أي أعطىٰ كل شيء صورته التي لا يشتبه فيها بغيره، وأعطىٰ كل عضو شكله وهيئته، ثم هداه إلىٰ ما خلقه له من الأعمال وهذه هداية الحيوان المتحرك بإرادته إلىٰ جلب ما ينفعه ودفع ما يضره، فلكل نوع من الحيوان هداية تليق به، وكل عضو له هداية تليق به، فهدىٰ الرِّجلين للمشي، واليدين للبطش والعمل، واللسان للكلام، والأذن للاستماع، ونحوه.

النوع الثاني: هداية البيان والدلالة والتعريف يقوم بها الرسل، وأهل العلم؛ كما قال تعالىٰ: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيۡنَٰهُمۡ فَٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡعَمَىٰ عَلَى ٱلۡهُدَىٰ﴾[فُصِّلَت:١٧]، أي بينا لهم وأرشدناهم فلم يهتدوا.

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٤/ ١٣٦).

(٢) انظر: بدائع الفوائد (٢/ ٣٥-٣٧).

ومنها قوله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسْتَقِيمٖ﴾[الشورىٰ:٥٢].

ومنها قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرٗا وَإِمَّا كَفُورًا ٣﴾ [الإنسان:٣].

النوع الثالث: هداية التوفيق والإلهام وهي الهداية المستلزمة للاهتداء فلا يَتَخَلَّفُ عنها، وهي خاصة بالله وحده، وهي المذكورة في قوله تعالىٰ: ﴿يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِي مَن يَشَآءُ﴾[النحل:٩٣].

وفي قوله: ﴿ إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي مَن يُضِلُّ ﴾ [النحل:٣٧].

وفي قوله: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ﴾ [الأنعام:١٢٥].

وفي قول النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ**»[(١)].

وفي قوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ ﴾ [القصص:٥٦]، فنفىٰ عنه هذه الهداية، وأثبت له هداية الدعوة والبيان في قوله: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسْتَقِيمٖ﴾[الشورىٰ:٥٢].

النوع الرابع: غاية هذه الهداية، وهي الهداية إلىٰ الجنة والنار إذا سيق أهلهما إليهما.

---

(١) **صحيح:** رواه مسلم (٨٦٧)، عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٩﴾﴾[يونس:٩].

وقال أهل الجنة فيها: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا﴾[الأعراف:٤٣].

وقال تعالىٰ عن أهل النار: ﴿ٱحْشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُواْ يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾﴾[الصافات:٢٢-٢٣].

قَــولُــهُ: «وَدِينِ الحَقِّ»: هي الأعمال الصالحة الصحيحة النافعة في الدنيا والآخرة[1]؛ والدِّينُ يطلق علىٰ الطاعة، والعمل، والجزاء علىٰ العمل، واستُعِير للشريعة.

والدِّينُ كالملّة، لكنّه يقال اعتبارا بالطاعة، والانقياد للشريعة[2].

ومن إطلاقه علىٰ الطاعة والعمل: قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾[آل عمران:١٩].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾[النساء:١٢٥]، أي طاعة.

وقوله تعالىٰ: ﴿وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾[الأعراف:٢٩].

ومن إطلاقه علىٰ الجزاء علىٰ العمل: قوله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٧﴾﴾[الانفطار:١٧].

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٤/ ١٣٦).

(٢) انظر: المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، صـ (٣٢٣).

وأصل الحَقِّ: المطابقةُ والموافقةُ، والحقُّ هو الثابت والواجب[1]، المتضمن لجلب المصالح، ودرء المفاسد في الأحكام والأخبار، وضده الباطل.

مسألة: معاني «الحق»:

الحقُّ يطلق علىٰ عدة أشياء، منها:

الأول: الموجِد بحسب مقتضىٰ الحكمة، ولهذا يقال: فِعْلُ الله تعالىٰ كلُّه حق، نحو قولنا: الموت حق، والبعث حق، وقال تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾[يونس:٥].

والثاني: الاعتقاد للشيء المطابق لما عليه ذلك الشيء في نفسه، كقولنا: اعتقاد فلان في البعث والثواب والعقاب والجنة والنار حقّ، قال الله تعالىٰ: ﴿فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة:٢١٣].

والثالث: الفعل والقول بحسب ما يجب، وبقدر ما يجب، وفي الوقت الذي يجب، كقولنا: فعلك حقٌّ وقولك حقٌّ؛ قال تعالىٰ: ﴿كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾[يونس:٣٣]، ﴿وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ

---

(١) انظر: لسان العرب، مادة «حق».

جَهَنَّمَ﴾[السجدة:١٣][1].

قــولــه: «لِيُظْهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ»: أي ليعليه ويغلبه وينصره علىٰ جميع الملل والأديان بالحجة، والبيان[2]؛ كما ثبت في الصحيح، عَنْ ثَوْبَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللهَ زَوَىٰ[3] لِي الأَرْضَ، فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا»[4].

وقال تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ۝٣٣﴾[التوبة:٣٣].

والظهور بمعنىٰ العلو، والغَلبة، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ۝٤١﴾[الروم:٤١][5].

والألف واللام في «**الدين**» للجنس، فيدخل فيه كل دين عدا دينَ الإسلام.

واختلف المفسرون في هاء ﴿لِيُظْهِرَهُۥ﴾ علىٰ قولين:

---

(١) انظر: المفردات في غريب القرآن، صـ(٢٤٦-٢٤٧).

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٤/ ٢١٤)، وتفسير البغوي (٢/ ٣٤٠)، وتفسير ابن كثير (٤/ ١٣٦)، والمفردات في غريب القرآن، صـ(٥٤١).

(٣) زوىٰ: أي جمع.

(٤) صحيح: رواه مسلم (٢٨٨٩).

(٥) انظر: مقاييس اللغة، مادة «ظهر»، والمفردات في غريب القرآن، صـ(٥٤١).

القول الأول: الهاء عائدة إلىٰ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أي: ليعلمه شرائع الدين كلها، فيظهره عليها حتىٰ لا يخفىٰ عليه منها شيء؛ وهذا قول ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

القول الثاني: الهاء عائدة إلىٰ دين الحق، وظهورُه علىٰ الأديان كلها هو أن لا يدان الله تعالىٰ إلا به؛ قال أبو هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، والضحاك: وذلك عند نزول عيسىٰ ابن مريم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لا يبقىٰ أهل دين إلا دخل في الإسلام، وهذا اختيار الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)].

وعلىٰ كلا القولين فإن من تمسك بهذا الدين الحق فسوف يُظهره الله تعالىٰ، ويُعلي قدره، ومن تمسك بغيره ذل، فلا غلبة، ولا علو، ولا عِزة إلا باتباع هذا الدين الحق.

قَولُـهُ: «وَكَفَىٰ بِاللهِ شَهِيدًا»: أي شاهدا علىٰ أنه أرسلك[(٢)]، وأنه رسوله، وهو ناصره[(٣)]، وعلىٰ أنك نبي صادق صالح فيما تخبر[(٤)]، وحسبك به شاهدا[(٥)]؛ وهو شهيد أيضا بينك وبينهم، وعالم بما تبلغهم إياه، وبما يردُّون عليك من الحق كفرا وعنادا[(٦)]، وشهادة الله أعلىٰ

(١) **انظر:** تفسير الطبري (١٤/ ٢١٤-٢١٥)، وتفسير البغوي (٢/ ٣٤٠).
(٢) **انظر:** تفسير البغوي (١/ ٦٦٦)، وتفسير ابن كثير (٢/ ٣٦٣).
(٣) **انظر:** تفسير ابن كثير (٧/ ٣٦٠).
(٤) **انظر:** تفسير البغوي (٤/ ٢٤٤).
(٥) **انظر:** تفسير الطبري (٢٢/ ٢٦١).
(٦) **انظر:** تفسير ابن كثير (٢/ ٣٦٣).

وأعظم من كل شهادة؛ لأنه لا أعلم من الله.

قيل: أي كفىٰ الله شهيدا، والباء زائدة.

وقيل: معناه: اكْتَفِ بالله شهيدا.

والكِفَايَةُ: ما فيه سدُّ الحاجة، وبلوغ المراد في الأمر(١).

قَــولُــهُ: «وَأَشْهَدُ»: أي أعْلَم، وأُبيِّن(٢)، وأعتقد وأقرُّ بقلبي ناطقا بلساني أنه المستحق للعبادة وحده دون غيره؛ فالشين والهاء والدال أصل يدل على حضور وعلم وإعلام(٣).

والشَّهَادَةُ: قول صادر عن علم حصل بمشاهدة بصيرة، أو بصر(٤).

قَــولُــهُ: «أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»: أي لا معبود بحق سوىٰ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، ولا معبود محبةً وتعظيما إلا الله؛ لأن الإله هو المعبود محبةً، وتعظيما، وتسمىٰ هذه الكلمة بالعروة الوثقىٰ، وكلمة التوحيد، وكلمة الشهادة، ولها ركنان:

أحدهما: نفي «لا إله»؛ ومعناه نفي استحقاق العبادة عن كل ما سوىٰ الله تعالىٰ.

الثاني: إثبات «إلا الله»، ومعناه إثبات استحقاق العبادة لله وحده.

---

(١) انظر: المفردات في غريب القرآن، صـ(٧١٩).
(٢) انظر: تهذيب اللغة، مادة «شهد».
(٣) انظر: مقاييس اللغة، مادة «شهد».
(٤) انظر: المفردات في غريب القرآن، صـ(٤٦٥).

ويجب تحقيق هذين الركنين، فمن حقق أحدهما دون الآخر لم يكن موحِّدا.

مسألة [١]: معنىٰ «الإله» عند المتكلمين:

اختلف المتكلمون في معنىٰ «الإله» علىٰ قولين:

القول الأول: الإله هو المستغني عما سواه، المفتقر إليه كل ما عداه.

وهذا قول الأشاعرة(١)، والماتريدية(٢).

---

(١) **الأشاعرة:** نسبة إلىٰ أبي الحسن علي بن إسماعيل بن أبي بشر إسحاق بن سالم الأشعري، ولد سنة ستين ومائتين، نشأ علىٰ مذهب المعتزلة، وتتلمذ علىٰ أبي علي الجُبَّائي زوج أمه، ومضىٰ علىٰ ذلك ضربا من حياته، ثم ترك مذهبهم وتبرأ منه، وسلك طريقة ابن كُلَّاب وانتشر مذهبه، ثم رجع منه إلىٰ مذهب أهل الحديث، وانتسب إلىٰ الإمام أحمد، وألف في مذهب أهل السنة «الإبانة الموجزة»، إلا أنه بقيت عليه بقايا من مذهب ابن كُلاب، توفي ببغداد سنة أربع وعشرين وثلاثمائة، ومن عقائدهم: إثبات سبع صفات وهي السمع والبصر والعلم والقدرة والإرادة والحياة والكلام، ونفي الصفات المتعلقة بالمشيئة، ويميلون في القدر إلىٰ القول بالجبر تحت مسمىٰ الكسب، والقول بالإرجاء في الإيمان. [**انظر:** تاريخ بغداد (١١/ ٣٤٦)، ووفيات الأعيان (٣/ ٢٨٤)، وسير أعلام النبلاء (١٥/ ٨٥)].

(٢) **الماتريدية:** هم أصحاب محمد بن محمد بن محمود أبي منصور الماتريدي، المتكلم، وماتريد قرية من قرىٰ سمرقند، له كتاب التوحيد، وكتاب المقالات، وكتاب تأويلات القرآن، توفي سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة بسمرقند، من المسائل التي اشتهر الماتريدية بالخلاف فيها: مسألة الاستثناء في الإيمان، والاستثناء في الكفر، ومسألة القرآن، هل الله متكلم بمشيئته وقدرته، أم القرآن لازم لذاته؟ وأثبتوا الصفات السبعة التي أثبتتها الأشاعرة وزادوا صفة ثامنة وهي التكوين، ونفوا الصفات الخبرية، ويميلون في القدر إلىٰ القول بالجبر، والقول بالإرجاء في الإيمان. [**انظر:** الجواهر المضية في طبقات الحنفية (٣/ ٣٦٠، ٧/ ٤٣١-٤٣٤)].

القول الثاني: الإله هو القادر علىٰ الاختراع[1].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ليس المراد بـ «الإله» هو القادر علىٰ الاختراع، كما ظنَّه من ظنَّه من أئمة المتكلمين، حيث ظن أن الإلهية هي القدرة علىٰ الاختراع، وأن من أقر بأن الله هو القادر علىٰ الاختراع دون غيره فقد شهد أنه لا إله إلا هو؛ فإن المشركين كانوا يقرُّون بهذا وهم مشركون، بل الإله الحق هو الذي يستحق أن يُعبَد فهو إلـهٌ بمعنىٰ مألوه، لا «إله» بمعنىٰ آلِه، والتوحيد أن يعبد الله وحده لا شريك له، والإشراك أن يجعل مع الله إلهًا آخر»[2].

مسألة [٢]: إعراب كلمة التوحيد:

لا: نافية للجنس.

إله: اسم «**لا**» مبني علىٰ الفتح، وخبر «**لا**» محذوف تقديره «**حق**»، أو «**بحق**».

وقدَّر المتكلمون خبر «**لا**» بـ «**موجود**»، أو «**في الوجود**».

إلا: أداة استثناء لا محل لها من الإعراب.

الله: لفظ الجلالة بدل مرفوع بالضمة الظاهرة من الخبر المحذوف «**حق**».

---

(١) انظر: التفسير البسيط، للواحدي (١/ ٤٥٣)، وتفسير ابن عرفة (٢/ ٣٦٢)، وبيان كلمة التوحيد، للشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ، صـ(٤٢٤).

(٢) انظر: التدمرية، لابن تيمية، صـ(١٨٥-١٨٦).

قَــولُــهُ: «**وَحْدَهُ**»: تأكيد للإثبات «**إلا الله**».

قَــولُــهُ: «**لَا شَرِيكَ لَهُ**»: هذا تأكيد للنفي «**لا إله**»، أي لا شريك له في ربوبيته، وألوهيته، وأسمائه، وصفاته، وأمره، ونهيه، وشرعه، وقضائه وقدره.

مسألة: أنواع ادعاء الشريك:

ادعاء الشريك لله تعالىٰ كثيرة، وجماعها خمسة:

أحدها: ادعاء الشريك في الربوبية، كاعتقاد وجود متصرف مع الله تعالىٰ.

الثاني: ادعاء الشريك معه في استحقاق العبادة، كصرف العبادة لغير الله.

الثالث: ادعاء الشريك معه في أسمائه وصفاته علىٰ وجه الكمال، كتسمية غيره بها.

الرابع: ادعاء الشريك معه في الأمر والنهي في التشريع، كتحكيم غير شرعه تعالىٰ.

الخامس: ادعاء الشريك معه في الحكمة التي قضاها في كونه[1].

قَــولُــهُ: «**إِقْرَارًا بِهِ**»: أي بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، والإقرار هو التسليم

---

(١) انظر: اللآلئ البهية في شرح العقيدة الواسطية، للشيخ صالح آل الشيخ (١/ ٤٤).

والإذعان، وهو ضد الجحود[١].

والإقرار اصطلاحا: هو إثبات الشيء باللسان، أو القلب، أو بهما معًا، وإبقاء الأمر علىٰ حاله، والإقرار بالتوحيد وما يجري مجراه لا يغني باللسان ما لم يضامه الإقرار بالقلب، ويضاده الإنكار[٢].

قَولُهُ: «وَتَوْحِيدًا»: أي إفرادا، وإخلاصا، له جميع أنواع العبادات القولية، والفعلية، والاعتقادية.

والتوحيد لغة: مصدر وحَّد يوحِّد توحيدا، بمعنىٰ أفرد يفرد إفرادا[٣]، يعني جعل الأشياء شيئا واحدا.

وشرعا: هو إفراد الله بالخلق والتدبير والسيادة والمُلْك، وإفراده بالعبادة، والأسماء والصفات؛ وسمي دين الإسلام توحيدًا؛ لأن مبناه علىٰ أن الله واحد في ملكه وأفعاله لا شريك له، وواحد في ذاته وصفاته لا نظير له، وواحد في إلهيته وعبادته لا ند له[٤].

أقسام التوحيد:

---

(١) **انظر:** مقاييس اللغة، مادة «قرَّ».
(٢) **انظر:** الكليات، للكفوي، صـ(١٦٠).
(٣) **انظر:** مقاييس اللغة، مادة «وحد».
(٤) **انظر:** تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، لسليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، صـ(١٧).

دلت النصوص علىٰ أن التوحيد ثلاثة أقسام[(١)]:

أحدها: توحيد الربوبية: هو إفراد الله بالخلق، والتدبير، والسيادة، والملك، وسائر أفعاله.

ومن الأدلة علىٰ وجوب إفراد الله بالربوبية:

قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾﴾ [يونس:٣١].

وقوله تعالىٰ: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾﴾ [الفاتحة:٤].

وقوله تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾﴾ [الإخلاص:٢]، وَالعَرَبُ تُسَمِّي أَشْرَافَهَا الصَّمَدَ، قَالَ أَبُو وَائِلٍ: «**هُوَ السَّيِّدُ الَّذِي انْتَهَىٰ سُودَدُهُ**»[(٢)].

الثاني: توحيد الإلهية: هو إفراد الله بالعبادة.

ومن الأدلة علىٰ وجوب إفراد الله بالإلهية:

قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾﴾ [البقرة:٢١].

وقوله تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ﴾ [الأنعام:١٠٢].

---

(١) انظر: شرح العقيدة الطحاوي، لابن أبي العز الحنفي (١/ ٢٤).

(٢) انظر: صحيح البخاري (٦/ ١٨٠).

وعن ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: لَمَّا بَعَثَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ إِلَىٰ نَحْوِ أَهْلِ اليَمَنِ قَالَ لَهُ: «**إِنَّكَ تَقْدَمُ عَلَىٰ قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَىٰ أَنْ يُوَحِّدُوا اللهَ تَعَالَىٰ** ...»[1].

الثالث: توحيد الأسماء والصفات: هو إفراد الله بما سمىٰ ووصف به نفسه في كتابه، وبما سماه ووصفه به رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في سنته الصحيحة.

ومن الأدلة علىٰ وجوب إفراد الله بأسمائه وصفاته:

قوله تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف: ١٨٠].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**إِنَّ لله تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الجَنَّةَ**»[2].

والدليل علىٰ هذا التقسيم: التتبع والاستقراء لنصوص الكتاب والسنة، وهو استقراء تامٌّ لنصوص الشرع، وهو حجةٌ لا يمكن إنكارها، وقد ذكر الطبري «ت ٣١٠هـ» في «**تفسيره**»، وابن منده «ت ٣٩٥هـ» في «**الإيمان**» أنواع التوحيد الثلاثة.

---

(١) **متفق عليه:** رواه البخاري (٧٣٧٢، ومسلم (١٩))، هذ لفظ البخاري، أما لفظ مسلم فهو: «**فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ عِبَادَةُ اللهِ** عَزَّ وَجَلَّ».

(٢) **متفق عليه:** رواه البخاري (٢٧٣٦)، ومسلم (٢٦٧٧).

وهذا التقسيم موجود في كثير من آي الذكر الحكيم، ومن ذلك ما جاء في سورة الفاتحة.

فقوله تعالىٰ: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣﴾ [الفاتحة:٣]، توحيد أسماء وصفات.

وقوله تعالىٰ: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ [الفاتحة:٢]، ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ [الفاتحة:٤] توحيد ربوبية.

وقوله تعالىٰ: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥﴾ [الفاتحة:٥] توحيد ألوهية.

ومن التنظير لهذا الاستقراء: تقسيم النحويين للكلام ثلاثة أقسام: اسم، وفعل، وحرف، ولا يُعرف هذا عن العرب، إنما عُرف عندما استقرأ العلماء القرآن، والسُّنة، وأشعار العرب، ونحوها، ولا يمكن الطعن في ذلك؛ لأنه استقراء تامٌّ، وهو حجة في ذاته.

تقسيم ثانٍ للتوحيد:

بعض أهل العلم ذكر أن التوحيد أربعة أقسام:

الأقسام الأربعة المتقدمة، والرابع هو توحيد متابعة الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومعناه ألا يُحاكم إلىٰ غيره، ولا يرضىٰ بحكم غيره، ولا يُعبد إلا بما شرع، ولا يقف تنفيذ أمره، وتصديق خبره(١).

---

(١) انظر: مدارج السالكين، لابن القيم (٢/ ٣٦٦)، وشرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز (١/ ٢٢٨).

ويدل علىٰ هذا التوحيد: «**شهادة أن لا إله إلا الله**».

تقسيم ثالث للتوحيد:

من العلماء من قسم التوحيد قسمين:

أحدها: توحيد علمي اعتقادي، وتوحيدُ معرفةٍ وإثباتٍ؛ لأن المطلوبَ من العبد فيه: علمٌ ومعرفةٌ وإثباتٌ، والمرادُ بالإثباتِ: إثباتُ الأسماءِ والصفاتِ الواردةِ في الكتابِ والسنةِ لله تعالىٰ علىٰ الوجهِ الَّذِي يليقُ بهِ.

وهو نوعان: أحدهما: توحيد الربوبية، والثاني: توحيد الأسماء والصفات.

الثاني: توحيد عملي قصدي؛ وهو توحيد الإلهية[(١)].

وهو أيضًا توحيدُ إرادةٍ وطلبٍ، والمطلوبُ من العبدِ في هذا التوحيدِ العملُ، وهو مقصودُ الخلقِ، ويُسمَّىٰ بتوحيدِ النيَّةِ والإرادةِ.

والمقصودُ بالإرادةِ: أنْ يُريدَ بقلبِه ما أمرَه اللهُ.

والمقصودُ بالطلبِ: أي أنه أعمالٌ طُلبَ من العبدِ أنْ يَقومَ بها.

قَولُهُ: «وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا»: أُقرُّ، وأَعترفُ، وأعتقدُ أنَّ محمدًا، وهو نبينا محمد بن عبد الله القرشي الهاشمي؛ سمي محمدا؛ لأنه حمده أهل السماء، وأهل الأرض.

---

(١) **انظر:** مدارج السالكين، لابن القيم (١/ ٤٨).

قَــولُــهُ: «عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ»: فيه رد علىٰ أهل الإفراط والتفريط؛ فأهل الإفراط غالوا في حق الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ورفعوه فوق منزلة العبودية.

وأهل التفريط تركوا ما جاء به الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ونبذوه وراء ظهورهم كأنه غير رسول.

أما أهل السنة والجماعة فتوسطوا بين أهل الغلو، وأهل التفريط، فآمنوا به وبرسالته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وائتمروا بأمره، وانتهوا عما نهىٰ عنه، ولم يرفعوه فوق مقام العبودية؛ وهذا مقتضىٰ شهادة أن محمدا رسول الله.

فشهادة أنه عبدُ الله تنفي الغلو فيه، ورفعه فوق منزلته، وشهادة أنه رسول الله تقتضي الإيمان به صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وطاعتَه فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر، واجتناب ما نهىٰ عنه، واتباعه فيما شرع.

قَــولُــهُ: «صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ»: أي أسأل الله أن يثني علىٰ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الملأ الأعلىٰ؛ امتثالا لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦﴾ [الأحزاب:٥٦].

والصلاة لغة: الدعاء[1]، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡ﴾

---

(١) انظر: مقاييس اللغة، مادة «صلىٰ».

[التوبة:١٠٣]، أي ادعُ لهم.

وقول رسول الله ﷺ: «**إِذَا دُعِيَ أَحَدُكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ فَلْيُجِبْ، فَإِنْ كَانَ صَائِمًا، فَلْيُصَلِّ**»[1]، أي فليدع لأهل الطعام بالمغفرة والبركة[2].

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي أَوْفَىٰ رضي الله عنه، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا أَتَاهُ قَوْمٌ بِصَدَقَتِهِمْ، قَالَ: «**اللهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ آلِ فُلَانٍ**»، فَأَتَاهُ أَبِي بِصَدَقَتِهِ، فَقَالَ: «**اللهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ آلِ أَبِي أَوْفَىٰ**»[3].

قال الأعشىٰ[4]:

تَقُولُ بِنْتِي وَقَدْ قَرَّبْتُ مُرْتَحِلًا ... يَا رَبِّ جَنِّبْ أَبِي الأَوْصَابَ وَالوَجَعَا

عَلَيْكِ مِثْلُ الَّذِي صَلَّيْتِ فَاغْتَمِضِي ... نَوْمًا فَإِنَّ لِجَنْبِ المَرْءِ مُضْطَجَعًا

والصلاة من الله: ثناء في الملأ الأعلىٰ؛ قال تعالىٰ: ﴿أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾[البقرة:١٥٧]، أي: ثناء من الله عليهم ورحمة[5].

---

(١) **صحيح**: رواه الترمذي (٧٨٠)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وصححه الألباني في الصحيحة (١٣٤٣).

(٢) **انظر**: النهاية في غريب الحديث والأثر (٣/ ٥٠).

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٤٩٧)، ومسلم (١٠٧٨).

(٤) **انظر**: غريب الحديث، للقاسم بن سلام (١/ ١٧٩).

(٥) **انظر**: تفسير ابن كثير (١/ ٤٦٨).

ومن الملائكة: دعاء واستغفار[١]؛ كما في قول رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «المَلَائِكَةُ تُصَلِّي عَلَىٰ أَحَدِكُمْ مَا دَامَ فِي مُصَلَّاهُ الَّذِي صَلَّىٰ فِيهِ، مَا لَمْ يُحْدِثْ، تَقُولُ: اللهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، اللهُمَّ ارْحَمْهُ»[٢].

قَالَ أَبُو العَالِيَةِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «صَلَاةُ اللهِ: ثَنَاؤُهُ عَلَيْهِ عِنْدَ المَلَائِكَةِ، وَصَلَاةُ المَلَائِكَةِ الدُّعَاءُ»[٣]، وهذا أصحُّ ما قيل في معنىٰ الصلاة من الله، وملائكته عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

والصلاة من الملائكة والإنس والجن: القيام والركوع والسجود والدعاء والتسبيح.

والصلاة من الطير والهوام: التسبيح[٤].

حكم الصلاة على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

الصلاة علىٰ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فرض في العمر مرة بلا خلاف[٥]؛ لمطلق قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ٥٦﴾ [الأحزاب:٥٦].

---

(١) انظر: أحكام القرآن، لابن العربي (٣/ ٦٢٠).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٤٤٥)، ومسلم (٦٤٩)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٣) صحيح: رواه البخاري معلقا بصيغة الجزم (٦/ ١٢٠).

(٤) انظر: تهذيب اللغة (١٢/ ١٦٦).

(٥) انظر: أحكام القرآن، للجصاص (٥/ ٢٤٣)، وأحكام القرآن، لابن العربي (٣/ ٦٢٣)، والمسالك في شرح موطأ مالك، له (٣/ ١٥٧)، والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (١٤/ ٢٣٢-٢٣٣).

ويُستحب الإكثار من الصلاة عليه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا سيما إذا ذُكر.

قال العلماء: افترض الله علىٰ خلقه أن يصلوا علىٰ نبيه ويسلموا تسليما، ولم يجعل ذلك لوقت معلوم؛ فالواجب علىٰ المرء أن يكثر منها ولا يغفل في طول عمره(١).

وقيل: تجب كلما ذُكر، وحملوا الآية علىٰ الوجوب(٢).

وقول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**رَغِمَ أَنْفُ(٣) رَجُلٍ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ**»(٤).

أجيب عن هذا الحديث، وأمثاله بأنها خرجت مخرج المبالغة في تأكيد ذلك وطلبه، وفي حق من اعتاد ترك الصلاة عليه ديدنا، ولا دلالة علىٰ وجوب تكرار ذلك بتكرر ذكره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُلما ذُكر في المجلس الواحد(٥).

وأجيب عن الآية بأن الأمر للندب؛ لأن جميع العلماء اتفقوا علىٰ

---

(١) **انظر**: المسالك في شرح موطأ مالك (٣/ ١٥٨).

(٢) **انظر**: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، لابن حجر (١١/ ١٦٩).

(٣) **رغم أنف**: أي ألصقه بالرغام وهو التراب؛ هذا هو الأصل، ثم استعمل في الذل والعجز عن الانتصاف، والانقياد علىٰ كُره. [**انظر**: النهاية في غريب الحديث (٢/ ٢٣٨)].

(٤) **صحيح**: رواه الترمذي (٣٥٤٥)، وأحمد (٧٤٥١)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وصححه الألباني.

(٥) **انظر**: فتح الباري (١١/ ١٦٨-١٦٩).

أن ذلك غير لازم فرضا حتىٰ يكون تاركه عاصيا[١].

وقيل: تجب في كل دعاء في أوله، وآخره[٢].

لقول عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «**إِنَّ الدُّعَاءَ مَوْقُوفٌ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لَا يَصْعَدُ مِنْهُ شَيْءٌ، حَتَّىٰ تُصَلِّيَ عَلَىٰ نَبِيِّكَ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»[٣].

ومثل هذا لا يقال من قبل الرأي فيكون له حكم الرفع[٤].

قَولُهُ: «**وَعَلَىٰ آلِهِ**»: آل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هنا هم أتباعه علىٰ دينه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[٥].

مسألة: المقصود بآل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

اختلف العلماء في آل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علىٰ قولين[٦]:

أحدهما: أنهم أتباعه المتقون، وهذا قول الإمام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ.

الثاني: هم أهله، وهو قول أكثر أهل العلم؛ وهو الأصح؛ لقوله في الحديث: «**صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ، وَعَلَىٰ آلِ مُحَمَّدٍ**»[٧]، وقال في آخر: «**صَلِّ**

---

(١) **انظر**: المسالك في شرح موطأ مالك (٣/ ١٥٨)، وفتح الباري (١١/ ١٦٩).

(٢) **انظر**: الجامع لأحكام القرآن (١٤/ ٢٣٣).

(٣) **حسن**: رواه الترمذي (٤٨٦)، وحسنه الألباني.

(٤) **انظر**: فتح الباري (١١/ ١٦٤).

(٥) **انظر**: غريب الحديث لابن الجوزي (١/ ٣٦).

(٦) **انظر**: أحكام القرآن، لابن العربي (٣/ ٦٢٣).

(٧) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٣٧٠)، ومسلم (٤٠٦)، عن كعب بن عُجْرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

عَلَىٰ مُحَمَّدٍ، وَعَلَىٰ أَزْوَاجِهِ، وَذُرِّيَّتِهِ»[١]، فتارة فسره بالذرية والأزواج، وتارة أطلقه.

قَولُهُ: «وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا»: أي اللهم سلِّم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الآفات والنقائص والعيوب في الآخرة؛ امتثالا لقوله تعالىٰ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ۝٥٦﴾ [الأحزاب:٥٦]؛ أي: وحيُّوه تحيةَ الإسلام[٢].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «والمقصود من هذه الآية: أن الله سبحانه أخبر عباده بمنزلة عبده ونبيه عنده في الملأ الأعلىٰ، بأنه يثني عليه عند الملائكة المقربين، وأن الملائكة تصلي عليه، ثم أمر تعالىٰ أهل العالم السُّفلي بالصلاة والتسليم عليه؛ ليجتمع الثناء عليه من أهل العالمين العلوي والسفلي جميعا»[٣].

والسلام له معنيان:

أحدهما: التحية.

الثاني: طلب السلامة من كل مكروه، والبراءة من النقائص والعيوب، فالسلامة: أن يسلم الإنسان من العاهة والأذىٰ.

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٤٠٧)، عن أبي حُميد الساعدي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) **انظر**: تفسير الطبري (٢٠/ ٣٢٠).

(٣) **انظر**: تفسير ابن كثير (٦/ ٤٥٧).

قَـــولُــهُ: «**مَزِيدًا**»: أي سلاما زائدا، أو زيادة فيه[١].

وجملـة: «صَـلَّىٰ اللهُ عَلَيْـهِ، وَعَلَـىٰ آلِـهِ، وَسَـلَّمَ تَسْـلِيمًا مَزِيـدًا»: جملة خبرية لفظًا، إنشائية معنىً[٢]، والمراد بها الدعاء.

---

(١) **انظر**: مقاييس اللغة، ولسان العرب، مادة «سلم».

(٢) **خبرية لفظًا، إنشائية معنىً**: أي لفظها يفيد الخبر، ومعناها يفيد الإنشاء وهو هنا الطلب أي الدعاء.

[أصول الإيمان الستة إجمالا]

اعْتِقَادُ الفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ المَنْصُورَةِ إِلَىٰ قِيَامِ السَّاعَةِ.

.... الشـــرح ....

قَــولُــهُ: «اعْتِقَادُ»: الاعتقاد لغة: الربط والشدُّ بإحكام[(١)].

والعقيدةُ: ما يدين الإنسان به[(٢)]، وعقيدةُ الرجل: دينه الذي يعتقده[(٣)]، كما تقدم.

ثم خُصَّ به أركان الإيمان الستة، وهي الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، والإيمان باليوم الآخر، والقدر خيره وشره، وما يتعلق بها من مسائل.

وقد تقدَّم تعريفه في الاصطلاح.

قَــولُــهُ: «الفِرْقَةِ»: الفِرْقةُ: الطائفةُ من النَّاس[(٤)]، أو الجماعة المتفردة من الناس[(٥)].

---

(١) انظر: مقاييس اللغة، مادة «عقد».

(٢) انظر: المصباح المنير، للفيومي، مادة «عقد».

(٣) انظر: شمس العلوم، لنشوان الحميري (٧/ ٤٦٦٢).

(٤) انظر: تهذيب اللغة، مادة «فرق».

(٥) انظر: المفردات في غريب القرآن، صـ(٦٢٣).

ومنه قوله تعالىٰ: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ﴾ [التوبة:١٢٢].

وقوله تعالىٰ: ﴿فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ﴾[الشعراء:٦٣]، أي كالجبل العظيم(١).

والفَرِيقُ أَكثر مِن الفِرْقَة(٢)، وهو الجماعة المتفرقة عن آخرين، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ﴾[آل عمران:٧٨]، وقوله تعالىٰ: ﴿فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ﴾[الشورىٰ:٧].

قَولُهُ: «النَّاجِيَةِ»: أي الناجية في الدنيا من البدع والشرور، وفي الآخرة من العذاب والمهالك.

وهذا الوصف مأخوذ من قول رَسُولِ اللهِ ﷺ: «**افْتَرَقَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ إِحْدَىٰ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، فَوَاحِدَةٌ فِي الجَنَّةِ، وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ، وَافْتَرَقَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، فَإِحْدَىٰ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ، وَوَاحِدَةٌ فِي الجَنَّةِ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَتَفْتَرِقَنَّ أُمَّتِي عَلَىٰ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَاحِدَةٌ فِي الجَنَّةِ، وَثِنْتَانِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ**»، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ مَنْ هُمْ؟ قَالَ: «**الجَمَاعَةُ**»(٣).

---

(١) انظر: المفردات في غريب القرآن، صـ (٥٢٨).

(٢) انظر: تهذيب اللغة، ولسان العرب، مادة «فرق».

(٣) صحيح: رواه أبو داود (٤٥٩٧)، والترمذي (٢٦٤٠)، وقال: «**حسن صحيح**»، وابن ماجه (٣٩٩٢)، وأحمد (٨٣٧٧)، عن أبي هريرة، وعوف بن مالك رضي الله عنهما، وصححه أحمد شاكر، والألباني.

ووُصفت الفرقة الناجية بالفرقة؛ لأجل كونها طائفة من الناس تفرَّدت بصفات مغايرة للفرق الأخرىٰ.

قَــولُــهُ: «المَنْصُـورَةِ»: أي الغالبة والمؤيَّدة علىٰ من خالفها؛ لقول رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَىٰ الحَقِّ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ، حَتَّىٰ يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ كَذَلِكَ**»[(١)].

ظاهرون أي علىٰ من خالفهم أي غالبون ومنتصرون، وهو الأصح؛ لقوله تعالىٰ: ﴿فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ﴾ [الصف:١٤].

وقيل: المراد بالظهور أنهم غير مستترين بل مشهورون[(٢)].

وأصل الظهور: القوة، والبروز[(٣)].

وقالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَنْ يَبْرَحَ هَذَا الدِّينُ قَائِمًا، يُقَاتِلُ عَلَيْهِ عِصَابَةٌ مِنَ المُسْلِمِينَ، حَتَّىٰ تَقُومَ السَّاعَةُ**»[(٤)].

فأهل السنة هم الفرقة الناجية في الآخرة، والمنصورة في الدنيا، إما بالحجة نصرَ بيان، وإما بالسيف نصرَ سنان.

قَــولُــهُ: «إِلَىٰ قِيَامِ السَّاعَةِ»: أي قرب قيام الساعة؛ لأن الساعة لا

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٧٣١١)، ومسلم (١٩٢٠)، واللفظ له، عن ثَوْبَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) **انظر**: فتح الباري (١٣/ ٢٩٤).

(٣) **انظر**: مقاييس اللغة، مادة «ظهر».

(٤) **صحيح**: رواه مسلم (١٩٢٢)، عن جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

تقوم إلا علىٰ شرار الناس؛ لقولِ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا عَلَىٰ شِرَارِ النَّاسِ**»[1].

وقالَ النَّبِيُّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ثُمَّ يَبْعَثُ اللهُ رِيحًا كَرِيحِ المِسْكِ مَسُّهَا مَسُّ الحَرِيرِ، فَلَا تَتْرُكُ نَفْسًا فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنَ الإِيمَانِ إِلَّا قَبَضَتْهُ، ثُمَّ يَبْقَىٰ شِرَارُ النَّاسِ عَلَيْهِمْ تَقُومُ السَّاعَةُ**»[2].

ومَعْنَىٰ هَذَا أَنَّهُمْ لَا يَزَالُونَ عَلَىٰ الحَقِّ حَتَّىٰ تَقْبِضَهُمْ هَذِهِ الرِّيحُ اللَّيِّنَةُ قُرْبَ القِيَامَةِ، وَعِنْدَ تَظَاهُرِ أَشْرَاطِهَا، فَأَطْلَقَ فِي هَذَا الحَدِيثِ بَقَاءَهُمْ إِلَىٰ قِيَامِ السَّاعَةِ عَلَىٰ أَشْرَاطِهَا، وَدُنُوَّهَا المُتَنَاهِيَ فِي القُرْبِ[3].

وقيل: إن شرار الناس الذين تقوم عليهم القيامة يكونون في موضع مخصوص، والطائفة المنصورة تكون في موضع آخر.

قال الطبريُّ رَحِمَهُ اللهُ: «**شرار الناس الذين تقوم عليهم الساعة يكونون بموضع مخصوص، وأن موضعا آخر يكون به طائفة يقاتلون علىٰ الحق لا يضرهم من خالفهم**»[4]؛ ويؤيده حديث أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَىٰ الدِّينِ ظَاهِرِينَ لَعَدُوِّهِمْ قَاهِرِينَ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ إِلَّا مَا أَصَابَهُمْ مِنْ**

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٩٤٩)، عن ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (١٩٢٤)، عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

(٣) **انظر**: شرح صحيح مسلم (٢/ ١٣٢).

(٤) **انظر**: فتح الباري (١٣/ ٢٩٤).

لَأْوَاءَ[١] حَتَّىٰ يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ كَذَلِكَ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ وَأَيْنَ هُمْ؟ قَالَ: «بِبَيْتِ المَقْدِسِ، وَأَكْنَافِ بَيْتِ المَقْدِسِ»[٢]، والأكناف جمع كَنَف بالتحريك وهو الجانب والناحية[٣].

مسألة: من هم الطائفة المنصورة؟

قال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ: «**إن لم تكن هَذِه الطَّائِفَة المنصورة أَصْحَاب الحَدِيث فَلَا أَدْرِي من هم**»[٤]، وذلك لأن أهل الحديث كانوا هم القائمون علىٰ نصرة الدين، والذَّب عنه.

وقال علي بن المديني رَحِمَهُ اللَّهُ: «**هُمْ أَهْلُ الحَدِيثِ، وَالَّذِينَ يَتَعَاهَدُونَ مَذَاهِبَ الرَّسُولِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، وَيَذُبُّونَ عَنِ العِلْمِ؛ لَوْلَاهُمْ لَمْ تَجِدْ عِنْدَ المُعْتَزِلَةِ وَالرَّافِضَةِ وَالجَهْمِيَّةِ وَأَهْلِ الإِرْجَاءِ وَالرَّأْيِ شَيْئًا مِنَ السُّنَنِ**»[٥].

وقال البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ: «**بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَىٰ الحَقِّ» يُقَاتِلُونَ وَهُمْ أَهْلُ العِلْمِ**»[٦].

---

(١) لَأْوَاءَ: أي شدة، وضيق المعيشة. [انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٤/ ٢٢١)].

(٢) صحيح: رواه أحمد (٢٢٣٢٠)، وصححه الألباني في الصحيحة (١٩٥٧).

(٣) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٤/ ٢٠٥).

(٤) انظر: معرفة علوم الحديث، للحاكم، صـ (٢)، والمعجم في مشتبه أسامي المحدثين، للهروي، صـ (٢١-٢٢).

(٥) انظر: شرف أصحاب الحديث، للخطيب البغدادي، صـ (١٠).

(٦) انظر: صحيح البخاري (٩/ ١٠١).

وقد عَقد السلطانُ مناظرةً بين شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وعلماء عصره علىٰ هذه العقيدة، فقيل له: فإذا قيل: إن هذا من أصول الفرقة الناجية خرج عن الفرقة الناجية من لم يقل بذلك مثل أصحابنا المتكلمين الذين يقولون: إن الإيمان هو التصديق، ومن يقول: الإيمان هو التصديق والإقرار، وإذا لم يكونوا من الناجين لزم أن يكونوا هالكين.

فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**قولي اعتقاد الفرقة الناجية هي الفرقة التي وصفها النبي** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **بالنجاة حيث قال: «تفترق أمتي علىٰ ثلاث وسبعين فِرقة اثنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنة وهي من كان علىٰ مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي»**[(١)]،

فهذا الاعتقاد هو المأثور عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **وأصحابه** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، **وهم ومَن اتبعهم الفرقة الناجية، فإنه قد ثبت عن غير واحد من الصحابة أنه قال: الإيمان يزيد وينقص، وكل ما ذكرته في ذلك فإنه مأثور عن الصحابة بالأسانيد الثابتة، لفظه ومعناه، وإذا خالفهم من بعدهم لما يضر في ذلك ....**

وليس كل من خالف في شيء من هذا الاعتقاد يجب أن يكون

---

(١) صحيح: رواه أبو داود (٤٥٩٦، ٤٥٩٧)، والترمذي (٢٦٤٠، ٢٦٤١)، وقال: «حسن صحيح»، وابن ماجه (٣٩٩١، ٣٩٩٢)، وأحمد (٨٣٧٧)، بألفاظ مختلفة عن أبي هريرة، ومعاوية، وعبدالله بن عمرو، وعوف بن مالك، وثوبان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، وصححه أحمد شاكر، والألباني.

هالكا؛ فإن المنازع قد يكون مجتهدا مخطئا يغفر الله خطأه، وقد لا يكون بلغه في ذلك من العلم ما تقوم به عليه الحجة، وقد يكون له من الحسنات ما يمحو الله به سيئاته، وإذا كانت ألفاظ الوعيد المتناولة له لا يجب أن يدخل فيها المتأوِّل والقانت وذو الحسنات الماحية والمغفور له وغير ذلك، فهذا أولىٰ،

بل موجب هذا الكلام أن من اعتقد ذلك نجا في هذا الاعتقاد، ومن اعتقد ضده فقد يكون ناجيا، وقد لا يكون ناجيا، كما يقال: من صمت نجا»[1].



(١) انظر: مجموع الفتاوىٰ (٣/ ١٦٠-١٦١، ١٧٧).

١- هُـو الإيمَـانُ بـالله، وَمَلَائِكَتِـهِ، وَكُتُبِـهِ، وَرُسُـلِهِ، وَالبَعْـثِ بَعْـدَ المَوْتِ، وَالإيمَانِ بِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ.

الشـرح

هـذه أركـان الإيمـان السـتة التـي لا يـتم إيمـان أحـد إلا إذا آمـن بهـا جميعـا علىٰ الوجـه الصـحيح الـذي دل عليـه الكتـاب والسـنة، **ومن الأدلة على ذلك:**

قَولُهُ تَعَالىٰ: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨٥﴾[البقرة:٢٨٥].

وَعـنْ عُمَـرَ بـنِ الخَطَّـابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ جِبريـلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ سَـأَلَ النَّبِـيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عـنِ الإيمـانِ، فَقـال النَّبِـيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنْ تُـؤْمِنَ بِـالله، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»(١).

ومـن جَحـدَ، أو أنكـرَ شـيئا مـن هـذه الأصـول، أو آمـن بـه علـىٰ غير الوجه الصحيح فقد كفر، **ومن الأدلة على ذلك:**

قَولُهُ تَعَالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ١٣٦﴾[النساء:١٣٦].

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٨).

وَقَولُهُ تَعَالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾﴾[النساء:١٥٠-١٥١].

قَولُهُ: «هو»: أي اعتقاد أهل السنة والجماعة.

قَولُهُ: «الإِيمَانُ»: الإيمان في اللغة: هو الإقرار والتصديق، يقال: آمنت بكذا إذا أقررته، وصدقت به[(١)]، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا﴾[يوسف:١٧]، أي بمصدِّق لنا.

وقوله تعالىٰ: ﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ﴾[العنكبوت:٢٦]، أي أقرَّ له.

والإِيمَانُ مَأْخُوذٌ مِنَ الأَمْنِ الَّذِي هُوَ الطُّمَأْنِينَةُ[(٢)].

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لَيْسَ لَفْظُ الإِيمَانِ مُرَادِفًا لِلَفْظِ التَّصْدِيقِ كَمَا يَظُنُّهُ طَائِفَةٌ مِنَ النَّاسِ؛ بَلْ بينَهُمَا فَرْقٌ من وجهَين:

أَحَدُهُمَا: أَنَّ التَّصْدِيقَ يُسْتَعْمَلُ فِي كُلِّ خَبَرٍ فَيُقَالُ لِمَنْ أَخْبَرَ بِالأُمُورِ المَشْهُورَةِ مِثْلُ: الوَاحِدُ نِصْفُ الاثْنَيْنِ، وَالسَّمَاءُ فَوْقَ الأَرْضِ مُجِيبًا: صَدَقْتَ وَصَدَّقْنَا بِذَلِكَ،

وَلَا يُقَالُ: آمَنَّا لَكَ، وَلَا: آمَنَّا بِهَذَا حَتَّىٰ يَكُونَ المُخْبَرُ بِهِ مِنَ

(١) انظر: مقاييس اللغة، ولسان العرب، مادة «آمن».
(٢) انظر: مجموع الفتاوىٰ (٧/ ٥٣٠).

الأُمُورِ الغَائِبَةِ، فَيُقَالُ لِلْمُخْبِرِ: آمَنَّا لَهُ، وَلِلْمُخْبَرِ بِهِ: آمَنَّا بِهِ كَمَا قَالَ إِخْوَةُ يُوسُفَ: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا﴾[يوسف:١٧]، أَيْ بِمُقِرٍّ لَنَا، وَمُصَدِّقٍ لَنَا؛ لِأَنَّهُمْ أَخْبَرُوهُ عَنْ غَائِبٍ ....

وَذَلِكَ أَنَّ الإِيمَانَ يُفَارِقُ التَّصْدِيقَ أَيْ لَفْظًا وَمَعْنًىٰ؛ فَإِنَّهُ أَيْضًا يُقَالُ: صَدَّقْته، فَيَتَعَدَّىٰ بِنَفْسِهِ إِلَىٰ المُصَدَّقِ، وَلَا يُقَالُ: أَمِنْته إِلَّا مِنَ الأَمَانِ الَّذِي هُوَ ضِدُّ الإِخَافَةِ، بَلْ آمَنْت لَهُ، وَإِذَا سَاغَ أَنْ يُقَالَ: مَا أَنْتَ بِمُصَدِّقٍ لِفُلَانٍ كَمَا يُقَالُ: هَلْ أَنْتَ مُصَدِّقٌ لَهُ ....

الوَجْهُ الآخَرُ: أَنَّ الإِيمَانَ لَا يُسْتَعْمَلُ فِي جَمِيعِ الأَخْبَارِ بَلْ فِي الإِخْبَارِ عَنِ الأُمُورِ الغَائِبَةِ وَنَحْوِهَا مِمَّا يَدْخُلُهَا الرَّيْبُ، فَإِذَا أَقَرَّ بِهَا المُسْتَمِعُ قِيلَ: آمَنَ بِخِلَافِ لَفْظِ التَّصْدِيقِ فَإِنَّهُ عَامٌّ مُتَنَاوِلٌ لِجَمِيعِ الأَخْبَارِ[(١)].

والإيمان في الشرع: قَوْلٌ وَعَمَلٌ، يَزِيدُ وَيَنْقُصُ، بإجْماع السلفِ[(٢)].

أي قول القلب، وقول اللسان، وعمل القلب، وعمل اللسان، والجوارح، يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية، فهذه خمسة أمور يقوم عليها الإيمان عند السلف.

ومعنىٰ: «قول القلب»: أي اعتقاده، وهو يحدِّث به نفسه.

(١) انظر: مجموع الفتاوىٰ (٧/ ٥٢٩-٥٣٠).

(٢) انظر: مجموع الفتاوىٰ (٧/ ٦٧٢).

ومعنىٰ: «قول اللسان»: هو النطق بالشهادتين.

ومعنىٰ: «عمل القلب»: كالتوكل، والرجاء، والخوف، ونحوه.

ومعنىٰ: «عمل اللسان، والجوارح»: عمل اللسان ما لا يؤدَّىٰ إلا به كالذِّكر، وعمل الجوارح ما لا يؤدىٰ إلا بها كالصلاة، والزكاة، والجهاد، ونحوه.

مسألة: الفرق بين قول القلب، وعمله:

قول القلب: هو ما يعتقده ويقرُّ به، كأركان الإيمان، والتصديق.

أما عمله: فهو حركته التي يحبها الله جَلَّجَلَالُهُ، ورسوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، وهي محبة الخير، وإرادته الجازمة، وكراهية الشر، والعزم علىٰ تركه، كالمحبة، والخوف، والرجاء، وهي تنشأ عن أعمال الجوارح، وأقوال اللسان.

ومعنىٰ: «يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية»: أن الإيمان يزيد بكثرة الطاعة، وينقص كلما عصىٰ العبد ربه.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُٱللَّهُ: «وَمَعْنَىٰ ذَلِكَ أَنَّهُ قَوْلُ القَلْبِ وَعَمَلُ القَلْبِ، ثُمَّ قَوْلُ اللِّسَانِ وَعَمَلُ الجَوَارِحِ.

فَأَمَّا قَوْلُ القَلْبِ: فَهُوَ التَّصْدِيقُ الجَازِمُ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ، وَيَدْخُلُ فِيهِ الإِيمَانُ بِكُلِّ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ.

وَهَذَا التَّصْدِيقُ يَتْبَعُهُ عَمَلُ القَلْبِ، وَهُوَ حُبُّ اللهِ وَرَسُولِهِ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَتَعْظِيمُ اللهِ وَرَسُولِهِ، وَتَعْزِيرُ الرَّسُولِ وَتَوْقِيرُهُ، وَخَشْيَةُ اللهِ، وَالإِنَابَةُ إِلَيْهِ، وَالإِخْلَاصُ لَهُ، وَالتَّوَكُّلُ عَلَيْهِ إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الأَحْوَالِ، فَهَذِهِ الأَعْمَالُ القَلْبِيَّةُ كُلُّهَا مِنَ الإِيمَانِ وَهِيَ مِمَّا يُوجِبُهَا التَّصْدِيقُ وَالاعْتِقَادُ إِيجَابَ العِلَّةِ لِلْمَعْلُولِ.

وَيَتْبَعُ الاعْتِقَادَ قَوْلُ اللِّسَانِ، وَيَتْبَعُ عَمَلَ القَلْبِ الجَوَارِحُ مِنَ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصَّوْمِ وَالحَجِّ، وَنَحْوِ ذَلِكَ»[1].

وسيأتي تفصيل ذلك في موضعه إن شاء الله تعالىٰ.

مسألة: متىٰ يأتي الإيمان بالمعنىٰ اللغوي، ومتىٰ يأتي بالمعنىٰ الشرعي؟

إذا عُدِّي الإيمان في النصوص الشرعية باللام صُرف إلىٰ المعنىٰ اللغوي، وإذا عُدِّي بالباء صُرف إلىٰ المعنىٰ الشرعي.

ومن الأول: قوله تعالىٰ: ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟﴾[البقرة:١٣٧].

وقَوْله تَعَالَىٰ: ﴿وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[التوبة:٦١].

وقَوْله تَعَالَىٰ: ﴿أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا﴾[المؤمنون:٤٧].

وقَوْله تَعَالَىٰ: ﴿وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ لِى فَٱعْتَزِلُونِ ﴿٢١﴾﴾[الدخان:٢١].

وقَوْله تَعَالَىٰ: ﴿فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ﴾[يونس:٨٣] أَيْ:

---

(١) انظر: مجموع الفتاوىٰ (٧/ ٦٧٢).

أَقرَّ لَهُ.

ومن الثاني: قوله تعالىٰ: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾[البقرة:٢٨٥].

وقَوْله تَعَالَىٰ: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾[البقرة:١٧٧].

وقَوْله تَعَالَىٰ: ﴿يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾[آل عمران:١١٤].

وقَوْله تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا يَعۡمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾[التوبة:١٨].

وقَوْله تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُواْ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمۡرٖ جَامِعٖ لَّمۡ يَذۡهَبُواْ حَتَّىٰ يَسۡتَـٔۡذِنُوهُۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَـٔۡذِنُونَكَ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾[النور:٦٢].

قَولُهُ: «بِاللهِ»: هو الاعتقاد الجازم بأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هو خالق كل شيء، ورب كل شيء ومليكه، والمتفرد بالسؤدَد، المتصف بصفات الكمال والجلال، المنزَّه عن كل نقص وعيب، المستحق للعبادة وحده دون غيره.

مسألة [١]: أركان الإيمان بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أربعة:

١- الإيمان بوجود الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ولم يُنكر أحد وجود الله إلا جحودا، ومكابرة، كما قال تعالىٰ: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ ظُلۡمٗا

وَعُلُوًّا﴾[النمل:١٤].

٢- الإيمان بربوبية الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، فهو المتفرد بالخلق والسيادة والملك.

٣- الإيمان بإلهية الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، فهو المستحق للعبادة لا شريك له.

٤- الإيمان بأسماء الله وصفاته، فهو المتفرد بأسمائه الحسنىٰ، وصفاته العلىٰ.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُٱللَّهُ: «تَضَمَّنَ إِيمَانُهُمْ بِاللهِ: إِيمَانَهُمْ بِرُبُوبِيَّتِهِ، وَصِفَاتِ كَمَالِهِ، وَنُعُوتِ جَلَالِهِ، وَأَسْمَائِهِ الحُسْنَىٰ، وَعُمُوم قُدْرَتِهِ وَمَشِيئَتِهِ، وَكَمَالِ عِلْمِهِ وَحِكْمَتِهِ، فَبَايَنُوا بِذَلِكَ جَمِيعَ طَوَائِفِ أَهْلِ البِدَعِ وَالمُنْكِرِينَ لِذَلِكَ، أَوْ لِشَيْءٍ مِنْهُ؛ فَإِنَّ كَمَالَ الإِيمَانِ بِاللهِ يَتَضَمَّنُ إِثْبَاتَ مَا أَثْبَتَهُ لِنَفْسِهِ، وَتَنْزِيهَهُ عَمَّا نَزَّهَ نَفْسَهُ عَنْهُ، فَبَايَنُوا بِهَذَيْنِ الأَمْرَيْنِ جَمِيعَ طَوَائِفَ الكُفْرِ وَفِرَقِ أَهْلِ الضَّلَالِ المُلْحِدِينَ فِي أَسْمَاءِ اللهِ وَصِفَاتِهِ»[(١)].

مسألة [٢]: كيفية الإيمان بالله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ:

الإيمان بالله تعالىٰ يكون علىٰ مرتبتين:

الأولىٰ: الإيمان الإجمالي: مقتضاه أن يؤمن العبد بأن الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ هو الرب المتفرد بالربوبية، والمستحق للعبادة دون ما سواه، وبيده

(١) انظر: مجموع الفتاوىٰ (١٤/ ١٣٥-١٣٦).

تدبير كل شيء، وأن أسماءه، وصفاته، وذاته لا تشبه أسماء المخلوقين وصفاتهم وذواتهم.

الأولى: الإيمان التفصيلي: مقتضاه أن يؤمن العبد بكل ما وصله من أخبار عن الله عَزَّوَجَلَّ كما جاء في الكتاب والسنة، كأسمائه، وصفاته، ومعانيها، وما يستحقه من الكمال المطلق، ونحو ذلك.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فَلَا يُشْتَرَطُ فِي الإِيمَانِ المُجْمَلِ العِلْمُ بِمَعْنَىٰ كُلِّ مَا أَخْبَرَ بِهِ، هَذَا لَا رَيْبَ فِيهِ؛ فَكُلُّ مَنِ اشْتَبَهَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنَ القُرْآنِ وَلَمْ يَعْرِفْ مَعْنَاهَا وَجَبَ عَلَيْهِ الإِيمَانُ بِهَا وَأَنْ يَكِلَ عِلْمَهَا إِلَىٰ اللهِ فَيَقُولُ: اللهُ أَعْلَمُ، وَهَذَا مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ بَيْنَ السَّلَفِ وَالخَلَفِ، فَمَا زَالَ كَثِيرٌ مِنَ الصَّحَابَةِ يَمُرُّ بِآيَةٍ وَلَفْظٍ لَا يَفْهَمُهُ فَيُؤْمِنُ بِهِ وَإِنْ لَمْ يَفْهَمْ مَعْنَاهُ»(١).

وقال أيضا: «وَالْإِيمَانُ الَّذِي كَانَ يَجِبُ قَبْلَ نُزُولِ جَمِيعِ الْقُرْآنِ لَيْسَ هُوَ مِثْلَ الْإِيمَانِ الَّذِي يَجِبُ بَعْدَ نُزُولِ الْقُرْآنِ وَالْإِيمَانُ الَّذِي يَجِبُ عَلَىٰ مَنْ عَرَفَ مَا أَخْبَرَ بِهِ الرَّسُولُ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ مُفَصَّلًا لَيْسَ مِثْلَ الْإِيمَانِ الَّذِي يَجِبُ عَلَىٰ مَنْ عَرَفَ مَا أَخْبَرَ بِهِ مُجْمَلًا فَإِنَّهُ لَا بُدَّ فِي الْإِيمَانِ مِنْ تَصْدِيقِ الرَّسُولِ فِي كُلِّ مَا أَخْبَرَ لَكِنْ مَنْ صَدَّقَ الرَّسُولَ وَمَاتَ عَقِبَ ذَلِكَ لَمْ يَجِبْ عَلَيْهِ مِنَ الْإِيمَانِ غَيْرُ ذَلِكَ.

---

(١) انظر: مجموع الفتاوىٰ (١٦/ ٤١٠).

وَأَمَّا مَنْ بَلَغَهُ الْقُرْآنُ وَالْأَحَادِيثُ وَمَا فِيهِمَا مِنَ الْأَخْبَارِ وَالْأَوَامِرِ الْمُفَصَّلَةِ فَيَجِبُ عَلَيْهِ مِنَ التَّصْدِيقِ الْمُفَصَّلِ بِخَبَرٍ خَبَرٍ، وَأَمْرٍ أَمْرٍ مَا لَا يَجِبُ عَلَىٰ مَنْ لَمْ يَجِبْ عَلَيْهِ إِلَّا الْإِيمَانُ الْمُجْمَلُ لِمَوْتِهِ قَبْلَ أَنْ يَبْلُغَهُ شَيْءٌ آخَرُ.

وَأَيْضًا لَوْ قُدِّرَ أَنَّهُ عَاشَ فَلَا يَجِبُ عَلَىٰ كُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الْعَامَّةِ أَنْ يَعْرِفَ كُلَّ مَا أَمَرَ بِهِ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكُلَّ مَا نَهَىٰ عَنْهُ وَكُلَّ مَا أَخْبَرَ بِهِ، بَلْ إِنَّمَا عَلَيْهِ أَنْ يَعْرِفَ مَا يَجِبُ عَلَيْهِ هُوَ وَمَا يَحْرُمُ عَلَيْهِ فَمَنْ لَا مَالَ لَهُ لَا يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَعْرِفَ أَمْرَهُ الْمُفَصَّلَ فِي الزَّكَاةِ، وَمَنْ لَا اسْتِطَاعَةَ لَهُ عَلَىٰ الْحَجِّ لَيْسَ عَلَيْهِ أَنْ يَعْرِفَ أَمْرَهُ الْمُفَصَّلَ بِالْمَنَاسِكِ، وَمَنْ لَمْ يَتَزَوَّجْ لَيْسَ عَلَيْهِ أَنْ يَعْرِفَ مَا وَجَبَ لِلزَّوْجَةِ، فَصَارَ يَجِبُ مِنَ الْإِيمَانِ تَصْدِيقًا وَعَمَلًا عَلَىٰ أَشْخَاصٍ مَا لَا يَجِبُ عَلَىٰ آخَرِينَ»[1].

مسألة [٣]: الإيمان المجمل والإيمان المفصل:

الإيمان المجمل يسمىٰ بأصل الإيمان، أو الإيمان الواجب، أما الإيمان المفصَّل فيسمىٰ بالإيمان الكامل.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «أكثر المؤمنين إنما عندهم إيمان مجمل، وأما الإيمان المفصَّل بما جاء به الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ معرفةً وعلمًا وإقرارًا ومحبةً، ومعرفةً بضده وكراهيته وبغضه،

(١) انظر: مجموع الفتاوىٰ (٧/ ١٩٦).

فهذا إيمان خواص الأمة صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وخاصة الرسول، وهو إيمان الصدِّيق، وحزبه»[١].

قَولُهُ: «وَمَلَائِكَتِهِ»: الملائكةُ: جمعُ مَلأَكٍ، فِي الأَصْلِ، ثُمَّ حُذِفَتْ همزتهُ؛ لِكَثْرَةِ الاسْتِعمَال، فَقِيلَ: مَلَكٌ، وَقَدْ تحذفُ الهاءُ فَيُقَالُ: مَلَائِك.

وَقِيلَ: أصلُه: مَأْلَكٌ علىٰ وزن «مَفْعَلٍ»، مِنَ الأَلُوك، وهو الرِّسالة، ثُمَّ قدِّمَت الهمزةُ، فَقِيلَ: مَلأَكٌ[٢]، قال تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا﴾[الحج:٧٥].

مسألة [١]: كيفية الإيمان بالملائكة عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ:

الإيمان بالملائكة يكون علىٰ مرتبتين:

الأولىٰ: الإيمان الإجمالي: مقتضاه أن يؤمن العبد بأن الملائكة خلق من خلق الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ خلقهم من نور؛ كما في قول رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «خُلِقَتِ المَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ»[٣]، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون؛كما قال تعالىٰ: ﴿لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾[التحريم:٦]، ولا يستكبرون عن عبادته؛ كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ

---

(١) انظر: الفوائد، لابن قيم الجوزية، صـ(١٠٦).

(٢) انظر: العين، مادة «ملك»، المفردات في غريب القرآن، صـ(٨٢)، والنهاية في غريب الحديث والأثر (٤/ ٣٥٩)، ولسان العرب، مادة «ملك».

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٩٩٦)، من حديث عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا.

ﭐلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ﴾[الأعراف:٢٠٦]، وأن أصل مقامهم في السماء، وقد ينزل بعضهم إلىٰ الأرض؛ لتأدية مهامهم؛ كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمۡرِ رَبِّكَ﴾[مريم:٦٤]، وقال تعالىٰ: ﴿تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذۡنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمۡرٖ ٤﴾[القدْر:٤].

الثانية: الإيمان التفصيلي: مقتضاه أن يؤمن العبد بكل ما ورد في شأنهم من الأخبار، وإن لم يدرك معناها؛ كالإيمان بأسمائهم، وصفاتهم، ووظائفهم، وخصائصهم، ونحو ذلك؛ فكل ما جاء به الدليل من الكتاب والسنة وجب الإيمان به.

ومن أنكر شيئا من الإيمان المفصل؛ لجهله، لم يكن جاحدا له إلا إذا عُرِّف بأدلته، فاستمر علىٰ إنكاره.

مسألة [٢]: أفضل الملائكة:

أفضل الملائكة ثلاثة، وهم جبريل، وميكائيل، وإسرافيل عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ؛ لأنَّ النبيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ كان يخصهم في دعائه من صلاة الليل: «**اللهُمَّ رَبَّ جِبْرَائِيلَ، وَمِيكَائِيلَ، وَإِسْرَافِيلَ، فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ، عَالِمَ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ، اهْدِنِي لِمَا اخْتُلِفَ فِيهِ مِنَ الحَقِّ بِإِذْنِكَ، إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**»[1].

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٧٧٠)، من حديث عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا.

ولأن مهامهم ووظائفهم تتعلق بما فيه حياة؛ **فأما جبريل** عَلَيْهِ السَّلَامُ فموكَّل بحياة الأرواح الحقيقية، فينزل بالوحي من الله إلىٰ رسله، وملائكته عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾ [الشعراء:١٩٣-١٩٥].

وأما ميكائيل عَلَيْهِ السَّلَامُ فموكَّل بحياة الأرض، وهو القطر، يصرِّفه كما يشاء الله تعالىٰ.

فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: أَقْبَلَتْ يَهُودُ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالُوا: يَا أَبَا الْقَاسِمِ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ نَبِيٍّ إِلا لَهُ مَلَكٌ يَأْتِيهِ بِالْخَبَرِ، فَأَخْبِرْنَا مَنْ صَاحِبُكَ؟ قَالَ: «**جِبْرِيلُ** عَلَيْهِ السَّلَامُ»، قَالُوا: جِبْرِيلُ ذَاكَ الَّذِي يَنْزِلُ بِالْحَرْبِ وَالْقِتَالِ وَالْعَذَابِ عَدُوُّنَا، لَوْ قُلْتَ: مِيكَائِيلَ الَّذِي يَنْزِلُ بِالرَّحْمَةِ وَالنَّبَاتِ وَالْقَطْرِ، لَكَانَ فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾﴾ [البقرة:٩٧][1].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: أما ميكائيل فذو مكانة من ربه عَزَّ وَجَلَّ، ومن أشراف الملائكة المقرَّبين، وهو موكَّل بالقَطْر، والنبات اللذين يُخلق منهما الأرزاق في هذه الدار، وله أعوانٌ يفعلون ما

(١) **صحيح**: رواه أحمد (٢٤٨٣)، وصححه أحمد شاكر.

يأمرهم به بأمر ربه يصرفون الرياح والسحاب كما يشاء الربُّ جَلَّجَلَالُهُ[(١)].

وأما إسرافيل عَلَيْهِ السَّلَامُ فموكَّل بحياة الأبدان بعد موتها، وهو النفخ في الصور.

فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**كَيْفَ أَنْعَمُ وَصَاحِبُ القَرْنِ قَدِ التَقَمَ القَرْنَ وَاسْتَمَعَ الإِذْنَ مَتَىٰ يُؤْمَرُ بِالنَّفْخِ فَيَنْفُخُ**»، فَكَأَنَّ ذَلِكَ ثَقُلَ عَلَىٰ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ لَهُمْ: «**قُولُوا: حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ عَلَىٰ اللهِ تَوَكَّلْنَا**»[(٢)].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «**إسرافيل موكَّل بالنفخ في الصور للقيام من القبور، والحضور يوم البعث والنشور**»[(٣)].

وأفضل هؤلاء الملائكة الثلاثة: جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ لأن الله خصَّه بالذكر في مواطن كثيرة، منها:

قول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبۡرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلۡكَٰفِرِينَ ٩٨﴾ [البقرة:٩٨]، وعطف الخاص على العام يفيد التفضيل.

---

(١) انظر: البداية والنهاية، لابن كثير (١/ ١٠٥).

(٢) صحيح: رواه الترمذي (٣٤٣١)، وحسنه، وأحمد (٣٠١٠)، وصححه أحمد شاكر، والألباني.

(٣) انظر: البداية والنهاية، لابن كثير (١/ ١٠٥-١٠٦).

وقول الله جَلَّجَلَالُهُ: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾[المعارج:٤].

وقول الله جَلَّجَلَالُهُ: ﴿ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا﴾[القدْر:٤].

وقول الله جَلَّجَلَالُهُ: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا﴾[النبأ:٣٨].

والروح هو جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ(١).

مسألة [٣]: قدرات الملائكة:

اختصَّ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ الملائكة عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ بقدرات علىٰ تأدية ما وكَّلهم به من وظائف ومهام، ومن ذلك:

١-القوة والشدة:

أعطىٰ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الملائكة عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ قوىٰ وشدة كبيرة؛ ليقوموا بما وكَّلهم به.

كما قال الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾﴾[التحريم:٦].

وقال الله تعالىٰ في وصف جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾﴾[النجم:٥]، أي علَّم نبينا محمدًا صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جبريلُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ الذي من

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٢٣/ ٢٥١)، وتفسير البغوي (٨/ ٢٢٠، ٤٩١)، وتفسير ابن كثير (٨/ ٢٢١، ٤٤٤).

صفته أنه شديد القوة، والخلق، والبطش والفعل[(١)].

٢- عظم الأجسام والخلق.

جعل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أجساد الملائكة عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ عظيمة؛ ليسهل عليهم القيام بما وكَّلهم الله به.

فعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**أُذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ مَلَكٍ مِنْ مَلَائِكَةِ اللهِ مِنْ حَمَلَةِ الْعَرْشِ، إِنَّ مَا بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِهِ إِلَىٰ عَاتِقِهِ مَسِيرَةُ سَبْعِ مِائَةِ عَامٍ**»[(٢)].

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: «**قَدْ رَأَىٰ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جِبْرِيلَ فِي صُورَتِهِ وَخَلْقُهُ سَادٌّ مَا بَيْنَ الأُفُقِ**»[(٣)].

وهم ليسوا علىٰ صفة واحدة، فمنهم من له جناحان، ومنهم من له ثلاثة، ومنهم من له أربعة، ومنهم من له ستمائة جناح.

كما قال تعالىٰ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾ [فاطر:١].

٣-عِظمُ السرعةِ:

---

(١) انظر: تفسير البغوي (٧/ ٤٠٠)، وتفسير ابن كثير (٨/ ٣٢٨).

(٢) صحيح: رواه أبو داود (٤٧٢٧)، وصححه الألباني.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٣٢٣٤)، واللفظ له، ومسلم (١٧٤)، من حديث ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

سُرعةُ الملائكةِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ لا تُقاسُ بمقاييسِ البشرِ، فقد كانَ السائلُ يأتي النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلا يكادُ يَفرغُ من سؤالِه حتىٰ يأتيَه جبريلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بالجوابِ من ربِّ العزةِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ من فوق سبع سماوات.

٤-العلْمُ:

الملائكةُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ عندَهمْ عِلمٌ وفيرٌ علَّمَهم اللهُ إيَّاه، ولكنْ ليس عندهُم القدرةُ التي أُعطِيتْ للإنسانِ في التعرفِ علىٰ الأشياءِ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾﴾[البقرة:٣١-٣٢].

فالإنسانُ يتميزُ بالقدرةِ علىٰ التعرفِ علىٰ الأشياءِ، واكتشافِ سننِ الكونِ، والملائكةُ يعلمونَ ذلك بالتلقِّي المباشرِ عنِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

ولكنِ الَّذِي علَّمهمُ الله إياهُ أكثرُ مما يعرِفهُ الإنسانُ، ومنَ العلمِ الَّذِي أُعْطوهُ علمُ الكتابةِ؛ كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾﴾[الانفطار:١٠-١٢].

٥- القدرة علىٰ التشكل:

الملائكة عَلَيْهِمُ السَّلَامُ قادرة علىٰ التشكُّل بغير أشكالهم في صور كريمة، ومن ذلك:

- إرسال جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ إلىٰ مريم في صورة بشر.

كما قال تعالىٰ: ﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾﴾ [مريم:١٦-١٧].

أي فتشبه لها في صورة آدميٍّ سويِّ الخَلْق منهم، يعني في صورة رجل من بني آدم معتدل الخَلق[١].

- إرسال جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ إلىٰ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فتارة يأتي جبريلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في صورة دِحْية بن خليفة الكَلبي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وتارة في صورة أعرابي.

كما في حديثِ عمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ جبريلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أتىٰ النَّبيَّ في صورةِ رَجُلٍ شَدِيدِ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدِ سَوَادِ الشَّعَرِ، لَا يُرَىٰ عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، فسَأَلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عنِ الإِسْلامِ، والإِيمَانِ، والإِحْسَانِ[٢].

وعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاضِعًا يَدَيْهِ عَلَىٰ مَعْرَفَةِ فَرَسٍ[٣]، وَهُوَ يُكَلِّمُ رَجُلًا، قُلْتُ: رَأَيْتُكَ

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ١٦٣).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٨).

(٣) معرفة فرس: أي الشعر الذي يكون علىٰ ناصية الفرس.

وَاضِعًا يَدَيْكَ عَلَىٰ مَعْرَفَةِ فَرَسِ دِحْيَةَ الْكَلْبِيِّ وَأَنْتَ تُكَلِّمُهُ، قَالَ: «وَرَأَيْتِ؟» قَالَتْ: نَعَمْ، قَالَ: «ذَاكَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ»[1].

مسألة [٤]: ما ثبت من أسماء الملائكة عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

لم يثبت من أسماء الملائكة إلا ثمانية:

الأول، والثاني: جبريلُ، وميكائيلُ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، ذكرهما الله جَلَّ جَلَالُهُ في قوله: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾﴾[البقرة:٩٨].

الثالث: إسرافيل عَلَيْهِ السَّلَامُ، ذكره النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قولِه في دعائه من صلاة الليل: «اللهُمَّ رَبَّ جَبْرَائِيلَ، وَمِيكَائِيلَ، وَإِسْرَافِيلَ، فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ...»[2].

الرابع، والخامس: هاروتُ وماروتُ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، ذكرهما الله جَلَّ جَلَالُهُ في قوله: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾[البقرة:١٠٢].

السادس: مالكٌ خازنُ النار عَلَيْهِ السَّلَامُ، ذكره الله في قوله جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾﴾[الزُّخرُف:٧٧].

---

(١) حسن: رواه أحمد (٢٤٤٦٢)، وحسن إسناده الألباني في الصحيحة (٣/ ١٠٥).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٧٧٠)، من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

السابع، والثامن: المنكر، والنكير عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، ذكرهما النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قوله: «**إِذَا قُبِرَ المَيِّتُ - أَوْ قَالَ: أَحَدُكُمْ- أَتَاهُ مَلَكَانِ أَسْوَدَانِ أَزْرَقَانِ، يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا: المُنْكَرُ، وَلِلْآخَرِ: النَّكِيرُ**»[(١)].

أما غير هذه الأسماء، فإما صفات، كرقيب، وعتيد.

وإما أسماء وظائفهم، كملك الموت، وملك الجبال.

وإما لم يصحَّ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فهي أحاديث ضعيفة، أو موضوعة، كعزرائيل[(٢)]، ورضوان[(٣)].

قوله: «وَكُتُبِهِ»: الكتب جمع كتاب، والكتاب في اللغة: مصدر سُمِّي به المكتوب، كالخلق بمعنىٰ المخلوق، والكَتْب: الجمع، والضم، ومنه: الكتيبة، وهو العسكر المجتمع، ومنه: كتبت الكتاب، أي جمعت فيه الحروف والمعاني المحتاج

---

(١) **حسن:** رواه الترمذي (١٠٧١)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وحسنه الألباني.

(٢) **قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ «أما ملك الموت فليس بمصرَّح باسمه في القرآن، ولا في الأحاديث الصحاح، وقد جاء تسميته في بعض الآثار بعزرائيل... وله أعوان يستخرجون روح العبد من جثته حتىٰ تبلغ الحلقوم، فيتناولها ملك الموت بيده، فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتىٰ يأخذوها من يده، فيلفُّوها في أكفانٍ تليق بها».** [انظر: البداية والنهاية، لابن كثير (١/ ١٠٦)].

(٣) ورد ذكره في حديث موضوع. [انظر: السلسلة الضعيفة (١٢/ ٧٩١-٧٩٢)].

إليها[1].

وفي الشرع: هي الكتب التي حوت كلام الله جَلَّجَلَالُهُ من توحيد وأحكام وقَصَص، سواء نزلت مكتوبة، أو مشافهة.

والإيمان بالكتب أصل من أصول الإيمان، وركن من أركانه، ومن الأدلة علىٰ ذلك:

قوله تعالىٰ: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ﴾[البقرة:177].

وقوله تعالىٰ: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾[البقرة:285].

وعن عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**الإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ باللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَاليَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**»[2].

مسألة [1]: كيفية الإيمان بالكتب:

الإيمان بالكتب علىٰ مرتبتين:

الأولىٰ: الإيمان الإجمالي: هو القدر المجزئ من الإيمان بالكتب، وهو الذي يصح به إيمان العبد، فيؤمن العبد بأن الله أنزل كتبا

---

(1) انظر: مقاييس اللغة، ولسان العرب، مادة «كتب».

(2) متفق عليه: رواه البخاري (50)، ومسلم (8)، واللفظ له.

علىٰ رسله عَلَيْهِمُ السَّلَامُ؛ كما قال تعالىٰ: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾[الحديد:٢٥].

وأنها من كلام الله جَلَّ جَلَالُهُ، وأنها جاءت بتوحيد الله جَلَّ وَعَلَا، وأنها مصدِّقة لبعضها البعض، وأن الله جعل فيها الهدىٰ والنور والبينات، وما به يصلح العباد، وأن منها القرآن العظيم.

الثانية: الإيمان التفصيلي: هو أن يؤمن العبد إيمانا زائدا علىٰ ما ذكر في الإيمان الإجمالي، فيؤمن بكل ما بلغه عن الكتب السماوية من أخبار كما جاء في الكتاب والسُّنة، كأسمائها، ومن أُنزلت عليه، ومن أُنزِلت إليهم، وما تضمنته من شرائع، ونحو ذلك.

ويؤمن أن القرآن العظيم أعظم الكتب المنزلة قدرا، أنزله الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ناسخا لها مهيمنا عليها.

ويؤمن بجميع الكتب المنزلة سابقا، كالتوراة، والإنجيل، والزبور، وصحف إبراهيم، وصحف موسىٰ، وكلما عرف شيئا بدليل وجب عليه الإيمان به.

فلو قال قائل: أنا لا أؤمن بأن التوراة أنزلها الله علىٰ موسىٰ؛ فإن كان جاهلا عُرِّف، فإذا عُرِّف وجحد كفر.

مسألة [٢]: حكم من كذَّب بشيء من الكتب السماوية:

من كذب بالكتب السماوية، أو بكتاب واحد أنزله الله كفر بالله

سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قد أوجب علىٰ عباده أن يؤمنوا بجميع كتبه، ورسله، وحكم بكفر من آمن ببعض وكفر ببعض، فقال الله تعالىٰ: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ١٣٦ فَإِنۡ ءَامَنُواْ بِمِثۡلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا هُمۡ فِي شِقَاقٖۖ فَسَيَكۡفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ١٣٧﴾ [البقرة:١٣٦-١٣٧]، ....

وقد اتفق المسلمون علىٰ ما هو معلوم بالاضطرار من دين الإسلام، وهو أنه يجب الإيمان بجميع الأنبياء والمرسلين، وبجميع ما أنزله الله من الكتب، فمن كفر بنبي واحد تعلم نبوته مثل: إبراهيم، ولوط، وموسىٰ، وداود، وسليمان، ويونس، وعيسىٰ، فهو كافر عند جميع المسلمين، حكمُه حكمُ الكفار، وإن كان مرتدا استتيب، فإن تاب وإلا قُتل»[(١)].

قوله: «وَرُسُلِهِ»: أي وأنبيائه، والرسلُ جمع رسول، أي رسل الله الذين أوحىٰ الله إليهم بشرائع، وأمرهم بتبليغها للناس.

وعدد الأنبياء أكثر من عدد الرسل أضعافا مضاعفة، فعنْ

(١) انظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٢/ ٣٦٩-٣٧١).

أبي ذرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، كَمْ وَفَّىٰ عِدَّةُ الْأَنْبِيَاءِ؟ قَالَ: «**مِائَةُ أَلْفٍ وَأَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ أَلْفًا، الرُّسُلُ مِنْ ذَلِكَ ثَلَاثُ مِائَةٍ وَخَمْسَةَ عَشَرَ جَمًّا غَفِيرًا**»[1]، أي مجتمعين كثيرين[2].

والإيمان بالرسل عَلَيْهِمُ السَّلَامُ أصل من أصول الإيمان، وركن من أركانه، ومن الأدلة علىٰ ذلك:

قول الله تعالىٰ: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾ [البقرة:٢٨٥].

وقول الله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمۡ يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ أُوْلَٰٓئِكَ سَوۡفَ يُؤۡتِيهِمۡ أُجُورَهُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ١٥٢﴾ [النساء:١٥٢].

وعن عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَاليَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**»[3].

مسألة [١]: حكم من كذَّب برسول واحد:

(١) صحيح: رواه أحمد (٢٢٢٨)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٦٦٨).

(٢) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (١/ ٣٠٠).

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٥٠)، ومسلم (٨)، واللفظ له.

من كذب بالرسل جميعا، أو برسول واحد، فهو كافر[(١)]؛ لقول الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ١٥٠ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ١٥١﴾[النساء:١٥٠-١٥١].

أي لا نفرق بين أحد من رسله، فنؤمن ببعض ونكفر ببعض كما فعلت اليهود والنصارىٰ[(٢)].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير الآيتين: المقصود أن من كفر بنبي من الأنبياء، فقد كفر بسائر الأنبياء؛ فإن الإيمان واجب بكل نبي بعثه الله إلىٰ أهل الأرض؛ لهذا قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾[النساء:١٥٠]، فوسمهم بأنهم كفار بالله ورسله ﴿وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾ [النساء:١٥٠]، أي في الإيمان ﴿وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾ [النساء:١٥٠]، أي: طريقا ومسلكا.

ثم أخبر تعالىٰ عنهم، فقال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗا﴾ [النساء:١٥١]، أي كفرهم محقق لا محالة بمن ادعوا الإيمان به؛ لأنه ليس شرعيا، إذ لو كانوا مؤمنين به لكونه رسول الله لآمنوا بنظيره،

(١) انظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٣/ ٤٣٦).
(٢) انظر: تفسير البغوي (١/ ٤٠١).

وبمن هو أوضح دليلا وأقوىٰ برهانا منه، لو نظروا حق النظر في نبوته[1].

وقول الله تعالىٰ: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَا﴾[البقرة:٢٨٥].

مسألة [٢]: كيفية الإيمان بالرسل:

الإيمان بالرسل علىٰ مرتبتين:

الأولىٰ: الإيمان الإجمالي: هو أن يؤمن العبد أن الله أرسل رسلا إلىٰ أقوامهم، يدعونهم إلىٰ التوحيد، وأنهم بلغوا ما أمروا بتبليغه، ويؤمن بأن الله أيدهم بالمعجزات التي دلت علىٰ صدقهم، ويؤمن بأنهم كانوا أتقياء بررة، ومن كفر بواحد منهم كفر بهم جميعا، ويؤمن بأن محمدا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ هو خاتمهم، وأن الله بعثه بالحنيفية السمحة.

وهذا القدر واجب لا يتم إيمان عبد إلا به.

الثانية: الإيمان التفصيلي: هو الإيمان بأسماء الرسل عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ، وأحوالهم مع أقوامهم، وقد سمىٰ الله منهم خمسة وعشرين في كتابه العظيم.

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٢/ ٤٤٥).

وأن أفضلهم أولو العزم الخمسة: نوح، وإبراهيم، وموسىٰ، وعيسىٰ، ومحمد عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ، وأفضلهم الخليلان، إبراهيم ومحمد عليهما الصلاة والسلام، وأفضلهما محمد صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ.

قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: «**أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ**»[(١)]، أي أفضلهم.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لا خلاف أن الرسل عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ أفضل من بقية الأنبياء، ولا خلاف أن الرسل أفضل من بقية الأنبياء، وأن أولي العزم منهم أفضلهم، ولا خلاف أن محمدا صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ أفضلهم، ثم بعده إبراهيم، ثم موسىٰ علىٰ المشهور.

وأولو العزة خمسة، وهم الخمسة المذكورون نصا في قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمۡ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٖ وَإِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۖ﴾[الأحزاب:٧].

وقوله تعالىٰ: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ﴾ [الشورى:١٣][(٢)].

ويجب علىٰ كل من وصله شيء من أخبار الرسل عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ أن

---

(١) **صحيح:** رواه أبو داود (٤٦٧٣)، وابن ماجه (٤٣٠٨) عن أبي هريرة، وأبي سعيد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمَا، وصححه الألباني.

(٢) **انظر:** تفسير ابن كثير (٥/ ٨٧-٨٨).

يؤمن به سواء كان من القرآن، أو السُّنة النبوية الصحيحة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومن الناس من يؤمن بالرسل إيمانا عاما مجملا.

وأما الايمان المفصَّل، فيكون قد بلغه كثير مما جاءت به الرسل ولم يبلغه بعض ذلك، فيؤمن بما بلغه عن الرسل، وما لم يبلغه لم يعرفه، ولو بلغه لآمن به، ولكن آمن بما جاءت به الرسل إيمانا مجملا، فهذا إذا عمل بما علم أن الله أمره به مع إيمانه وتقواه، فهو من أولياء الله تعالىٰ، له من وَلاية الله بحسب إيمانه وتقواه.

وما لم تقم عليه الحجة به، فإن الله تعالىٰ لم يكلفه معرفته، والإيمان المفصل به، فلا يعذبه علىٰ تركه، لكن يفوته من كمال وَلاية الله بحسب ما فاته من ذلك، فمن علم بما جاء به الرسول، وآمن به إيمانا مفصَّلا، وعمل به، فهو أكمل إيمانا ووَلاية لله ممن لم يَعلم ذلك مفصَّلا، ولم يعمل به، وكلاهما ولي الله تعالىٰ»[(١)].

مسألة [٣]: عقيدة الرسل عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ، وشرائعهم:

أرسل الله عَزَّوَجَلَّ جميع الرسل عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ بعقيدة واحدة، وهي التوحيد، كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾[النحل:٣٦].

أما الشرائع فمختلفة في الأوامر والنواهي، فقد يكون الشيء في هذه

(١) انظر: الفرقان بين أولياء الله وأولياء الشيطان، لابن تيمية، صـ (٤٣).

الشريعة حراما، ثم يَحِلُّ في الشريعة الأخرىٰ، وبالعكس، وخفيفا فيزاد في الشدة في هذه دون هذه، وذلك لما له تعالىٰ في ذلك من الحكمة البالغة، والحجة الدامغة[١].

قال تعالىٰ: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾[المائدة:٤٨].

أراد بهذا أن الشرائع مختلفة، ولكل أهل ملة شريعة، ومعنىٰ الكلام: لكل قوم منكم جعلنا طريقًا إلىٰ الحق يَؤُمُّه، وسبيلا واضحًا يعمل به[٢].

قال قتادة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الخطاب للأمم الثلاث: أمة موسىٰ، وأمة عيسىٰ، وأمة محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وعليهم أجمعين، فالتوراة شريعة، والإنجيل شريعة، والقرآن شريعة، والدين واحد، وهو التوحيد»[٣].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: **«الْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ لِعَلَّاتٍ[٤]، أُمَّهَاتُهُمْ شَتَّىٰ[٥] وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ[٦]»[٧].**

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٣/ ١٢٩).

(٢) انظر: تفسير الطبري (٢/ ٥٨، ١٠/ ٣٨٤).

(٣) انظر: تفسير البغوي (٢/ ٥٨).

(٤) إخوة لعلات: هم إخوة لأب من أمهات شتىٰ، وأما الإخوة من الأبوين فيقال لهم: إخوة الأعيان. [انظر: شرح صحيح مسلم (١٥/ ١١٩)].

(٥) أمهاتهم شتىٰ: أي شرائعهم مختلفة. [انظر: النهاية في غريب الحديث (٢/ ٤٤٣)].

(٦) دينهم واحد: المراد به أصول التوحيد، وأصل طاعة الله تعالىٰ، وإن اختلفت صفتها، وأصول التوحيد والطاعة جميعا. [انظر: شرح صحيح مسلم (١٥/ ١٢٠)].

(٧) متفق عليه: رواه البخاري (٣٢٥٩)، مسلم (٢٣٦٥).

معنى الحديث: أصل إيمانهم واحد، وشرائعهم مختلفة، فإنهم متفقون في أصول التوحيد، وأما فروع الشرائع فوقع فيها الاختلاف[١].

قوله: «وَالبَعْثِ بَعْدَ المَوْتِ»: أي مما يجب التصديق والإقرار به البعث بعد الموت؛ للحساب والجزاء.

والبعثُ في اللغة: الإخراج، والإثارة، والتحريك، يقال: بعثت الناقة: إذا أثرتها[٢].

وفي الشرع: هو إحياء الموتى من قبورهم للحساب يوم القيامة[٣].

ومن الأدلة على إحياء الله الموتى يوم القيامة:

قول الله تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [يس:٧٨-٧٩].

وقول الله تعالى: ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾﴾ [لقمان:٢٨].

وقول الله تعالى: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ وَعْدًا عَلَيْنَآ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾﴾ [الأنبياء:١٠٤].

---

(١) انظر: شرح صحيح مسلم (١٥/ ١٢٠).
(٢) انظر: العين، ومقاييس اللغة، مادة «بعث».
(٣) انظر: المفردات في غريب القرآن، صـ(١٣٢).

وقول الله تعالىٰ: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ٧﴾ [التغابن:٧].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ» قَالَ: أَرْبَعُونَ يَوْمًا؟ قَالَ: أَبَيْتُ[(١)]، قَالَ: أَرْبَعُونَ شَهْرًا؟ قَالَ: أَبَيْتُ، قَالَ: أَرْبَعُونَ سَنَةً؟ قَالَ: أَبَيْتُ، قَالَ: «ثُمَّ يُنْزِلُ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيَنْبُتُونَ كَمَا يَنْبُتُ البَقْلُ[(٢)]، لَيْسَ مِنَ الإِنْسَانِ شَيْءٌ إِلَّا يَبْلَىٰ، إِلَّا عَظْمًا وَاحِدًا وَهُوَ عَجْبُ الذَّنَبِ[(٣)]، وَمِنْهُ يُرَكَّبُ الخَلْقُ يَوْمَ القِيَامَةِ»[(٤)].

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تُخَيِّرُوا بَيْنَ الأَنْبِيَاءِ، فَإِنَّ النَّاسَ يَصْعَقُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ

---

(١) أبيت: أي أبيت أن أجزم أن المراد أربعون يوما، أو سنة، أو شهرا بل الذي أجزم به أنها أربعون. [انظر: شرح صحيح مسلم (١٨/ ٩١)].

(٢) ينبت البقل: أي شيئا فشيئا من الأرض، والبقل هو كل نبات اخضرت به الأرض. [انظر: فيض القدير، للمناوي (٥/ ٤٣٢)، ودليل الفالحين، للبكري، ومقايس اللغة، مادة «بقل»].

(٣) عجب الذنب: أي العظم اللطيف الذي في أسفل الصلب، وهو رأس العُصْعُص، وهو أول ما يخلق من الآدمي، وهو الذي يبقىٰ منه؛ ليعاد تركيب الخلق. [انظر: شرح صحيح مسلم (١٨/ ٩٢)].

(٤) متفق عليه: رواه البخاري (٤٩٣٥)، ومسلم (٢٩٥٥).

تَنْشَقُّ عَنْهُ الأَرْضُ، فَإِذَا أَنَا بِمُوسَىٰ آخِذٌ بِقَائِمَةٍ مِنْ قَوَائِمِ العَرْشِ، فَلَا أَدْرِي أَكَانَ فِيمَنْ صَعِقَ، أَمْ حُوسِبَ بِصَعْقَةِ الأُولَىٰ»[(١)].

والإيمان بالبعث بعد الموت أصل من أصول الإيمان، وركن من أركانه، ومن الأدلة علىٰ ذلك:

قول الله تعالىٰ: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [البقرة:١٧٧].

وقول الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾﴾ [النساء:١٣٦].

وعن عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ باللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَاليَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»[(٢)].

مسألة: كيفية الإيمان بالبعث:

الإيمان بالبعث بعد الموت علىٰ مرتبتين:

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٢٤١٢).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٥٠)، ومسلم (٨)، واللفظ له.

الأولىٰ: الإيمان الإجمالي: هو القدر المجزئ في الإيمان بهذا الركن، فيؤمن العبد بأن هناك يوم يبعث فيه العباد للحساب علىٰ ما عملوا، وأن الإنسان مجازىٰ علىٰ أعماله صغيرها وكبيرها، فمن آمن بهذا القدر فقد حقق هذا الركن.

الثانية: الإيمان التفصيلي: يتضمن الإيمان بما جاء في الكتاب والسنة من أحوال القبور، وأحوال ما يكون يوم القيامة، من الحوض، والميزان، والصحف، والصراط، وأحوال الناس في العرصات، إلىٰ أن يدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار.

فإذا قيل لرجل: هل تؤمن بأن الله سيجعل يوم القيامة حوضا يشرب منه المؤمنون؟

فقال: لا أؤمن.

فإنه لا يكفر إن كان جاهلا، فإذا عُرِّف، وأنكر كفر بالله.

قوله: «وَالإِيمَانِ بِالقَدَرِ»: أي مما يجب التصديق والإقرار به إقرارا جازما القدر.

والقدر في اللغة: مصدر قَدِرَ يقْدَرُ قدَرًا، وَقَدْ تُسَكَّن دالُه[1]، والْقَافُ وَالدَّالُ وَالرَّاءُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَىٰ مَبْلَغِ الشَّيْءِ وَكُنْهِهِ وَنِهَايَتِهِ، فَالْقَدْرُ: مَبْلَغُ كُلِّ شَيْءٍ.

---

(١) انظر: النهاية في غريب الحديث (٤/ ٢٢).

يُقَالُ: قَدْرُهُ كَذَا، أَيْ مَبْلَغُهُ، وَكَذَلِكَ الْقَدَرُ، وَقَدَرْتُ الشَّيْءَ أَقْدِرُهُ وَأَقْدُرُهُ مِنَ التَّقْدِيرِ، وَقَدَّرْتُهُ أُقَدِّرُهُ[(١)].

والقدر في الشرع: هو التصديق الجازم بأن الله تعالىٰ علم مقادير الأشياء وأزمانها قبل إيجادها، ثم كتبها في اللوح المحفوظ، ثم أوجدها في مواعيدها المقدرة لها، فكل محدَث صادر عن علمه وقدرته وإرادته[(٢)].

والإيمان بالقدر أصل من أصول الإيمان، وركن من أركانه، ومن الأدلة علىٰ ذلك:

قول الله تعالىٰ: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ [القمر:٤٩].

وقول الله تعالىٰ: ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾﴾ [الأحزاب:٣٨].

وقول الله تعالىٰ: ﴿مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴿١٩﴾﴾ [عبس:١٩].

وعن عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«الإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَاليَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»**[(٣)].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«المُؤْمِنُ القَوِيُّ، خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَىٰ اللهِ مِنَ المُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ،**

---

(١) انظر: مقاييس اللغة، مادة «قدر».

(٢) انظر: فتح الباري (١/ ١١٨).

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٥٠)، ومسلم (٨)، واللفظ له.

احْرِصْ عَلَىٰ مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلَا تَعْجَزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ، فَلَا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ: قَدَرُ اللهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ؛ فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ»(١).

وعن عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كُلُّ شَيْءٍ بِقَدَرٍ، حَتَّىٰ الْعَجْزِ وَالْكَيْسِ، أَوِ الْكَيْسِ وَالْعَجْزِ»(٢).

وعَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يُؤْمِنُ عَبْدٌ حَتَّىٰ يُؤْمِنَ بِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، حَتَّىٰ يَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ، وَأَنَّ مَا أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ»(٣).

وعَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يُؤْمِنُ عَبْدٌ حَتَّىٰ يُؤْمِنَ بِأَرْبَعٍ: يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ بَعَثَنِي بِالحَقِّ، وَيُؤْمِنُ بِالمَوْتِ، وَبِالبَعْثِ بَعْدَ المَوْتِ، وَيُؤْمِنُ بِالقَدَرِ»(٤).

قوله: «خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»: أي كل شيء بقدر الله سواء كان خيرا أو شرًّا، فالهداية والضلال بقدر الله، والإيمان والكفر بقدر الله، والغنىٰ والفقر بقدر الله، والصحة والمرض بقدر الله؛ وقدر الله كله خيرٌ، لا شر فيه بوجه من الوجوه؛ لقول النبي

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٦٦٠٠).
(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٦٥٥).
(٣) صحيح: رواه الترمذي (٢١٤٤)، وأحمد (٢٧٤٩٠)، وصححه الألباني.
(٤) صحيح: رواه الترمذي (٢١٤٥)، وأحمد (١١١٢)، وصححه الألباني.

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ»[(١)]؛ وإنما هو شر باعتبار المقدور لا القدر الذي هو فعل الله؛ لأن فعل الله ليس فيه شر ألبتة.

فمثلا خلق الله الحيات والعقارب، وهي شر بالنسبة للإنسان، أما باعتبار نسبتها إلىٰ الله فهي خير.

والشر الذي في المقدور ليس شرًّا محضًا، بل قد ينتج عنه أمور هي خير، فيكون الشر بالنسبة إليه أمرا إضافيا، فالمرض مثلا شر من جهة وخير من جهة أخرىٰ؛ شر باعتبار كونه يتعب الجسد، وخير باعتبار كونه كفارة للعبد المسلم.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «القدر لا شر فيه بوجه من الوجوه، فإنه علم الله وقدرته وكتابه ومشيئته وذلك خير محض وكمال من وجه، فالشر ليس إلىٰ الرب تعالىٰ بوجه من الوجوه لا في ذاته ولا في أسمائه ولا في صفاته ولا في أفعاله، وإنما يدخل الشر الجزئي الإضافي في المقضي المقدر، ويكون شرًّا بالنسبة إلىٰ محل وخيرا بالنسبة إلىٰ محل آخر، وقد يكون خيرا بالنسبة إلىٰ المحل القائم به من وجه كما هو شر له من وجه بل هذا هو الغالب، وهذا كالقصاص وإقامة الحدود وقتل الكفار فإنه شر بالنسبة إليهم لا من كل وجه بل من وجه دون وجه، وخير

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٧٧١)، من حديث علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

بالنسبة إلىٰ غيرهم لما فيه من مصلحة الزجر والنكال ودفع الناس بعضهم ببعض، وكذلك الآلام والأمراض وإن كانت شرورًا من وجه، فهي خيرات من وجوه عديدة»[١].

مسألة [١]: كيفية الإيمان بالقدر:

الإيمان بالقدر علىٰ مرتبتين:

الأولىٰ: الإيمان الإجمالي: هو القدر المجزئ من الإيمان بالقدر، وهو أن يؤمن العبد بأن كل شيء يحدث في هذا الملكوت قد سبق به قدر الله، وأن الله عالم بكل شيء، وقد كتب ما سيحدث في اللوح المحفوظ قبل خلق الخلق بخمسين ألف سنة.

فإن آمن العبد بهذا فقد حقق هذا الركن.

الثانية: الإيمان التفصيلي: هو أن يؤمن العبد بمراتب القدر الأربعة:

المرتبة الأولىٰ: العلم: معناها: أن الله تعالىٰ علمه محيط بكل شيء، علم ما كان، وما سيكون، وما هو كائن، ومالم يكن لو كان كيف يكون، فلا يخفىٰ عليه شيء في الأرض، ولا في السماء، كما قال الله تعالىٰ: ﴿عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ﴾[الحشر: ٢٢].

وقال الله تعالىٰ: ﴿لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ

---

(١) انظر: شفاء العليل، لابن القيم (١/ ٢٦٨-٢٦٩).

شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ١٢﴾[الطلاق:١٢].

وقال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ﴾[النحل:١٢٥].

وقال الله تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾[البقرة:٢١٦].

وعن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: سُئِلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ ذَرَارِيِّ المُشْرِكِينَ، فَقَالَ: «**اللهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ**»[(١)].

وعَنْ عَائِشَةَ أُمِّ المؤْمِنِينَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، قَالَتْ: تُوُفِّيَ صَبِيٌّ، فَقُلْتُ: طُوبَىٰ لَهُ عُصْفُورٌ مِنْ عَصَافِيرِ الْجَنَّةِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَوَ لَا تَدْرِينَ أَنَّ اللهَ خَلَقَ الْجَنَّةَ، وَخَلَقَ النَّارَ، فَخَلَقَ لِهَذِهِ أَهْلًا، وَلِهَذِهِ أَهْلًا**»[(٢)].

المرتبة الثانية: الكتابة: معناها: أن الله كتب كل شيء في اللوح المحفوظ قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، كما قال الله تعالىٰ: ﴿مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٍ﴾[الأنعام:٣٨].

وقال الله تعالىٰ: ﴿وَكُلَّ شَيۡءٍ أَحۡصَيۡنَٰهُ فِيٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ١٢﴾[يس:١٢].

وقال الله تعالىٰ: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوۡلَىٰنَا﴾[التوبة:٥١].

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (١٣٨٤)، ومسلم (٢٦٥٩).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٦٦٢).

وقال الله تعالىٰ: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾﴾ [الحديد:٢٢].

وعَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قال النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ، مَا مِنْ نَفْسٍ مَنْفُوسَةٍ إِلَّا كُتِبَ مَكَانُهَا مِنَ الجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَإِلَّا قَدْ كُتِبَ شَقِيَّةً أَوْ سَعِيدَةً»(١).

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، قَالَ: وَعَرْشُهُ عَلَىٰ الماءِ»(٢).

وعن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «احْتَجَّ آدَمُ وَمُوسَىٰ، فَقَالَ لَهُ مُوسَىٰ: أَنْتَ آدَمُ الَّذِي أَخْرَجَتْكَ خَطِيئَتُكَ مِنَ الجَنَّةِ، فَقَالَ لَهُ آدَمُ: أَنْتَ مُوسَىٰ الَّذِي اصْطَفَاكَ اللهُ بِرِسَالَاتِهِ وَبِكَلَامِهِ، ثُمَّ تَلُومُنِي عَلَىٰ أَمْرٍ قُدِّرَ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أُخْلَقَ»، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَحَجَّ آدَمُ مُوسَىٰ مَرَّتَيْنِ»(٣).

المرتبة الثالثة: المشيئة: معناها: أن ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، فلا يحدث شيء في هذا الكون إلا بمشيئته سبحانه، كما قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٣٦٢)، ومسلم (٢٦٤٧).
(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٢٦٥٣).
(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٤٠٩)، ومسلم (٢٦٥٢).

[يس:٨٢].

وقال الله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾[الأنعام:٣٥].

وقال الله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا﴾[السجدة:١٣].

وقال الله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾[الكهف:٢٤].

وعن أَبِي مُوسَىٰ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا جَاءَهُ السَّائِلُ أَوْ طُلِبَتْ إِلَيْهِ حَاجَةٌ قَالَ: «**اشْفَعُوا تُؤْجَرُوا، وَيَقْضِي اللهُ عَلَىٰ لِسَانِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا شَاءَ**(١)»(٢).

وعن ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «**إِذَا مَرَّ بِالنُّطْفَةِ ثِنْتَانِ وَأَرْبَعُونَ لَيْلَةً، بَعَثَ اللهُ إِلَيْهَا مَلَكًا، فَصَوَّرَهَا وَخَلَقَ سَمْعَهَا وَبَصَرَهَا وَجِلْدَهَا وَلَحْمَهَا وَعِظَامَهَا، ثُمَّ قَالَ: يَا رَبِّ أَذَكَرٌ أَمْ أُنْثَىٰ؟ فَيَقْضِي رَبُّكَ مَا شَاءَ، وَيَكْتُبُ الملَكُ، ثُمَّ يَقُولُ: يَا رَبِّ أَجَلُهُ، فَيَقُولُ رَبُّكَ مَا شَاءَ، وَيَكْتُبُ الملَكُ، ثُمَّ يَقُولُ: يَا رَبِّ رِزْقُهُ، فَيَقْضِي رَبُّكَ مَا شَاءَ، وَيَكْتُبُ الملَكُ، ثُمَّ يَخْرُجُ الملَكُ بِالصَّحِيفَةِ فِي يَدِهِ، فَلَا**

---

(١) يَقْضِي اللهُ عَلَىٰ لِسَانِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا شَاءَ: أي يظهر الله علىٰ لسان رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالوحي، أو الإلهام ما قدره في علمه بأنه سيقع. [انظر: فتح الباري (١٣/ ٤٥٢)].

(٢) صحيح: رواه البخاري (١٤٣٢).

يَزِيدُ عَلَىٰ مَا أُمِرَ وَلَا يَنْقُصُ»[١].

وعن عَبْدَ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: سَمِعت رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ، كَقَلْبٍ وَاحِدٍ، يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ»[٢].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ: اللهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ، اللهُمَّ ارْحَمْنِي إِنْ شِئْتَ، لِيَعْزِمِ الْمَسْأَلَةَ؛ فَإِنَّهُ لَا مُكْرِهَ لَهُ»[٣].

المرتبة الرابعة: الخلق: معناها: أن الله خالق كل شيء، كما قال الله تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُ﴾[الأنعام:١٠٢].

وقال الله تعالىٰ: ﴿قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّٰرُ﴾[الرعد:١٦].

وقال الله تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ٩٦﴾[الصافات:٩٦].

وقال الله تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ٦٢﴾[الزُّمَر:٦٢].

وقال الله تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾[غافر:٦٢].

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٦٤٥).
(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٢٦٥٤).
(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦٣٣٩)، ومسلم (٢٦٧٩).

وعَنْ أَبِي بَكْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**الزَّمَانُ قَدْ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ**»[(١)].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**إِنَّ اللهَ خَلَقَ الخَلْقَ، حَتَّىٰ إِذَا فَرَغَ مِنْ خَلْقِهِ، قَالَتِ الرَّحِمُ: هَذَا مَقَامُ العَائِذِ[(٢)] بِكَ مِنَ القَطِيعَةِ[(٣)]، قَالَ: نَعَمْ، أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ، وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ؟ قَالَتْ: بَلَىٰ يَا رَبِّ، قَالَ: فَهُوَ لَكِ**»[(٤)].

وعن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَنْ يَبْرَحَ النَّاسُ يَتَسَاءَلُونَ حَتَّىٰ يَقُولُوا: هَذَا اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ، فَمَنْ خَلَقَ اللهَ؟**»[(٥)].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «**لَمَّا خَلَقَ اللهُ الْخَلْقَ، كَتَبَ فِي كِتَابِهِ، فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ: إِنَّ رَحْمَتِي تَغْلِبُ**

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣١٩٧)، ومسلم (١٦٧٩).

(٢) **العائذ**: أي المستعيذ، وهو المعتصم بالشيء المستجير به. [**انظر**: فتح الباري (٨/ ٥٨٠)].

(٣) **القطيعة**: أي الهجران والصد، وهي فعيلة، من القطع، ويريد به ترك البر والإحسان إلىٰ الأهل والأقارب، وهي ضد صلة الرحم. [**انظر**: النهاية في غريب الحديث (٤/ ٨٢)].

(٤) **متفق عليه**: رواه البخاري (٥٩٨٧)، ومسلم (٢٥٥٤).

(٥) **متفق عليه**: رواه البخاري (٧٢٩٦)، ومسلم (١٣٤).

غَضَبِي»[١].

مسألة [٢]: تفاضل الناس في أصول الإيمان:

يتفاضل الناس في أصول الإيمان الستة، فكلما زاد علم العبد بها زاد إيمانه؛ وكلما زاد الفقه في الدين زاد اليقين.

مسألة [٣]: أصول الإيمان عند المعتزلة:

أصول الإيمان عند المعتزلة خمسة:

١- **التوحيد:** يريدون به نفي الصفات، ويسمون نفي الصفات توحيدا؛ لأن إثبات الصفات عندهم يقتضي تعدد الآلهة.

٢- **العدل:** يقصدون به نفي القضاء والقدر؛ لأنهم يقولون: إثبات القضاء والقدر يلزم عليه الجور والظلم في حق الله تعالىٰ، حيث يعذب عباده علىٰ شيء قدره عليهم.

٣- **الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:** يقصدون به الخروج علىٰ ولاة الأمور، فعندهم من خرج علىٰ ولاة الأمور فإنه يأمر بالمعروف وينهىٰ عن المنكر.

٤- **المنزلة بين المنزلتين:** هي التي خالفوا واعتزلوا من أجلها الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ، لما سُئل عن مرتكب الكبيرة، فأجاب بما عليه أهل السنة والجماعة؛ قال: هو مؤمن ناقص الإيمان، فلا يُكَفَّر كما

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٧٤٠٤)، ومسلم (٢٧٥١)، واللفظ له.

تكفره الخوارج، ولا يوصف بالإيمان الكامل كما تقول المرجئة، بل هو مؤمن ناقص الإيمان، مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته.

فقال واصل بن عطاء -وكان تلميذا للحسن-: أنا أقول: إنه لا مؤمن ولا كافر، بل في منزلة بين منزلتين، يخرج من الإيمان لكنه لا يدخل في الكفر.

٥- **إنفاذ الوعيد:** يقصدون أن من دخل النار لا يخرج منها أبدا، فأوجبوا خلود مرتكب الكبيرة من أهل القبلة في النار، وقالوا: من استحق العذاب لا يستحق الثواب.

مسألة [٤]: أصول الإيمان عند الرافضة(١):

أصول الإيمان عند الرافضة أربعة:

١- **التوحيد:** يقصدون نفي الأسماء والصفات.

٢- **العدل:** يقصدون نفي القضاء والقدر.

٣- **النبوة:** يقصدون أن النبوة لم تنقطع بوفاة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،

---

(١) **الرافضة:** سُموا بذلك؛ لأنهم رفضوا خلاف أبي بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وقيل: لأنهم رفضوا زيد بن علي بن الحسين حينما أبىٰ أن يطعن في أبي بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، ومن عقائدهم: العصمة، والرجعة، وتكفير أكثر الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وأن أكثرهم ضلوا بعد وفاة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقال بعضهم: إن الله عَزَّ وَجَلَّ بعث جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ بالوحي إلىٰ علي بن أبي طالب، فغلط جبريل بمحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. [انظر: مقالات الإسلاميين، لأبي الحسن الأشعري (١/ ٣٣)، والفصل في الملل والأهواء والنحل، (٤/ ١٣٩-١٤٠)].

وهي مستمرة في الأوصياء، وأن جبرائيل عَلَيْهِ السَّلَامُ مستمر في النزول.

٤ - الإمامة: يقصدون أن الإمامة منصِب إلهيٌّ كالنبوة، فالإمام عندهم يُوحىٰ إليه ويُؤيَّد بالمعجزات، وله عصمة مطلقة، ويرون أن الإمامة أعلىٰ مرتبة من النبوة.



[الإيمان بالصفات]

٢- وَمِنَ الْإِيمَانِ بِاللهِ:

- الْإِيمَانُ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ فِي كِتَابِهِ.

- وَبِمَا وَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

.... الشـــرح ....

قــولــه: «ومن الإيمان بالله»: أي من جملة الإيمان بالله تعالىٰ، بعد أن ذكر المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ الأصول التي يجب الإيمان بها مجملةً، شرع في ذكرها مفصلةً، وبدأ بالأصل الأول، وهو الإيمان بالله تعالىٰ.

والإيمان بالله كما تقدَّم يتضمن أربعة أمور:

أحدها: الإيمان بوجود الله.

الثاني: الإيمان بربوبيته.

الثالث: الإيمان بألوهيته.

الرابع: الإيمان بأسمائه وصفاته.

قــولــه: «الْإِيمَانُ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ فِي كِتَابِهِ، وَبِمَا وَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»: أي إثبات الأسماء والصفات يقوم علىٰ مصدرين فقط، وهما:

١- القرآن الكريم.

٢ - السنة النبوية الصحيحة.

قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لا يوصف الله تعالىٰ بأكثر مما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا نتعدىٰ القرآن والحديث فنقول كما قال، ونصفه كما وصف نفسه، ولا نتعدىٰ ذلك[1].

مسألة [١]: لماذا اقتصر المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ علىٰ الصفات، ولم يذكر الأسماء في قوله: «بما وصف به نفسه»؟

١ - لأن كل اسم يتضمن صفة.

٢ - لأن الخلاف في الأسماء قليل بالنسبة للمنتسبين إلىٰ الإسلام.

مسألة [٢]: قواعد مهمة تتعلق بالأسماء والصفات[2]:

١ - باب أسماء الله تعالىٰ أضيق من باب الصفات.

يعني إذا ثبت الاسم لله تعالىٰ فإنه يُشتق منه صفة لله؛ لأن باب

---

(١) انظر: ذم التأويل، لابن قدامة، صـ (٢٢).

(٢) انظر: القواعد المثلىٰ في صفات الله وأسمائه الحسنىٰ، للشيخ ابن عثيمين، صـ (٩-٣٨)، واللآلئ البهية في شرح العقيدة الواسطية (١/ ١٢٠-١٣٩).

الفرق بين أسماء الله وصفاته:

أسماء الله هي كل ما دلَّ علىٰ ذات الله مع صفات الكمال القائمة به، مثل: الرحمن، السميع، البصير، فهذه الأسماء دلت علىٰ ذات الله، وعلىٰ ما قام بها من الرحمة، والسمع، والبصر.

أما الصفات فهي أوصاف الكمال القائمة بالذات، كالرحمة، والسمع، والبصر، فالاسم دلَّ علىٰ أمرين، والصفة دلَّت علىٰ أمر واحد.

الأسماء أضيق؛ فإن الاسم يشتمل علىٰ دلالة الذات، ودلالة الصفة.

مثال ذلك: من أسماء الله «**الرحمن**»، فنقول: الله موصوف بصفة «**الرحمة**»، واسم الله «**الغفار**»، فنقول: الله موصوف بصفة «**المغفرة**»، واسم الله «**العزيز**» فنقول: الله موصوف بصفة «**العزة**»، واسم الله «**الحي**»، فنقول: الله موصوف بصفة «**الحياة**».

ولا يُشتق من الصفة اسما، ومن ذلك: من صفات الله: المجيء، والإتيان، والأخذ، والإمساك، والبطش، فنصف الله تعالىٰ بهذه الصفات علىٰ الوجه الوارد، ولا نسميه بها، فلا نقول: إن من أسمائه الجائي، والآتي، والآخذ، والممسك، والباطش، وإن كنا نخبر بذلك عنه ونصفه به.

٢- أسماء الله كلها حسنىٰ.

أي بالغةٌ في الحُسنِ غايتَه؛ لأنها متضمِّنةٌ لصفاتٍ كاملةٍ لا نقصَ فيها بوجهٍ من الوجوهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الأعراف:١٨٠]، وذلك لدلالتِها علىٰ أحسنِ مُسمَّىٰ وأشرفِ مدلولٍ وهو اللهُ عَزَّوَجَلَّ، ولأنَّها متضمِّنةٌ لصفاتٍ كاملةٍ لا نقصَ فيها بوجهٍ من الوجوهِ.

مثالُ ذلك: «الحي» اسمٌ من أسماءِ اللهِ تعالىٰ متضمِّنٌ للحياةِ الكاملةِ التي لم تُسبقْ بعدمٍ ولا يلحقُها زوالٌ، الحياةُ المستلزمةُ لكمالِ الصفاتِ من العلمِ والقدرةِ والسمعِ والبصرِ وغيرِها.

وأما حياةُ المخلوقِ، فهي حياةٌ ناقصةٌ؛ لأنها مسبوقةٌ بعدمٍ، ويلحقُها، زوالٌ وفَناءٌ.

ومثالٌ آخرُ: «العليم» اسمٌ من أسماءِ اللهِ تعالىٰ متضمِّنٌ للعلمِ الكاملِ الَّذِي لم يُسبقْ بجهلٍ، ولا يَلحقُه نِسيانٌ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ۝٥٢﴾[طه:٥٢].

العلمُ الواسعُ المحيطُ بكلِّ شيءٍ جملةً وتفصيلًا سواءٌ ما يتعلقُ بأفعالِه أو أفعالِ خلقِه؛ كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ۝١٩﴾[غافر:١٩].

أما علمُ الإنسانِ فعلمٌ ناقصٌ؛ لأنَّه مسبوقٌ بجهلٍ، ويَلحقُه النسيانُ.

٣- أسماء الله توقيفية لا مجال للعقل فيها.

أي يتوقف إثباتها علىٰ ما جاء عن الشرع فلا يزاد فيها ولا ينقص؛ لأن العقل لا يمكنه إدراك ما يستحقه تعالىٰ من الأسماء فوجب الوقوف في ذلك علىٰ النص.

قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ۝٣٦﴾[الإسراء:٣٦].

٤- أسماء الله تعالىٰ لا تحصىٰ بعدد معين.

لقول النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا أَصَابَ أَحَدًا قَطُّ هَمٌّ وَلَا حَزَنٌ، فَقَالَ: اللهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ، ابْنُ عَبْدِكَ، ابْنُ أَمَتِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَاضٍ فِيَّ

حُكْمُكَ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ(١)، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الغَيْبِ عِنْدَكَ، أَنْ تَجْعَلَ القُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي، وَنُورَ صَدْرِي، وَجِلَاءَ حُزْنِي، وَذَهَابَ هَمِّي، إِلَّا أَذْهَبَ اللهُ هَمَّهُ وَحُزْنَهُ، وَأَبْدَلَهُ مَكَانَهُ فَرَحًا»(٢).

وما استأثر الله به في علم الغيب عنده لا يمكن حصره، ولا الإحاطة به.

أما قول النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ للهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الجَنَّةَ»(٣)، فليس معناه حصر أسماء الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في هذا العدد التسعة والتسعين اسما فقط، وإنما معناه: أن من أسماء الله تعالىٰ تسعة وتسعين اسما.

قال الخطابي رَحِمَهُ اللَّهُ: هذا الحديث فيه إثبات هذه الأسماء المحصورة بهذا العدد، وليس فيه نفي ما عداها من الزيادة عليها، وإنما وقع التخصيص بالذكر لهذه الأسماء؛ لأنها أشهرُ الأسماء، وأبينُها معانٍ وأظهرُها، وهو كقولك: إن لزيد ألفَ درهم أعدها للصدقة، وكقولك: إن لعمرو مائة ثوب من زاره أعطاه إياها، وهذا لا يدل علىٰ

(١) **من خلقك:** أي من أنبيائك، وملائكتك عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

(٢) **صحيح:** رواه أحمد (٣٧١٢)، عن عَبْدِ اللهِ بنِ مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) **متفق عليه:** رواه البخاري (٢٧٣٦)، ومسلم (٢٦٧٧)، عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

أنه ليس عنده من الدراهم أكثر من ألف درهم، ولا من الثياب أكثر من مائة ثوب، وإنما دلالته: أن الذي أعده زيد من الدراهم للصدقة ألف درهم، وأن الذي أرصده عمرو من الثياب للإعطاء مائة ثوب، والذي يدل علىٰ صحة هذا التأويل حديث عبد الله بن مسعود المتقدم[1].

ونقل النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ اتفاق العلماء علىٰ هذا الحديث، وقال: ليس في الحديث حصر أسماء الله تعالىٰ، وليس معناه أنه ليس له اسم غير هذه التسعة والتسعين، وإنما مقصود الحديث أن هذه الأسماء من أحصاها دخل الجنة، فالمراد الإخبار عن دخول الجنة بإحصائها لا الإخبار بحصر الأسماء[2].

٥- صفات الله تعالىٰ تنقسم قسمين: ثبوتية، وسلبية.

فالثبوتية: ما أثبتها الله لنفسه كالحياة، والعلم، والقدرة، ويجب إثباتها لله علىٰ الوجه اللائق به؛ لأن الله أثبتها لنفسه وهو أعلم بصفاته جَلَّجَلَالُهُ.

والسلبية: هي التي نفاها الله عن نفسه كالظلم، فيجب نفيها عنه؛ لأنه الله جَلَّجَلَالُهُ نفاها عن نفسه، ونثبت مع ذلك كمال الضد؛ لأن النفي لا يكون كمالا حتىٰ يتضمن ثبوتا.

(١) انظر: شأن الدعاء، للخطابي، صـ (٢٣-٣٤).
(٢) انظر: شرح صحيح مسلم (١٧/ ٥).

مثال ذلك: قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾[الكهف:٤٩].

فيجب نفي الظلم عن الله مع اعتقاد ثبوت العدل له تعالىٰ علىٰ الوجه الأكمل.

٦- الصفات الثبوتية تنقسم قسمين: ذاتية، وفعلية.

فالذاتية: هي التي لا تنفك عن ذات الله تعالىٰ، كالسمع، والبصر.

والفعلية: هي التي تتعلق بمشيئته إن شاء فعلها، وإن شاء لم يفعلها، كالاستواء علىٰ العرش، والمجيء.

وربما تكون الصفة ذاتية فعلية باعتبارين كالكلام؛ فإنه باعتبار أصل الصفة صفة ذاتية، لأن الله لم يزل، ولا يزال متكلما، وباعتبار آحاد الكلام صفة فعلية؛ لأن الكلام متعلق بمشيئته يتكلم بما شاء متىٰ شاء.

٧- صفات الله توقيفية لا مجال للعقل فيها.

فلا نثبت لله تعالىٰ من الصفات إلا ما دل الكتاب والسنة علىٰ ثبوته.

قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لا يوصف الله تعالىٰ بأكثر مما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا نتعدىٰ القرآن والحديث فنقول كما قال ونصفه كما وصف نفسه، ولا نتعدىٰ ذلك[1].

---

(١) انظر: ذم التأويل، لابن قدامة، صـ (٢٢).

ولدلالة الكتاب والسنة علىٰ ثبوت الصفة ثلاثة أوجه:

الأول: التصريح بالصفة، كالعزة والقوة والرحمة والوجه واليدين، ونحوها.

الثاني: تضمُّن الاسم لها، مثل: الغفور متضمن للمغفرة، والسميع متضمن للسمع، ونحو ذلك.

الثالث: التصريح بفعل أو وصف دال عليها، كالاستواء علىٰ العرش، والنزول إلىٰ السماء الدنيا، والمجيء للفصل بين العباد يوم القيامة، والانتقام من المجرمين؛ كما في قوله تعالىٰ: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ٥﴾[طه:٥].

وقول الله تعالىٰ: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا ٢٢﴾[الفجر:٢٢].

٨- ظاهر نصوص الصفات هو المراد.

ظواهر نصوص الصفات معلومة لنا باعتبار ومجهولة لنا باعتبار آخر، فباعتبار المعنىٰ هي معلومة، وباعتبار الكيفية التي هي عليها مجهولة.

لقوله تعالىٰ: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢٩﴾[ص:٢٩].

والتدبر لا يكون إلا فيما يمكن الوصول إلىٰ فهمه؛ ليتذكر الإنسان بما فهمه منه.

وقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّا جَعَلْنَهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٣﴾ [الزُّخرُف:٣].

وكون القرآن عربيا؛ ليعقله من يفهم العربية، يدل علىٰ أن معناه معلوم، وإلا لما كان فرق بين أن يكون باللغة العربية، أو غيرها.

والواجب في نصوص الكتاب والسنة إبقاء دلالتها علىٰ ظاهرها من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تمثيل ولا تكييف؛ لأن الله أنزل القرآن بلسان عربي مبين، والنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تكلم باللسان العربي، فوجب إبقاء دلالة كلام الله، وكلام رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علىٰ ما هي عليه في ذلك اللسان، قال تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٣٣﴾[الأعراف:٣٣].

مثال ذلك: قوله تعالىٰ: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ [المائدة:٦٤].

فإن ظاهر هذه الآية أن لله يدين حقيقيتين، فيجب إثبات ذلك له.

فإذا قال قائل: المراد بهما القوة.

قلنا له: هذا صرف للكلام عن ظاهره، فلا يجوز القول به؛ لأنه قول علىٰ الله بلا علم.

٩-صفات الله لا نقص فيها.

كالحياة، والعلم، والقدرة، وغير ذلك؛ لقوله تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾[النحل:٦٠].

وإذا كانت الصفة نقصا لا كمال فيها فهي ممتنعة في حق الله تعالىٰ، كالموت والجهل، والعجز، والصمم، والعمىٰ، ونحو ذلك؛ لأن الرب لا يمكن أن يكون ناقصا لمنافاة النقص للربوبية.

وإذا كانت الصفة كمالا من وجه، ونقصا من وجه لم تكن ثابتة لله، ولا ممتنعة عليه علىٰ سبيل الإطلاق بل لابد من التفصيل فتثبت لله في الحال التي تكون كمالا، وتمتنع في الحال التي تكون نقصا كالمكر، والكيد، والخداع ونحوها فهذه الصفات تكون كمالا إذا كانت في مقابلة مثلها، لأنها تدل علىٰ أن فاعلها ليس بعاجز عن مقابلة عدوه بمثل فعله، وتكون نقصا في غير هذه الحال، فتثبت لله في الحال الأولىٰ دون الثانية؛ قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾﴾[آل عمران:٥٤].

فإذا قيل: هل يوصف الله بالمكر؟

فلا نقول: نعم، ولا نقول: لا، ولكن نقول: هو ماكر بمن يستحق ذلك.

١٠-أقسام أسماء الله، وأوصافه من حيث المعنىٰ.

أسماء الله وأوصافه تنقسم من حيث المعنىٰ أربعة أقسام:

أحدها: أوصاف، أو أسماء جلال: هي التي تورث العظمة والهيبة والخوف، وفيها معاني جبروت الله وعزته وقهره، مثل اسم الله العزيز، والجبار، والقهار، والقوي، والمنتقم.

الثاني: أوصاف، أو أسماء جمال: هي التي تنبعث عنها المحبة والرغبة، ومنها فتح باب المحبة من العبد لربه، من جنس أسماء وصفات الرحمة، كصفة الرحمة، والأسماء المأخوذة منها، كالرحمن، والرحيم، والسلام، والجميل، والنور، والرزاق، والمُؤْمِن، والودود.

الثالث: أوصاف، أو أسماء لمعاني الربوبية: هي ما فيه معنىٰ الربوبية، كاسم الله الرب والمالك والملك، والسيد، ومدبِّر الأمر، والرزاق، ونحوها مما فيه معاني الربوبية.

الرابع: أوصاف، أو أسماء لمعاني الألوهية: هي ما فيه معنىٰ الألوهية، مثل: الله، والمعبود.

١١- الواجب علىٰ العباد أن يؤمنوا بما أَنزل الله في كتابه.

الإيمان بما أنزل الله في كتابه، أو أخبر به نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الأسماء والصفات يكون بأشياء:

١- إثبات الصفة.

٢- إثبات المعنىٰ الذي يدل عليه ظاهر اللفظ، فكل اسم من

أسماء الله له معنىٰ يدل عليه، وكل صفة من صفات الله لها معنىٰ تدل عليه بظاهر اللفظ، فيجب إثبات الصفة وما دلت عليه.

٣- الإيمان بمتعلقاتها وآثارها في الخلق، فإن أسماء الله وصفاته لها آثار متعلقة بخلق الله، ومتعلقة بملكوت الله، فكل اسم وكل صفة لها أثر.

مثال: اسم الله السميع، يتضمن من حيث الإيمان به ثلاثة أشياء:

الأول: إثبات صفة السمع.

الثاني: إثبات معنىٰ السمع.

الثالث: إثبات الأثر الذي يتعلق بهذه الصفة، وهو أن الله عَزَّوَجَلَّ لا يعزب عنه مسموع.

١٢- بم نرد علىٰ المؤولة، والمعطِّلة؟

نرد عليهم بثلاثة أمور:

أحدها: أن قولهم خالف ظاهر النص، والأصلُ حمل النصوص علىٰ ظاهرها إلا عند التعذر.

الثاني: أن قولهم مخالف لمنهج أهل السنة والجماعة في إثبات الصفات «**الإثبات، والإمرار، وقطع الطمع عن إدراك حقيقتها**».

الثالث: أن قولهم ليس عليه دليل صحيح.



مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلَا تَعْطِيلٍ، وَمِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ وَلَا تَمْثِيلٍ.

.... الشـــرح ....

قــولــه: «مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ»: أي من غير تغيير لمعناها.

والتحريـف في اللغـة: التغييـر، وإمالـة الشـيء عـن وجهـه؛ يقـال: انحرف عن كذا، إذا مال[1].

قـــال تعــــالىٰ: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ [النساء:٤٦]، أي: يغيرون ما أنزل الله إليهم من معانيه اللائقة به إلىٰ غير مراد الله.

وفي الشرع: هو تغيير لفظ الصفة، أو معناها الذي دلت عليه.

وهو قسمان:

الأول: تحريف لفظي: هو تغيير اللفظ، إما بزيـادة كلمـة أو حـرف، أو نقصانه، أو تغيير حركته، كقول اليهود لما قيـل لهـم: ﴿وَقُولُواْ حِطَّةٌ﴾ [البقرة:٥٨]، قالوا: حنطة، بزيادة النون.

وكقـول المعتزلـة والجهمية والأشـاعرة حين فسروا قولـه تعـالىٰ: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [يـونس:٣]، وقولــه تعــالىٰ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ٥﴾ [طه:٥]، بقولهم: استولىٰ، فهـذا تحريـف في اللفظ بزيـادة

---

(١) انظر: مقاييس اللغة، ولسان العرب، مادة «حرف».

حرف اللام.

ولقد قال بعضهم لأبي عمرو بن العلاء - أحد القراء السبعة-: أريد أن تقرأ: ﴿وَكَلَّمَ اللهَ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ بنصب اسم الله؛ ليكون موسىٰ هو المتكلم لا الله!

فقال أبو عمرو: هب أني قرأت هذه الآية كذا، فكيف تصنع بقوله تعالىٰ: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾[الأعراف:١٤٣]؟! فبُهِت المعتزلي! [(١)].

القسم الثاني: تحريف معنوي: هو تغيير معنىٰ الصفة الذي دلت عليه مع بقاء اللفظ.

وهذا كثير؛ لادعاء المجاز في آيات الصفات، كتأويل النصوص علىٰ ما دلت عليه لغة العرب.

فمثلا قالوا في قوله تعالىٰ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣﴾[الفاتحة:٣]: الرحمة هي إرادة الإحسان، وهذا تحريف للرحمة عن معناها.

وأولُ من حرَّف هو الجعد بن دِرْهم حينما نفىٰ اتصاف الله عَزَّوَجَلَّ بالكلام حيث قال: إن قوله تعالىٰ: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ۝١٦٤﴾ [النساء:١٦٤]، أي جرحه بأظافير الحكمة تجريحا، فليس من جهة التجريح، ﴿وَكَلَّمَ﴾: أي جرَّح، من الكلْم وهو الجرح.

---

(١) انظر: شرح العقيدة الطحاوية (١/ ١٧٧).

ثم أخذ رأسُ الجهميةِ جهْمُ بنُ صفوان هذه المقالة عنه.

مسألة: هل كل تحريف يُعدُّ كُفرًا؟

ليس كلُّ تحريف يُعدُّ كفرا، وإنما يُعدُّ كفرًا إذا كان في جميع الصفات، كفعل الجهمية، أو إذا كانت الدلالة علىٰ الصفة ظاهرة، وليس للتأويل فيها مدخل.

ولهذا لم يكفِّر أهلُ السنة والجماعة الأشاعرة، والماتريدية، والكُلَّابية(١)، والسالمية(٢)، ....

(١) **الكُلَّابية**: نسبة إلىٰ أبي محمد عبدالله بن سعيد بن كُلَّاب القطان البصري، وهو رأس المتكلمين بالبصرة في زمانه، وهو أول من ابتدع بدعة الكلام النفسي القديم، وقال بنفي الأفعال الاختيارية لله، لُقِّبَ بكُلَّاب؛ لأنه كان يجرُّ الخصم إلىٰ نفسه ببيانه وبلاغته، وأصحابه هم الكُلَّابية، توفي في حدود الأربعين ومائتين، ظن ابنُ كُلَّاب أن الرب لا يتصف بالأمور الاختيارية التي تتعلق بقدرته ومشيئته، فلا يتكلم بمشيئته وقدرته، ولا يحب العبد ويرضىٰ عنه بعد إيمانه وطاعته، ولا يغضب عليه ويسخط بعد كفره ومعصيته، بل محبا راضيا أو غضبانا ساخطا علىٰ من علم أنه يموت مؤمنا أو كافرا، ولا يتكلم بكلام بعد كلام. [انظر: الوافي بالوفيات (١٧/ ١٠٤)، ومجموع الفتاوىٰ (٧/ ٦٦٢)، وسير أعلام النبلاء (١١/ ٣٤)].

(٢) **السالمية**: هم أتباع أبي الحسن أحمد بن محمد بن سالم الزاهد البصري، وهو آخر أصحاب سهل التستري وفاة، يقولون: إن كلام الله تعالىٰ حروف وأصوات قديمة أزلية، وأن لها اقترانا ثابتا ذواتها، ولا يسبق بعضها بعضا، بل هي مقترنة الباء مع السين مع الميم في آن واحد، ثم لم تكن معدومة في وقت من الأوقات، ولن تُعدم، بل لم تزل قائمة بذاته سبحانه قيام صفة الحياة والسميع والبصير؛ لذلك سُمُّو بالاقترانية، وجمهور العقلاء يقولون: إن هذا المذهب كافٍ في الجزم ببطلانه. [انظر: منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية (٢/ ٤٩٩)].

والكرامية[١]، وأشباه هؤلاء.

قـولـه: «ولا تعطيل»: أي أهل السنة والجماعة لا ينفون صفات الله تعالىٰ، وما دلت عليه.

والتعطيل لغة: التفريغ والإخلاء، يقال: عطَّله، أي أفرغه، وأخلاه، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ﴾[الحج:٤٥]، أي خالية من الماء[٢].

وشرعا: هو إنكار ما أثبت الله لنفسه من الأسماء والصفات، سواء كان كليا أو جزئيا.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **«الذي اتفق عليه سلف الأمة وأئمتها أن يوصف الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من غير تحريف، ولا تعطيل، ومن غير تكييف، ولا تمثيل، فإنه قد عُلم بالشرع مع العقل أن الله تعالىٰ ليس كمثله شيء لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله»**[٣].

الفرق بين التحريف والتعطيل:

---

(١) **الكرَّامية:** نسبة إلىٰ أبي عبد الله محمد بن كرام، المتوفىٰ سنة خمسة وخمسين ومائتين، كان من زهاد سجستان، غرَّ الناس بزهده، تعتقد الكرّامية أن الله تعالىٰ جسم وجوهر ومحل للحوادث، ويقولون بالإرجاء، وهم طوائف متعددة. [**انظر:** الفرق بين الفرق، لأبي منصور الأسفراييني، صـ(٢٠٢-٢٠٤)، والملل والنحل، للشهرستاني (١/ ١٠٨)].

(٢) **انظر:** مقاييس اللغة، ولسان العرب، مادة «عَطَل».

(٣) **انظر:** شرح العقيدة الأصفهانية، لابن تيمية، صـ(٤١).

يمكن التفريق بين التحريف والتعطيل من ثلاثة أوجه:

أحدها: أن التحريف في الدليل، والتعطيل في المدلول.

مثال: قوله تعالىٰ: ﴿بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ﴾[المائدة:٦٤].

يقول المحرِّف: أي قوتاه.

أما المعطِّل فيقول: لا أثبت يدا حقيقية.

الثاني: أن التحريف: نفي المعنىٰ الصحيح الذي دلت عليه النصوص، واستبداله بمعنىٰ آخر غير صحيح.

التعطيل: نفي المعنىٰ الصحيح من غير استبداله.

الثالث: بينهما عموم وخصوص مطلق، أي كلما وُجد التحريف وُجد التعطيل دون العكس، فكل محرِّف معطِّل، وليس كل معطِّل محرِّف.

قوله: «ومن غير تكييف»: أي من غير تعيين كيفية الصفة، وتكييفُ صفات الله هو تعيين كيفيتها، والهيئة التي تكون عليها؛ كأن تُذكر كيفية الصفة من غير ذكر مماثل لها، فإن ذُكر مماثل لها كان تمثيلا.

وصفات الله تعالىٰ لها كيفية لا يعلمها إلا هو سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ؛ لقوله تعالىٰ: ﴿قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلۡإِثۡمَ وَٱلۡبَغۡيَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَأَن تُشۡرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٣٣﴾

[الأعراف:٣٣].

وقولـــــه: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾[الإسراء:٣٦]، أي لا تتبع ما ليس لك به علم.

وكيفية الشيء لا تدرك إلا بواحدة من أمور ثلاثة:

١ - مشاهدته.

٢ - مشاهدة نظيره.

٣- خبر الصادق عنه.

ونحن لم نشاهد الله، ولم نشاهد نظيره، ولم يخبرنا أحد عن كيفية صفاته، فلا يجوز لنا أن نكيِّفه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأما الكيف فهو التأويل الذي لا يعلمه إلا الله وهو المجهول لنا»[(١)].

وسُئل الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن كيفية الاستواء، فأطرق مالك برأسه حتى علاه العرق، ثم رفع رأسه وقال: «**الْكَيْفُ غَيْرُ مَعْقُولٍ، وَالاسْتِوَاءُ مِنْهُ غَيْرُ مَجْهُولٍ، وَالْإِيمَانُ بِهِ وَاجِبٌ، وَالسُّؤَالُ عَنْهُ بِدْعَةٌ، فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ تَكُونَ ضَالًّا**»، وَأَمَرَ بِهِ

---

(١) انظر: درء تعارض العقل والنقل، لابن تيمية (٥/ ٢٣٥).

فَأُخْرِجَ[(١)].

قوله: «الكيف غير معقول»: أي كيفية الاستواء مجهولة؛ لأن العقل لا يُدْرِك الكيف.

قوله: «الاستواء منه غير مجهول»: أي من حيث المعنىٰ معلوم، وهو العلو.

قوله: «والإيمان به واجب»: لأن الله أخبر به عن نفسه، فوجب تصديقه.

قوله: «والسؤال عنه بدعة»: أي السؤال عن الكيفية بدعة؛ لأن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وهم أحرص منا علىٰ الخير لم يسألوا عن الكيفية.

صورة التكييف: أن يقول القائل: كيفية صفة الاستواء كذا وكذا، من غير أن يقيدها بمماثل.

والواجب علينا أن نقول: نؤمن بالصفة، والكيفيةُ لا يعلمها إلا الله.

فإذا قيل: كيف الاستواء؟ أو كيف الرضا؟ أو كيف الرحمة؟ أو كيف الغضب؟ ونحو ذلك.

قلنا: كل هذه الصفات معلومة المعنىٰ، لكن كيفيتها غير معقولة لنا.

---

(١) انظر: حلية الأولياء، لأبي نعيم (٦/ ٣٢٥)، والأسماء والصفات، للبيهقي (٢/ ٣٠٥)، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، للالكائي (٣/ ٤٤١).

وإذا قيل: كيف ينزل؟

نقول: النزول معلوم، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة.

وإذا قيل: كيف يغضب؟

نقول: الغضب معلوم، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة.

وإذا قيل: ما كيفية يده؟

نقول: اليد معناها معلوم، والكيف غير معقول، والإيمان بها واجب، والسؤال عنها بدعة.

قوله: «ولا تمثيل»: أي أهل السنة يتبرؤون من تمثيل الله عَزَّوَجَلَّ بخلقه.

والتمثيل: هو التشبيه كمن يقول: الله سميع كسمعنا، ووجهه كوجوهنا، تعالىٰ الله عن ذلك.

ومن العلماء من يرىٰ أن التمثيل أعم من التشبيه، فالتمثيل يقتضي المشابهة من جميع الوجوه، أما التشبيه فيقتضي المشابهة من بعض الوجوه[١]، ولفظ «**التمثيل**» أولىٰ من لفظ «**التشبيه**»؛ لأن لفظ التمثيل نفاه الله بنص كتابه حيث قال: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾[الشورىٰ:١١]،

---

(١) انظر: بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، لابن تيمية (٣/ ١٣٤).

وقال: سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا﴾ [مريم:٦٥].

أما لفظ «**التشبيه**»، فلم يرد في كتاب الله، ولا سنة رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ(١).

والتمثيل: من فعل المجسِّم، فهم يقولون: صفة يد الله مثل صفة يد الإنسان، وهكذا.

وأهل السنة يؤمنون بالنصوص بلا تمثيل ولا تحريف، بل يثبتون النصوص علىٰ ما دلت عليه.

والأدلة علىٰ عدم جواز التمثيل كثيرة، منها:

١- قوله تعالىٰ: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾ [الشورىٰ:١١].

٢- قوله تعالىٰ: ﴿هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا﴾ [مريم:٦٥].

٣- قوله تعالىٰ: ﴿فَلَا تَضۡرِبُواْ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡثَالَۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٧٤﴾ [النحل:٧٤].

مسألة [١]: لماذا كرر المصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ لفظة: «من غير»؟

كرر المصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ «**من غير**»، فقال: «**من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل**»؛ لأن التحريف والتعطيل يتقاربان، وكذلك التكييف والتمثيل يتقاربان، لكن التكييف والتمثيل غير التحريف والتعطيل؛ فالتكييف والتمثيل يدخل فيه المجسِّمة،

---

(١) انظر: مجموع الفتاوىٰ (٣/ ١٦٦).

والتحريف والتعطيل يدخل فيه المعطِّلة، ولهذا قال العلماء: المُشبِّه يعبد صنما، والمعطِّل يعبد عدما، والموحِّد يعبد ربًّا ليس كمثله شيء له الأسماء الحسنىٰ والصفات العلىٰ[(١)].

مسألة [٢]: حكم المشبِّهة:

قال نُعَيم بن حمَّاد الخُزَاعي شيخ البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «من شبَّه الله بخلقه، فقد كفر، ومن أنكر ما وصف به نفسه، فقد كفر، وليس فيما وصف الله به نفسه، ولا رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تشبيه»[(٢)].

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ليس فيما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيه، فمن أثبت لله تعالىٰ ما وردت به الآيات الصريحة والأخبار الصحيحة، علىٰ الوجه الذي يليق بجلال الله تعالىٰ، ونفىٰ عن الله تعالىٰ النقائص، فقد سلك سبيل الهدىٰ»[(٣)].

وقال الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ معلقا علىٰ كلام نعيم بن حماد المتقدِّم: «هذا الكلام حق، نعوذ بالله من التشبيه، ومن إنكار أحاديث الصفات، فما ينكر الثابت منها من فَقُهَ، وإنما بعد الإيمان بها هنا مقامان

(١) انظر: منهاج السنة النبوية (٢/ ٥٢٦)، والصواعق المرسلة في الرد علىٰ الجهمية والمعطلة (١/ ١٤٨).

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي (١٠/ ٦١٠).

(٣) انظر: تفسير ابن كثير (٣/ ٤٢٧).

مذمومان:

المقـام الأول: تأويلهـا وصـرفها عـن موضـوع الخطـاب، فمـا أوَّلهـا السـلف، ولا حرفـوا ألفاظهـا عـن مواضـعها، بـل آمنـوا بهـا، وأمرُّوها كما جاءت.

المقـام الثـاني: المبالغـة في إثباتهـا، وتصـورها مـن جـنس صـفات البشـر، وتشـكلها في الـذهن، فهـذا جهـل وضـلال، وإنمـا الصـفة تابعـة للموصوف، فإذا كان الموصوف عَزَّوَجَلَّ لم نره، ولا أخبرنا أحد أنه عاينه مع قوله لنا في تنزيله: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾[الشورىٰ:١١]، فكيف بقي لأذهاننا مجال في إثبات كيفية البـارئ - تعـالىٰ الله عـن ذلـك - فكـذلك صـفاته المقدسـة، نقـرُّ بهـا، ونعتقـد أنهـا حـق، ولا نمثِّلهـا أصـلا، ولا نتشكَّلها»[1].

مسألة [٣]: ما معنىٰ «صورته» في قول النبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «إِنَّ اللهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَىٰ صُورَتِهِ»[2]؟

ذكر العلماء عدة تفسيرات لذلك، منها:

الأول: أنها صورة من الصور التي خلقها الله وصوَّرها، يعني أن الله هـو الـذي صـوَّر آدم علـىٰ هـذه الصـورة، كمـا قـال تعـالىٰ: ﴿وَلَقَدۡ

(١) انظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي (١٠/ ٦١٠-٦١١).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٦١٢)، عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ.

خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ ﴾[الأعراف:١١].

الثاني: أنها إضافة تشريف، كناقة الله، وبيت الله، وكل شيء أضافه الله إلىٰ نفسه وهو منفصل بائن عنه فهو من المخلوقات.

الثالث: المراد الصورة الإجمالية، فلا يلزم منه التشبيه، بل لآدم يد، ولله يد، ولآدم وجه، ولله وجه، وليس بينهما تشابه[(١)].

مسألة [٤]: ما الفرق بين التكييف والتمثيل؟

فرَّق العلماء بين التكييف والتمثيل من ثلاثة أوجه:

أحدها: بينهما عموم وخصوص مطلق؛ لأن كل ممثل مكيف، وليس كل مكيف ممثلا.

الثاني: التمثيل هو ذكر الصفة مقرونة بمماثل، أما التكييف فهو ذكر الصفة غير مقرونة بمماثل.

من التمثيل: قولهم: يد فلان مثل يد فلان.

ومن التكييف: قولهم: يد فلان كذا وكذا.

الثالث: الكيفية لا تكون إلا في الصفة والهيئة، والتمثيل يكون في ذلك وفي العدد، كما قال تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾[الطلاق:١٢]، أي في العدد.

مسألة [٥]: أقسام التشبيه:

---

(١) انظر: بيان تلبيس الجهمية (٦/ ٥٣٠، وما بعدها).

التشبيه ثلاثة أقسام:

الأول: أن يجعل صفة من صفات الله تعالىٰ مشبهة لصفة من صفات المخلوقين.

الثاني: أن يجعل صفة من صفات المخلوقين مشبهة لصفة من صفات الله تعالىٰ.

الثالث: أن يشبِّه الله تعالىٰ بالمعدومات أو المستحيلات، وذلك بنفي أسمائه وصفاته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، والمعدوم والمستحيل لا صفة لهما.

مسألة [٦]: أقسام التشبيه من حيث الحقيقةُ:

التشبيه من حيث الحقيقةُ قسمان:

الأول: أن يكون الشبيه موافقا للمثيل والمِثل، وهذا إذا أريد بالمشابهةِ المشابهة التامة في الكيفية، وفي تمام معنىٰ الصفة.

الثاني: أن يكون الشبيه غير موافق للمثيل والمِثل، وهذا إذا أريد بالمشابهة المشابهة الناقصة في الكيفية، وهي الاشتراك في أصل معنىٰ الاتصاف.

مسألة [٧]: حقيقية لفظ المشابهة:

لفظ المشابهة لفظ مجمل لا يُنفىٰ ولا يُثبت، ولا فرق بين معنىٰ المشابهة ومعنىٰ المماثلة في قول أهل السنة: إن الله لا يماثله شيء، ولا يشابهه شيء.

أما المشابهة التي هي الاشتراك في المعنىٰ، فنعلم قطعا أن الله لم ينفها؛ لأنه سمىٰ نفسه بالملك، فقال: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٤﴾ [الفاتحة:٤]، وسمىٰ بعض خلقه بالملك، فقال: ﴿وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ﴾[يوسف:٤٣].

مسألة [٨]: أنواع المشابهة:

المشابهة ثلاثة أنواع:

أحدها: مشابهة في الكيفية.

الثاني: مشابهة في تمام الاتصاف، ودلالة الألفاظ علىٰ المعنىٰ بكمالها.

وهذان النوعان ممتنعان في حق الله تعالىٰ.

الثالث: مشابهة في أصل معنىٰ الصفة، وهو مطلق المعنىٰ، ليس بممتنعة.

وعلىٰ هذا أهل السنة ينفون المثلية؛ لأنها واضحة، ودلالتها غير مجملة بخلاف المشابهة.



٣- بَلْ يُؤْمِنُونَ بِأَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾[الشورىٰ:١١] .

الشـرح

قـولـه: «بل»: للإضراب الانتقالي، وهو الانتقال من كلام إلىٰ كلام، وقد تأتي «بل» عند الغلط، ومنه أن يقول: أكلتُ بل شربتُ، أراد أن يقول: شربتُ، فأخطأ فقال: أكلت، ثم استدرك فقال: شربتُ.

قـولـه: «بل يؤمنون»: إضراب عن تفصيل الكلام السابق.

قـولـه: «بِأَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾»: هذه الآية قاعدة عظيمة عند أهل السنة والجماعة في باب الأسماء والصفات؛ لأنها تشتمل علىٰ نفي وإثبات، وفيها رد علىٰ الممثلة والمعطلة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: طريقة السلف تتضمن إثبات الأسماء والصفات، مع نفي مماثلة المخلوقات، إثباتا بلا تشبيه، وتنزيها بلا تعطيل، كما قال تعالىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[الشورىٰ:١١]، ففي قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ رد للتشبيه والتمثيل الذين يمثلون صفات الله بصفات خلقه، وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾رد للإلحاد والتعطيل الذين يعطلون صفات الله

تعالىٰ[١].

مسألة [١]: ما السبب الذي دعا أهل التمثيل إلىٰ التمثيل؟

السبب أنهم قالوا: إن الله أنزل القرآن بلغة العرب، ومن المحال أن يخاطبنا بما لا نفهم، لذلك نثبت لله صفات مثل صفات المخلوقين.

أجاب عنهم أهل السنة بجوابين:

أحدهما: أنه لا يلزم من الاتفاق في المسميات الاتفاق في الصفات؛ فإن الله أثبت لنفسه السمع والبصر، وسائرُ المخلوقاتِ الحية تشترك في هاتين الصفتين، وهي تتباين فيما بينها، فسمع الحيوان غير سمع الإنسان، بل سمع الحيوانات أنفسها يختلف بعضها عن بعض، وكذلك البصر، والله تعالىٰ له المثل الأعلىٰ، سمعه لا يشبه سمع المخلوقين، وبصره لا يشبه بصر المخلوقين، وكذلك سائر صفاته جَلَّ وَعَلَا.

الثاني: أن صفات كل شيء بحسبه، فهي تختلف باختلاف ماهيته، فلو قلت: رأيت عينا، احتُمل أن تكون عين ماء، واحتُمل أن تكون عين جمل، واحتُمل أن تكون جاسوسا ... إلخ، والذي يحسم المعنىٰ هو السياق.

مسألة [٢]: ما السبب الذي دعا أهل التعطيل إلىٰ التعطيل؟

---

(١) انظر: التدمرية، لابن تيمية، صـ(٨).

السبب أنهم قالوا: إننا إذا أثبتنا لله الصفات، فقد شبهناه بالمخلوق.

ففروا من التمثيل، ووقعوا فيما هو أخطر وهو التعطيل.

أجاب عنهم أهل السنة بأن الله أثبت لنفسه الصفات ونفى عنها المشابهة والمماثلة، وهو أعلم بنفسه منا، أجعلتم أنفسكم أعلم بالله منه جَلَّ وَعَلَا؟

قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى:١١] .

مسألة [٣]: جاء النفي في الآية مجملا، والإثبات مفصلا.

فقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ نفي مجمل.

وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ إثبات مفصَّل.

وهذه طريق السلف في الإثبات والنفي، أنهم يثبتون إثباتا مفصلا، وينفون نفيا مجملا، وهي طريقة القرآن الكريم، بخلاف طريقة المبتدعة؛ فإنهم يثبتون إثباتا مجملا، وينفون نفيا مفصَّلا.

ومثال طريقة السلف في الإثبات: أنهم يثبتون الأسماء والصفات الواردة في الكتاب والسنة على وجه التفصيل، كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١]، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [التحريم:٢]، وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾﴾ [الحديد:٣]، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [إبراهيم:٤].

أما في النفي فينفون عن الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ النقائص والعيوب على وجه الإجمال، كما قال تعالى: ﴿فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا ۖ يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ ۚ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى:١١]، وقال تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٢٢]، وقال تعالى: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [الإخلاص:٣-٤].

ومثال طريقة المبتدعة: أنهم يصفون الرب تعالى بالصفات السلبية على وجه التفصيل، ولا يثبتون إلا وجودا مطلقا؛ فيقولون في النفي: لا موجود ولا معدوم، ولا حي ولا ميت، ولا جسم، ولا جوهر، ولا عالِم ولا جاهل، وليس بداخل العالَم ولا خارجه، ولا متصل به ولا منفصل عنه، ولا هو فوق العرش، ولا يشار إليه، ولا يَصعد إليه شيء، ولا ينزل منه شيء، ولا يقرب منه شيء، ولا يدنو من شيء، ولا يدنو إليه شيء[(١)].

وهذا القول فاسد عقلا وشرعا؛ لأنه يستلزم الجمع بين النقيضين، أحدهما إيمان والآخر كفر، فجمعوا في قولهم بين ما يستلزم الإيمان والكفر جميعا[(٢)].

---

(١) انظر: التدمرية، صـ(٨-١٦، ٦٠)، والجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٤/ ٤٥٣)، وبيان تلبيس الجهمية (٥/ ٢٨٦).

(٢) انظر: بيان تلبيس الجهمية (٥/ ٢٨٦)، ودرء تعارض العقل والنقل (١/ ١٤٦).

مسألة [٤]: معنى قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى:١١] .

اختلف العلماء في هذه الآية على أربعة أقوال:

أحدها: الكاف زائدة «صلة» أي زائدة في المعنى لا في اللفظ؛ للتأكيد، والتقدير: ليس مثله شيء، وهذا هو الصحيح؛ لكثرة الزيادة في الحروف في اللغة العربية.

ولا تأتي المؤكِّدات بحروف الصلة أو الزائدة إلا لعظم التوكيد، كقوله: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ١﴾ [القيامة:١].

الثاني: «**مثل**» زائدة، والتقدير: ليس كهو شيء، وهذا ضعيف؛ لأنه يندر الزيادة في الأسماء في اللغة العربية.

الثالث: «**مثل**» بمعنى صفة، والتقدير: ليس كصفته شيء.

الرابع: الكاف بمعنى «**مثل**»، والتقدير: ليس مثل مثله شيء[١]، والعرب في لغتها تنفي مثل المثل؛ لأن وجود المثل مستحيل، ولأنه لا يستحق أن يذكر فينفى مِثل المثل مبالغةً في نفي المثل.

مسألة [٥]: لماذا خُصَّ السمع والبصر دون غيرهما من الأسماء؟

لأن صفتي السمع والبصر من الصفات التي تشترك فيها أكثر

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٢٠/ ٤٧٦-٤٧٧)، والمفردات في غريب القرآن، صـ (٧٥٩)، وشرح العقيدة الواسطية، للشيخ ابن عثيمين (١/ ٢٠٨-٢٠٩).

المخلوقات الحية، مع ذلك تختلف فيما بينها في الحقيقة والكيفية.

فإن كان الأمر كذلك دل علىٰ أن إثبات السمع والبصر في المخلوقات إنما هو إثبات وجود لا إثبات مساواة.

مسألة [٦]: لماذا قدَّم النفي علىٰ الإثبات في الآية؟

من باب التخلية قبل التحلية، فنفىٰ العيب قبل إثبات الكمال أحسن.

مسألة [٧]: ثمرات الإيمان باسم الله «السميع»:

إذا آمن المسلم بأن الله يسمع كل صوتٍ فإنه يثمر ثمرات جليلة، منها:

١- أنه يعظِّم الله غاية التعظيم.

٢- سوف يحترز عن كل قول يغضب الله؛ لأنه يعلم أن الله يسمعه.

٣- لن يتكلم إلا بما يرضي الله لا سيما وإن تكلم عن شرعه.

مسألة [٨]: ثمرات الإيمان باسم الله «البصير»:

إذا آمن المسلم بأن الله يرىٰ كل شيء فإنه يثمر ثمرات جليلة، منها:

١- لن يفعل فعلا يغضب الله تعالىٰ.

٢- لن يفعل فعلا لا يرضاه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

٣- يستحي من الله كما يستحي من أقرب الناس إليه.

٤ - فَلَا يَنْفُونَ عَنْهُ مَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ.

٥ - وَلَا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ.

.... الشرح ....

قوله: «فَلَا يَنْفُونَ عَنْهُ مَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ»: أي أهل السنة والجماعة لا ينفون ما وصف الله به نفسه؛ لأنهم يتبعون النص نفيا وإثباتا، فكل ما وصف الله به نفسه يثبتونه علىٰ حقيقته، سواء كان من الصفات الذاتية، أو الصفات الفعلية.

والناس في إثبات الصفات علىٰ ثلاث فرق:

١ - نفاة: الجهمية، والمعتزلة.

٢ - صفاتية: الكُلَّابية، والماتريدية، والأشاعرة، سُموا بذلك؛ لأنهم يثبتون بعض الصفات.

٣- أهل السنة والجماعة.

قوله: «وَلَا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ»: أي أهل السنة والجماعة يؤمنون بأسماء الله، وما اشتملت عليه، ولا يخرجون بها عن حقائقها اللائقة، أي لا يغيرون كلام الله عن مدلوله، ومعناه الحقيقي كما يفعل المعطلة الذين يقولون: «استوىٰ» أي استولىٰ، أو في قوله تعالىٰ: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ [الفجر:٢٢]، يقولون: جاء أمر ربك.

مسألة:

كل من حرَّف فهو شبيه لليهود؛ لأن التحريف من دأب اليهود، كما قال تعالىٰ: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾[النساء:٤٦].

٦- وَلَا يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَاءِ اللهِ تعالىٰ، وَآيَاتِهِ.

٧- وَلَا يُكَيِّفُونَ، وَلَا يُمَثِّلُونَ صِفَاتِهِ بِصِفَاتِ خَلْقِهِ.

٨- لِأَنَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لَا سَمِيَّ لَهُ، وَلَا كُفءَ لَهُ، وَلَا نِدَّ لَهُ، وَلَا يُقَاسُ بِخَلْقِهِ.

٩- فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ أَعْلَمُ بِنَفْسِهِ وَبِغَيْرِهِ، وَأَصْدَقُ قِيلًا، وَأَحْسَنُ حَدِيثًا مِنْ خَلْقِهِ.

.... الشرح ....

قوله: «وَلَا يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَاءِ اللهِ تعالىٰ، وَآيَاتِهِ»: أي أهل السنة والجماعة لا يميلون ولا يعدلون عن الحقائق والمعاني الصحيحة في أسماء الله تعالىٰ وآياته إلىٰ الباطل.

الإلحاد لغة: الميل والعدول عن الشيء، ومنه قولهم: ألحد في الحرم إذا ترك القصد فيما أمر به، ومال إلىٰ الظلم[(١)].

ومنه اللحد في القبر، وهو الشق الذي يكون في جانب القبر موضع الميت؛ لأنه قد أُميل عن وسطه إلىٰ جانبه[(٢)].

والإلحاد في أسماء الله تعالىٰ هو الميل بها عما يجب فيها، وهو محرَّم بجميع أنواعه؛ لأن الله تعالىٰ هَدَّدَ الملحدين بقوله: ﴿وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ

---

(١) انظر: تهذيب اللغة، ولسان العرب، مادة «لحد».

(٢) انظر: لسان العرب، مادة «لحد».

﴿يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٨٠﴾[الأعراف:١٨٠]، ومنه ما يكون شركا، أو كفرًا، وهو أنواع:

الأول: أن ينكر شيئا منها، أو مما دلت عليه من الصفات والأحكام، كما فعل أهل التعطيل من الجهمية وغيرهم، وإنما كان ذلك إلحادا لوجوب الإيمان بها وبما دلت عليه من الأحكام والصفات اللائقة بالله، فإنكار شيء من ذلك ميل بها عما يجب فيها.

الثاني: أن يجعلها دالة علىٰ صفات تشابه صفات المخلوقين، كما فعل أهل التشبيه، وذلك لأن التشبيه معنىٰ باطل لا يمكن أن تدل عليه النصوص، بل هي دالة علىٰ بطلانه، فجعلُها دالةً عليه مَيلٌ بها عما يجب فيها.

الثالث: أن يسمىٰ الله تعالىٰ بما لم يسم به نفسه، كتسمية النصارىٰ له: «**الأب**»، وتسمية الفلاسفة إياه «**العلة الفاعلة**»، وذلك لأن أسماء الله تعالىٰ توقيفية، فتسمية الله تعالىٰ بما لم يسم به نفسه مَيلٌ بها عما يجب فيها، كما أن هذه الأسماء التي سموه بها نفسها باطلة، يُنَزَّه الله تعالىٰ عنها.

الرابع: أن يُشتق من أسمائه أسماء للأصنام، كما فعل المشركون في اشتقاق العزىٰ من العزيز، واشتقاق اللات من الإله، فسموا بها أصنامهم، وذلك لأن أسماء الله تعالىٰ مختصة به، لقوله تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَا﴾[الأعراف:١٨٠]، وقوله: ﴿لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ

﴿يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾[الحشر:٢٤]، فكما اختص بالعبادة وبالألوهية الحقة، وبأنه يسبِّح له ما في السماوات والأرض، فهو مختص بالأسماء الحسنىٰ، فتسمية غيره بها علىٰ الوجه الذي يختص بالله عَزَّوَجَلَّ مَيلٌ بها عما يجب فيها(١).

قوله: «وَلَا يُكَيِّفُونَ، ولَا يُمَثِّلُونَ صِفَاتِهِ بِصِفَاتِ خَلْقِهِ»: أي أهل السنة والجماعة يتميزون عن غيرهم بأنهم يثبتون لله عَزَّوَجَلَّ ما أثبته لنفسه، وأثبته له رسوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ علىٰ الوجه اللائق بها من غير تكييف، ولا تمثيل.

قال ابن القيم رَحِمَهُٱللَّهُ في نونيته:

لسنا نُشبِّه وصفَه بصفاتنا	إنَّ المشبِّه عابدُ الأوثانِ
كلا ولا نُخلِّيه من أوصافه	إنَّ المعطِّل عابدُ البهتانِ
من مثَّل الله العظيم بخلقِه	فهو النسيبُ لمشركٍ نصراني
أو عطَّل الرحمنَ من أوصافِه	فهو الكفُور وليس ذَا إيمانِ

قوله: «لِأَنَّهُ سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ»: هذا تعليل لما سبق بيانه من نفي التمثيل التكييف في صفات الله تعالىٰ.

وسبحان: أي أسبِّح الله تسبيحا، معناه أُنَزِّه لله وأبرِّئُهُ من الصاحبة والولد، ومما لا ينبغي أن يوصف به من النقائص والعيوب(٢).

---

(١) انظر: القواعد المثلىٰ في صفات الله وأسمائه الحسنىٰ، صـ (٢١-٢٢).

(٢) انظر: لسان العرب، مادة «سبح».

قوله: «لَا سَمِيَّ لَهُ»: أي لا نظير له يستحق مثل اسمه، كما قال تعالىٰ: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾ [مريم:٦٥]، أي نظيرا له يستحق اسمه، وموصوفا يستحق صفته علىٰ التحقيق.

وليس المعنىٰ لا يُسمَّىٰ بمثل أسمائه؛ إذ كان كثير من أسمائه تسمَّىٰ بها غيره كالسميع، والعزيز، والعليم، والحكيم؛ فإن الاشتراك إنما يكون في التسمية فقط، وليس في حقيقة الاسم[(١)].

قوله: «وَلَا كُفءَ لَهُ»: أي لا مكافئَ ولا مماثلَ له؛ لقوله تعالىٰ: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾[الإخلاص:٤].

قوله: «وَلَا نِدَّ لَهُ»: أي لا شبيهَ له ، ولا نظيرَ، ولا مِثلَ[(٢)]؛ لقوله تعالىٰ: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾[البقرة:٢٢].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا﴾ [البقرة:١٦٥].

والأنداد: جمع نِد، والنِّد: العِدل والمِثل، وكلُّ شيء كان نظير الشيء وشبيها فهو له نِد، كما قال حسان بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

أَتَهْجُوهُ وَلَسْتَ لَهُ بِنِدٍّ ... فَشَرُّكُمَا لِخَيْرِكُمَا الْفِدَاءُ

يعني بقوله: «ولست له بندٍّ»: لست له بمِثل، ولا عِدل[(٣)].

---

(١) انظر: المفردات في غريب القرآن، صـ(٤٢٩).

(٢) انظر: لسان العرب، مادة «ندد».

(٣) انظر: تفسير الطبري (١/ ٣٩٠).

قال الراغب الأصفهاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: التمثيل أعم الألفاظ الموضوعة للمشابهة، وذلك لأن **الند** يقال فيما يشارك في الذات فقط،

والشبه يقال فيما يشارك في الكيفية فقط،

والمساوي يقال فيما يشارك في الكمية فقط،

والشكل يقال فيما يشاركه في القَدْر والمساحة فقط،

والمِثل عام في جميع ذلك، ولهذا لما أراد الله تعالىٰ نفي التشبيه من كل وجه خصه بالذكر، فقال: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾[الشورى:١١][(١)].

قــولــه: «وَلَا يُقَاسُ بِخَلْقِهِ»: أي لا يُشبَّه اللهُ، ولا يُمثَّل بخلقه؛ إذ لا يجوز استعمال شيء من الأقيسة التي تقتضي المماثلة والمساواة بين المقيس والمقيس عليه، في الشؤون الإلهية؛ لقوله تعالىٰ: ﴿فَلَا تَضۡرِبُواْ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡثَالَ﴾[النحل:٧٤].

مسألة [١]: أقسام القياس:

القياس ثلاثة أقسام:

أحدها: قياس الشمول: هو الشامل لجميع أفراده، بحيث يكون كل فرد منه داخلا في مسمىٰ ذلك اللفظ ومعناه.

مثال: تقاس حياة المخلوقين بعضها علىٰ بعض من أجل شمولها لصفة الحياة.

---

(١) انظر: المفردات في غريب القرآن، صـ (٧٥٩).

وهذا النوع ممتنع في حق الله تعالىٰ، فلا تقاس مثلا حياة الله بحياة الإنسان من أجل شمولها اسم الحي.

الثاني: قياس التمثيل: هو أن يلحق الشيء بمثيله، فيجعل ما ثبت للخالق مثل ما ثبت للمخلوق، وهو ممتنع في حق الله تعالىٰ؛ لأن الله لا مثل له.

الثالث: قياس الأولوية: هو أن يكون الفرع أولىٰ بالحكم من الأصل، وهذا جائز في حق الله تعالىٰ؛ لقوله تعالىٰ: ﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [الروم:٢٧].

ومضمون هذا القياس أن كل ما ثبت للمخلوق لا نقص فيه بوجه من الوجوه فالخالق به أولىٰ، وكل نقص تنزه عن المخلوق فالخالق أحق بالتنزه عنه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لا تضرب له الأمثال التي فيها مماثلة لخلقه؛ فإن الله لا مثل له، بل له المثل الأعلىٰ، فلا يجوز أن يشترك هو والمخلوق في قياس تمثيل، ولا في قياس شمول تستوي أفراده، ولكن يُستعمل في حقه المثل الأعلىٰ، وهو أن كل ما اتصف به المخلوق من كمال فالخالق أَوْلَىٰ به، وكل ما تنزه عنه المخلوق من نقص فالخالق أَوْلَىٰ بالتنزيه عنه، فإذا كان المخلوق منزها عن مماثلة المخلوق مع الموافقة في الاسم، فالخالق أَوْلَىٰ أن يُنزه عن**

مماثلة المخلوق، وإن حصلت موافقة في الاسم»[1].

مسألة [٢]: مقصد شيخ الإسلام بهذه الكلمة:

أراد شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ بهذه الكلمة إبطالَ أصل أصَّله الجهمية والمعتزلة الذين اعتمدوا علىٰ عقولهم قائلين: ما أثبتته عقولنا أثبتناه، وما نفته عقولنا نفيناه.

لذلك نفوا صفات الذات، كالوجه، واليدين؛ لأنها تقتضي التجسيم، والعقلُ عندهم ينفي أن يتصف الله عَزَّوَجَلَّ بهذا.

أما أهل السنة والجماعة فيثبتون لله جميع الصفات؛ لأن العقل لا يمكنه أن يدرك كُنْه ذلك، فيثبتون لله مثلا يدين ليست كأيدي المخلوقين، ويثبتون له نزولا ليس كنزول المخلوق، وهكذا.

قوله: «فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ أَعْلَمُ بِنَفْسِهِ وَبِغَيْرِهِ»: أي أعلم بنفسه فيما وصف به نفسه، وأعلم بالذين وصفهم بصفات يشتركون في ألفاظها مع صفات الله عَزَّوَجَلَّ، أو يشتركون في جزء من المعنىٰ مع صفات الله وأسمائه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

وهذا تعليل لما سبق من وجوب إثبات ما أثبته الله لنفسه من الصفات، ومنع قياسه بخلقه، فإذا كان أعلم بنفسه وبغيره وجب أن يُثبت له من الصفات ما أثبته لنفسه، وأثبته له رسوله

---

(١) انظر: التدمرية، صـ (٥٠).

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

قـــولـه: «وَأَصْدَقُ قِيلًا، وَأَحْسَنُ حَدِيثًا مِنْ خَلْقِهِ»: أي لا أحد أصدق من الله قيلا، ولا حديثا، كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾﴾ [النساء:٨٧].

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾﴾ [النساء:١٢٢]، أي لا أحد أصدق منه قولا وخبرا، لا إله إلا هو، ولا رب سواه[(١)].

فما أخبر الله به فهو صدق وحق، يجب علينا أن نصدقه ولا نعارضه، وألفاظه أحسن الألفاظ وأفصحها وأوضحها، وقد بيَّن ما يليق به من الأسماء والصفات أتم بيان، فيجب قبول ذلك، والتسليم له.



(١) انظر: تفسير ابن كثير (٢/ ٤٢٦).

١٠- ثُمَّ رُسُلُهُ صَادِقُونَ مُصَدَّقُونَ بِخِلَافِ الَّذِينَ يَقُولُونَ عَلَيْهِ مَا لَا يَعْلَمُونَ.

١١- وَلِهَذَا قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾ [الصافات: ١٨٠-١٨٢].

١٢- فَسَبَّحَ نَفْسَهُ عَمَّا وَصَفَهُ بِهِ الْمُخَالِفُونَ لِلرُّسُلِ، وَسَلَّمَ عَلَىٰ الْمُرْسَلِينَ؛ لِسَلَامَةِ مَا قَالُوهُ مِنَ النَّقْصِ وَالْعَيْبِ.

.... الشرح ....

قوله: «ثُمَّ رُسُلُهُ صَادِقُونَ»: أي لم يخبروا بشيء عن الله جَلَّجَلَالُهُ كذبا، بل إنما يخبرون صدقا بما هو مطابق للواقع سواء كان متعلقا بالله كأسمائه وصفاته، أو بما شرع لعباده.

وصادقون: جمع صادق، والصادق اسم لمن قام به الصدق، والصدقُ: عكس الكذب، وهو مطابقة الخبر للواقع.

قوله: «مُصَدَّقُونَ»: أي يجب علىٰ الأمم أن تصدق بهم شرعا، فمن كذبهم فهو كافر، كمَا قال عَبْدُ اللهِ بنُ مَسْعُودٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وَهُوَ الصَّادِقُ المَصْدُوقُ(١).

قوله: «بِخِلَافِ الَّذِينَ يَقُولُونَ عَلَيْهِ مَا لَا يَعْلَمُونَ»: أي بخلاف

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٣٢٠٨)، ومسلم (٢٦٤٣).

الذين يقولون على الله بلا علم في شرعه ودينه، وفي أسمائه وصفاته؛ فالقول على الله بلا علم حرام، سواء كان في الأسماء والصفات، أو في الأمور الفقهية.

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾[الأعراف:٣٣].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ۚ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴿٣٦﴾﴾[الإسراء:٣٦]، يعني لا تتبع ما ليس به علم؛ لأنك ستُسأل يوم القيامة عن كل شيء سمعته، أو رأيته، أو اعتقدته.

وممن قال على الله بلا علم:

١ – المشركون الذين جحدوا بعض أسماء الله؛ كما قال تعالى عنهم: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَٰنِ﴾[الرعد:٣٠].

٢ – اليهود الذين زعموا أن الله فقير؛ كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾[آل عمران:١٨١].

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾[المائدة:٦٤].

٣– المعتزلة الذين قالوا: إن دلالة الصفات مترادفة ترادفا محضا؛ لأنها دالة على ذات بلا معنى، فيجعلون دلالة السميع هي دلالة العليم

هي دلالة البصير.

قوله: «وَلِهَذَا قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾»: تعليل لما سبق من كون كلام الله جَلَّجَلَالُهُ، وكلام رسله عَلَيْهِمُ السَّلَامُ أصدق وأحسن.

و﴿سُبْحَٰنَ﴾: اسم مصدر من التسبيح وهو تنزيه الله جل ثناؤه من كل سوء، أي: تبعيده منه، وكذلك تسبيحه تبعيده.

والتنزيهُ: التبعيد، تقول: سَبَحْتُ فِي الأَرْض إذا أَبْعَدْتَ فِيهَا، والعرب تقول: سبحان من كذا، أي ما أبعدَه.

والسُّبُّوح: هو الذي تنزَّه عن كل شيء لا ينبغي له[1].

﴿رَبِّكَ﴾: هذه ربوبية خاصة؛ حيث أضاف الربوبية إلىٰ النبي صَلَّىٰللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، من باب إضافة الخالق إلىٰ المخلوق، وهي للتشريف.

والربُّ في كلام العربِ يُطلق علىٰ مَعانٍ: منها المالكُ، والسَّيدُ المطاعُ، والمُصْلِحُ[2].

مسألة: التسبيح ورد في الكتاب والسنة علىٰ خمسة أقسام:

١ - تنزيه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عن الشريك في الربوبية كما ادعاه

---

(١) انظر: مقاييس اللغة، ولسان العرب، مادة «سبح».

(٢) انظر: لسان العرب، مادة «ربب».

الملحدون.

٢- تنزيه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عن الشريك في الألوهية كما ادعاه المشركون.

٣- تنزيه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في أسمائه وصفاته أن تسلب معانيها اللائقة بها، وتنزيهه سبحانه في أسمائه وصفاته عن مماثلة المخلوقين لها.

٤- تنزيه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في أمره الكوني، وقدره الكوني، عن أن يكون بلا حكمة، أو يكون عبثا؛ كما ادعاه من قال: خلقنا الله عبثا.

٥- تنزيه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في شرعه، وأمره الديني عن النقص، وعن منافاة الحكمة[١].

ومعنىٰ «سبحان ربي العظيم»: أنزِّه ربي العظيم عن كل سوء، ونقص في هذه الأمور الخمسة.

﴿رَبِّ ٱلۡعِزَّةِ﴾: العزة تعني القوة، والشدة، والغلبة[٢]، وإضافة الرب إلىٰ العزة إضافة موصوف إلىٰ صفة، أي صاحب العزة المتصف بها، وهذا يدل علىٰ أن الربوبية غير الألوهية.

مسألة: أنواع العزة:

---

(١) انظر: اللآلئ البهية في شرح العقيدة الواسطية (١/ ١٩٤).

(٢) انظر: مقاييس اللغة، مادة «عز»، والنهاية في غريب الحديث (٣/ ٢٢٨).

العزة في الكتاب والسنة التي يتصف الله بها، جاءت علىٰ ثلاثة معان:

١ - الامتناع والغنىٰ وعدم الحاجة، والامتناع عمن يغالب أو عمن يسيء.

٢ - القهر والغلبة.

٣ - القوة الخاصة التي يتصف بها سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ولا يقوىٰ عليها أحد.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في نونيته في بيان اسم العزيز[1]:

وهو العزيز فلن يُرام جَنابُه — أنىٰ يُرام جَنابُ ذي السلطان

وهو العزيز القاهر الغلَّاب لَم — يغلِبه شيء هذه صفتان

وهو العزيز بقوة هي وصفُه — فالعزُّ حينئذ ثلاث مَعَان

وعلىٰ هذا يصح أن نقول: ربُّ الرحمة، وربُّ السمع، وربُّ الجمال، ورب النور، بمعنىٰ المتصف بذلك.

﴿عَمَّا يَصِفُونَ﴾: أي عن الذي يصفه به المخالفون للرسل عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ مما لا يليق بجلاله.

﴿وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ﴾: أي الرسل الذين أرسلهم الله إلىٰ خلقه.

---

(١) انظر: نونية ابن القيم، صـ (٢٠٥).

والسلام معناه: التحية، وقيل: السلامة من المخاوف، والأهوال يوم القيامة[١]، كما تقدم.

﴿وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾: ثناء منه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ علىٰ نفسه مما له من نعوت الكمال، وأوصاف الجلال، وحميد الصفات.

﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: العالمين جمع عالَم، وهو الخلائق أجمعون، سُمِّي بذلك؛ لاجتماعه، أو لدلالته علىٰ خالقه، فكل منها عَلَمٌ علىٰ الرب جَلَّ وَعَلَا، أو لأن به عُلم ما يستحقه الله من صفات الكمال والجلال، وَجُمع؛ لتنوع المخلوقات، فكل نوع منها يسمىٰ عالما، فيقال: عالَم الإنسان، وعالَم الجن، وعالَم الحيوان، وعالَم الماء، وعالم النار[٢].

قال الشيخ محمد بن عبد الوهَّاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الرب هو الإله المعبود؛ فإن الرب وُضع للمعبود، كما وضع للمالك والمربِّي والخالق، وهذا من استعمال اللفظ في حقيقته اللغوية والشرعية[٣].

ما يستفاد من الآيات:

١ – تنزيه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عما يصفه به الضلال والجُهَّال مما لا يليق بجلاله.

---

(١) **انظر:** مقاييس اللغة، وتهذيب اللغة، ولسان العرب، مادة «سلم».

(٢) **انظر:** مقاييس اللغة، مادة «علم»، والمفردات في غريب القرآن، صـ (٥٨١-٥٨٢).

(٣) **انظر:** الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١٢/ ٢٢٦).

٢- صدق الرسل عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ، ووجوب الإيمان بما جاؤوا به وبما أخبروا به عن الله.

٣- مشروعية السلام علىٰ الرسل عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ، ووجوب توقيرهم واحترامهم.

٤- ردُّ كل ما يخالف ما جاءت به الرسل عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ، لا سيما ما يتعلق بأسماء الله وصفاته.

٥- مشروعية الثناء علىٰ الله وشكره علىٰ نعمه، التي من أجلها نعمة التوحيد.

قوله: «فَسَبَّحَ نَفْسَهُ عَمَّا وَصَفَهُ بِهِ الْمُخَالِفُونَ لِلرُّسُلِ، وَسَلَّمَ عَلَىٰ الْمُرْسَلِينَ؛ لِسَلَامَةِ مَا قَالُوهُ مِنَ النَّقْصِ وَالْعَيْبِ»: أي برَّأَ نفسه عما نسبه إليه أهل الشرك، والإلحاد، والضلال، وسلَّم علىٰ المرسلين؛ لسلامة ما قالوه من النقائص، والمعايب، ما لا يليق به جَلَّجَلَالُهُ.

مسألة: أنواع السلامة التي أعطاها الله لعباده المرسلين عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ:

١- سلامة الاعتقاد، فلا يعتقدون خلاف ما أعلمهم إياه.

٢- سلامة العبودية، فلا يخرجون عن عبوديته وطاعته جَلَّجَلَالُهُ.

٣- سلامة القول، وصحته، ومطابقته للواقع، وسلامة في الفهم.

٤- سلامة التبليغ، فلا يكتمون شيئا مما أمرهم الله بتبليغه.

١٣ - وَهُوَ سُبْحَانَهُ قَدْ جَمَعَ فِيمَا وَصَفَ وَسَمَّىٰ بِهِ نَفْسَهُ بَيْنَ النَّفْيِ وَالْإِثْبَاتِ.

الشـرح

قــولـه: «وَهُوَ سُبْحَانَهُ قَدْ جَمَعَ فِيمَا وَصَفَ وَسَمَّىٰ بِهِ نَفْسَهُ بَيْنَ النَّفْيِ وَالْإِثْبَاتِ»: هذا بيان للمنهج الرباني الذي يجب أن ينتهجه أهل الإسلام، وقد ذكره الله جَلَّجَلَالُهُ في كتابه المجيد لإثبات أسمائه وصفاته، فقد جمع الله بين النفي والإثبات، كما في قوله تعالىٰ: ﴿فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا ۖ يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ ۚ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾[الشورى:١١].

وقوله: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾[الإخلاص:١-٤].

قــولـه: «بين النفي»: أي نفي ما يضاد الكمال من أنواع العيوب والنقائص، كنفي النِّد، والشريك، والظلم، والسِّنة، والنوم.

قــولـه: «والإثبات»: أي إثبات صفات الكمال، ونعوت الجلال لله تعالىٰ، كقوله تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾[الحشر:٢٣-٢٤].

وقد تقدَّم أنَّ طريقة القرآن في النفي الإجمال، وطريقه في الإثبات التفصيل؛ لأن النفي لا يكون كمالا، ولا يمدح به المنفي عنه إلا إذا كان يراد به إثبات كمال الصفة.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: النفي لا يكون مدحا إلا إذا تضمن ثبوتا، والنفي المحض لا مدح فيه، ونفي السوء والنقص عنه يستلزم إثبات محاسنه وكماله، ولله الأسماء الحسنىٰ، وهكذا عامة ما يأتي به القرآن في نفي السوء والنقص عنه يتضمن إثبات محاسنه وكماله، كقوله تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞ﴾[البقرة:٢٥٥]، فنفي أخذ السِّنَة والنوم له يتضمن كمال حياته وقيوميته.

وقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٖ ٣٨﴾[ق:٣٨] يتضمن كمال قدرته، ونحو ذلك.

وقوله تعالىٰ: ﴿وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا ٤٩﴾[الكهف:٤٩] يتضمن كمال عدله.

والتسبيح المتضمن تنزيهه عن السوء ونفي النقص عنه يتضمن تعظيمه، ففي قوله: ﴿سُبۡحَٰنَكَ﴾ تبرئته من الظلم، وإثبات العظمة الموجبة له براءته من الظلم؛ فإن الظالم إنما يظلم لحاجته إلىٰ الظلم، أو لجهله، والله غني عن كل شيء، عليم بكل شيء، وهو غني بنفسه،

وكل ما سواه فقير إليه، وهذا كمال العظمة[(١)].

مسألة [١]: أنواع الصفات:

يُستفاد من كلام المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن صفات الله تعالىٰ نوعان:

أحدهما: صفات مثبَتة.

الآخر: صفات منفية، أو سلبية.

مسألة [٢]: تقسيم آخر لصفات الله تعالىٰ:

صفات الله تنقسم ثلاثة أقسام:

١ - **صفات كمال مطلق**: كالمتكلم، والفعَّال لما يريد، فهذه ثابتة لله تعالىٰ.

٢ - **صفات كمال مقيد**: لا يُوصف الله بها علىٰ الإطلاق إلا مقيدة؛ فهي صفات كمال إذا كانت في مقابلة من يفعلون ذلك، مثل المكر، والخداع، والاستهزاء، فنقول: الله ماكر بالماكرين، مستهزئ بالمنافقين.

٣- **صفات نقص علىٰ الإطلاق**: كالعجز، والخيانة، والعمىٰ، والصمم، فهذه لا يوصف الله بها بأي حال من الأحوال؛ لأنها نقص علىٰ الإطلاق.

مسألة [٣]: لماذا لم يسمِّ الله نفسه بالمتكلِّم؟

---

(١) انظر: مجموع الفتاوىٰ (١٠/ ٢٥٠).

لم يسمِّ الله نفسه بالمتكلم؛ لأن الأسماء كلها حسنىٰ؛ لقوله تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ [الأعراف:١٨٠]، أي ليس فيها أي شيء من النقص، والكلام قد يكون خيرًا، أو شرًّا، وقد لا يكون خيرا ولا شرًّا، ولا ينسب إلىٰ الله الشر ولا اللغو، وإنما يُنسبُ إليه الخير.

مسألة [٤]: طرق إثبات الصفات:

١- دلالة الأسماء عليها: فكل اسم متضمِّن صفة، فالرحيم متضمن صفة الرحمة، والحي متضمن صفة الحياة، والعظيم متضمن صفة العظمة.

٢- أن يُنص علىٰ الصفة: كالوجه، واليدين، والعينين.

٣- أن تؤخذ من الفعل: مثل المتكلِّم من قوله تعالىٰ: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ١٦٤﴾[النساء:١٦٤].

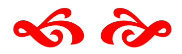
وبناء علىٰ ذلك نقول: الصفات أعم من الأسماء؛ لأن كل اسم متضمن لصفة، وليس كل صفة متضمنة لاسم.

مسألة [٥]: الفائدة من النفي:

الفائدة من النفي إثبات كمال الضد، وقد يكون المراد منه إثبات صفة واحدة، وقد يكون النفي لإثبات صفتين معا.

مثال إثبات صفة واحدة: قوله تعالىٰ: ﴿لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞ﴾ [البقرة:٢٥٥].

مثال إثبات صفتين: قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَيْءٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾﴾ [فاطر: ٤٤]، فالعجز إما أن يكون لعدم العلم، أي ليس بعالم به، أو يكون لعدم القدرة، وهنا المراد من النفي إثبات الصفتين: العلم والقدرة؛ لذا قال تعالىٰ: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾﴾، وكلمةُ ﴿إِنَّهُۥ﴾ في القرآن من أساليب التعليل لما قبلها إذا كان خبرا، أو أمرا، أو نهيا، أو حُكما، أو استفهاما[1].



(١) انظر: التدمرية، ص (٥٧-٦٥)، واللآلئ البهية في شرح العقيدة الواسطية (١/ ٢٠٣-٢٠٤).

١٤- فَلَا عُدُولَ لِأَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ عَمَّا جَاءَتْ بِهِ الْمُرْسَلُونَ.

١٥- فَإِنَّهُ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ، صِرَاطُ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ، وَالصِّدِّيقِينَ، وَالشُّهَدَاءِ، وَالصَّالِحِينَ.

.... الشرح ....

قوله: «فَلَا عُدُولَ لِأَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ عَمَّا جَاءَتْ بِهِ الْمُرْسَلُونَ»: أي لا ميل، ولا انحراف لأهل السنة عما جاء به المرسلون عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، بل هم متَّبعون للمرسلين، أما غيرهم فاتبعوا اليهود والنصارىٰ وسائر أهل الضلال.

فنفي الأسماء مأخوذ من المشركين، الذين نفوا اسم الله «**الرحمن**»، كما قال تعالىٰ: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ﴾[الرعد:٣٠].

مسألة: هل كل ما ورد عن الرسل عَلَيْهِمُ السَّلَامُ شرع لنا؟

شرع من قبلنا ثلاثة أقسام:

١- ما شهد شرعنا بصدقه: فهذا صحيح، ونأخذ بشرعنا أولىٰ.

٢- ما شهد شرعنا بكذبه: يجب الإعراض عنه.

٣- ما سكت عنه شرعنا: لا نؤمن به، ولا نكذبه، وتجوز حكايته؛ لقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً، وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ**»[1].

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٣٤٦١)، عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

أي لا ضيق عليكم في الحديث عنهم؛ لأنه كان تقدم منه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الزجر عن الأخذ عنهم والنظر في كتبهم، ثم حصل التوسع في ذلك، وكأن النهي وقع قبل استقرار الأحكام الإسلامية والقواعد الدينية خشية الفتنة، ثم لما زال المحذور وقع الإذن في ذلك؛ لما في سماع الأخبار التي كانت في زمانهم من الاعتبار(١).

قوله: «فَإِنَّهُ»: أي طريق أهل السنة والجماعة، وهو ما جاءت به الرسل عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

قوله: «الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ»: أي الذي لا اعوجاج فيه، ولا انحراف.

والصراط على وزن فِعال، بمعنى مفعول، أي: مصروط، مثل فِراس بمعنى مفروس، والصراط: هو الطريق الواسعة المستقيمة التي لا اعوجاج فيها، ولا صعود، ولا نزول(٢).

قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾[الأنعام:١٥٣].

قوله: «صِرَاطُ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ»: كما قال تعالى: ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾[الفاتحة:٦-٧].

والنعمة: هي كل فضل وإحسان من الله تعالى، وهي نوعان:

---

(١) انظر: فتح الباري (٦/ ٤٩٨).

(٢) انظر: المفردات في غريب القرآن، صـ (٤٨٣).

أحدهما: **نعمة عامة**: هي ما كانت سببا في صلاح الأبدان.

الآخر: **نعمة خاصة**: هي ما كانت سببا في صلاح الأديان.

قوله: «مِنَ النَّبِيِّينَ»: أي الذين اختصهم الله بنبوته، أو رسالته.

قوله: «وَالصِّدِّيقِينَ»: جمع صدِّيق وهو المبالغ الصدق والتصديق، والانقياد لله ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مع كمال الإخلاص لله[1].

قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ۝٣٣﴾[الزُّمَر:٣٣].

وقال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ ۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾[الحديد:١٩].

مسألة: أنواع الصدق:

الصدق يكون في الاعتقاد، والكلام، والأفعال، والقتال.

والصدق في الاعتقاد: أن يكون اعتقاده موافقا لما جاء به النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأن يكون مخلصا لله تعالىٰ.

والصدق في الكلام: أن يكون القول مطابقا للواقع.

والصدق في الأفعال: أن تكون الأفعال مطابقة لما جاء به النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٧/ ٢١٠-٢١١)، وتفسير البغوي (٢/ ٢٤٧).

والصدق في القتال: إذا وفىٰ حقه، وفعل ما يجب وكما يجب(١).

قوله: «وَالشُّهَدَاءِ»: جمع شهيد، وهو المقتول في سبيل الله، سُمي بذلك؛ لقيامه بشهادة الحق حتىٰ قتل(٢).

وقيل: لأنه مشهود له بالجنة، ولأن ملائكة الرحمة تشهده.

وقيل: الشهداء هم العلماء؛ لقوله تعالىٰ: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ﴾ [آل عمران:١٨]، فجعل أهل العلم شاهدين بما شهد الله لنفسه، ولأنهم يشهدون للرسل بالبلاغ، وعلىٰ الأمة بالتبليغ.

والآية تحتمل القولين.

قوله: «وَالصَّالِحِينَ»: جمع صالح، وهو كل من صلُحت سريرته وعلانيته(٣)، وهو القائم بحقوق الله وحقوق عباده، وهذا من باب عطف العام علىٰ الخاص.

قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾﴾ [النساء:٦٩].

يعني: من عمل بما أمره الله ورسوله، وترك ما نهاه الله عنه ورسوله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإن الله عَزَّ وَجَلَّ يُسكنه دار كرامته، ويجعله

(١) انظر: المفردات في غريب القرآن، صـ(٤٧٩).
(٢) انظر: تفسير الطبري (٧/ ٢١١)، وتفسير البغوي (٢/ ٢٤٧).
(٣) انظر: تفسير الطبري (٧/ ٢١١).

مرافقا للأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، ثم لمن بعدهم في الرتبة، وهم الصديقون، ثم الشهداء، ثم عموم المؤمنين، وهم الصالحون الذين صلحت سرائرهم وعلانيتهم[١].

❁❁❁❁❁

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٢/ ٣٥٣).

[الإيمان بما وصف الله به نفسه في كتابه]

وَقَدْ دَخَلَ فِي هَذِهِ الْجُمْلَةِ:

١٦- مَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ فِي سُورَةِ الْإِخْلَاصِ الَّتِي تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ.

١٧- حَيْثُ يَقُولُ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [الإخلاص:١-٤].

الشــرح

قــولـه: «وَقَدْ دَخَلَ فِي هَذِهِ الْجُمْلَةِ»: يحتمل أن يريد بها قوله: «وَهُوَ سُبْحَانَهُ قَدْ جَمَعَ فِيمَا وَصَفَ وَسَمَّىٰ بِهِ نَفْسَهُ بَيْنَ النَّفْيِ وَالْإِثْبَاتِ».

ويحتمل أن يريد ما سبق من أن أهل السنة والجماعة يصفون الله تعالىٰ بما وصف به نفسه، وما وصفه به رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وعلىٰ كلا الاحتمالين، فإن هذه السورة وما بعدها داخلة في ضمن ما سبق.

والاحتمال الثاني أنسب وأحسن؛ لأن ما ذكر من الآي من بعد سورة الإخلاص وآية الكرسي قد لا يكون فيه نفي وإثبات.

قــولــه: «مَا وَصَـفَ بِـهِ نَفْسَـهُ»: يـدخل فيـه الأسـماء، والصـفات، والأفعال؛ لأنها تدخل جميعا في إطلاق اسم صفات الله تعالىٰ.

قــولــه: «فِـي سُـورَةِ الْإِخْلَاصِ»: السـورة عبـارة عـن آيـات مـن كتاب الله، سميت بذلك؛ لأنها كالبنيان الذي أحـاط بـه السُّـور[(١)]، وبـدأ بها المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ لفضلها.

والإخـلاص بمعنـىٰ التنقيـة، سـميت سـورة الإخـلاص بـذلك؛ لأنهـا تتضـمن الإخـلاص لله تعـالىٰ، ولأنهـا أخلصـت الخـبر عـن الله، وخلَّصت قارئها من الشرك الاعتقادي[(٢)].

قــولـــه: «الَّتِـــي تَعْـدِلُ ثُلُــثَ الْقُــرْآنِ»: أي تســاوي ثلــث القـرآن؛ لقـول النبـي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَيَعْجِـزُ أَحَـدُكُمْ أَنْ يَقْـرَأَ ثُلُـثَ الْقُـرْآنِ فِـي لَيْلَـةٍ؟» فَشَـقَّ ذَلِـكَ عَلَـيْهِمْ وَقَـالُوا: أَيُّنَـا يُطِيـقُ ذَلِـكَ يَـا رَسُولَ اللهِ؟ فَقَالَ: «اللهُ الوَاحِدُ الصَّمَدُ ثُلُثُ القُرْآنِ»[(٣)].

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَجُلًا سَـمِعَ رَجُـلًا يَقْـرَأُ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَـدٌ ۝١﴾ [الإخلاص:١] يُرَدِّدُهَا، فَلَمَّا أَصْبَحَ جَاءَ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرَ ذَلِـكَ لَـهُ، وَكَـأَنَّ الرَّجُلَ يَتَقَالُّهَـا، فَقَـالَ رَسُـولُ اللهِ

---

(١) انظر: مقاييس اللغة، مادة «سور»، والمفردات في غريب القرآن، صـ(٤٣٣-٤٣٤).

(٢) انظر: فتح الباري (٩/ ٦١).

(٣) صحيح: رواه البخاري (٥٠١٥)، عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّهَا لَتَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ**»[1]، والمراد الجزاء والأجر، لا في الإجزاء؛ أي لا تجزئ عن قراءة القرآن.

قوله: «ثلث القرآن»: قيل: باعتبار معاني القرآن؛ لأنه أحكام، وأخبار، وتوحيد، وقد اشتملت سورة الإخلاص علىٰ القسم الثالث وهو التوحيد، فكانت ثلثا بهذا الاعتبار.

وقيل: إنَّ ثواب قراءتها يحصل للقارئ مثل ثواب من قرأ ثلث القرآن[2].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: تضمنت هذه السورة إثبات كل كمال لله تعالىٰ، ونفي كل نقص عنه، ونفي إثبات شبيه أو مثيل له في كماله، ونفي مطلق الشريك عنه، وهذه الأصول هي مجامع التوحيد العلمي الاعتقادي الذي يباين صاحبه جميع فرق الضلال والشرك، ولذلك كانت تعدل ثلث القرآن، والأحاديث في ذلك تكاد تبلغ مبلغ التواتر[3].

مسألة [١]: اعتبارات تسمية سور القرآن:

١- ذكر كلمة في السورة ليست في غيرها، كسورة الهُمَزة، وسورة التكاثر.

٢- ذكر قصة في السورة مفصَّلة فيها عما في غيرها من

---

(١) **صحيح:** رواه البخاري (٥٠١٣).

(٢) **انظر:** النهاية في غريب الحديث (١/ ٢١٨-٢١٩)، وفتح الباري (٩/ ٦١).

(٣) **انظر:** زاد المعاد (١/ ٣٠٦).

السور، كسورة البقرة، وسورة الفيل.

٣- اعتبار المعنىٰ الذي في السورة، وبه سُميت سورة الإخلاص.

مسألة [٢]: سبب نزول سورة الإخلاص:

عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ الْمُشْرِكِينَ قَالُوا لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: انْسُبْ لَنَا رَبَّكَ، فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢﴾ [الإخلاص:١-٢][1].

قوله: «حَيْثُ يَقُولُ: ﴿قُلْ﴾»: أي قل يا محمد لهؤلاء السائلين عن نسب ربك وصفته، ومَن خلقه[2]، وهذا فيه دليل علىٰ أن القرآن كلام الله؛ إذ لو كان كلام محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أو غيره لم يقل: قل.

قوله: «﴿هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾»: أي الواحد الأحد، الذي لا نظير له ولا وزير، ولا نديد، ولا شبيه، ولا عديل، ولا يطلق هذا اللفظ علىٰ أحد في الإثبات إلا علىٰ الله عَزَّ وَجَلَّ؛ لأنه الكامل في جميع صفاته وأفعاله[3].

وإنما قال: أحد، ولم يقل: واحد؛ لأن واحد لا تدل علىٰ النفي

---

(١) **حسن**: رواه الترمذي (٣٣٦٤)، وأحمد (٢١٢١٩)، وحسنه الألباني.

(٢) **انظر**: تفسير الطبري (٢٤/ ٧٢٩).

(٣) **انظر**: تفسير ابن كثير (٨/ ٥٢٨).

المطلق بخلاف أحد[1]، فقولك: لا أحد في الدار، أعمُّ في النفي من قولك: لا واحد في الدار؛ إذ لو قلت: لا واحد في الدار، لم يمتنع وجود اثنين أو أكثر بخلاف لو قلت: لا أحد في الدار، فيمتنع الوجود مطلقا.

قوله: «﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾»: أي الذي يصمد الخلائق إليه في حوائجهم ومسائلهم، أي تميل إليه، وتنتهي إليه، وترفع إليه حوائجها، فهو بمعنىٰ الذي يحتاج إليه كل أحد.

وقيل: هو السيد الذي قد كمُل في سُؤْدُدِهِ، والشريف الذي قد كمُل في شرفه، والعظيم الذي قد كمُل في عظمته، والحليم الذي قد كمُل في حلمه، والعليم الذي قد كمُل في علمه، والحكيم الذي قد كمُل في حكمته، وهو الذي قد كمُل في أنواع الشرف والسُّؤْدُد، وهو الله سبحانه، هذه صفته لا تنبغي إلا له، ليس له كفءٌ، وليس كمثله شيء، سبحان الله الواحد القهار.

وقيل: الذي لا جوف له، أي لا أمعاء ولا بطن.

وقيل: هو الذي لا يأكل، ولا يشرب.

وقيل: هو الباقي بعد خلقه.

وكل هذه الأقوال صحيحة، وهي صفات ربنا عَزَّوَجَلَّ[2].

---

(١) انظر: المفردات في غريب القرآن، صـ(٦٧).

(٢) انظر: المفردات في غريب القرآن، صـ(٤٩٢)، وتفسير ابن كثير (٨/ ٥٢٨-٥٢٩).

قوله: «﴿لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ﴾»: أي ليس له ولد، ولا والد، ولا صاحبة[١]، هذا فيه رد علىٰ من نسب إلىٰ الله الولد، كالنصارىٰ، ومشركي العرب.

قوله: «﴿وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ٤﴾»: أي ليس له مكافئ، ولا مماثل، ولا نظير[٢].

الشاهد من ذكر السورة: أنها جمعت بين النفي والإثبات، أي الصفات الثبوتية، والصفات السلبية.

فالصفات الثبوتية: الألوهية من ﴿ٱللَّهُ﴾، والأَحَدية من ﴿أَحَدٌ﴾، والصمدية من ﴿ٱلصَّمَدُ﴾.

الصفات السلبية: ﴿لَمۡ يَلِدۡ﴾، و﴿وَلَمۡ يُولَدۡ﴾، و﴿ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ٤﴾.

---

(١) **انظر:** تفسير ابن كثير (٨/ ٥٢٩).

(٢) **انظر:** المفردات في غريب القرآن، صـ (٧١٨).

[آية الكرسي]

١٨- وَمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ فِي أَعْظَمِ آيَةٍ فِي كِتَابِهِ.

١٩- حَيْثُ يَقُولُ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ [البقرة:٢٥٥]، أَيْ لا يُكْرِثُهُ، وَلَا يُثْقِلُهُ.

٢٠- وَلِهَذَا كَانَ مَنْ قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ فِي لَيْلَةٍ لَمْ يَزَلْ عَلَيْهِ مِنَ اللهِ حَافِظٌ، وَلَا يَقْرَبُهُ شَيْطَانٌ حَتَّىٰ يُصْبِحَ.

.... الشـــرح ....

قــولــه: «وَمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ فِي أَعْظَمِ آيَةٍ فِي كِتَابِهِ»: لحديثِ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا أَبَا الْمُنْذِرِ، أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟» قَالَ: قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «يَا أَبَا الْمُنْذِرِ أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟» قَالَ: قُلْتُ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [البقرة:٢٥٥]، قَالَ: فَضَرَبَ

فِي صَدْرِي، وَقَالَ: «وَاللهِ لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ أَبَا الْمُنْذِرِ»(١).

إنما تميزت آية الكرسي بكونها أعظم؛ لأنها جمعت أصول الأسماء والصفات من الإلهية والوحدانية والحياة والعلم والملك والقدرة والإرادة، وهذه السبعةُ هي أصولُ الأسماء والصفات(٢).

وسميت بآية الكرسي؛ لاشتمالها علىٰ ذكر كرسي الله تعالىٰ، ولم يرد ذكر الكرسي في غيرها من الآيات.

قوله: «﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾»: هذا إخبار بأنه المتفرد بالإلهية لجميع الخلائق، فلا يستحق العبادة الحقة إلا الله.

قوله: «﴿ٱلۡحَيُّ﴾»: أي الحي في نفسه الذي لا يموت أبدا الباقي الدائم علىٰ الأبد، وهو من له الحياة التي هي صفة من صفاته تعالىٰ، وهي حياة كاملة لا نقص فيها بوجه من الوجوه، لم يسبقها عدم، ولا يلحقها زوال.

قوله: «﴿ٱلۡقَيُّومُ﴾»: أي القيم لغيره القائم علىٰ كل شيء، وعلىٰ كل نفس بما كسبت، وقيل: هو القائم بالأمور كلها، الذي لا يزول(٣).

﴿ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾: من أسماء الله تعالىٰ، فيهما الكمال الذاتي،

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٨١٠).

(٢) انظر: شرح صحيح مسلم (٦/ ٩٤).

(٣) انظر: تفسير البغوي (١/ ٣١٢)، وتفسير ابن كثير (١/ ٦٧٨).

والكمال السلطاني، فالكمال الذاتي في قوله ﴿ٱلْحَيُّ﴾، والكمال السلطاني في قوله: ﴿ٱلْقَيُّومُ﴾؛ لأنه يقوم علىٰ كل شيء، ويقوم به كل شيء.

مسألة: اسم الله الأعظم:

﴿ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ﴾: اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب، وإذا سُئل به أعطىٰ؛ لدلالة الحي علىٰ الصفات الذاتية، ودلالة القيوم علىٰ الصفات الفعلية؛ فالصفات كلها ترجع إلىٰ هذين الاسمين الكريمين العظيمين.

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، أَنَّهُ كَانَ مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ جَالِسًا وَرَجُلٌ يُصَلِّي، ثُمَّ دَعَا: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الْحَمْدُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْمَنَّانُ، بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**لَقَدْ دَعَا اللهَ بِاسْمِهِ الْعَظِيمِ، الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَىٰ**»[1].

وعَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ يَزِيدَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قَالَ: «**اسْمُ اللهِ الْأَعْظَمُ فِي هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ** ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ١٦٣﴾[البقرة:١٦٣]، وَفَاتِحَةِ سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ

---

(١) صحيح: رواه أبو داود (١٤٩٥)، والترمذي (٣٥٤٤)، والنسائي (١٣٠٠)، وأحمد (١٢٢٠٥)، وصححه الألباني.

﴿٢﴾﴾[آل عمران:٢]»[1].

قـولــه: «﴿لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞ﴾»: أي لا يعتريـه نقـص، ولا غفلة، ولا ذهول عن خلقه، بـل هـو قـائم علىٰ كـل نفس بما كسبت، شهيد علىٰ كل شيء لا يغيب عنه شيء، ولا يخفىٰ عليه خافية، ومن تمام القيومية أنه لا يعتريه سِنَة ولا نوم، فقوله: ﴿لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ﴾ أي لا تغلبه سنة وهي الوسن والنعاس، ولهـذا قـال: ﴿وَلَا نَوۡمٞ﴾؛ لأنـه أقوىٰ من السنة[2].

والسِّنة: النعاس وهو النوم الخفيف، قيل: السِّنة في الرأس، والنوم في القلب، فالسِّنة أول النوم وهو النعاس؛ نفىٰ الله تعالىٰ عن نفسه النوم لأنه آفة وهو مُنزَّه عن الآفات[3]، وهـو صفة نقص، لأنـه يدل علىٰ أن صاحبه يحتاج إلىٰ راحة؛ لضعف قوته، والنوم ينافي كمال حياته وقيوميته؛ إذ النوم أخو الموت.

والمقصود بالنفي هنا إثبات كمال الصفة وهي الحياة؛ لأنه جاء مفصَّلا، وكل نفي مفصَّل في القرآن فهو لإثبات كمال الصفة.

مسألة: الفرق بين النوم والسنة:

---

(١) حسن: رواه أبو داود (١٤٩٦)، والترمذي (٣٤٧٨)، وقال: «حسن صحيح»، وأحمد (٢٧٦١١)، وحسنه الألباني.

(٢) انظر: تفسير ابن كثير (١/ ٦٧٨).

(٣) انظر: تفسير البغوي (١/ ٣١٢).

١ - السِّنة نوم خفيف، والنوم أقوىٰ.

٢ - السِّنة تكون في العين فقط، والنوم يكون في القلب والعين[١].

٣- السِّنة لا تنقض الوضوء، بخلاف النوم.

قوله: «﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾»: أي مُلكا وخلقا، وهو إخبار بأن الجميع عبيده، وفي ملكه، وتحت قهره وسلطانه.

قوله: «﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾»: أي بأمره، وهذا من عظمته وجلاله وكبريائه عَزَّوَجَلَّ أنه لا يتجاسر أحد علىٰ أن يشفع عنده إلا بإذنه له في الشفاعة[٢].

وقوله: «﴿عِندَهُۥٓ﴾»: تدل علىٰ علو الله؛ لأنها عندية ذات.

والشفاعة في اللغة: مأخوذة من الشفع، والشفع خلاف الوتر؛ تقول: كان فردا فَشَفَعْتُهُ[٣].

وفي الشرع: هي سؤال الخير للغير[٤].

الفائدة منها: إظهار فضل الشافع، وإكرام المشفوع فيه.

مسألة [١]: شروط الشفاعة:

---

(١) **انظر**: تفسير البغوي (١/ ٣١٢).

(٢) **انظر**: تفسير البغوي (١/ ٣١٢)، وتفسير ابن كثير (١/ ٦٧٩).

(٣) **انظر**: مقاييس اللغة، مادة «شفع».

(٤) **انظر**: لوامع الأنوار البهية (٢/ ٢٠٤).

يشترط في الشفاعة ثلاثة شروط:

١ - إذن الله في الشفاعة؛ لقوله تعالىٰ: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾[البقرة:٢٥٥].

٢ - رضا الله عن الشافع.

٣- رضا الله عن المشفوع له.

والدليل علىٰ هذين الشرطين: قوله تعالىٰ: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾[النجم:٢٦].

مسألة [٢]: أنواع الشفاعة:

الشفاعة نوعان:

أحدهما: شفاعة مثبَتة، هي التي أثبتها الله في كتابه، وعلقها بأمرين: رضاه عن المشفوع له، وإذنه للشافع، فمتىٰ لم يوجد مجموع الأمرين لم توجد الشفاعة؛ كما قال تعالىٰ: ﴿مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ﴾[يونس:٣].

وقال تعالىٰ: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾[البقرة:٢٥٥].

الثاني: شفاعة منفية، وهي التي أبطلها الله سبحانه في كتابه، بقوله تعالىٰ: ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٌ﴾ [البقرة:١٢٣].

وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خُلَّةٞ وَلَا شَفَٰعَةٞۗ وَٱلۡكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢٥٤﴾ [البقرة:٢٥٤].

وهذه الشفاعة شركية أثبتها المشركون، والنصارىٰ، ومن وافقهم من هذه الأمة، مثل أنهم يطلبون من الأنبياء والصالحين الغائبين والميتين قضاء حوائجهم، ويقولون: إنهم إذا أرادوا ذلك قضوها، ويقولون: إنهم عند الله تعالىٰ كخواص الملوك عند الملوك، يشفعون بغير إذن الملوك، ولهم علىٰ الملوك إدلال يقضون به حوائجهم، فيجعلونهم لله تعالىٰ بمنزلة شركاء الملك، وبمنزلة أولاده[1].

قوله: «﴿يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ﴾»: أي المستقبل، والماضي[2]، وهذا دليل علىٰ إحاطة علمه بجميع الكائنات: ماضيها وحاضرها، ومستقبلها[3].

قوله: «﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ﴾»: أي لا يطلع أحد من علم الله علىٰ شيء إلا بما أعلمه الله عَزَّوَجَلَّ، وأطلعه عليه، يعني لا يحيطون بشيء من علم الغيب إلا بما شاء مما أخبر به الرسل عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ[4].

---

(١) انظر: إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، لابن القيم (١/ ٢٢٠-٢٢١)، والفتاوىٰ الكبرىٰ، لابن تيمية (٣/ ٤٨-٤٩).

(٢) انظر: تفسير البغوي (١/ ٣١٢).

(٣) انظر: تفسير ابن كثير (١/ ٦٧٩).

(٤) انظر: تفسير البغوي (١/ ٣١٢)، وتفسير ابن كثير (١/ ٦٨٠).

ويحتمل أن يكون المراد لا يطلعون علىٰ شيء من علم ذاته وصفاته إلا بما أطلعهم الله عليه[١].

قوله: «﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾»: الْكُرْسِيُّ مَوْضِعُ قَدَميِّ الربِّ كما رُوي عن ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا[٢].

وقيل: الكرسي هو العرش، وقيل: هو علم الله، وكلا القولين ضعيفان لا دليل عليهما[٣].

مسألة: عظمة الكرسي:

الكرسي من أعظم المخلوقات، فعَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«مَا السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ مَعَ الْكُرْسِيِّ إِلَّا كَحَلْقَةٍ مُلْقَاةٍ بِأَرْضٍ فَلَاةٍ، وَفَضْلُ الْعَرْشِ عَلَىٰ الْكُرْسِيِّ كَفَضْلِ الْفَلَاةِ عَلَىٰ الْحَلْقَةِ»**[٤].

قوله: «﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا﴾»: أي لا يُثقله، ولا يُكْرِثُهُ، ولا يشق عليه حفظ السموات والأرض، ومن فيهما ومن بينهما، بل ذلك سهل

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (١/ ٦٨٠).

(٢) صحيح: رواه ابن أبي شيبة في العرش (٦١)، وابن أبي حاتم في التفسير (٢/ ٤٩١)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١/ ٢٢٦)، وقال: «**لا يصح في صفة الكرسي غير هذا الحديث**».

(٣) انظر: تفسير البغوي (١/ ٣١٢-٣١٣)، والسلسلة الصحيحة (١/ ٢٢٦).

(٤) صحيح: رواه ابن حبان في صحيحه (٣٦١)، وأبو الشيخ في العظمة (٢/ ٥٦٩)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٠٩).

عليه، يسير لديه، وهو القائم علىٰ كل نفس بما كسبت، الرقيب علىٰ جميع الأشياء، فلا يعزب عنه شيء، ولا يغيب عنه شيء، والأشياء كلها حقيرة بين يديه، متواضعة ذليلة صغيرة بالنسبة إليه، محتاجة فقيرة[١].

قوله: «﴿وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ﴾»: أي الرفيع فوق خلقه والمتعالي عن الأشياء والأنداد، وقيل: العلي بالمُلك والسلطان[٢]، الذي له العلو الكامل المطلق؛ لأن الألف واللام إذا دخلت علىٰ اسم الفاعل أو المفعول، فإنها تفيد العموم، والألف واللام دخلت هنا علىٰ «**عَلِي**»، وهو اسم فاعل فدل علىٰ العموم.

مسألة: أنواع العلو:

العلو ثلاثة أنواع:

الأول: علو قهر: معناه أن الله لا مغالب له ولا منازع، بل كل شيء تحت سلطان قهره ﴿وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ۝٦٥﴾[ص:٦٥]،

الثاني: علو الشأن: معناه أن الله تَعَالىٰ وتنزه عن جميع النقائص والعيوب المنافية لإلهيته وربوبيته وأسمائه الحسنىٰ وصفاته العلىٰ؛ كما قال تعالىٰ: ﴿وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَمۡ يَتَّخِذۡ وَلَدٗا وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٞ فِي ٱلۡمُلۡكِ

---

(١) انظر: تفسير البغوي (١/ ٣١٣)، وتفسير ابن كثير (١/ ٦٨١-٦٨٢).
(٢) انظر: تفسير البغوي (١/ ٣١٣).

﴿وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلِيّٞ مِّنَ ٱلذُّلِّۖ وَكَبِّرۡهُ تَكۡبِيرَۢا ١١١﴾[الإسراء:١١١].

هذان النوعان من العلو لم يخالف فيهما أحد ممن يدعي الإسلام وينتسب إليه، وإنما ضل من ضل منهم وأخطأ في التنزيه الذي هو مقصوده.

الثالث: علو الذات: معناه أن الله عال بذاته علىٰ خلقه بائنا منهم ومستويا علىٰ عرشه، وهذا النوع أنكرته الجهمية، والحلولية، والاتحادية.

وقد جمع الله تعالىٰ بين علو الذات والقهر في قوله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦ﴾[الأنعام:١٨][١].

قوله: «﴿ٱلۡعَظِيمُ﴾»: أي الكبير الذي لا شيء أعظم منه[٢]، الذي له جميع أنواع العظمة.

قوله: «وَلِهَذَا كَانَ مَنْ قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ فِي لَيْلَةٍ لَمْ يَزَلْ عَلَيْهِ مِنَ اللهِ حَافِظٌ، وَلَا يَقْرَبُهُ شَيْطَانٌ حَتَّىٰ يُصْبِحَ»: كما في حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ الشَّيْطَانَ قَالَ لَه: إِذَا أَوَيْتَ إِلَىٰ فِرَاشِكَ، فَاقْرَأْ آيَةَ الكُرْسِيِّ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾ [البقرة:٢٥٥]، حَتَّىٰ تَخْتِمَ الآيَةَ، فَإِنَّكَ لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللهِ

---

(١) انظر: الصواعق المرسلة (٤/ ١٣٢٤)، ومعارج القبول، للشيخ حافظ الحكمي (١/ ١٤٤).

(٢) انظر: تفسير البغوي (١/ ٣١٣).

حَافِظٌ، وَلَا يَقْرَبَنَّكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ، فَأَخبرَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ لَهُ: «**أَمَا إِنَّهُ قَدْ صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ**»[(١)]، أي صدقك في هذا القول مع أن عادته الكذب المستمر[(٢)].

والشيطان: مشتق من «**شَطَنَ**» أي بعُدَ عن الخير، سمي بذلك؛ لبعده عن الحق وتمرده، وذلك أن كل عاتٍ متمرد من الجن والإنس والدواب شيطان[(٣)].

وقيل: مشتق من «**شاط**» أي بطل، وهلك، واحترق، أو من «**استشاط**» غضبا إذا احتد في غضبه، والتهب[(٤)].



(١) **صحيح**: رواه البخاري (٢٣١١).
(٢) **انظر**: فتح الباري (٩/ ٥٦).
(٣) **انظر**: العين، ومقاييس اللغة، مادة «شطن»، وتهذيب اللغة، مادة «شطن».
(٤) **انظر**: العين، ومقاييس اللغة، مادة «شاط»، والنهاية في غريب الحديث (٢/ ٤٧٥).

[صفة الحياة]

٢١ - وَقَوْلُــــــــــهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ ﴾ [الفرقان:٥٨].

.... الشــرح ....

قــولــه: «وَقَوْلُـهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ ﴾»: أي في أمورك كلها كن متوكلا علىٰ الله الحي الذي لا يموت أبدا، وهو الذي يتوكل عليه ويفزع إليه، فإنه كافيك، وناصرك، ومؤيدك[١].

والتوكـل: هـو الاعتمـاد علـىٰ الله تعـالىٰ في جلـب المنـافع ودفـع المضـار، والثقـة بـه، والإيقـان بـأن قضـاءه نافـذ، واتبـاع سـنة نبيـه صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في السعي فيما لا بد منه من المطعم والمشرب، والتحرز من العدو كما فعله الأنبياء صلوات الله تعالىٰ عليهم أجمعين[٢]، ومن توكّل علىٰ غير الله فقد شبّهه به[٣].

ولا يصح اسم التوكل مع الالتفات والطمأنينة إلىٰ الأسباب بل فعل الأسباب سُنة الله وحكمته والثقة بأنه لا يجلب نفعا ولا يدفع

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٦/ ١١٨).

(٢) انظر: تفسير الطبري (٣/ ٩١).

(٣) انظر: الداء والدواء، لابن القيم، صـ(٣١٥).

ضرا، والكل من الله تعالىٰ وحده، وهذا مذهب عامة الفقهاء، واختيار الطبري[(١)].

الشاهد من الآية: إثبات صفة الحياة الكاملة لله تعالىٰ ، ونفي الموت عنه ، ففيها الجمع بين النفي والإثبات في صفات الله تعالىٰ .

مسألة [١]: لماذا خص الله صفة الحياة في الآية السابقة؟

خص الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ صفة الحياة إشارةً إلىٰ أن الحي هو الذي يوثق به في تحصيل المصالح، ولا حياة علىٰ الدوام إلا لله سبحانه، وأما الأحياء المنقطعة حياتهم فإنهم إذا ماتوا ضاع من يتوكل عليهم.

مسألة [٢]: أنواع التوكل:

التوكل نوعان:

أحدهما: التوكل في الأمور التي لا يقدر عليها إلا الله، كالذين يتوكلون علىٰ الأموات، والطواغيت في رجاء مطالبهم من النصر والحفظ والرزق والشفاعة، فهذا شرك أكبر فإن هذه الأمور ونحوها لا يقدر عليها إلا الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

الآخر: التوكل في الأسباب الظاهرة، كمن يتوكل علىٰ أمير أو سلطان فيما أقدره الله تعالىٰ عليه من رزق، أو دفع أذىٰ ونحو ذلك، بحيث يعتقد علوَّ منزلة المتوكَّل عليه، وانحطاط منزلته هو -أي منزلة

(١) انظر: تفسير الطبري (٣/ ٩١).

المتوكِّل-، فهو من الشرك الأصغر(١).

مسألة [٣]: هل يجوز أن يقال: توكلت علىٰ الله، ثم عليك؟

لا يجوز قول: «**توكلت علىٰ الله، ثم عليك**»؛ لأن التوكل عبادة، ولا يجوز صرف العبادة أو جزء منها إلىٰ غير الله تعالىٰ(٢)، فلا يشرع التوكل علىٰ أحد إلا الله؛ كما قال تعالىٰ: ﴿فَعَلَيۡهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسۡلِمِينَ ٨٤﴾ [يونس:٨٤].

❊❊❊❊

(١) انظر: جامع المسائل، لابن تيمية (١/ ٨٩-٩٠)، وتيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، صـ(٤٢٨-٤٢٩)، وفتح المجيد شرح كتاب التوحيد، صـ(٣٥٣).

(٢) انظر: تفسير ابن عرفة (٤/ ٢١٤).

[صفة العلم]

٢٢- وَقَوْلُهُ: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّـٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ۝٣﴾[الحديد:٣].

٢٣- وَقَوْلُهُ: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ۝٢﴾[التحريم:٢].

٢٤-: وَهُوَ ﴿ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ ۝٣﴾[التحريم:٣].

٢٥-: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾[سبأ:٢].

٢٦-: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَـٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مُّبِينٍ ۝٥٩﴾[الأنعام:٥٩].

٢٧-: ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ﴾[فاطر:١١].

٢٨- وَقَوْلُهُ: ﴿لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ۝١٢﴾[الطلاق:١٢].

.... **الشـــرح** ....

قـــولـــه: «وَقَوْلُهُ: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّـٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ۝٣﴾»: معطوف علىٰ سورة، في قوله: «**ما وصف به نفسه في سورة الإخلاص**»، ويجوز رفعها علىٰ الابتداء.

والاسـمان الأولان «**الأول والآخـر**» يطلقـان غيـر متلازمـين، والآخـران «**الظـاهر والبـاطن**» يطلقـان متلازمـان؛ لأن كمـال كـل اسـم يظهر مع اقترانه بالآخر، كالنافع الضار.

قــولــه: «﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾»: هــذه الأســماء الأربعة متقابلة في الزمان والمكان، تفيد إحاطة الله بكل شيء.

﴿ٱلْأَوَّلُ﴾: يشـتمل علـىٰ أنـواع الأوليـة في الـذات والأسـماء والصفات، وفسَّره النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقوله: «**أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ**»[1].

﴿وَٱلْآخِرُ﴾: فسَّره النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقوله: «**وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ**»[2]، أي الباقي بعد فناء الخلق[3].

﴿وَٱلظَّٰهِرُ﴾: من الظهور والعلو والغلبة، وليس معناه الذي ظهرت آثار نعمته، بل الظاهر بذاته، وفسَّره النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقوله: «**وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ**»[4]، أي الظاهر فوق كل شيء بقدرته[5].

﴿وَٱلْبَاطِنُ﴾: فسَّره النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقوله: «**وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ**

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٧١٣).
(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٧١٣).
(٣) انظر: شأن الدعاء، للخطابي، صـ (٨٨).
(٤) صحيح: رواه مسلم (٢٧١٣).
(٥) انظر: شأن الدعاء، للخطابي، صـ (٨٨).

دُونَكَ شَيْءٌ»[١]، أي العالم بما ظهر من الأمور، والمطلع علىٰ ما بطن من الغيوب[٢].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فهذه الأسماء الأربعة متقابلة: اسمان لأزلية الرب تعالىٰ وأبديته، واسمان لعلوه وقُربه[٣].

مسألة [١]: هل يجوز تفسير الأول بالقديم؟

القديم ليس من أسماء الله جَلَّ جَلَالُهُ؛ لأنه ليس عليه دليل من الكتاب أو السنة الصحيحة؛ وأسماؤه توقيفية لا يجوز إثبات اسم منها إلا بالنص، ولأن أسماء الله كلها حسنىٰ لا نقص فيها بوجه من الوجوه؛ كما قال تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾[الأعراف:١٨٠]، واسم القديم يحتمل القدم المطلق، وهو بمعنىٰ الأول، والقدم النسبي الذي هو ضد الجديد؛ كما أن لفظ القديم في لغة العرب هو المتقدم علىٰ غيره؛ كما قال تعالىٰ: ﴿حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ﴾[يس:٣٩]، وقال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُواْ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾[الأحقاف:١١]، وقال تعالىٰ: ﴿قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾﴾[الشعراء:٧٦]، فالمحدَث يقابل هذا القديم[٤].

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٧١٣).

(٢) انظر: شأن الدعاء، للخطابي، صـ (٨٨).

(٣) انظر: مختصر الصواعق المرسلة علىٰ الجهمية والمعطلة، صـ (٤٣٤).

(٤) انظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٢/ ٢٦٨)، والصفدية (٢/ ٨٥).

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: القديم في لغة القرآن خلاف المحدث، وهما من الأمور النسبية فالشيء المتقدم علىٰ غيره قديم بالنسبة إلىٰ ذلك المحدث، والمتأخرُ محدَث بالنسبة إلىٰ ذلك القديم، وإن كانا كلاهما محدثين بالنسبة إلىٰ من تقدمهما وقديمين بالنسبة إلىٰ من تقدماه، ولم يوجد في لغة القرآن لفظ القديم مستعملا إلا فيما يقدم علىٰ غيره وإن كان موجودا بعد عدمه لكن ما لم يزل موجودا هو أحق بالقدم[1].

والقديم لا يطلق علىٰ الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ إلا من باب الخبر، كما في حديث عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ كَانَ إِذَا دَخَلَ المسْجِدَ قَالَ: «**أَعُوذُ بِاللهِ الْعَظِيمِ، وَبِوَجْهِهِ الْكَرِيمِ، وَسُلْطَانِهِ الْقَدِيمِ، مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ**»[2].

مسألة [٢]: اشتملت هذه الآية علىٰ أربعة أسماء، وخمس صفات:

أما الأسماء: فهي الأول، والآخر، والظاهر، والباطن.

وأما الصفات: فهي الأولية، والآخرية، والظاهرية، والباطنية، وعموم العلم.

---

(١) **انظر**: الصفدية (٢/ ٨٤).

(٢) **صحيح**: رواه أبو داود (٤٦٦)، وصححه الألباني.

قــولـه: «﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ﴾»: أي لا يخفىٰ عليه شيء سبحانه، سواء كان واقعا أو لا، وسواء كان ماضيا أو حاضرا، أو مستقبلا، وسواء كان مقدرا أو غير مقدر؛ فـ ﴿شَيۡءٍ﴾ نكرة في سياق الإثبات تفيد العموم.

مسألة [٣]: دلالة الآية علىٰ بطلان عقيدة القدرية والفلاسفة.

استدل أهل العلم بقوله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ﴾ علىٰ بطلان قول القدريةِ: إن الأمر أُنُف -أي مستأنف-، وإن الله لا يعلم الأشياء إلا بعد وقوعها.

واستدلوا به أيضا علىٰ بطلان قول الفلاسفة: إن الله يعلم الأمور الكلية دون التفصيلات الجزئية.

مسألة [٤]: ثمرة الإيمان باسم الله العليم.

ثمرة الإيمان بأن الله بكل شيء عليم: كمال مراقبة الله وخشيته، بحيث لا يفقده حيث أمره، ولا يراه حيث نهاه.

قــولـه: «وَقَوۡلُهُ: ﴿وَهُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ﴾»: أي في أقواله وأفعاله وشرعه وقدره[١]، والحكيم: صفة مبالغة علىٰ وزن فعيل، وله معنيان:

أحدهما: الحاكم بين خلقه بأمره الكوني، وأمره الشرعي في الدنيا

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٦/ ٤٩٤).

والآخرة.

الثاني: المحكِم لخلق الأشياء، أي إتقان التدبير فيها، وحسن التقدير لها[(١)].

فهو سبحانه الحاكم بين عباده، الذي له الحكمة في خلقه وأمره، لم يخلق شيئا عبثا، ولم يشرع إلا ما هو عين المصلحة.

والله أحكم بمعنىٰ أتقنَ كل شيء خلقه، وهو أحكم مخلوقاته، وأحكم كونه، وأحكم القدَر، وأحكم الشرع، وأحكم الأسباب الشرعية، وأحكم الأحكام الشرعية، كل هذه علىٰ وجه الإتقان؛ كما قال تعالىٰ: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ۝٨﴾ [التين:٨].

مسألة: أنواع الحُكم:

الحكم في كتاب الله نوعان:

أحدهما: **كوني قدري**: هو ما قضاه الله علىٰ عباده من الخلق، والرزق، والحياة، والموت، ونحو ذلك من معاني ربوبيته ومقتضياتها، كقوله تعالىٰ: ﴿قَٰلَ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ﴾ [الأنبياء:١١٢]، أي افعل ما تنصر به عبادك، وتخذل به أعداءك.

الثاني: **شرعي ديني**: هو ما جاء به الرسل، ونزلت به الكتب من

---

(١) انظر: شأن الدعاء، صـ(٧٣)، والمفردات في غريب القرآن، صـ(٢٤٩-٢٥٠)، والنهاية في غريب الحديث والأثر (١/ ٤١٨-٤١٩).

شرائع الدين، كقوله: ﴿ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ﴾ [الممتحنة:١٠].

وقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ [المائدة:١].

وقد يَرد بالمعنيين معا؛ كقوله تعالىٰ: ﴿وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا﴾ [الكهف:٢٦]، فهذا يتناول حكمه الكوني، وحكمه الشرعي[1].

قوله: «وَهُوَ ﴿ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾»: أي الذي لا تخفىٰ عليه خافية، ولا يغيب عنه شيء[2]، والخبير هو العالم بكُنْه الشيء، المطلع علىٰ حقيقته[3]، العالم بأخبار أعمال عباده، وقيل: العالم ببواطن أمور خلقه، العالم بما كان وبما يكون، وقيل: خبير بمعنىٰ مخبِر، يقال: خبرت الأمر إذا عرفته علىٰ حقيقته[4].

الشاهد من هاتين الآيتين: إثبات اسم الله الحكيم، والخبير، والعليم، وهذه الأسماء تتضمن صفات: الحكمة، والخبرة، والعلم.

مسألة: الفرق بين العليم، والخبير، واللطيف:

العليم: أي بظواهر الأمور.

---

(١) انظر: الجواب الصحيح، لابن تيمية (١/ ١٤٥-١٥٤)، ومجموع الفتاوىٰ (١٨/ ١٣٢)، وشفاء العليل، لابن القيم، صـ(٢٨٠-٢٨٣).

(٢) انظر: تفسير ابن كثير (٦/ ٤٩٤).

(٣) انظر: شأن الدعاء، صـ(٦٣).

(٤) انظر: المفردات في غريب القرآن، صـ(٢٧٣)، والنهاية في غريب الحديث والأثر (٢/ ٦).

الخبير: أي ببواطن الأمور، وخبرتها علىٰ حقيقتها، وعلىٰ ما هي عليه، وعلىٰ ما يصلح لها.

اللطيف: أي بدقائق الأمور، هو الذي اجتمع له الرفق في الفعل، والعلم بدقائق المصالح وإيصالها إلىٰ من قدَّرها له من خلقه[(١)].

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ١٠٠﴾ [يوسف:١٠٠].

قوله: «﴿يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا﴾»: أي يعلم ما يدخل فيها من الأموات، والقطر النازل في أجزاء الأرض، والحب المبذور والكامن فيها، ويعلم ما يخرج من النبات، والأموات إذا حُشروا[(٢)]، وهذا فيه عموم علم الله تعالىٰ.

قوله: «﴿وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾»: أي من مطر، ورزق، وملائكة، وغير ذلك[(٣)].

قوله: «﴿وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَا﴾»: أي يصعد فيها من الملائكة، وأعمال العباد، وغير ذلك[(٤)].

الشاهد من الآية: إثبات علم الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ المحيط بكل شيء،

---

(١) انظر: المفردات في غريب القرآن، صـ(٧٤٠)، والنهاية في غريب الحديث (٤/ ٢٥١).
(٢) انظر: تفسير البغوي (٦/ ٣٨٣)، وتفسير ابن كثير (٦/ ٤٩٤).
(٣) انظر: تفسير ابن كثير (٦/ ٤٩٤).
(٤) انظر: تفسير البغوي (٦/ ٣٨٣)، وتفسير ابن كثير (٦/ ٤٩٤).

وأن الله يعلم بعلم.

قوله: «﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ﴾»: أي عند الله وحده خزائن الغيب.

﴿مَفَاتِحُ﴾: جمع مِفتاح وهو ما يُفتح به، وقيل: جمع مِفْتَح وهو الخزائن[(١)]، ومن قال مِفتاح جمَعَه مفاتيح، ومن قال: مِفْتَح جمَعَه مفاتِح[(٢)].

والغيب نوعان:

أحدهما: غيب مطلق: هو ما غاب عن الجميع، فلا يعلمه إلا الله.

الآخر: غيب نسبي: هو ما أطلع الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى عليه بعض رسله عَلَيْهِمُ السَّلَامُ؛ كما قال تعالىٰ: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ﴾ [الجن: ٢٦-٢٧]، هذا يعم الرسول الملكي والبشري، يعني إلا من يصطفيه لرسالته فيظهره علىٰ ما يشاء من الغيب؛ لأنه يَستدِل علىٰ نبوته بالآية المعجزة بأن يخبر عن الغيب[(٣)].

وقد ورد تفسير ﴿مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ﴾ في حديث ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**مَفَاتِحُ الغَيْبِ خَمْسٌ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللهُ: لَا**

---

(١) انظر: تفسير البغوي (٣/ ١٥٠)، والنهاية في غريب الحديث (٣/ ٤٠٧).

(٢) انظر: تفسير الطبري (٩/ ٢٨٢).

(٣) انظر: تفسير البغوي (٨/ ٢٤٤)، وتفسير ابن كثير (٨/ ٢٤٧).

يَعْلَمُ مَا فِي غَدٍ إِلَّا اللهُ، وَلَا يَعْلَمُ مَا تَغِيضُ الأَرْحَامُ إِلَّا اللهُ، وَلَا يَعْلَمُ مَتَىٰ يَأْتِي المَطَرُ أَحَدٌ إِلَّا اللهُ، وَلَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ، وَلَا يَعْلَمُ مَتَىٰ تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا اللهُ»[1]، وفي لفظ: «**مِفْتَاحُ الغَيْبِ**»[2].

وعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «﴿مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ﴾ خَمْسٌ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴿٣٤﴾﴾ [لقمان: ٣٤]»[3].

وسميت هذه الخمسة بمفاتح الغيب؛ لأنها مفاتح لكل ما وراءها؛ فقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ مفتاح لحياة الآخرة.

وقوله تعالىٰ: ﴿وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ﴾ مفتاح لحياة الأرض بالنبات، وبحياة النبات يكون الخير.

وقوله تعالىٰ: ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ﴾ مفتاح للحياة الدنيا.

وقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾ مفتاح للعمل المستقبل.

وقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ مفتاح لحياة الآخرة؛

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٤٦٩٧).
(٢) **صحيح**: رواه البخاري (١٠٣٩).
(٣) **صحيح**: رواه البخاري (٤٦٢٧).

لأن الإنسان إذا مات، دخل عالم الآخرة[(١)].

قوله: «﴿لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾»: فمن ادعىٰ علم شيء منهما فقد كفر.

قوله: «﴿وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾»: أي يحيط علمه الكريم بجميع الموجودات، بَريها وبَحْرِيِّها لا يخفىٰ عليه من ذلك شيء، ولا مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، لا يَحدث شيء إلا يعلمه[(٢)].

قوله: «﴿وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا﴾»: أي يعلم عدد ما يسقط من ورق الشجر وما يبقىٰ عليه، ويعلم الحركات حتىٰ من الجمادات، فما ظنك بالحيوانات، ولا سيما المكلفون منهم من جِنهم وإنسهم[(٣)].

قوله: «﴿وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ﴾»: قيل: هو الحب المعروف في بطون الأرض، وقيل: هو تحت الصخرة في أسفل الأرضين.

قوله: «﴿وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ﴾»: أي من كل شيء سواء

(١) انظر: شرح العقيدة الواسطية (١/ ١٩٥، ١٩٧).
(٢) انظر: تفسير البغوي (٣/ ١٥١)، وتفسير ابن كثير (٣/ ٢٦٥).
(٣) انظر: تفسير البغوي (٣/ ١٥١)، وتفسير ابن كثير (٣/ ٢٦٥).

كان ينبت، أو لا ينبت، أو غير ذلك[١]، وهذا عموم بعد خصوص.

قوله: «﴿إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ﴾»: أي بيِّن واضح لا إشكال فيه، يبين الأشياء ويُظهرها، والمراد أن الكل مكتوب في اللوح المحفوظ[٢]، فلا يحدث شيء إلا على وفق ما في اللوح المحفوظ.

وجه الشاهد من الآية: فيها إثبات أنه لا يعلم الغيب إلا الله، وأن علمه محيط بكل شيء، وفيها إثبات القدر، والكتابة في اللوح المحفوظ.

قوله: «﴿وَمَا تَحۡمِلُ مِنۡ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلۡمِهِۦۚ﴾»: أي هو عالم بذلك، لا يخفى عليه من ذلك شيء[٣].

قوله: «﴿لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ١٢﴾»: أي لتعلموا كمال قدرته، وسلطانه، وعلمه، فلا يعجزه شيء، وعلمه أحاط بكل شيء، فلا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء[٤]، وهذا فيه إثبات صفة القدرة لله تعالى.

---

(١) **انظر:** تفسير البغوي (٣/ ١٥١).
(٢) **انظر:** تفسير البغوي (٣/ ١٥١)، وتفسير ابن كثير (٦/ ١٧٨).
(٣) **انظر:** تفسير ابن كثير (٦/ ٥٣٨).
(٤) **انظر:** تفسير البغوي (٨/ ١٥٨)، وتفسير ابن كثير (٨/ ١٥٦).

والإحاطة تفسر بأنها إحاطة علم، وقدرة، وسعة، وشمول، وخصَّت الآية إحاطة العلم.

الشاهد من الآيتين: فيهما إثبات علم الله المحيط بكل شيء، وإثبات قدرته علىٰ كل شيء، وأنها متعلقة بكل شيء.



[صفة القوة]

٢٩ - وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ۝٥٨﴾ [الذاريات:٥٨].

.... الشـــرح ....

قــولــه: «وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ﴾»: أي لا رزَّاق غيره يرزق المخلوقاتِ، فهو المتكفِّل بالرَّزق، والقائم علىٰ كل نفس بما يقيمها من قُوْتِها، وسع الخلقَ كلَّهم رزقُه ورحمتُه، فلم يَختص بذلك مؤمنا دون كافر، ولا وليا دون عدو، يسوقه إلىٰ الضعيف الذي لا حيل له، ولا مُتكسَّب فيه كما يسوقه إلىٰ الجَلد القوي[1].

والرزَّاق: صيغة مبالغة، من «**الرَّزق**»، وهو الإعطاء، ودخول الألف واللام علىٰ اسم الفاعل «**الرزاق**» يفيد العموم واستغراق جميع أنواع الرزق.

والرزق نوعان:

أحدهما: رزق بدني: هو رزق عام يدخل فيه كل ما ينتفع به البدن سواء كان حلالا، أو حراما.

الآخر: رزق ديني: هو رزق خاص يقوم به الدين من العلم النافع،

(١) انظر: شأن الدعاء، صـ(٥٤).

والعمل الصالح(١).

تقسيم آخر للرزق:

١- رزق دنيوي: هو ما كان في الطاعة، أو المأكل، والمشرب، والملبس، ونحوه.

٢- رزق أخروي: هو ما ينتظره أهل الإيمان في الآخرة؛ كما قال تعالىٰ: ﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَـٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝٤٠﴾ [غافر: ٤٠].

مسألة: الفرق بين الرَّزْق، والرِّزق:

الـرَّزْق: هـو العطـاء، وهـو مصـدر قَوْلِـكَ: رَزَقـه اللهُ، مثـل الخَلْـق والبَرْء.

والرِّزق: مَا يُنْتَفعُ بِهِ، كالمال، والمتاع(٢)، وهو أثر صفة الله الرَّزق.

لذلك يقال: إن الله متصف بالرَّزق، وليس الرِّزق.

قـولـه: «﴿ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ۝٥٨﴾»: أي القـوي المقتـدر المبالغ في القوة والقدرة(٣).

---

(١) **انظر:** المفردات في غريب القرآن، صـ(٣٥١).

(٢) **انظر:** لسان العرب، مادة «رزق».

(٣) **انظر:** تفسير البغوي (٧/ ٣٨١).

والمتين: هو الشديد القوي الذي لا تنقطع قوته، ولا تلحقه في أفعاله مشقة، ولا يمسه لغوب(١).

الشاهد من الآية: إثبات اسمي: الرزاق، والمتين، ووصفه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بالقوة التامة والرَّزق، وما تضمنه اسم المتين من المبالغة في القوة والشدة.

مسألة [١]: الفرق بين القوة والقدرة:

القدرة أخص فلا يوصف بها إلا ذو الشعور فقط بخلاف القوة فيوصف بها ذو الشعور وغيره، فيقال مثلا: الحديد قوي، ولا يقال: قادر، ويقال: رجل قوي وقادر(٢).

والقوي هو الذي يقدر علي الشيء وعلىٰ ما هو أكثر منه، ولهذا لا يجوز أن يقال للذي استفرغ قدرته في الشيء: إنه قوي عليه(٣).

مسألة [٢]: الفرق بين القوي، والمتين:

المتين فيه مبالغة في القوة والشدة؛ فهو أكثر قوة وشدة من القوي(٤).

فالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ **قويٌّ** من حيث إنه بالغ القدرة تامها، **ومتين** من حيث

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٢١/ ٥٧٧)، وشأن الدعاء، صـ (٧٧).
(٢) انظر: مذكرة علىٰ العقيدة الواسطية، للشيخ ابن عثيمين، صـ (١٩).
(٣) انظر: الفروق اللغوية، صـ (١٠٦).
(٤) السابق، صـ (١٠٨).

إنه شديد القوة[١].

مسألة [٣]: القدرة عند المعتزلة والأشاعرة:

القدرة تدخل في أفعال العباد خلافا للقدرية، وتدخل فيما لم يشأ خلافا للأشعرية والماتريدية؛ فالأشعرية والماتريدية يقولون: قدرة الله متعلقة بما يشاؤه، المقصود أنهم يقولون: إن قدرة الله ليست شاملة لكل شيء، بل قدير علىٰ ما يشاؤه جَلَّجَلَالُهُ، لذلك يكثر عندهم التعبير بقول: «**هو علىٰ ما يشاء قدير**»، و«**الله علىٰ ما يشاء قدير**»، ويعدلون عما قال الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ۝٢٨٤﴾ [البقرة:٢٨٤]؛ لأن القدرة عندهم تتعلق بما يشاؤه الله عَزَّوَجَلَّ، ويفسرون قوله: ﴿كُلِّ شَيۡءٖ﴾ بأنها كل شيء شاءه، وأنها لا تشمل ما لم يشأه؛ لذا قال الغزالي وغيره: ليس في الإمكان أبدع من هذا العالم، وقد رد عليه طائفة من العلماء، منهم البقاعي، وشيخ الإسلام[٢].

أما قولُ النبيِّ صَلَّىٰللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «**أن اللهَ عَزَّوَجَلَّ قَالَ: وَلَكِنِّي عَلَىٰ مَا أَشَاءُ قَادِرٌ**»[٣]، ففيه وجهان:

١ - قوله: «**عَلَىٰ مَا أَشَاءُ قَادِرٌ**» داخل في ضمن ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ

(١) انظر: النهاية في غريب الحديث (٤/ ٢٩٣).

(٢) انظر: إحياء علوم الدين (٤/ ٢٥٨)، والرد علىٰ الشاذلي، صـ(٩٢)، ومجموع الفتاوىٰ (٢/ ٢١٣).

(٣) صحيح: رواه مسلم (١٨٧)، عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ.

قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾ [البقرة:٢٨٤]؛ لأننا نقول: هو يقدر علىٰ ما يشاء، وعلىٰ ما لم يشأ.

٢- قوله هنا متعلق بشيء وقع، وهو ما حدث في قصة الرجل الذي سأل الله جَلَّ وَعَلَا أن يدخله الجنة، فقال الله تعالىٰ: «**أَيُرْضِيكَ أَنْ أُعْطِيَكَ الدُّنْيَا وَمِثْلَهَا مَعَهَا؟ قَالَ: يَا رَبِّ، أَتَسْتَهْزِئُ مِنِّي وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟**»، فَيَقُولُ اللهُ: «**إِنِّي لَا أَسْتَهْزِئُ مِنْكَ، وَلَكِنِّي عَلَىٰ مَا أَشَاءُ قَادِرٌ**»[1].

فهذا بعد وقوع الشيء بخلاف إطلاق المبتدعة الذين يطلقون هذه الكلمة قبل وقوع الأشياء، فتكون غير متعلقة بشيء معين حصل[2].

---

(١) صحيح: رواه مسلم (١٨٧)، عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٢) انظر: اللآلئ البهية في شرح العقيدة الواسطية (١/ ٢٨٩-٢٩٠).

[صفتا السمع والبصر]

٣٠- وَقَوْلُهُ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورىٰ:١١].

٣١-: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾﴾ [النساء:٥٨].

.... الشـــرح ....

شرع المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في إثبات اسمين لله تعالىٰ وهما السميع والبصير، وما يتضمناه من صفتي السمع والبصر.

وصفتا السمع والبصر يثبتهما الكُلَّابيَّة، والأشاعرة، والماتريدية؛ لدلالة العقل عليهما، وينفيهما المعتزلة، والجهمية.

قوله: «﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾»: ليس كخالق الأزواج كلها شيء؛ لأنه الفرد الصمد الذي لا نظير له[1]، وهذا نفي، فهو من الصفات السلبية، والمقصود به إثبات كمال الضد، وفي هذه الجملة رد علىٰ الممثِّلة الذين شبهوا الله بخلقه.

قوله: «﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾»: علىٰ وزن فعيل، فدل علىٰ المبالغة، الذي يسمع السر والنجوىٰ، سواء عنده الجهر، والخفوت، والنطق،

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٧/ ١٩٤).

والسكوت[١]، السميع لأقوال عباده: مؤمنهم وكافرهم، مصدِّقهم، ومكذِّبهم[٢].

فالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يسمع ضجيج الأصوات باختلاف اللغات علىٰ تَفَنُّن الحاجات، فلا يشغله سمع عن سمع، ولا تُغْلِطُهُ المسائل، ولا يتبرم بإلحاح المُلِحِّين، سواء عنده من أسرَّ القول ومن جَهَر به، فالسر عنده علانية، والغيب عنده شهادة، يرىٰ دبيب النملة السوداء علىٰ الصخرة الصماء في الليلة الظلماء، ويرىٰ نياطَ عروقِها، ومجاري القُوت في أعضائها[٣].

والسميع له معنيان[٤]:

أحدهما: المجيب، كقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ٣٩﴾ [إبراهيم:٣٩].

وقولِ النَّبِيِّ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ قَوْلٍ لَا يُسْمَعُ**»[٥]، أي من دعاء لا يستجاب.

الآخر: السامع للصوت، وهو أنواع:

---

(١) **انظر**: شأن الدعاء، صـ (٥٩).

(٢) **انظر**: تفسير ابن كثير (٥/ ٦).

(٣) **انظر**: مدارج السالكين (٣/ ٢٣٨).

(٤) **انظر**: شأن الدعاء، صـ (٥٩).

(٥) **صحيح**: رواه أحمد (١٣٠٠٣)، عن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وصححه الأرنؤوط.

١ - سمع إدراك: أي يسمع كل صوت، وهو صفة ذاتية.

منه قوله تعالىٰ: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَـٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا﴾ [المجادلة:١].

٢ - سمع نصر وتأييد، وهو صفة فعلية.

منه قولة تعالىٰ: ﴿إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾﴾ [طه:٤٦].

٣- سمع تهديد ووعيد، وهو صفة فعلية.

منه قوله تعالىٰ: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [الزُّخرُف:٨٠].

قوله: «﴿ٱلْبَصِيرُ﴾»: أي العالم بخفيات الأمور، علىٰ وزن فَعِيلٍ بِمَعْنَىٰ مُفْعِلٍ أي المُبْصِرُ، كَقَوْلهِمْ: أَلِيْمٌ: بِمَعْنَىٰ مُؤْلِم[١].

الشاهد من الآية: إثبات اسمين من أسماء الله: السميع والبصير، وإثبات ثلاث صفات: كمال صفاته ونفي المماثلة، والسمع، والبصر.

قوله: «﴿إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا﴾»: أي نِعْم الشيء الذي[٢]، و«**نِعم**» من ألفاظ المدح.

قوله: «﴿يَعِظُكُم بِهِۦٓ﴾»: أي يأمركم به من أداء الأمانات، والحُكْم بالعدل بين الناس، وغير ذلك من أوامره وشرائعه الكاملة

---

(١) انظر: شأن الدعاء، صـ(٦٠).

(٢) انظر: تفسير الطبري (٧/ ١٧٣)، وتفسير البغوي (٢/ ٢٣٩).

العظيمة الشاملة.

قوله: «﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا﴾»: أي سميعا لأقوالكم، بصيرا بأفعالكم[١].

وليس المراد من «كان» في الآية الزمن، إنما المراد الوصف فقط، أي متصف بالسمع والبصر، وإثباتُ الصفة بالفعل الماضي يقتضي ثبوتها أزلا، وثبوتها بعد ذلك الزمان، أي كان علىٰ ذلك.

والشاهد من الآية: إثبات اسمين لله من أسماء الله: السميع والبصير، وإثبات صفتين: السمع والبصر.

مسألة: مذاهب المبتدعة في إثبات الصفات:

أجمعت المعتزلة علىٰ نفي جميع صفات الله تعالىٰ؛ لأن إثباتها يلزم منه تعدد الآلهة كما يزعمون[٢].

وأثبتت الجهمية صفة الوجود فقط.

وأثبتت الأشاعرة والكُلَّابية سبع صفات فقط: السمع، والبصر، والقدرة، والإرادة، والحياة، والعلم، والكلام النفسي.

وأثبتت الماتريدية ثماني صفات فقط: السبعة المتقدمة، والتكوين.

---

(١) **انظر**: تفسير ابن كثير (٢/ ٣٤١).

(٢) **انظر**: مقالات الإسلاميين (١/ ١٣٠-١٣١).

[صفة الإرادة]

٣٢- وَقَوْلُــــــهُ: ﴿وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ [الكهف:٣٩].

٣٣- وَقَوْلُهُ: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُواْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾﴾ [البقرة:٢٥٣].

٣٤- وَقَوْلُــــــهُ: ﴿أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴿١﴾﴾ [المائدة:١].

٣٥- وَقَوْلُهُ: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [الأنعام:١٢٥].

.... الشــرح ....

شرع المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في إثبات صفتي المشيئة، والإرادة.

قــولــه: «وَقَوْلُهُ: ﴿وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ﴾»: أي هلَّا حين دخلت جنتك ونظرت إليها فأعجبتك حمِدتَ الله علىٰ ما أنعم به عليك، وأعطاك من المال والولد ما لم يُعْطِه غيرك[1]، والمراد هنا التوبيخ،

(١) انظر: تفسير البغوي (٥/ ١٧٢)، وتفسير ابن كثير (٥/ ١٥٨).

أراد أن يوبِّخه علىٰ ترك هذا القول.

قوله: «﴿جَنَّتَكَ﴾»: أي بستانك، وسميت جَنَّة؛ لأن الشجر يستر ما فيها[١].

قوله: «﴿قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾»: أي هذا ما شاءه الله، وقيل: جوابه مضمر أي ما شاء الله كان[٢].

قال بعض السلف: من أعجبه شيء من نفسه أو ولده أو ماله، فليقل: «**ما شاء الله لا قوة إلا بالله**»، وهذا مأخوذ من هذه الآية الكريمة[٣].

قوله: «﴿لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾»: أي لا أقدر علىٰ حفظ مالي، أو دفع شيء عنه إلا بإذن الله[٤]، و«**قوة**» نكرة في سياق النفي تفيد العموم.

الشاهد من هذه الآية: إثبات اسم من أسماء الله وهو «**الله**»، وإثبات ثلاث صفات: الألوهية، والقوة، والمشيئة.

والمراد بمشيئة الله هنا هو إرادته الكونية، وهي نافذة فيما يحبه الله، وما لا يحبه.

قوله: «**وَقَوْلُهُ**: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟﴾»: أي المؤمنون

---

(١) **انظر**: مقاييس اللغة، مادة «جن».

(٢) **انظر**: تفسير البغوي (٥/ ١٧٢).

(٣) **انظر**: تفسير ابن كثير (٥/ ١٥٨).

(٤) **انظر**: تفسير البغوي (٥/ ١٧٢).

والكافرون، بل كل ذلك عن قضاء الله، وقدره[١].

في الآية رد على القدرية الذين ينكرون تعلق فعل العبد بمشيئة الله؛ لأن الله قال: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟﴾، أي لو شاء ألا يقتتلوا لم يقتتلوا؛ لأنه لا يجري في ملكوته إلا ما يريده.

قوله: «وَقَوْلُهُ: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾﴾»: أي يوفِّق من يشاء فضلا، ويخذل من يشاء عدلا[٢]، والإرادة هنا كونية.

الشاهد من هذه الآية: إثبات المشيئة، والفعل، والإرادة.

قوله: «وَقَوْلُهُ: ﴿أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾»: أي الإبل والبقر والغنم، وأراد تحليل ما حرم أهل الجاهلية على أنفسهم من الأنعام.

سميت بهيمة؛ لأنها أُبهمت عن التمييز، أي لا تُميِّز، وقيل: لأنها لا تتكلم[٣].

قوله: «﴿إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾»: أي إلا ما سيتلى عليكم من تحريم بعضها في بعض الأحوال، كما في قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (١/ ٦٧١).
(٢) انظر: تفسير البغوي (١/ ٣٠٩).
(٣) السابق (٢/ ٦-٧).

﴿٣﴾[المائدة:٣][(١)].

قـولـه: «﴿غَيۡرَ مُحِلِّي ٱلصَّيۡدِ وَأَنتُمۡ حُرُمٌۗ﴾»: منصوب علىٰ الحال، أي لا مُحِلِّي الصيد[(٢)]، والمراد من الأنعام: ما يعم الإنسي من الإبل والبقر والغنم، وما يعم الوحشي كالظباء والبقر والحُمُر، فاستثنىٰ من الإنسي ما تقدم، واستثنىٰ من الوحشي الصيد في حال الإحرام[(٣)].

والصَّيْد: هو الحيوان البري المتوحش المأكول.

قـولـه: «﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ مَا يُرِيدُ﴾»: أي إن الله قد حكم بهذا وهو الحكيم في جميع ما يأمر به وينهىٰ عنه[(٤)]، وهذه إرادة شرعية؛ لأن المقام مقام تشريع، ويجوز أن تكون إرادة شرعية كونية، ويُحمل «الحكم» علىٰ الكوني والشرعي؛ فما أراده الله كونا حكم به وأوقعه، وما أراده شرعا حكم به وشرعه للعباد.

ومعنىٰ الآية: أحلت لكم بهيمة الأنعام كلها إلا ما كان منها وحشيا فإنه صيد لا يحل لكم في حال الإحرام[(٥)].

الشاهد من هذه الآية: إثبات اسم من أسماء الله وهو «الله»، وإثبات

---

(١) انظر: تفسير البغوي (٢/ ٧)، وتفسير ابن كثير (٢/ ٨).

(٢) انظر: تفسير البغوي (٢/ ٧).

(٣) انظر: تفسير ابن كثير (٢/ ٩).

(٤) السابق (٢/ ٩).

(٥) انظر: تفسير البغوي (٢/ ٧).

ثلاث صفات وهي: التحليل، والحكم، والإرادة.

قــولـه: «وَقَوْلُهُ: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾»: أي يفتح قلبه وينوِّره ويوسعه حتىٰ يقبل الإسلام، والإيمان به(١).

قــولـه: «﴿وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾»: أي يجعل قلبه ضيقا حتىٰ لا يدخله الإيمان(٢)، وهو الذي لا يتسع لشيء من الهدىٰ، ولا يخلص إليه شيء ينفعه من الإيمان(٣).

والجعل هنا كوني؛ لأنه لا يتعلق بما يحبه الله ويرضاه.

والجعل في كتاب الله نوعان:

أحدهما: كوني قدري لا يتعلق بما يحبه الله ويرضاه؛ كقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِيٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ۝٨ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ۝٩﴾ [يس:٨-٩].

وقولـــــه: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾ [النحل:٧٢].

الثاني: شرعي ديني يتعلق بما يحبه الله ويرضاه؛ كقوله: ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ﴾ [المائدة:١٠٣]، أي ما شرع

(١) انظر: تفسير البغوي (٢/ ١٨٦)، وتفسير ابن كثير (٣/ ٣٣٤).
(٢) انظر: تفسير البغوي (٢/ ١٨٦).
(٣) انظر: تفسير ابن كثير (٣/ ٣٣٦).

ذلك، ولا أمر به وإلا فهو مخلوق له واقع بقدره، ومشيئته.

وأمـــا قولـــه: ﴿جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ﴾ [المائدة:٩٧]، فهذا يتناول الجَعْلين؛ فقد جعلها كذلك بقدَره وشرعه، وليس هذا استعمالا للمشترك في معنييه بل إطلاق اللفظ، وإرادة القدر المشترك بين معنييه[١].

قـوله: «﴿كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾»: أي يشق عليه الإيمان كما يشق عليه صعود السماء، وأصل الصعود المشقة[٢].

الشاهد من هذه الآية: إثبات صفة الإرادة لله تعالىٰ، والإرادة هنا كونية، والهداية هداية توفيق.

مسألة [١]: أنواع الإرادة:

الإرادة في كتاب الله نوعان:

أحدهما: إرادة دينية شرعية مطابقة للأمر الشرعي، لا يختلفان؛ وهي بمعنىٰ المحبة والرضا، حيث إنها تتعلق بما أمر الله به عباده مما يحبه ويرضاه.

ومنها: قوله تعالىٰ: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة:١٨٥]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ﴾ [المائدة:٦]، وقوله

---

(١) انظر: الجواب الصحيح، لابن تيمية، (١/ ١٤٥-١٥٤)، ومجموع الفتاوىٰ (١٨/ ١٣٢)، وشفاء العليل، لابن القيم، صـ(٢٨٠-٢٨٣).

(٢) انظر: تفسير البغوي (٢/ ١٨٧).

تعالىٰ: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾﴾[النساء:٢٦-٢٧]، ومثل قول الناس لمن يفعل القبائح: هذا يفعل ما لا يريده الله، أي لا يحبه ولا يرضاه، ولا يأمر به.

الآخر: إرادة كونية قدرية، وهي المشيئة الشاملة لجميع الحوادث، تتعلق بالخلق، أي بما يريد أن يفعله الله جَلَّ وَعَلَا.

ومنها: قوله تعالىٰ: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾[الأنعام:١٢٥]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾[البقرة:٢٥٣]، ومثل قول المسلمين: ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن؛ فجميع الكائنات داخلة في هذه الإرادة والمشيئة لا يخرج عنها خير ولا شر، وهذه الإرادة والمشيئة تتناول ما لا يتناوله الأمر الشرعي[(١)]، تتناول كل ما شاء الله فعله، وإحداثه، وتتعلق بإيجاد المخلوقات وإعدامها، فإذا أراد شيئا وشاءه كان عقب إرادته له، كما قال: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾[يس:٨٢].

مسألة [٢]: الفرق بين الإرادتين:

(١) انظر: مجموع الفتاوىٰ (١٨/ ١٣١-١٣٢)، ومنهاج السنة النبوية (٣/ ١٥٦-١٥٧).

١- الإرادة الكونية يلزم فيها وقوع المراد، والإرادة الشرعية لا يلزم فيها وقوع المراد.

٢- الإرادة الكونية عامة فيما يحبه الله وما لا يحبه، والإرادة الشرعية تختص بما يحبه الله.

وتجتمع الإرادتان الكونية والشرعية في إيمان المؤمن دون الكافر، وتنفرد الإرادة الكونية في كفر الكافر، ومعصية العاصي، وتنفرد الإرادة الشرعية في مثل إيمان الكافر وطاعة العاصي.

قال تعالىٰ: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾[البقرة:١٨٥]، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ﴾[غافر:٣١].

٣- الإرادة الكونية مقصودة لغيرها، كخلق إبليس وسائر الشرور، لتحصل بسبب ذلك المجاهدة، والتوبة، والاستغفار، وغير ذلك من المحابِّ.

والإرادة الشرعية مقصودة لذاتها، فالله أراد الطاعة كونا وشرعا، وأحبها ورضيها.

مسألة [٣]: مذاهب الناس في إثبات الإرادتين:

الجبرية: أثبتوا الإرادة الكونية فقط.

القدرية: أثبتوا الإرادة الشرعية فقط.

أهل السنة، والأشاعرة، والماتريدية: أثبتوا الإرادتين: الشرعية والكونية.

مسألة [٤]: مذاهب الناس في صفة الإرادة:

اختلف الناس في صفة الإرادة علىٰ أربعة مذاهب:

أحدها: الفلاسفة: نفوا الإرادة.

قالوا: إن حدوث المحدَثات لم يكن عن إرادة؛ لأنه كالمعلول للعلة؛ أي لابد أن يحدث، فما دام الله موجودا فلا بد من وجود محدثات؛ لأن الله محدِث؛ ولهذا قالوا بأن العالم قديم، والله قديم؛ فإن المحدَثات عندهم بالنسبة للمحدِث كالمعلول بالنسبة للعلة.

مثاله: ميل النور مع الشمس، إن وُجدت الشمس وُجد النور، فالنور نتيجة حتمية للشمس.

ووقوف الرجل في الشمس لابد من ظهور ظِل له، وهذا الظل بالنسبة للشخص هو المعلول بالنسبة للعلة.

الثاني: المعتزلة: قالوا: الإرادة حادثة لا في محل.

أي لم تقم بالله، فالإرادة عندهم متجددة، ولا يجوز أن تقوم المتجددات بالله، بل الذي يقوم بالله عَزَّوَجَلَّ الثابتات، وهي الصفات الثلاث التي يثبتونها: القدرة، والحياة، والإرادة؛ لأنهم فروا من قيام الحوادث به.

لازم هذا القول قيام الصفة بنفسها، وهو من أبطل الباطل.

الثالث: الأشاعرة: قالوا: الإرادة قديمة ليست متجددة يعني لا تتعلق بالأشياء تجديدا، فالله أراد ما شاء في الأزل، مثل صفة الكلام،

فهي عندهم صفة قديمة، وليس عندهم كلام يحدث، ويقولون: إن الله تكلم بما شاء، ثم انتهىٰ من الكلام.

يريدون بذلك الرد علىٰ المعتزلة الذين يقولون: صفة الإرادة حادثة.

الرابع: أهل السنة والجماعة: قالوا: إن إرادة الله صفة ذاتية لا تنفك عنه، وهي متجددة، أي كل شيء يحدث في ملكوت الله هو بإرادته[(١)].

مسألة [٥]: هل الإرادة والمشيئة ملتزمة بصفتي المحبة والرضا؟

١- من نفىٰ الإرادة الشرعية قال: كل ما شاءه الله، فهو مراد له محبوب؛ لأنه لا يحدث في ملكه شيء لا يحبه، لذلك قسموا أفعال العباد قسمين: أفعال أرادها الله وشاءها، وأفعال لم يردها ولم يشأها، فالأولىٰ هي طاعة المطيع وإيمان الكافر، والثانية هي عصيان العاصي وكفر الكافر.

٢- من قسموا الإرادة قسمين يرون أنه لا تلازم بين الإرادة، والمحبة والرضا؛ لأن الإرادة إذا كانت كونية فإنها قد تقع بما يحبه الله ويرضاه، وقد تقع بما لا يحبه الله ويرضاه، فالكفر وقع في الأرض بمشيئة الله وهو لا يحبه ولا يرضاه، والإيمان وقع بمشيئة الله وهو يحبه ويرضاه[(٢)].

---

(١) انظر: اللآلئ البهية في شرح العقيدة الواسطية (١/ ٣١٥-٣١٩).

(٢) السابق (١/ ٣٢٠-٣٢١).

[صفة المحبة]

٣٦- وَقَوْلُهُ: ﴿وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝١٩٥﴾ [البقرة:١٩٥].

٣٧-: ﴿وَأَقْسِطُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٩﴾ [الحُجُرات:٩].

٣٨-: ﴿فَمَا ٱسْتَقَٰمُواْ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُواْ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ۝٧﴾ [التوبة:٧].

٣٩-: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ۝٢٢٢﴾ [البقرة:٢٢٢].

٤٠-: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة:٥٤].

٤١-: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ۝٤﴾ [الصف:٤].

٤٢-: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران:٣١].

٤٣-: ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ۝١٤﴾ [البروج:١٤].

الشـــرح

شرح المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في إثبات صفة المحبة لله تعالىٰ.

قــولــه: «وَقَوْلُهُ: ﴿وَأَحْسِنُوٓاْ﴾»: أي أحسنوا أيها المؤمنون أعمالكم، وأخلاقكم، وفي أداء ما أَلْزمتكم من فرائضي، وتجنب ما

أمرتكم بتجنبه من معاصي، ومن الإنفاق في سبيلي[(١)]، جاء الفعل مطلقا؛ ليدل علىٰ العموم، أي عموم الإحسان في كل شيء.

والإحسان هو الإتيان بالعبادة علىٰ أكمل وجه، وأحسن حال، وهو أعلىٰ مقامات الطاعة[(٢)].

قوله: «﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾»: هذا تعليل للأمر بالإحسان؛ فإن الله أمر به؛ لأنه يحبه ويحب أهله، فيكون ذلك حافزا علىٰ امتثال الأمر به.

الشاهد من هذه الآية: إثبات اسم الله تعالىٰ «الله»، وإثبات صفتي الألوهية، والمحبة.

مسألة: «إنَّ» في القرآن:

«**إن**» في القرآن إذا أتت بعد أمر، أو نهي، أو خبر فإنها تفيد التعليل.

قوله: «﴿وَأَقۡسِطُوٓاْ﴾»: أي اعدلوا أيها المؤمنون في حكمكم بين مَن حَكمتم بينهم بأن لا تتجاوزوا في أحكامكم حكمَ الله، وحكمَ رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فإن الله يحب العادلين في أحكامهم، القاضين بين خلقه بالقسط[(٣)].

قوله: «﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ﴾»: تعليل للأمر بالإقساط،

---

(١) **انظر:** تفسير الطبري (٣/ ٣٢٦)، وتفسير البغوي (١/ ٢١٧).

(٢) **انظر:** تفسير ابن كثير (١/ ٥٣٠).

(٣) **انظر:** تفسير الطبري (٢١/ ٣٦٣).

أي أمر الله بالقسط؛ لأنه يحب المقسطين العادلين، ومحبته تستلزم أن يجزيهم أحسن الجزاء.

الشاهد من هذه الآية: إثبات اسم الله تعالىٰ «الله»، وإثبات صفتي الألوهية، والمحبة.

مسألة: الفرق بين المقسطين، والقاسطين:

المقسطون: من الفعل الرباعي «**أقسط**» بمعنىٰ عدَلَ، يقال: أقسط الرجل إذا عدَلَ، وأنصف.

والقاسطون: من الفعل الثلاثي «**قَسَطَ**» بمعنىٰ جار وظلم، يقال: قسَط الرجل إذا جار وظلم، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُواْ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾﴾ [الجن:١٥][(١)].

قوله: «﴿فَمَا ٱسْتَقَٰمُواْ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُواْ لَهُمْ﴾»: أي مهما تمسكوا بما عاقدتموهم عليه، وعاهدتموهم عند المسجد الحرام من ترك الحرب بينكم وبينهم عشر سنين، فاستقيموا لهم في ذلك، ولا تنقضوا العهد الذي بينكم وبينهم، وقد فعل رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذلك والمسلمون، استمر العقد والهُدنة مع أهل مكة من ذي القَعدة في سنة ست، إلىٰ أن نقضت قريش العهد[(٢)].

---

(١) انظر: المفردات في غريب القرآن، صـ (١/ ٢٢٧).
(٢) انظر: تفسير ابن كثير (٤/ ١١٤).

قــولـه: «﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾»: أي إن الله يحب من اتقاه وراقبه في أداء فرائضه، والوفاء بعهده لمن عاهده، واجتناب معاصيه، وترك الغدر بعهوده لمن عاهده[(١)].

وهذا تعليل للأمر بالاستقامة على العهد، أي أمر الله بالاستقامة؛ لأنها من أعمال المتقين الذين يحبهم الله.

والتقوىٰ: هي امتثال أوامر الله تعالىٰ، واجتناب نواهيه؛ رجاءَ ثوابه، وخوفًا من عقابه.

قــولــه: «﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ﴾»: أي مــن الــذنب وإن تكــرر فعله[(٢)].

و ﴿ٱلتَّوَّٰبِينَ﴾: جمـع تـواب، وهـي صـيغة مبالغـة مـن التوبـة، والتواب: الذي كلما أذنب تاب[(٣)].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**العبد توَّاب، والله توَّاب، فتوبة العبد رجوعه إلىٰ سيده بعد الإباق، وتوبة الله نوعان: إذنٌ وتوفيقٌ، وقبولٌ وإمدادٌ**»[(٤)].

قــولـه: «﴿وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾﴾»: أي المتنزهين عن الأقذار

---

(١) **انظر:** تفسير الطبري (١١/ ٣٥٤).
(٢) **انظر:** تفسير ابن كثير (١/ ٥٨٨).
(٣) **انظر:** تفسير البغوي (١/ ٢٥٩).
(٤) **انظر:** مدارج السالكين (١/ ٢٣٠).

والأذىٰ، وهو ما نهوا عنه من إتيان الحائض، أو في الدبر(١).

و ﴿ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾: جمع متطهِّر، وهو اسم فاعل من الطهارة، وهي النزاهة والنظافة عن الأقذار.

الشاهد من هذه الآية: إثبات اسم الله تعالىٰ «الله»، وإثبات صفتي الألوهية، والمحبة.

قوله: «﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾»: أي سيأتي بقوم يحبهم الله ويحبونه(٢)، وهذا جواب الشرط في قوله تعالىٰ: ﴿مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ﴾[البقرة:٥٤].

الشاهد من هذه الآية: إثبات اسم الله تعالىٰ «الله»، وإثبات صفتي الألوهية، والمحبة، وأن الله يُحِبُّ، ويُحَبُّ.

قوله: «﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ۝٤﴾»: هذا إخبار منه تعالىٰ بمحبة عباده المؤمنين الذين يصفُّون أنفسهم عند القتال صفًّا، ليس بينهم فرجة ولا خلل، ولا يتركون أماكنهم، يقاتلون في سبيل الله من كفر بالله؛ لتكون كلمة الله هي العليا، ودينه هو الظاهر العالي علىٰ سائر الأديان(٣).

الشاهد من هذه الآية: إثبات اسم الله تعالىٰ «الله»، وإثبات صفتي

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (١/ ٥٨٨).
(٢) انظر: تفسير البغوي (٣/ ٦٩).
(٣) انظر: تفسير البغوي (٨/ ١٠٨)، وتفسير ابن كثير (٨/ ١٠٧).

الألوهية، والمحبة، وأن الله يُحِبُّ ويُحَبُّ.

قــولـــــــه: «﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ﴾»: أي إن كنتم تحبون الله حقًّا، فاتبعوا نهجي وطريقتي يحصل لكم فوق ما طلبتم من محبتكم إياه، وهو محبته إياكم، وهو أعظم من الأول، كما قال بعض العلماء: ليس الشأن أن تُحِب، إنما الشأن أن تُحَب، وقال الحسن البصري وغيره من السلف: زعم قوم أنهم يحبون الله فابتلاهم الله بهذه الآية.

وهذه الآية الكريمة حاكمة علىٰ كل من ادعىٰ محبة الله، وليس هو علىٰ الطريقة المحمدية؛ فإنه كاذب في دعواه في نفس الأمر، حتىٰ يتبع الشرع المحمدي والدين النبوي في جميع أقواله وأحواله[١].

وعلامة المحبة الحقيقية هي الاتباع، والإذعان للمحبوب.

الشاهد من هذه الآية: إثبات اسم الله تعالىٰ «الله»، وإثبات صفتي الألوهية، والمحبة، وأن الله يُحِبُّ ويُحَبُّ.

قــولــه: «﴿وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ﴾»: أي لذنوب المؤمنين[٢]، علىٰ وزن فعول، يفيد المبالغة في الكثرة، أي هو الذي تكثر منه المغفرة، يغفر

---

(١) **انظر**: تفسير ابن كثير (٢/ ٣٢).

(٢) **انظر**: تفسير البغوي (٨/ ٣٨٨).

ذنوب عباده مرة بعد أخرىٰ، كلما تكررت التوبة في الذنب من العبد تكررت المغفرة[1].

والغَفْر: هو الستر والتغطية، ومعنىٰ الستر هنا أنه لا يكشف أمر العبد لخلقه، ولا يهتك ستره بالعقوبة التي تفضحه[2].

مسألة: الفرق بين الغفار والغفور:

«الغفار»: هو الستار لذنوب عباده في الدنيا بأن لا يهتكهم، ولا يفضحهم.

«الغفور»: هو الستار لذنوب عباده في الآخرة، والتجاوز عن العقوبة فيها[3].

قوله: «﴿ٱلْوَدُودُ﴾»: أي المحِب لهم[4]، وهو اسم مأخوذ من الود، علىٰ وزن فعول بمعنىٰ مفعول، كما قيل: فرس رَكُوب بمعنىٰ: مركوب، والله سبحانه مودود في قلوب أوليائه؛ لِما يتعرفونه من إحسانه إليهم وكثرة عوائده عندهم، وقيل: الودود بمعنىٰ اسم الفاعل «**الواد**»، أي أنه يَود عباده الصالحين بمعنىٰ أن يحبهم، ويرضىٰ عنهم، ويتقبل أعمالهم، ويغفر لهم، وقد يكون معناه أن يوددهم إلىٰ خلقه؛ كقوله

(١) **انظر**: شأن الدعاء، صـ(٥٢-٥٤، ٦٥).
(٢) **انظر**: شأن الدعاء، صـ(٦٥)، ومقاييس اللغة، مادة «غفر».
(٣) **انظر**: شأن الدعاء، صـ(٦٥).
(٤) **انظر**: تفسير البغوي (٨/ ٣٨٨).

تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا ٩٦﴾[مريم:٩٦][١].

الشاهد من هذه الآية: إثبات اسمين من أسماء الله: الغفور، والودود، وإثبات صفتين: المغفرة، والوُد.

مسألة [١]: اقتران اسم الودود بالرحيم والغفور:

سبب اقتران اسم الودود بالرحيم والغفور أن الرجل قد يغفر لمن أساء إليه ولا يحبه، وكذلك قد يرحم من لا يحب، والربُّ تعالىٰ يغفر لعبده إذا تاب إليه، ويرحمه ويحبه مع ذلك؛ فإنه يحب التوابين، وإذا تاب إليه عبده أحبه ولو كان منه ما كان[٢].

مسألة [٢]: مذاهب الناس في إثبات صفة المحبة:

نفت المعتزلة والأشاعرة صفة المحبة، بدعوىٰ أنها توهم نقصا.

أما الأشاعرة فيرجعونها إلىٰ صفة الإرادة، فيقولون: إن محبة الله لعبده لا معنىٰ لها إلا إرادته؛ لإكرامه ومثوبته.

وأما المعتزلة فلا يثبتون إرادة قائمة به، ويفسرون المحبة بأنها نفس الثواب الواجب عندهم علىٰ الله لهؤلاء، بناء علىٰ أنهم يوجبون علىٰ الله إثابة المطيع وعقاب العاصي.

---

(١) انظر: شأن الدعاء، صـ(٦٥)، وتفسير البغوي (٨/ ٣٨٨).

(٢) انظر: التبيان في أقسام القرآن، لابن القيم، صـ(٩٣).

أما أهل السنة فيثبتون محبة حقيقية تليق بجلاله، لا تشبه محبة المخلوقين[١].

مسألة [٣]: مذاهب الناس في إثبات محبة الله لعباده، والعكس:

الأشاعرة: أكثر الأشعرية أثبتوا محبة العبد لله وأنكروا محبة الله للعبد؛ لأن المحبة صفة تقوم ممن اتصف بها، ولا مانع بأن يتصف العبد بذلك.

المعتزلة: أنكروا محبة العبد لله، ومحبة الله للعبد، فقالوا: إن الله لا يُحِبُّ ولا يُحَبُّ.

أهل السنة والجماعة: أثبتوا محبة العبد لله، ومحبة الله للعبد[٢].

مسألة [٤]: أول من نفىٰ الصفات:

أول من نفىٰ الصفات «**الجَعد بن دِرهم**» الذي ضحىٰ به خالد القَسْري، ثم أخذها عنه «**الجهم بن صفوان**»، الذي ضحىٰ به أمير خُراسان سالم بن أحوز، وأجمع المسلمون علىٰ كفرهما.

مسألة [٥]: هل معنىٰ إثبات المحبة إثبات جميع مراتبها؟

ليس معنىٰ إثبات صفة المحبة إثبات جميع مراتبها، وهي العَلاقة، والصبابة، المودة، والشغف، والإرادة، والغرام،

---

(١) انظر: التبيان في أقسام القرآن، لابن القيم، صـ (٩٣).

(٢) انظر: اللآلئ البهية في شرح العقيدة الواسطية (١/ ٣٣٣).

والتعبـد، والتتـيم، والعشـق، والخُلـة؛ لعـدم ورود نـص في بعضـها كالعشق[١].



(١) انظر: روضة المحبين، صـ (٢٨-٢٩).

[صفة الرحمة]

٤٤ – وَقَوْلُهُ: ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾[النمل:٣٠].

٤٥ –: ﴿ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾[غافر:٧].

٤٦ –: ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾﴾[الأحزاب:٤٣].

٤٧ –: ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾[الأعراف:١٥٦].

٤٨ – وقَالَ: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾[الأنعام:٥٤].

٤٩ –: ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾﴾[يونس:١٠٧].

٥٠ –: ﴿فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾﴾[يوسف:٦٤].

الشرح

شرع المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في إثبات صفة الرحمة لله تعالىٰ.

قوله: «وَقَوْلُهُ: ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ﴾»: أي باسم الله أقرأ، والباء للتبرك، أي أتبرك بأسماء الله تعالىٰ، وقيل: الباء للاستعانة، أي أقرأ مستعينا بالله[1].

و﴿ٱللَّهِ﴾: علم علىٰ الذات الإلهية، مشتق من أَلِهَ يُأْلَهُ أُلُوهَةً، بمعنىٰ

(١) انظر: فتح الباري (١/ ٨).

عبد يُعبد عبادة، فالله: إله بمعنىٰ مألوه: أي معبود[(١)].

قوله: «﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾»: اسمان مشتقان من الرحمة علىٰ وجه المبالغة، ورحمن أشد مبالغة من رحيم[(٢)]، الرحمن: معناه المتصف بالرحمة الواسعة الواصلة إلىٰ جميع المخلوقات، وهو اسم خاص بالله عَزَّوَجَلَّ، والرحيم: معناه ذو الرحمة الخاصة بالمؤمنين[(٣)].

فالرحمن: أخص في الاسم، أعم متعلقا، **والرحيم:** أعم في الاسم، أخص متعلقا.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **«الرحمن دال علىٰ الصفة القائمة به سبحانه، والرحيم دال علىٰ تعلقها بالمرحوم فكان الأول للوصف، والثاني للفعل، فالأول دال أن الرحمة صفته، والثاني دال علىٰ أنه يرحم خلقه برحمته، وإذا أردت فهم هذا فتأمل قوله:** ﴿وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا﴾ [الأحزاب:٤٣]، ﴿إِنَّهُۥ بِهِمۡ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ [التوبة:١١٧]، **ولم يجئ قط رحمن بهم، فعلم أن الرحمن هو الموصوف بالرحمة، ورحيم هو الراحم برحمته»**[(٤)].

الشاهد من هذه الآية: إثبات ثلاثة أسماء لله تعالىٰ: الله،

---

(١) **انظر:** تاج العروس، ومختار الصحاح، مادة «أله».
(٢) **انظر:** تفسير ابن كثير (١/ ١٢٤).
(٣) **انظر:** لسان العرب، مادة «رحم».
(٤) **انظر:** بدائع الفوائد (١/ ٢٤).

والرحمن، والرحيم، وإثبات صفتين: الألوهية، والرحمة.

قوله: «﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾»: أي رحمتك تسع ذنوبهم وخطاياهم، وعلمك محيط بجميع أعمالهم وأقوالهم وحركاتهم وسكناتهم(١)، فالله يرحم المؤمن والكافر، يرحم المؤمن رحمة دينية دنيوية، ويرحم الكافر رحمة جسدية بدنية.

وهذه حكاية عن قول الملائكة: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾، فيقولون: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾[غافر:٧]، أي وسعت رحمتك وعلمك كل شيء(٢).

الشاهد من هذه الآية: إثبات صفة الرحمة لله تعالىٰ.

قوله: «﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾»: تقديم المعمول «**المؤمنين**» علىٰ العامل «**رحيما**» يفيد الحصر والاختصاص، يعني هذه رحمة خاصة بالمؤمنين.

والمراد أنه رحيم بهم في الدنيا والآخرة، **أما في الدنيا:** فإنه هداهم إلىٰ الحق الذي جهله غيرهم، وبصَّرهم الطريق الذي ضل عنه وحاد عنه من سواهم من الدعاة إلىٰ الكفر، أو البدعة

---

(١) **انظر:** تفسير ابن كثير (٧/ ١٣١).
(٢) **انظر:** تفسير البغوي (٧/ ١٤١).

وأشياعهم.

وأما رحمته بهم في الآخرة: فآمنهم من الفزع الأكبر، وأمر ملائكته يتلقونهم بالبشارة بالفوز بالجنة والنجاة من النار، وما ذاك إلا لمحبته لهم، ورأفته بهم(١).

الشاهد من هذه الآية: إثبات صفة الرحمة لله تعالىٰ.

قوله: «﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾»: أي عمت كل شيء، قال بعض السلف: وسعت رحمته في الدنيا البر والفاجر، وهي يوم القيامة للمتقين خاصة(٢).

الشاهد من هذه الآية: إثبات صفة الرحمة لله تعالىٰ.

قوله: «**وقال:** ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾»: أي أوجب علىٰ نفسه الكريمةِ الرحمةَ؛ تفضلا منه وإحسانا وامتنانا(٣)، خلافا للمعتزلة الذين يوجبونها علىٰ الله.

الشاهد من هذه الآية: إثبات صفة الربوبية، والإيجاب، والرحمة.

قوله: «﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾»: أي لمن تاب إليه وتوكل عليه، ولو من أي ذنب كان، حتىٰ من الشرك به، فإنه يتوب عليه(٤).

---

(١) **انظر:** تفسير ابن كثير (٦/ ٤٣٦).

(٢) **انظر:** تفسير البغوي (٣/ ٢٨٧).

(٣) **انظر:** تفسير ابن كثير (٦/ ٤٣٦).

(٤) السابق (٤/ ٣٠٠).

الشاهد من هذه الآية: إثبات اسمي الغفور، والرحيم، وإثبات صفتي المغفرة، والرحمة.

قوله: «﴿فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظٗاۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾»: أي خيركم حفظا، وهو أرحم الراحمين[1].

الشاهد من هذه الآية: إثبات صفة الرحمة لله تعالىٰ.

مسألة [١]: صفة الرحمة صفة ذاتية فعلية:

ذاتية باعتبار أنها لا تنفك عن ذات الله.

وفعلية باعتبار أنها تصل إلىٰ المخلوق.

مسألة [٢]: مذاهب الناس في إثبات صفة الرحمة:

١- **الجهمية**: صفة الرحمة مخلوقة؛ لأنهم نفوا جميع الصفات عن الله تعالىٰ إلا صفة الوجود المطلق، فالرحمن الرحيم عندهم مخلوقات منفصلة، فالرحيم هو المرحوم، والرحمن هو الذي رُحِم.

٢- **المعتزلة**: أنكروا صفة الرحمة، وقالوا: إنها مجاز عن الإنعام؛ فالرحيم والرحمن عندهم هو المنعِم.

٣- **الأشاعرة، والماتريدية**: أنكروا صفة الرحمة، وأولوها بالإنعام، أو بإرادة الإنعام، وإرادة الإحسان؛ لأن الصفات عندهم لا تليق بالله عقلا، فيرجعونها إلىٰ إحدىٰ الصفات السبعة التي أثبتوها لله

---

(١) انظر: تفسير البغوي (٤/ ٣٩٩).

عقلا.

مسألة [٣]: لماذا أنكرت المبتدعة صفة الرحمة؟

أنكرت المبتدعة صفة الرحمة لسببين:

أحدهما: أن العقل لم يدل عليها.

الثاني: أن الرحمة رقة وضعف وتضامن للمرحوم، وهذا لا يليق بالله تعالىٰ[1].

مسألة [٤]: هل البسملة آية من كل سورة؟

اتفق الفقهاء علىٰ أن البسملة جزء من آية في صدر سورة النمل، وهي قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٣٠﴾[النمل: ٣٠][2].

واختلفوا في كونها آية من كل سورة علىٰ ثلاثة أقوال[3]:

القول الأول: البسملة ليست في أوائل السور بآية، وإنما هي استفتاح ليعلم بها مبتدؤها.

به قال مالك، وأبو حنيفة، والحنابلة.

استدلوا بقول النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**إِنَّ سُورَةً مِنَ الْقُرْآنِ**

---

(١) انظر: اللآلئ البهية في شرح العقيدة الواسطية (١/ ٣٥١-٣٥٢).

(٢) انظر: تفسير البغوي (٤/ ٣٩٩).

(٣) انظر: أحكام القرآن، لابن العربي (١/ ٥)، والجامع لأحكام القرآن (١/ ٩٣).

ثَلَاثُونَ آيَةً شَفَعَتْ لِرَجُلٍ حَتَّىٰ غُفِرَ لَهُ، وَهِيَ سُورَةُ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ»[1]، ولا يختلف العادُّون أنها ثلاثون آية من غير البسملة[2].

ولأن السلف اتفقوا علىٰ أن سورة الكوثر ثلاث آيات، وهي ثلاث آيات بدون البسملة، ولو كانت منها لكانت أربعا[3].

القول الثاني: البسملة آية في بداية كل سورة إلا سورة التوبة.

وبه قال الشافعي، ورواية عن أحمد.

قالوا: لأنها ثبتت في المصحف، وهي مكتوبة بخطه ونُقلت، كما نُقلت في سورة النمل، وذلك متواتر عنهم.

أجيب بأن هذا صحيح، ولكن سبب إثباتها في المصحف؛ لأجل أنها من القرآن، أو لكونها فاصلة بين السور، كما روي عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَعْرِفُ فَصْلَ السُّورَةِ حَتَّى تَنَزَّلَ عَلَيْهِ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ»[4].

---

(١) **انظر**: رواه الترمذي (٢٨٩١)، وحسنه، والنسائي في الكبرىٰ (١١٥٤٨)، وابن ماجه (٣٧٨٦)، وأحمد (٧٩٦٢)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصححه أحمد شاكر، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٢٠٩١).

(٢) **انظر**: ابن الجوزي، التحقيق في مسائل الخلاف (١/ ٣٤٦).

(٣) **انظر**: ابن قدامة، المغني (١/ ٣٤٧).

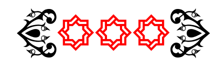
(٤) **انظر**: رواه أبو داود (٧٨٨)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (الأم ٣/ ٣٧٢-٣٧٣).

القول الثالث: البسملة آية في الفاتحة وحدها.

وبه قال الشافعي.

واستدلوا بأدلة لا يخلو حديث منها من ضعف، انظرها في التحقيق لابن الجوزي[1].

والراجح القول الأول القاضي بأن البسملة ليست في أوائل السور بآية، وإنما تُستفتح بها التلاوة.



(١) **انظر**: التحقيق، لابن الجوزي (١/ ٣٤٥-٣٤٨).

[صفة الرضا والغضب والسخط والكراهية والانتقام والمقت]

٥١- وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ﴾[البيِّنة:٨].

٥٢- وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ﴾[النساء:٩٣].

٥٣- وَقَوْلُهُ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُواْ رِضْوَٰنَهُۥ﴾[محمد:٢٨].

٥٤- وَقَوْلُهُ: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾[الزُّخرُف:٥٥].

٥٥- وَقَوْلُهُ: ﴿وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ﴾[التوبة:٤٦].

٥٦- وَقَوْلُهُ: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ ٣﴾[الصف:٣].

.... الشــرح ....

شرع المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في إثبات صفة الرضا، والغضب، والسخط، والكراهية، والانتقام، والمقت لله تعالىٰ.

وهذه الصفات: الرضا، والغضب، والسخط، والانتقام،

والكراهية، والمقت من الصفات الفعلية[(١)].

قوله: «وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ﴾»: أي رضي الله عن هؤلاء الصادقين الذين صدقوا في الوفاء له بما وعدوه من العمل بطاعته واجتناب معاصيه، ورضوا هم عن الله تعالىٰ في وفائه لهم بما وعدهم علىٰ طاعتهم إياه، فيما أمرهم ونهاهم من جزيل ثوابه، وفضله العظيم، ومقام رضاه عنهم أعلىٰ مما أوتوه من النعيم المقيم[(٢)]؛ كما قال تعالىٰ: ﴿وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾[التوبة:٧٢].

وفي هذه الآية سر بديع، وهو أنه لما سخطوا علىٰ القرائب والعشائر في الله عوضهم الله بالرضا عنهم، وأرضاهم عنه بما أعطاهم من النعيم المقيم، والفوز العظيم، والفضل العميم[(٣)].

والرضا ينقسم إلىٰ قسمين: رضا بالله، ورضا عن الله، فالرضا به: ربًّا ومدبِّرا، والرضا عنه: فيما يقضي ويقدِّر[(٤)].

الشاهد من هذه الآية: إثبات صفة الرضا لله تعالىٰ، وهي من الصفات الفعلية.

قوله: «وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا﴾»: أي يقصد آدميا

---

(١) الصفات الفعلية: هي الصفات التي إذا شاء فعلها سبحانه.

(٢) انظر: تفسير الطبري (٩/ ١٤٢)، وتفسير ابن كثير (٨/ ٤٥٨).

(٣) انظر: تفسير ابن كثير (٨/ ٥٥).

(٤) انظر: تفسير البغوي (٨/ ٤٩٧).

معصوما، فيقتله بما يغلب على الظن موته به.

قــولـه: «﴿فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَـٰلِدًا فِيهَـا﴾»: أي عقابه في الآخرة جهنم، وهي من أسماء النار، والمراد بالخلود المكث الطويل؛ لأن عصاة المسلمين لا يدوم عذابهم(١).

قــولـه: «﴿وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْـهِ وَلَعَنَـهُۥ﴾»: أي غضب الله عليه، وطرده عن رحمته.

والذي عليه الجمهور من سلف الأمة وخلفها: أن القاتل له توبة فيما بينه وبين ربه عَزَّوَجَلَّ، فإن تاب وأناب وخشع وخضع، وعمل عملا صالحا، بدل الله سيئاته حسنات، وعوض المقتول من ظُلَامَته وأرضاه عن طِلَابَته(٢).

الشاهد من هذه الآية: إثبات صفة الغضب، واللعن.

قــولـه: «وَقَوْلُهُ: ﴿ذَٰلِكَ﴾»: أي قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَـٰرَهُمْ ۝٢٧﴾[محمد:٢٧].

قــولـه: «﴿بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ﴾»: أي تفعل الملائكة هذا بهم من أجل أنهم اتبعوا ما أسخط اللهَ من طاعة الشيطان(٣).

قــولـه: «﴿وَكَرِهُواْ رِضْوَٰنَهُۥ﴾»: أي كرهوا ما فيه رضوان الله، وهو

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٧/ ٣٥٠)، وتفسير البيضاوي (٢/ ٩٠).
(٢) انظر: تفسير البغوي (٢/ ٢٦٦).
(٣) انظر: تفسير الطبري (٢١/ ٢٢١).

الطاعة والإيمان[١].

الشاهد من هذه الآية: إثبات صفتي السخط، والرضا لله تعالىٰ.

قوله: «وَقَوْلُهُ: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾»: أي لما أغضبونا انتقمنا منهم بعاجل العذاب الذي عجلناه لهم[٢].

وفي هذه الآية رد علىٰ من فسروا السخط بالانتقام؛ لأن الله عَزَّوَجَلَّ غاير بينهما، فجعل السخط نتيجة الانتقام، فدل علىٰ التفريق بينهما.

الشاهد من هذه الآية: إثبات صفتي الغضب، والانتقام لله تعالىٰ.

قوله: «وَقَوْلُهُ: ﴿وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ﴾»: أي ولكن أبغض الله خروجهم قَدَرًا، فمنعهم وحبسهم عن الخروج للغزو[٣]، وإن كان قد أمرهم بالغزو شرعا، وأقدرهم عليه حسًّا، لكن لم يُعِنهم عليه؛ لحكمة يعلمها.

الشاهد من هذه الآية: إثبات صفة الكراهية لله تعالىٰ.

قوله: «وَقَوْلُهُ: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٣﴾»: أي عظُم ذلك في المقت والبغض عند الله، أي: إن الله يبغض بغضا شديدا أن تعِدوا من أنفسكم شيئا، ثم لم توفوا به[٤].

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٢١/ ٢٢١)، وتفسير البغوي (٧/ ٢٨٨).

(٢) انظر: تفسير الطبري (٢٠/ ٦١٧-٦١٨)، وتفسير البغوي (٧/ ٢١٨).

(٣) انظر: تفسير البغوي (٤/ ٥٥)، وتفسير ابن كثير (٤/ ١٥٩).

(٤) انظر: تفسير البغوي (٨/ ١٠٨).

الشاهد من هذه الآية: إثبات صفة المقت لله تعالىٰ الله.

مسألة [١]: تأويل الصفات عند الأشاعرة والمعتزلة:

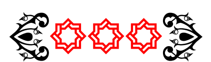
الأشاعرة يرجعون الصفات كلها إلىٰ الإرادة، فالرضا عندهم إرادة الثواب، والغضب عندهم إرادة السخط.

أما المعتزلة فيرجعونها إلىٰ نفس الثواب والعقاب.

مسألة [٢]: خالفت الماتريدية والأشاعرة أهل السنة في باب الصفات في مسألتين:

إحداهما: الصفات قديمة وليست قائمة بذات الله بمشيئته واختياره، فهي عندهم ليست بحادثة، فيقولون مثلا في السمع: سمع الكلام في القِدَم؛ لعلمه به.

الأخرىٰ: الصفات لا تليق بالله، ولهذا يؤولونها بالإرادة(١).



---

(١) انظر: اللآلئ البهية في شرح العقيدة الواسطية (١/ ٣٧٢).

[صفة المجيء والإتيان]

٥٧- وَقَوْلُهُ: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾[البقرة:٢١٠].

٥٨-: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾[الأنعام:١٥٨].

٥٩-: ﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾[الفجر:٢١-٢٢].

٦٠-: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾﴾[الفرقان:٢٥].

.... الشـــرح ....

شرع المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في إثبات صفة المجيء، والإتيان لله تعالىٰ، وهي من الصفات الفعلية.

قــولــه: «وَقَوْلُهُ: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾»: أي هل ينظر المتبعون خطوات الشيطان إلا يوم القيامة يوم يأتيهم الله والملائكة؛ لفصل القضاء بين الأولين والآخرين،

فيجزي كل عامل بعمله، إن خيرا فخير، وإن شرًّا فشرٌّ[١].

وهذا استفهام بمعنىٰ النفي بلا خلاف[٢]، أي ما ينظرون، فمتىٰ جاءت «إلا» بعد الاستفهام كان الاستفهام بمعنىٰ النفي.

والغمام: هو السحاب الأبيض الرقيق، سُمِّي غماما؛ لأنه يغم، أي: يستر[٣].

قوله: «وَقَوْلُهُ: ﴿وَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ﴾»: أي وجب العذابُ، وفُرغ من الحساب، والقضاء بالحق بين الخلق يوم القيامة.

والأولىٰ في هذه الآية وما شاكلها أن يؤمن الإنسان بظاهرها، ويكل علمها إلىٰ الله تعالىٰ، ويعتقد أن الله عزَّ اسمه منزَّه عن سمات الحَدَث، علىٰ ذلك مضت أئمة السلف وعلماء السنة[٤].

قوله: «﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾»: أي هل ينتظرون بعد تكذيبهم الرسل وإنكارهم القرآن إلا أن تأتيهم الملائكة؛ لقبض أرواحهم، وقيل: بالعذاب، وهذا تهديد لمن يتمادون في الباطل،

---

(١) **انظر:** تفسير البغوي (١/ ٢٤١)، وتفسير ابن كثير (١/ ٥٦٦).
(٢) **انظر:** بيان تلبيس الجهمية (٦/ ٣٢٠).
(٣) **انظر:** المفردات في غريب القرآن، صـ(٦١٣)، وتفسير البغوي (١/ ٢٤١).
(٤) **انظر:** تفسير البغوي (١/ ٢٤١).

ويغترون بالدنيا[١].

قــولــه: «﴿ أَوْ يَـأْتِيَ رَبُّـكَ﴾»: أي لفصل القضاء بين خلقه في موقف القيامة[٢].

قــولــه: «﴿أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾»: أي طلوع الشمس من مغربها[٣].

مسألة: إطلاقات النظر:

يُطلق النظر ويراد به أحد ثلاثة أشياء:

أحدها: إذا عُدِّي النظر بـ «إلىٰ» كان بمعنىٰ النظر الحقيقي بالأبصار بإجماع أهل اللغة.

مثاله: قوله تعالىٰ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾[القيامة:٢٢-٢٣].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾[آل عمران:٧٧].

الثاني: إذا عُدِّي بـ «في» كان بمعنىٰ التدبر والتفكُّر والاعتبار.

مثاله: قوله تعالىٰ: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[الأعراف:١٨٥]، أي يتفكَّروا، ويعتبروا.

---

(١) انظر: تفسير البغوي (٣/ ٢٠٧)، وتفسير ابن كثير (٤/ ٥٦٩).

(٢) انظر: تفسير البغوي (٣/ ٢٠٧)، وتفسير ابن كثير (٤/ ٥٦٩).

(٣) انظر: تفسير البغوي (٣/ ٢٠٧).

وقوله تعالىٰ: ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾﴾[الصافات:٨٨]، أي تأمل، وتفكَّر.

الثالث: إذا عُدِّي بنفسه كان بمعنىٰ الانتظار.

مثاله: قوله تعالىٰ: ﴿ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾[الحديد:١٣]، أي انتظرونا.

وقوله تعالىٰ: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ﴾[البقرة:٢١٠][١].

قوله: «﴿كَلَّآ﴾»: أي حقًّا ما هكذا ينبغي أن يكون الأمر، أي لا يفعلون ما أُمروا به من إكرام اليتيم، وإطعام المسكين، وعدم أكل الميراث[٢].

قوله: «﴿إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾»: أي مرة بعد مرة، وكسر كل شيء علىٰ ظهرها من جبل وبناء وشجر، فلم يبق علىٰ ظهرها شيء[٣]، أي وُطِئت ومُهِّدت وسُويت الأرض والجبال، وقام الخلائق من قبورهم لربهم عَزَّوَجَلَّ[٤].

قوله: «﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾»: أي يجيء الرب

---

(١) انظر: المفردات في غريب القرآن، صـ(٨١٢-٨١٣).
(٢) انظر: تفسير البغوي (٨/ ٤٢٢)، وتفسير ابن كثير (٨/ ٣٩٩).
(٣) انظر: تفسير البغوي (٨/ ٤٢٢).
(٤) انظر: تفسير ابن كثير (٨/ ٣٩٩).

تعالىٰ؛ لفصل القضاء كما يشاء، والملائكة يجيؤون بين يديه صفا بعد صف قد أحاطوا بالجن والإنس، وأهل كل سماء صف علىٰ حدة [(١)].

وهذه الآية وأمثالها يجب الإيمان بها من غير تكييف، ولا تمثيل [(٢)].

قوله: «﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ﴾»: أي تتفطر السماء وتنفجر بالظلل، وهو النور العظيم الذي يُبْهر الأبصار [(٣)].

قوله: «﴿وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا﴾»: أي تنزل ملائكة السموات يومئذ، فيحيطون بالخلائق في مقام المحشر، ثم يجيء الرب تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لفصل القضاء [(٤)].

الشاهد من هذه الآيات: إثبات المجيء، والإتيان لله تعالىٰ يوم القيامة بذاته؛ لفصل القضاء بين العباد، ولا نعلم كيفيته.

مسألة: معنىٰ المجيء عند المبتدعة:

فسرت المبتدعة المجيء بمجيء أمر الله، أو مجيء المَلَك، وقالوا: في الكلام مجاز وحذف.

---

(١) **انظر**: تفسير البغوي (٨/ ٤٢٢)، وتفسير ابن جُزَيٍّ (٢/ ٤٨١)، وتفسير ابن كثير (٨/ ٣٩٩).

(٢) **انظر**: تفسير ابن جُزَيٍّ (٢/ ٤٨١).

(٣) **انظر**: تفسير البغوي (٦/ ٨٠)، وتفسير ابن كثير (٦/ ١٠٥).

(٤) **انظر**: تفسير ابن كثير (٦/ ١٠٥).

وأجيب عنهم من وجهين:

أحدهما: أننا لو سلَّمنا بالمجاز؛ فإن المجاز لا يصار إليه إلا إذا تعذر حمل اللفظ علىٰ معناه الأول، وهنا لا يتعذر ذلك.

الثاني: أن سياق النصوص يدل علىٰ أن المجيء والإتيان يكون بذات الله تعالىٰ.



[صفة الوجه]

٦١- وَقَوْلُهُ: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ۝٢٧﴾[الرحمن:٢٧].

٦٢-: ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾[القصص:٨٨].

.... الشــرح ....

شرع المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في إثبات صفة الوجه لله تعالىٰ، وهي من الصفات الذاتية.

قــولــه: «وَقَوْلُهُ: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾»: أي لا يفنىٰ، فلا يبقىٰ إلا وجهه الكريم سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، وأضاف الربوبية إلىٰ النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من باب التشريف.

قــولــه: «﴿ذُو ٱلْجَلَٰلِ﴾»: أي ذو العظمة والكبرياء، فهو أهل أن يُجَلَّ فلا يعصىٰ، وأن يطاع فلا يُخالف[1].

قــولــه: «﴿وَٱلْإِكْرَامِ﴾»: أي مُكْرِمُ أنبيائه وأوليائه بلطفه مع جلاله وعظمته[2]، وقيل: المستحق أن يُكَرَّم عن كل شيء لا يليق به[3].

---

(١) انظر: تفسير البغوي (٧/ ٤٤٥)، وتفسير ابن كثير (٧/ ٤٩٤).

(٢) انظر: تفسير البغوي (٧/ ٤٤٥).

(٣) انظر: فتح القدير (٥/ ١٦٣).

فهو تعالىٰ وحده هو الحي الذي لا يموت، والإنس والجن يموتون، وكذلك الملائكة وحملة العرش، وينفرد الواحد الأحد القهار بالديمومة والبقاء، فيكون آخرا كما كان أولًا(١).

قوله: «﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾»: أي كل شيء يفنىٰ ويزول إلا الله، فإنه الدائم الباقي الحي القيوم، الذي تموت الخلائق، ولا يموت، فعبَّر بالوجه عن الذات(٢).

قال الشعبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إذا قرأت: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝٢٦﴾[الرحمن:٢٦]، فلا تسكت حتىٰ تقرأ: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ۝٢٧﴾[الرحمن:٢٧](٣)؛ لأن فناء الأشياء لا يُمدح، وإنما أريد بالآية ما هو مدح وثناء علىٰ الله بكون كل شيء يفنىٰ، ويبقىٰ وجه الله عَزَّوَجَلَّ.

الشاهد من هاتين الآيتين: إثبات صفة الوجه لله تعالىٰ، ووجهه عَزَّوَجَلَّ وجه حقيقي يليق بجلاله وعظمته، لا يشبه أوجه المخلوقين.

مسألة[١]: ما فائدة التخصيص في قوله تعالىٰ: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾؟

الفائدة من التخصيص أمران:

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (١/ ٥٦٦).
(٢) السابق (٢/ ٤٨٣، ٦/ ٢٦١).
(٣) السابق (٧/ ٤٩٤).

أحـدهما: الدلالـة علـىٰ بقـاء الله عَزَّوَجَلَّ؛ لأنـه إذا بقيـت صـفة مـن صفات الله الذاتية فالله عَزَّوَجَلَّ باق.

الآخر: تشريفا له؛ لكون المخلوقات تَقصد وجه الله، فيكون هذا أبلغ في نفس المخلوق[١].

مسألة [٢]: هل كل وجه أضيف إلىٰ الله تعالىٰ، يراد به وجهَ الله الذي هو صفته؟

الأصل أن الوجه إذا أضيف إلىٰ الله تعالىٰ، فإنه يراد به وجه الله الذي هو صفته، كقوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾[الأنعام:٥٢].

أما قوله تعالىٰ: ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾[البقرة:١١٥]، فقال جمهور السلف: أي قبلة الله ووجهة الله؛ لأن السياق يدل عليه؛ لأنه قال: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟﴾، وأين من الظروف، و﴿تُوَلُّوا۟﴾ أي تستقبلوا، فالمعنىٰ: أي موضع استقبلتموه فهنالك وجه الله، فقد جعل وجه الله في المكان الذي يستقبله.

وقال بعضهم: أي وجه الله تعالىٰ الذي هو صفة من صفاته[٢].

مسألة [٣]: معنىٰ الوجه عند أهل التعطيل:

---

(١) انظر: اللآلئ البهية في شرح العقيدة الواسطية (١/ ٤١٢).

(٢) انظر: مجموع الفتاوىٰ (٢/ ٤٢٩، ٦/ ١٦-١٧).

فسر أهل التعطيل الوجه بالثواب؛ لأن إثباته يقتضي التشبيه والتمثيل والتجسيم، ورد عليهم أهل السنة والجماعة بثلاثة أشياء:

١-أن قولهم خلاف ظاهر النصوص؛ فظاهر النصوص يدل على على أن لله وجها حقيقيا، والأصل هو العمل بالظاهر.

٢-أن قولهم خلاف طريقة السلف، وهي إثبات ما أثبته الله لنفسه، وما أثبته له رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وتنزيهه عن كل نقص، وقطع الطمع عن إدراك حقيقتها.

٣-أن قولهم ليس عليه دليل صحيح.

مسألة [٤]: هل يجوز أن يقال: إن قوله تعالىٰ: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ من إطلاق الجزء، وإرادة الكل؟

لا يجوز أن يقال هذا؛ لأن الله لا يُعبر عن صفاته بالجزء والكل، وإن كانت النتيجة صحيحة، وإنما يقال: هذا فيه إثبات بقاء الوجه، أو: هذا يقتضي إثبات بقاء الوجه[1].

مسألة [٥]: أنواع الأشياء التي تضاف إلىٰ الله تعالىٰ:

الأشياء التي تضاف إلىٰ «الله» قسمان:

أحدهما: أعيان، أي ذوات تقوم بنفسها، كبيت الله، وناقة الله، وكعبة الله، ورسول الله، وعبدالله، وروح الله، هذه إضافة مخلوق إلىٰ

---

(١) انظر: اللآلئ البهية في شرح العقيدة الواسطية (١/ ٤١٢).

خالقه، وهي إضافة تقتضي تخصيصا وتشريفا يتميز بها المضاف عن غيره.

الثاني: صفات لا تقوم بنفسها، وهي نوعان:

١- صفات مستحقة لله: هي التي تأتي بعدها لام الاستحقاق، كالحمد، والتسبيح، فالحمد ليس صفة من صفات الله، لكن يعني الحمد مستحق لله، وكذلك التسبيح ليس صفة من صفات الله، لكن يعني التسبيح مستحق لله تعالىٰ.

٢- صفات متصف الله بها: ولا يقال: مستحق لذلك؛ لأن العبد ليس له فعل فيها، مثل الوجه في قوله تعالىٰ: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾، فالوجه ليس بذات تقوم بنفسها، وليس صفة مستحقة لله يفعلها العبد ويتوجه بها إلىٰ الله تعالىٰ، وإنما هي صفة يستحقها الله استحقاق موصوف لصفته، وكذلك سمع الله، وقدرة الله، وكلام الله[1].

---

[1] انظر: اللآلئ البهية في شرح العقيدة الواسطية (١/ ٤١٤-٤١٥).

[صفة اليدين]

٦٣- وَقَوْلُهُ: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾[ص:٧٥].

٦٤-: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾[المائدة:٦٤].

.... الشـــرح ....

شرع المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في إثبات صفة اليدين لله تعالىٰ، وهي من الصفات الذاتية.

قــولــه: «وَقَوْلُهُ: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾»: أيْ أيُّ شيء منعك يا إبليسُ من السجود لآدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ الذي باشرتُ خلقه بيدي بدون واسطة[(١)]، وهذا استفهام توبيخ وإنكار[(٢)]، وفي هذا تشريف وتكريم لآدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

ولـم يقـل الله: لمـن خلقـتُ؛ لأن المـراد هنـا آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ باعتبـار وصفه الذي لم يشاركه فيه أحـد، وهـو خلـق الله إياه بيديـه، لا باعتبـار شخصه.

قــولــه: «﴿وَقَالَـتِ ٱلْيَهُـودُ يَـدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَـةٌۚ غُلَّـتْ أَيْـدِيهِمْ

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٢٠/ ١٤٥).

(٢) انظر: تفسير البغوي (٧/ ١٠٢).

﴿وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾»: أيْ محبوسة مقبوضة عن الرزق، أي بخيلة، نسبوه إلىٰ البخل، تعالىٰ الله عن ذلك(١).

قيل: إنما سميت اليهود «**يهود**»، من أجل قولهم: ﴿إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ﴾[الأعراف:١٥٦]، أي تُبْنا(٢).

قوله: «﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾»: أيْ أمسكت أيديهم عن الخيرات.

قوله: «﴿وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ﴾»: أي عُذِّبوا بسبب مقالتهم هذه، ومن لعنهم أنهم مُسخوا قردة وخنازير، وضُربت عليهم الذِّلة والمسكنة في الدنيا، وفي الآخرة بالنار(٣).

قوله: «﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾»: أي بل هو الواسع الفضل، الجزيل العطاء، الذي ما من شيء إلا عنده خزائنه، وهو الذي ما بخلقه من نعمة فمنه وحده لا شريك له(٤)، ويد الله صفة من صفاته، كالسمع، والبصر، والوجه(٥).

مسألة [١]: ما وجه الجمع بين الأوجه التي جاءت في صفة

---

(١) انظر: تفسير البغوي (٣/ ٧٦)، وتفسير ابن كثير (٣/ ١٤٦).
(٢) انظر: تفسير الطبري (٢/ ١٤٣).
(٣) انظر: تفسير البغوي (٣/ ٧٦).
(٤) انظر: تفسير ابن كثير (٣/ ١٤٦).
(٥) انظر: تفسير البغوي (٣/ ٧٦).

اليدين؟

الأول: الإفراد، كقوله تعالىٰ: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾[المُلك:١].

الثاني: التثنية، كقوله تعالىٰ: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾[المائدة:٦٤].

الثالث: الجمع، كقوله تعالىٰ: ﴿أَوَ لَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا﴾[يس:٧١].

وجه الجمع بين هذه الأوجه أن نقول:

الوجه الأول مفرد مضاف يفيد العموم، فيشمل كل ما ثبت لله من يد، ولا ينافي الثنتين.

وأما الجمع فهو للتعظيم لا لحقيقة العدد الذي هو ثلاثة فأكثر، وحينئذ لا ينافي التثنية، وعلىٰ قول من قال: إن أقل الجمع اثنان فإنه يحمل علىٰ أقله فلا تكون حينئذ معارضة بينه وبين التثنية أصلا.

مسألة [٢]: معنىٰ ﴿بِأَيْيْدٍ﴾ في قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ﴾[الذاريات:٤٧].

«**الأيد**» معناها هنا القوة الشديدة[(١)]، فهي مصدر آد يئيد إذا قوي[(٢)]، وليس المراد بالأيد صفة الله، ولهذا لم يضفه الله إلىٰ نفسه، فلم يقل

---

(١) انظر: المفردات في غريب القرآن، صـ (٩٧).

(٢) انظر: لسان العرب، مادة «أيد».

«**بأيدينا**»، بل قال «**بأيد**»، أي بقوة؛ كذا قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، ومجاهد، وقتادة، والثوري، وغيرهم[(١)].

مسألة [٣]: الرد علىٰ من فسر اليد بالقوة، أو النعمة:

١- أنه مخالف لظاهر النصوص.

٢- أنه مخالف لإجماع السلف؛ فلم يرد عن أحد من السلف أنه قال به.

٣- أنه مخالف لمنهج السلف وهو الإثبات، والتنزيه، وقطع الطمع عن إدراك كيفية الصفة.

٤- أنه يستلزم منه لوازم باطلة، مثل أن تكون النعمة نعمتين، ونعمُ الله لا تحصىٰ؛ ويستلزم أن القوة قوتان، والقوة واحدة لا تتعدد.

٥- لو كان المراد باليد القوة ما كان لآدم عَلَيْهِ السَّلَامُ فضل علىٰ إبليس، بل ولا علىٰ الحمير والكلاب؛ لأنهم خُلقوا جميعا بقوة الله.

٦- لو كان المراد باليد القوة ما صح الاحتجاج علىٰ إبليس؛ لأنه سيقول: وأنا يا رب خلقتني بقوتك، فما فضله عليَّ؟

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٢١/ ٥٤٥-٥٤٦)، وتفسير ابن كثير (٧/ ٤٢٤).

٧- النصوص الواردة في صفة اليد يمتنع حملها على أن المراد بها القوة؛ لأن الله وصفها بأن فيها أصابع، وأنها تقبض وتبسط، وكل هذا يمتنع أن يراد به القوة؛ لأن القوة لا توصف به.



[صفتا العينين لله تعالى]

٦٥- وَقَوْلُهُ: ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾[الطور:٤٨].

٦٦- وَقَوْلُهُ: ﴿وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ۝١٣ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ۝١٤﴾[القمر:١٣-١٤].

٦٧-: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ۝٣٩﴾[طه:٣٩].

.... الشـــرح ....

شرح المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في إثبات صفة العينين لله تعالىٰ، وهي من الصفات الذاتية.

قـوله: «وَقَوْلُهُ: ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾»: أي اصبر علىٰ أذاهم ولا تبالهم، واصبر لقضاء ربك فيما حمَّلك من رسالته؛ فإنك بمرأىٰ منا نرىٰ، ونسمع ما تقول وتفعل بحيث نراك ونحفظك ونحوطك ونحرسك ونرعاك، ونعتني بك، والله يعصمك من الناس[(١)]، وحكم الله نوعان: كوني، وشرعي كما تقدَّم.

وهذا تفسير باللازم مع إثبات الأصل بخلاف قول أهل التحريف

---

(١) انظر: تفسير البغوي (٧/ ٣٩٤)، وتفسير ابن كثير (٧/ ٤٣٨)، والجامع لأحكام القرآن (١٧/ ٧٨).

الذين يقولون: بمرأىٰ منا، بدون إثبات العين.

والباء هنا للمصاحبة، ولا يمكن حملها علىٰ الظرفية؛ لأنه يقتضي أن يكون رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في عين الله، وهذا محال.

والصبر لغة: الحبس، يقال: صبَّرت نفسي علىٰ ذلك الأمر، أي حبستها[١].

وشرعا: هو حبس النفس عن محارم الله، وحبسها علىٰ فرائضه، وحبسها عن التسخط، والشكاية لأقداره[٢].

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «الصبر حبس النفس عن التسخط بالمقدور، وحبس اللسان عن الشكوىٰ، وحبس الجوارح عن المعصية كاللطم، وشق الثياب، ونتف الشعر، ونحوه.

فمدار الصبر علىٰ هذه الأركان الثلاثة، فإذا قام به العبد كما ينبغي انقلبت المِحنة في حقه مِنحة، واستحالت البلية عطية، وصار المكروه محبوبا.

فإن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لم يبتله؛ ليهلكه، وإنما ابتلاه؛ ليمتحن صبره وعبوديته، فإن لله تعالىٰ علىٰ العبد عبودية الضراء، وله عبودية عليه فيما يكره، كما له عبودية فيما يحب، وأكثر الخلق يعطون العبودية فيما

---

(١) **انظر**: تهذيب اللغة، مادة «صبر»، ومقاييس اللغة، مادة «صبر».

(٢) **انظر**: رسالة ابن القيم لأحد إخوانه، صـ(١٨).

يحبون»[(١)].

مسألة: لماذا جمع لفظ العين، ولم يثنِّه مع أن المقام يقتضي تثنيته، فقال: ﴿بِأَعْيُنِنَا﴾، ولم يقل: بعينينا؟

لأن ما أُضيف من أعضاء الإنسان إلىٰ اثنين فإنه يُجمع، تقول: هشمت رُؤوسهما، وأشبعت بطونهما.

ولهذا تعالىٰ: ﴿فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا﴾[المائدة:٣٨]، ولم يقل: «**فاقطعوا يديهما**»، والمراد فاقطعوا يمينا من كل واحد منهما.

وقال تعالىٰ: ﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾[التحريم:٤]، ولم يقل: «**قلبيكما**».

ويجوز في اللغة «**فاقطعوا يديهما**» وهو الأصل[(٢)].

قوله: «وَقَوْلُهُ: ﴿وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ۝١٣﴾»: أي وحملنا نوحا عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ علىٰ سفينة ذات ألواح، ومسامير تشد بها الألواح، يقال: دَسَرْت السفينة إذا شددتها بالمسامير[(٣)].

قوله: «﴿تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا﴾»: أي تجري بمرأىٰ منا، وتحت حفظنا ورعايتنا[(٤)].

---

(١) انظر: الوابل الصيب، صـ(٥).
(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن (٦/ ١٧٤).
(٣) انظر: تفسير البغوي (٧/ ٤٢٨).
(٤) انظر: تفسير البغوي (٧/ ٤٢٩)، وتفسير ابن كثير (٧/ ٤٧٧).

قـــولـه: «﴿جَزَآءٗ لِّمَن كَانَ كُفِرَ ١٤﴾»: أي أنجينا نوحا عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، ومن معه، وأغرقنا قومه؛ جزاءً لهم علىٰ كفرهم بالله وجحد أمره، وانتصارا لنوح عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ[1].

مسألة: لماذا ذكر الله تعالىٰ صفة السفينة، ولم يذكر اسمها؟

ذكر الله تعالىٰ صفة السفينة، ولم يذكر اسمها؛ لثلاثة أوجه:

أحدها: مراعاةً للآيات، وفواصلها.

الثاني: إشارةً إلىٰ قوتها.

الثالث: لتعليم الناس كيفية صناعة السفن.

قـــولـه: «﴿وَأَلۡقَيۡتُ عَلَيۡكَ مَحَبَّةٗ مِّنِّي﴾»: أي يا موسىٰ أحببتك، وحببتك إلىٰ عبادي، فما رآه أحد إلا أحبه[2].

قـــولـه: «﴿وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ ٣٩﴾»: أي لتربىٰ وتغذىٰ بمرأىٰ، ومنظر، ورعاية مني[3].

الشاهد من هذه الآيات: إثبات صفة العينين لله تعالىٰ.

مسألة [١]: كم عين لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ؟

الله عَزَّوَجَلَّ له عينان؛ لحديث الدجَّال، وفيه: «**إِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ**،

---

(١) انظر: تفسير البغوي (٧/ ٤٢٩)، وتفسير ابن كثير (٧/ ٤٧٧).

(٢) انظر: تفسير البغوي (٥/ ٢٧٢)، وتفسير ابن كثير (٥/ ٢٨٤).

(٣) انظر: تفسير البغوي (٥/ ٢٧٢)، وتفسير ابن كثير (٥/ ٢٨٤).

وَإِنَّهُ -أي الدجال- أَعْوَرُ عَيْنِ الْيُمْنَىٰ»[١]، فهذا صريح في أن الله تعالىٰ عينين وليس عينا واحدة[٢].

والعور لا يكون إلا لمن له عينان إحداهما عوراء[٣].

مسألة [٢]: مذاهب الناس في إثبات العين والبصر لله تعالىٰ:

١- **المعتزلة والجهمية:** أنكروا العين والبصر، فقالوا: ليس لله عين ولا بصر.

٢- **الأشاعرة:** أثبتوا البصر لله؛ لأن العقل دل علىٰ ذلك، ونفوا صفة العين؛ لأنها تقتضي التمثيل والتشبيه.

٣- **أهل السنة والجماعة:** أثبتوا البصر والعين لله تعالىٰ.

مسألة [٣]: معنىٰ «العين» عند أهل التحريف:

فسر أهلُ التحريفِ العين بالرؤية بدون عين، وأجيب عليهم بعدة وجوه:

١- أن قولهم مخالف لظاهر النصوص، والأصل إجراء النص علىٰ ظاهرة إلا إذا دل دليل علي أن الظاهر غير مراد، ولا دليل هنا علىٰ صرف النص عن ظاهره.

---

(١) **متفق عليه:** رواه البخاري (٤٤٠٢)، ومسلم (١٦٩، ٢٩٣٣).

(٢) **انظر:** بيان تلبيس الجهمية (٣/ ٣٨٠)، والصواعق المرسلة (١/ ٢٥٨-٢٥٩).

(٣) **انظر:** العين، ومقاييس اللغة، مادة «عور».

٢- أن قولهم مخالف لإجماع السلف؛ فقد أجمع السلف علىٰ أن لله عينين حقيقيتين تليقان به سبحانه.

٣- أن قولهم لا دليل عليه.

٤- أننا إذا قلنا بأن المراد بالعين الرؤية وليس العين الحقيقة، وأثبتَ الله لنفسه عينًا، فلازم ذلك أنه يرىٰ بتلك العين، وحينئذ يكون في الآية دليل علىٰ أنها عين حقيقية[1].



(١) انظر: شرح العقيدة الواسطية، للشيخ ابن عثيمين (١/ ٣٢٢).

[صفتا السمع والبصر]

٦٨- وَقَوْلُهُ: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ١﴾[المجادلة:١].

٦٩-: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُۘ سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ﴾[آل عمران:١٨١].

٧٠-: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ٨٠﴾[الزُّخرف:٨٠].

٧١-: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ٤٦﴾[طه:٤٦].

٧٢- وَقَوْلُهُ: ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ١٤﴾[العلق:١٤].

٧٣-: ﴿ٱلَّذِي يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ٢١٨ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ٢١٩ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ٢٢٠﴾ [الشعراء:٢١٨-٢٢٠].

٧٤-: ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ١٠٥﴾[التوبة:١٠٥].

.... الشــرح ....

شرع المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في إثبات صفتي السمع والبصر لله تعالىٰ، وهما من الصفات الذاتية، فذكر سبع آيات.

قـوله: «وَقَوْلُهُ: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَـٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا﴾»: أي تخاصمك وتحاورك وتراجعك في زوجها الذي ظاهر منها، وهي خَوْلَةَ بِنْتِ ثَعْلَبَةَ، وزوجها هو أَوْسُ بنُ الصَّامِتِ[١].

قـولـه: «﴿وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾»: فَقَدْ جَاءتْ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَشْكُو إِلَيْهِ، وقالتْ: يَا رَسُولَ اللهِ أَكَلَ شَبَابِي وَنَثَرْتُ لَهُ بَطْنِي[٢] حَتَّىٰ إِذَا كَبِرَتْ سِنِّي، وَانْقَطَعَ وَلَدِي ظَاهَرَ مِنِّي، اللهُمَّ إِنِّي أَشْكُو إِلَيْكَ.

فَجَادَلَهَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهِ، وَقَالَ لَهَا: «**اتَّقِي اللهَ فَإِنَّهُ ابْنُ عَمِّكِ**»[٣].

فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**قَدْ حَرُمَتْ عَلَيْهِ**»، فَجعلت تَقول: وَاللهِ مَا ذَكَرَ طَلَاقًا، فَكلَّمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ: «**قَدْ حَرُمَتْ عَلَيْهِ**»، تَقولُ: وَاللهِ مَا ذَكَرَ طَلَاقًا، فَهَذِهِ كَانَتْ مُجَادَلَتَهَا.

قـوله: «﴿وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ﴾»: أي مراجعتكما الكلام[٤].

قـوله: «﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ۝١﴾»: أي سميع لما تناجيه

---

(١) انظر: تفسير البغوي (٨/ ٥٠)، وتفسير ابن كثير (٧/ ٤٣٨).

(٢) ونثرت له بطني: أي أكثرت له الأولاد، تريد أنها كانت شابة تلد الأولاد عنده.

(٣) صحيح: رواه أبو داود (٢٢١٤)، وأبو يعلىٰ (٤٧٨٠)، من حديث خولة بنت ثعلبة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، ورواه ابن ماجه (٢٠٦٣)، من حديث عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، وصححه الألباني.

(٤) انظر: تفسير البغوي (٨/ ٥٠)، وتفسير ابن كثير (٧/ ٤٣٨).

وتتضرع إليه، بصير بمن يشكو إليه[(١)].

قَالَتْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَسِعَ سَمْعُهُ الأَصْوَاتَ، لَقَدْ جَاءَتْ خَوْلَةُ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَشْكُو زَوْجَهَا، وَمَا أَسْمَعُ مَا تَقُولُ، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾[المجادلة:١]»[(٢)].

قوله: «﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ﴾»: لما نزل قوله تعالىٰ: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾﴾[البقرة:٢٤٥]، قالت اليهود: يا محمد، افتقرَ ربك، يسأل عباده القرض؟ فأنزل الله الآية[(٣)].

قوله: «﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾﴾»: أي أم يظن هؤلاء المشركون بالله أنا لا نسمع ما أخفوا عن الناس من كلامهم، وتشاوروا بينهم وتناجوا به دون غيرهم، فلا نعاقبهم عليه لخفائه علينا، بل نحن نعلم ما تناجوا به بينهم، وأخفوه عن الناس من سر كلامهم، وملائكتنا الحفظة لديهم،

---

(١) انظر: تفسير البغوي (٨/ ٥٠)، وتفسير ابن كثير (٧/ ٤٣٨).

(٢) صحيح: رواه البخاري مختصرا (٩/ ١١٧)، والنسائي (٣٤٦٠)، وابن ماجه (١٨٨)، واللفظ لهما، وأحمد (٢٤١٩٥)، وصححه الألباني.

(٣) انظر: تفسير البغوي (٢/ ١٤٣)، وتفسير ابن كثير (٢/ ١٧٦).

يعني عندهم يكتبون ما نطقوا به من منطق، وتكلموا به من كلامهم[(١)].

قـوله: «﴿إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ۝٤٦﴾»: أي يا موسىٰ وهارون إنني معكما أسمع كلامكما وكلامه، وأرىٰ مكانكما ومكانه، لا يخفىٰ عليَّ من أمركم شيء، واعلما أن ناصيته بيدي، فلا يتكلم ولا يتنفس ولا يبطش إلا بإذني وبعد أمري، وأنا معكما بحفظي ونصري وتأييدي[(٢)]، وهذه معية خاصة.

قـوله: «وَقَوْلُهُ: ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ۝١٤﴾»: أي أما علم أبو جهل حين نهىٰ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الصلاة بأن الله يراه، ويسمع كلامه، وسيجازيه علىٰ فعله أتم الجزاء[(٣)]، وهذا الاستفهام للتقريع والتوبيخ.

قـوله: «﴿ٱلَّذِي يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ﴾»: أي إلىٰ صلاتك، وقيل: حين تقوم لدعائهم، فهو معتنٍ بك[(٤)].

قـوله: «﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ﴾»: أي يرىٰ تقلبك في صلاتك في حال قيامك، وركوعك، وسجودك، وقعودك[(٥)].

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٢٠/ ٦٥١-٦٥٢).
(٢) انظر: تفسير ابن كثير (٥/ ٢٩٦).
(٣) انظر: تفسير البغوي (٨/ ٤٨٠).
(٤) انظر: تفسير البغوي (٦/ ١٣٤)، وتفسير ابن كثير (٦/ ١٧١).
(٥) انظر: تفسير البغوي (٦/ ١٣٤).

قوله: «﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾﴾»: أي السميع لأقوال عباده، العليم بحركاتهم وسكناتهم[١].

قوله: «﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾﴾»: أي قل يا رسولنا للمخالفين أوامر الله: اعملوا ما شئتم، واستمروا علىٰ باطلكم، ولا تحسبوا أن ذلك سيخفىٰ، بل إن أعمالكم ستعرض عليه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وعلىٰ رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم القيامة، وعلىٰ المؤمنين في الدنيا، وهذا كائن لا محالة يوم القيامة، وهذا وعيد لهم، وقيل: سيظهر عملكم في الدنيا[٢].

وقيل: رؤية النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بإعلام الله تعالىٰ إياه، ورؤية المؤمنين بإيقاع المحبة في قلوبهم لأهل الصلاح، والبغضة لأهل الفساد[٣].

الشاهد من هذه الآيات: إثبات صفتي السمع والبصر لله تعالىٰ علىٰ الوجه الذي يليق به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

مسألة [١]: أنواع الرؤية:

الرؤية نوعان:

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٦/ ١٧١).

(٢) انظر: تفسير الطبري (١١/ ٦٦٧)، والبغوي (٤/ ٩٢)، وتفسير ابن كثير (٤/ ٢٠٩).

(٣) انظر: تفسير البغوي (٤/ ٩٢).

أحدها: رؤية بمعنىٰ العلم.

الثاني: رؤية بمعنىٰ إدراك المبصرات، وهي ثلاثة أنواع:

١- ما يقصد به النصر والتأييد، كقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ۝٤٦﴾[طه:٤٦].

٢- ما يقصد به الإحاطة والعلم، كقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ۝٥٨﴾[النساء:٥٨].

٣- ما يقصد به التهديد، كقوله تعالىٰ: ﴿قَدۡ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنۡ أَخۡبَارِكُمۡۚ وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ۝٩٤﴾[التوبة:٩٤].

مسألة [٢]: أنواع السمع:

السمع أربعة أنواع:

١- سمع متعلق بالمسموعات: منه قوله تعالىٰ: ﴿لَّقَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٞ وَنَحۡنُ أَغۡنِيَآءُ﴾[آل عمران:١٨١].

٢- سمعٌ متعلق بالمعاني: هو سمع الإدراك والفهم: منه قوله تعالىٰ: ﴿وَكَانُواْ لَا يَسۡتَطِيعُونَ سَمۡعًا ۝١٠١﴾[الكهف:١٠١].

٣- سمعٌ بمعنىٰ الإجابة: منه «**سمِعَ اللهُ لمنْ حَمِدَه**».

٤- سمعٌ بمعنىٰ الانقياد: منه قوله تعالىٰ: ﴿وَفِيكُمۡ سَمَّٰعُونَ لَهُمۡ﴾[التوبة:٤٧]، أي منقادون لهم.

مسألة [٣]: مذاهب الناس في السمع:

١- **المعتزلة**: أنكرت صفة السمع.

٢- **الأشاعرة والماتريدية**: قالوا: سمع الله قديم، أي ليس بحادث، وهذا فيه تكذيب للقرآن؛ لأن الله تعالىٰ قال: ﴿وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ﴾[المجادلة:١].

وقالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَسِعَ سَمْعُهُ الْأَصْوَاتَ، لَقَدْ جَاءَتِ الْمُجَادِلَةُ إِلَىٰ النَّبِيِّ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **وَأَنَا فِي نَاحِيَةِ الْبَيْتِ، تَشْكُو زَوْجَهَا، وَمَا أَسْمَعُ مَا تَقُولُ، فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾**[المجادلة:١]»[1]، أي يسمع اللهُ الكلام في حينه.

٣- **أهل السنة الجماعة**: أثبتوا لله تعالىٰ صفة السمع علىٰ ما يليق به، لا يشبه سمع المخلوقين.

مسألة [٤]: مذاهب الناس في صفة الرؤية:

١- **المعتزلة**: لا يثبتون رؤية، ولا بصرا، ولا علما.

٢- **الأشاعرة والماتريدية**: الرؤية والبصر عندهم بمعنىٰ العلم، أي يرىٰ ليس بعينيه.

٣- **أهل السنة والجماعة**: يثبتون الرؤية، والبصر، والعلم علىٰ ما

---

(١) صحيح: رواه البخاري مختصرا (٩/ ١١٧)، والنسائي (٣٤٦٠)، وابن ماجه (١٨٨)، واللفظ لهما، وأحمد (٢٤١٩٥)، وصححه الألباني.

يليق بجلاله وعظمته[١].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «من المعلوم بالضرورة أن ما يرىٰ أكمل ممن لا يمكن أن يرىٰ؛ فإنه إما معدوم، وإما عَـرَض، والمرئـي أكمـل منهمـا، وما يتكلم أكمل ممن لا يتكلم؛ فإنهما جماد، وإما عَرَض، وإما معدوم، والمتكلم أكمل من ذلك، وما له سـمع وبصـر ووجـه ويـدان أكمـل مـن الفاقد لذلك بالضرورة، وهكذا سائر الصفات»[٢].



(١) انظر: اللآلئ البهية في شرح العقيدة الواسطية (١/ ٤٤٢، وما بعدها).
(٢) انظر: الصواعق المرسلة (٣/ ١٠١٩).

[المِحال والمكر والكيد]

٧٥- وَقَوْلُهُ: ﴿وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ۝١٣﴾[الرعد:١٣].

٧٦- وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ۝٥٤﴾[آل عمران:٥٤].

٧٧- وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَكَرُواْ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝٥٠﴾[النمل:٥٠].

٧٨- وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ۝١٥ وَأَكِيدُ كَيْدًا ۝١٦﴾[الطارق:١٥-١٦].

.... الشــرح ....

شـرع المصـنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في إثبـات ثـلاث صـفات متقاربـة، وهـي المحال، والمكر، والكيد.

وهـي مـن الصـفات الفعليـة التـي لا يوصـف الله بهـا علـىٰ سـبيل الإطلاق؛ لأنها تكون مدحا في حال، وذما في حال.

وبعـض أهـل السـنة فسـر «**المِحـال**» بالكيـد والمكـر، لـذا أورده المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ هنا.

قــولـه: «وَقَوْلُهُ: ﴿وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ۝١٣﴾»: أي الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ

شديد الأخذ، وقيل: شديد المكر[١].

والمِحَال في اللغة: شديد الكيد والمكر والقوة[٢].

والمكر: هو التوصل بالأسباب الخفية إلىٰ الإيقاع بالخصم.

قوله: «وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَكَرُواْ﴾»: أي يعني كفار بني إسرائيل الذي أحس عيسىٰ منهم الكفر وأرادوا قتل عيسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وذلك أن عيسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بعد إخراج قومه إياه وأمه عاد إليهم مع الحواريين، وصاح فيهم بالدعوة فهمُّوا بقتله وتواطؤوا علىٰ الفتك به، فذلك مكرهم[٣].

قوله: «﴿وَمَكَرَ ٱللَّهُ﴾»: بأن ألقىٰ شبه عيسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ علىٰ صاحبهم الذي أراد قتل عيسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، ورفع عيسىٰ إليه.

والمكر من المخلوقين: الخُبْث والخديعة والحيلة، والمكر من الله: استدراج العبد، وأخذه بغتة من حيث لا يعلم[٤].

ويطلق المكر ويراد به: الاستدراج، وإيصال المراد علىٰ وجه الخفاء.

قوله: «﴿وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾﴾»: أي أقواهم وأقدرهم علىٰ إيصال الضرر بمن يستحقه من حيث لا يشعر، ولا يحتسب.

---

(١) **انظر:** تفسير البغوي (٤/ ٣٠٥).

(٢) **انظر:** تهذيب اللغة، مادة «محل».

(٣) **انظر:** تفسير الطبري (٥/ ٤٤٦)، وتفسير البغوي (٢/ ٤٤).

(٤) **انظر:** تفسير البغوي (٢/ ٤٤).

قــولــه: «وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَكَــرُواْ مَكْــرًا﴾»: أي غـدروا غـدرا حـين تحالفوا علىٰ قتل صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ، والفتك به خفيةً خوفا من أوليائه.

قــولــه: «﴿وَمَكَرْنَا مَكْرًا﴾»: أي جزيناهم علىٰ مكرهم بتعجيل عقوبتهم بأن أهلكناهم ونجينا صالحا عَلَيْهِ السَّلَامُ[١].

قــولــه: «﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝٥٠﴾»: أي بمكرنا.

قــولــه: «وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْــدًا﴾»: أي يخـافون النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويظهـرون مـا هـم علـىٰ خلافـه[٢]، ويمكـرون بالنـاس في دعوتهم إلىٰ خلاف القرآن[٣].

قــولــه: «﴿وَأَكِيــدُ كَيْــدًا﴾»: أي يسـتدرجهم ويمهلهـم علـىٰ كفرهم ومعصيتهم من حيث لا يعلمون[٤].

الشاهد من هذه الآيات: إثبات صـفة المحـال، والكيـد، والمكـر لله تعالىٰ.

مسألة [١]: أنواع الكيد:

الكيد نوعان:

أحدهما: قبيح: هو إيصال ذلك لمن لا يستحق.

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ٩٢)، وتفسير البغوي (٦/ ١٧٠).
(٢) انظر: تفسير البغوي (٦/ ١٧٠).
(٣) انظر: تفسير ابن كثير (٨/ ٣٧٦).
(٤) انظر: تفسير الطبري (٢٤/ ٣٠٧)، والبغوي (٣/ ٣٩٥).

الآخر: حسن: هو إيصال ذلك إلىٰ من يستحقه عقوبةً له.

فالأول مذموم، والثاني ممدوح، والرب تعالىٰ إنما يفعل من ذلك ما يحمد عليه عدلاً منه وحكمة، وهو تعالىٰ يأخذ الظالم والفاجر من حيث لا يحتسب لا كما يفعل الظلمة بعباده(١).

مسألة [٢]: معنىٰ المكر، والمِحال عند المؤولة:

فسر المؤولة «**المكر**» بالمجازاة، وقالوا: معنىٰ ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ﴾ أي جازاهم علىٰ مكرهم.

وقالوا: قوله: ﴿وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ۝١٣﴾ أي شديد العقوبة علىٰ المكر والكيد(٢).



(١) انظر: إعلام الموقعين (٣/ ١٧١).
(٢) انظر: تفسير الرازي (١٩/ ٢٤).

[العفو والمغفرة والقدرة والرحمة والعزة]

٧٩- وَقَوْلُهُ: ﴿إِن تُبْدُواْ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُواْ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾﴾[النساء:١٤٩].

٨٠- وَقَوْلُهُ: ﴿وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾[النور:٢٢].

٨١- وَقَوْلُهُ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾[المنافقون:٨].

٨٢- وَقَوْلُهُ عَنْ إِبْلِيسَ: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾﴾[ص:٨٢].

الشرح

شرع المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في إثبات خمس صفات وهي: العفو، والقدرة، والمغفرة، والرحمة، والعزة.

قوله: «وَقَوْلُهُ: ﴿إِن تُبْدُواْ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُواْ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾﴾»: أي إن تظهروا أيها الناس خيرا، أو أخفيتموه، أو عفوتم عمن أساء إليكم، فإن ذلك مما يقربكم عند الله، ويجزل ثوابكم لديه، فإن من صفاته تعالىٰ أن يعفو عن عباده مع قدرته علىٰ عقابهم والانتقام منهم بما كسبت أيديهم، فاقتدوا به سبحانه؛ فإنه

يعفو مع القدرة[١].

قوله: «وَقَوْلُهُ: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا﴾»: أي ليستر ويتجاوز أولوا الفضل والسعة عن خوضهم في أمر عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

قوله: «﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾»: أي فإن الجزاء من جنس العمل، فكما تغفر عن المذنب إليك نغفر لك، وكما تصفح نصفح عنك، يخاطب أبا بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[٢].

قوله: «﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾»: أي كثير المغفرة، كثير الرحمة لمن تاب، وأناب إليه.

وهذه الآية نزلت في أبي بكر الصدِّيق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، حين حلف ألا ينفق علىٰ مِسْطح بن أُثاثة ابن خالته بعدما قال في عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ما قال في حادثة الإفك، وكان مِسْطَحٌ فقيرا لا مال له، وكان الصديق ينفق عليه، فلما نزلت هذه الآية إلىٰ قوله: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾[النور:٢٢] قال أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: بلىٰ، والله إنا نحب يا ربنا أن تغفر لنا، ثم رجع إلىٰ مِسْطَح ما كان يصله من النفقة، وقال: والله لا أنزعها منه أبدا، في مقابلة ما كان قال: والله لا أنفعه بنافعة أبدا[٣].

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٢/ ٤٤٤)، وفتح القدير (١/ ٦١٣).

(٢) انظر: تفسير ابن كثير (٦/ ٣١).

(٣) انظر: تفسير البغوي (٦/ ٢٦-٢٧)، وتفسير ابن كثير (٦/ ٣١).

مسألة:

لام الأمر إذا وقعت بعد الواو، أو الفاء، أو ثم، فإنها تُسكَّن، بخلاف لام التعليل.

قوله: «وَقَوْلُهُ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾»: هذا رد علىٰ المنافقين الذين زعموا أن العزة لهم علىٰ المؤمنين، أي من كان يريد العزة، فليتعزز بطاعة الله عَزَّوَجَلَّ، وعزةُ الله: قهرُه من دونه، وعزة رسوله: إظهار دينه علىٰ الأديان كلها، وعزة المؤمنين: نصر الله إياهم علىٰ أعدائهم[(١)].

وقد نزلت هذه الآية في شأن عبد الله بن أُبي بن سلول زعيم المنافقين، وكان قد أقسم في بعض الغزوات ليخرجَنَّ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأصحابه من المدينة[(٢)].

قوله: «وَقَوْلُهُ عَنْ إِبْلِيسَ: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾﴾»: أي بقدرتك وسلطانك لأضلَّن بني آدم أجمعين ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾﴾[ص:٨٣] أي إلا من أخلصته منهم لعبادتك، وعصمته من إضلالي، فلم تجعل لي عليه سبيلا، فإني لا أقدر علىٰ إضلاله وإغوائه[(٣)]، والإضلال يكون بتزيين الشهوات لهم، وإدخال

---

(١) انظر: تفسير البغوي (٨/ ١٣٣)، وتفسير ابن كثير (٨/ ١٢٨).

(٢) انظر: تفسير ابن كثير (٨/ ١٢٨).

(٣) انظر: تفسير الطبري (٢٠/ ١٤٧).

الشبهات عليهم، حتىٰ يصيروا غاوين جميعا.

وهذا فيه جواز القَسَم بصفات الله تعالىٰ.

الشاهد من هذه الآيات: إثبات العفو، والقدرة، والمغفرة، والرحمة، والعزة لله جَلَّجَلَالُهُ علىٰ الوجه الذي يليق به سبحانه.

مسألة [١]: الفرق بين المغفرة والعفو:

المغفرة تقتضي إسقاط العقاب وإسقاط العقاب هو إيجاب الثواب، فلا يستحق الغفران إلا المؤمن المستحق للثواب، ولهذا لا يستعمل إلا في الله جَلَّجَلَالُهُ، فيقال: غفر الله لك، ولا يقال: غفر زيد لك، ويقال: استغفرت الله تعالىٰ، ولا يقال: استغفرت زيدا.

أما العفو فيقتضي إسقاط اللوم والذم، ولا يقتضي إيجاب الثواب، ولهذا يستعمل في العبد، فيقال: عفا زيد عن عمرو، وإذا عفا عنه لم يجب عليه إثابته.

إلا أن العفو والمغفرة لما تقارب معنياهما تداخلا واستعملا في صفات الله جلَّ اسمُه علىٰ وجه واحد فيقال: عفا الله عنه، وغفر له بمعنىٰ واحد(١).

مسألة [٢]: مذاهب الناس في صفتي العفو والمغفرة:

١ - **المعتزلة:** نفوهما، وغيرهما من الصفات.

---

(١) انظر: الفروق اللغوية، صـ (٢٣٦).

٢- الأشاعرة والماتريدية: يؤولونها، فيجعلون العفو إرادة كذا، والمغفرة إرادة كذا، فيرجعون هذه الصفات إلىٰ الصفات السبع التي ثبتت عندهم بالعقل.

٣- أهل السنة والجماعة: يثبتون العفو المغفرة علىٰ الوجه الذي يليق به سبحانه، فيقولون: العفو المغفرة من الصفات الفعلية الاختيارية، أي متعلقة بمشيئته، وقدرته، إذا شاء عفا، وإذا شاء لم يعفُ، وإذا شاء غفر، وإذا شاء لم يغفر.



[إثبات الاسم لله جَلَّ وَعَلَا]

٨٣- وَقَوْلُهُ: ﴿تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾﴾[الرحمن:٧٨].

٨٤- وَقَوْلُهُ: ﴿فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾[مريم:٦٥].

الشـــرح

شرح المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في إثبات الاسم لله تعالىٰ.

قوله: «وَقَوْلُهُ: ﴿تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ﴾»: أي تعاظم وتعالىٰ[(١)]، مأخوذ من البركة، وهي النماء والزيادة[(٢)].

قوله: «﴿ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾﴾»: أي ذي العظمة والكبرياء، فهو أهل أن يجل فلا يعصىٰ، وأن يُكرم فيعبد، ويُشكر فلا يُكفر، وأن يُذكر فلا يُنسىٰ[(٣)].

قوله: «وَقَوْلُهُ: ﴿فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ﴾»: أي فأفرده بالعبادة، والزم طاعته، وذل لأمره ونهيه، واصبر علىٰ النفوذ لأمره

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٢٣/ ١١٨).

(٢) انظر: مقاييس اللغة، مادة «برك».

(٣) انظر: تفسير ابن كثير (٧/ ٥١٠).

ونهيه، والعمل بطاعته، تفز برضاه عنك[١].

والعبادة في اللغة: التذلل والخضوع؛ يقال: طريق معبَّد، أي مذلل[٢].

وفي الشرع: «**هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال، والأعمال الظاهرة والباطنة**»[٣].

وقيل: هي عبارة عما يجمع كمال المحبة، والخضوع، والخوف[٤].

قوله: «**وَقَوْلُهُ:** ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ۝٦٥﴾»: أي هل تعلم يا محمد لربك الذي أمرناك بعبادته، والصبر علىٰ طاعته مِثلا أو شبيها في كرمه وجوده، فتعبده رجاء فضله؟ كلا، ما ذلك بموجود[٥]، وهذا استفهام إنكاري، أي ليس له مثل ولا نظير حتىٰ يشاركه في العبادة.

الشاهد من هذه الآيات: إثبات الاسم لله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ، وأنه لا مثل له، ولا شبيه له.

---

(١) **انظر:** تفسير الطبري (١٥/ ٥٨٥).

(٢) **انظر:** لسان العرب، و تاج العروس مادة «عبد».

(٣) **انظر:** مجموع الفتاوىٰ (١٠/ ١٤٩)،

(٤) **انظر:** تفسير ابن كثير (١/ ١٣٤).

(٥) **انظر:** تفسير الطبري (١٥/ ٥٨٥).

[آيات الصفات المنفية في تنزيه اللّه ونفي المثل عنه]

٨٥-: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ۝٤﴾[الإخلاص:٤].

٨٦-: ﴿فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٢٢﴾[البقرة:٢٢].

٨٧-: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾[البقرة:١٦٥].

٨٨-: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا ۝١١١﴾[الإسراء:١١١].

٨٩- وَقَولُهُ: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِۖ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١﴾[التغابن:١].

٩٠- وَقَولُهُ: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ۝١ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ۝٢﴾[الفرقان:١-٢].

٩١-: وَقَولُهُ: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝٩١ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ

﴿٩٢﴾[المؤمنون:٩١-٩٢].

٩٢-: وَقوله: ﴿فَلَا تَضْرِبُواْ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾﴾[النحل:٧٤].

٩٣-: وَقوله: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾[الأعراف:٣٣].

الشرح

شرع المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تنزيه الله تعالىٰ عن الشريك، ونفي المثل عنه عَزَّوَجَلَّ.

قوله: «﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾»: أي ليس له ولد، ولا والد، ولا صاحبة، ولا مثيل، ولا شريك في خلقه[(١)].

قوله: «﴿فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾»: أي لا تشركوا بالله غيره من الأنداد التي لا تنفع ولا تضر، وأنتم تعلمون أنه لا رب لكم يرزقكم غيره، وقد علمتم أن الذي يدعوكم إليه الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من توحيده هو الحق الذي لا شك فيه، وهو الواحد خالق هذه الأشياء[(٢)].

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٨/ ٥٢٩).

(٢) انظر: تفسير البغوي (١/ ٧٢)، وتفسير ابن كثير (١/ ١٩٦).

والأنداد: جمع نِدٍّ وهو العِدل، والمِثل، والشبيه[(١)].

قـولـه: «﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾»: أي ومن الناس من يتخذ أيها المؤمنون من دون الله أندادا، أي: أمثالا ونظراء يعبدونهم معه ويحبونهم كحبه، وهو الله لا إله إلا هو، ولا ضد له ولا ند له، ولا شريك معه[(٢)].

قـولـه: «﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾»: أي المؤمنون أشد حبًّا لله تعالىٰ من متخذي هذه الأنداد لأندادهم، وذلك لتمام معرفتهم به، وتوقيرهم وتوحيدهم له، فلا يشركون به شيئا، بل يعبدونه وحده ويتوكلون عليه، ويلجؤون في جميع أمورهم إليه[(٣)].

مسألة: أنواع المحبة:

المحبة ثلاثة أنواع:

أحدها: محبة الله التي هي أصل الإيمان والتوحيد.

الثاني: المحبة في الله، وهي محبة أنبياء الله ورسله عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وأتباعهم، ومحبة ما يحبه الله من الأعمال والأزمنة والأمكنة وغيرهم، وهذه تابعة لمحبة الله ومكملة لها.

---

(١) **انظر**: تفسير الطبري (٣/ ٢٧٩).

(٢) **انظر**: تفسير الطبري (٣/ ٢٧٩)، ومجموع الفتاوىٰ (١٠/ ٥٦)، وتفسير ابن كثير (١/ ٤٧٦).

(٣) **انظر**: تفسير الطبري (٣/ ٢٧٩)، وتفسير ابن كثير (١/ ٤٧٦).

الثالث: محبة مع الله، وهي محبة المشركين لآلهتهم وأندادهم من شجر، وحجر، وبشر، ومَلَك، وغيرها، وهي أصل الشرك، وأساسه[١].

قــولــه: «﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾»: أمر الله نبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأن يحمده على وحدانيته، ورب الأرباب لا ينبغي أن يكون له ولد، ومعنى الحمد لله: الثناء عليه بما هو أهله،[٢]، وفيه رد على اليهود والنصارى.

والألف واللام في «**الحمد**» تفيد الاستغراق؛ أي استغراق جميع أنواع المحامد.

واللام في «**لله**» للاستحقاق، والاختصاص؛ أي الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ مستحِق لجميع أنواع المحامد مختص بها؛ **الاستحقاقُ**؛ لأن الله تعالى يحمد، وهو أهل الحمد، **والاختصاصُ**؛ لأن الحمد الذي يحمد الله به ليس كالحمد الذي يحمد به غيره، بل أكمل وأعظم، وأعم.

قــولــه: «﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ﴾»: أي هو الله الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد[٣].

و«**شريك**» نكرة في سياق النفي، تفيد العموم؛ أي ليس له مشارك في مُلكه، وفيه رد على الذين يقولون بتعدد الآلهة.

---

(١) **انظر**: زاد المعاد (٤/ ٢٤٩)، والقول السديد شرح كتاب التوحيد، صـ(١٢٨).
(٢) **انظر**: تفسير الطبري (١٥/ ١٣٧)، والبغوي (٥/ ١٣٩).
(٣) **انظر**: تفسير ابن كثير (٥/ ١٣٠).

قوله: «﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ﴾»: أي ليس بذليل فيحتاج أن يكون له ولي أو وزير أو مشير، بل هو خالق الأشياء وحده لا شريك له، ومقدرها ومدبرها بمشيئته وحده لا شريك له، ومن كان ذا حاجة إلىٰ نصرة غيره، فذليل مهين، فلا يكون إلها مطاعا[١].

قوله: «﴿وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا﴾»: أي وعظِّمه وأجلَّه عما يقول الظالمون المعتدون علوا كبيرا، وعن أن يكون له شريك، أو ولي[٢].

قوله: «وَقَولُهُ: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾»: أي جميع ما في السموات وما في الأرض يسبح لله ويمجِّده ويقدِّسه، أي ينزهه عن كل نقص وعيب[٣]، والتسبيح معناه التنزيه والإبعاد[٤].

قوله: «﴿لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ﴾»: أي هو المتصرف في جميع الكائنات، المحمود علىٰ جميع ما يخلقه، ويقدِّره[٥]، فالمُلك خاص به سبحانه، وكذا الحمد، فليس لغيره منهما شيئا.

قوله: «﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١﴾»: أي لا يعجزه شيء،

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٥/ ١٣٨)، وتفسير ابن كثير (٥/ ١٣٠).
(٢) انظر: تفسير البغوي (٥/ ١٣٩)، وتفسير ابن كثير (٥/ ١٣٠).
(٣) انظر: تفسير ابن كثير (٨/ ١١٥).
(٤) انظر: مقاييس اللغة، مادة «سبح».
(٥) انظر: تفسير ابن كثير (٨/ ١٣٥).

فما أراده كان بلا ممانع ولا مدافع، وما لم يشأ لم يكن[1].

قوله: «وَقَوْلُهُ: ﴿تَبَارَكَ﴾»: أي تعاظم، من البركة المستقرة الدائمة الثابتة.

قوله: «﴿ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ﴾»: أي القرآن، سماه الفرقان؛ لأنه يفرق بين الحق والباطل، والهدىٰ والضلال، والغي والرشاد، والحلال والحرام.

قوله: «﴿عَلَىٰ عَبْدِهِۦ﴾»: أي محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهذه صفة مدح وثناء؛ لأنه أضافه إلىٰ عبوديته.

قوله: «﴿لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾»: أي إنما خصه بهذا الكتاب العظيم؛ ليكون للجن والإنس نذيرا، أي منذِرًا، وقيل: النذير هو القرآن.

والإنذار: هو الإعلام بأسباب المخافة.

قوله: «﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾﴾»: أي كل شيء مما سواه مخلوق مربوب، وهو خالق كل شيء وربه ومليكه وإلهه، وكل شيء تحت قهره وتسخيره، وتدبيره وتقديره، وكل شيء سوَّاه وهيَّأه لما يصلح له، لا خلل فيه ولا تفاوت، وقيل: قدر لكل

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٨/ ١٣٥).

شيء تقديرا من الأجل والرزق، فجرت المقادير علىٰ ما خلق[١].

قـولـه: «وَقَولُهُ: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ﴾»: أي من شريك.

قـولـه: «﴿إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ﴾»: أي لـو قـدر تعـدد الآلهة، لانفرد كل منهم بما خلقه، ولـم يرض أن يضـاف خلقـه وإنعامـه إلىٰ غيره، ومنع الإلـه الآخـر مـن الاسـتيلاء علىٰ مـا خلـق، فاضـطرب العالم ولم ينتظم أمره.

قـولـه: «﴿وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾»: أي طلـب بعضـهم مغالبـة بعـض كفعـل ملـوك الـدنيا فيمـا بينهم، ثم نزه نفسه عما يقول الظالمون المعتدون في دعواهم الولـد، أو الشريك علوا كبيرا.

قـولـه: «﴿عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾»: أي يعلـم مـا يغيـب عـن المخلوقات، وما يشاهدونه.

قـولـه: «﴿فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾»: أي تقـدس وتنـزه وتعـالىٰ عما يقول الظالمون والجاحدون، ومعناه أنه أعظم من أن يوصـف بهـذا الوصف[٢].

---

(١) انظر: تفسير البغوي (٦/ ٦٩)، وتفسير ابن كثير (٦/ ٩٢-٩٣).
(٢) انظر: تفسير البغوي (٥/ ٤٢٧)، وتفسير ابن كثير (٥/ ٤٩١).

مسألة [١]: الفعل «سبح» يأتي علىٰ وجهين:

أحدهما: يتعدىٰ بنفسه، كقوله تعالىٰ: ﴿وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝﴾[الأحزاب:٤٢]، والمعنىٰ المراد مجرد الفعل فقط.

الثاني: يتعدىٰ باللام، كقوله تعالىٰ: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ﴾، والمراد بيان القصد والإخلاص.

مسألة [٢]: هل الجمادات تسبح بلسان الحال، أو بلسان المقال؟

الصحيح أن الجمادات تسبِّح بلسان المقال؛ لقوله تعالىٰ: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾[الإسراء:٤٤]؛ أي لا تفهمون تسبيحهم أيها الناس؛ لأنها بخلاف لغتكم، وهذا عام في الحيوانات والنبات والجماد(١).

وقال ابنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**وَلَقَدْ كُنَّا نَسْمَعُ تَسْبِيحَ الطَّعَامِ وَهُوَ يُؤْكَلُ**»(٢)، أي في عهد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما جاء في رواية أخرىٰ(٣).

قوله: «وَقَوْلُهُ: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ﴾»: أي لا تجعلوا له أندادا وأشباها وأمثالا، ولا تشبهوه بخلقه، وتجعلون له شريكا، فإنه

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٥/ ٧٩).

(٢) صحيح: رواه البخاري (٣٥٧٩).

(٣) انظر: فتح الباري (٦/ ٥٩٢).

واحد لا مثل له.

قــولــه: «وَقولُهُ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ۝٧٤﴾»: أي إنه يعلم ويشهد أنه لا إله إلا الله، وأنتم بجهلكم تشركون به غيره[1].

قــولــه: «وَقَولُهُ: ﴿قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ﴾»: أي يعظم فحشه من الذنوب، مثل الزنا واللواط.

قــولــه: «﴿مَا ظَهَرَ مِنۡهَا﴾»: أي ما أعلن منها، وقيل: المعنىٰ ما ظهر فحشُه.

قــولــه: «﴿وَمَا بَطَنَ﴾»: أي وَمَا أُسِرَّ، وقيل: المعنىٰ ما بطن فحشه.

قــولــه: «﴿وَٱلۡإِثۡمَ﴾»: أي الذنب، والمعصية، وقيل: هي الخمر خاصة.

قــولــه: «﴿وَٱلۡبَغۡيَ﴾»: أي الظلم، والكِبر.

قــولــه: «﴿بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ﴾»: إشارة إلىٰ أن كل بغي فهو بغير حق، وليس أن البغي ينقسم إلىٰ قسمين؛ لأن البغي كله بغير حق.

قــولــه: «﴿وَأَن تُشۡرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا﴾»: أي حجة وبرهانا، والمراد التَّهَكُّم بالمشركين؛ لأن الله لا ينزل برهانا بأن يكون غيره شريكا له.

---

(١) انظر: تفسير البغوي (٥/ ٣٢)، وتفسير ابن كثير (٤/ ٥٨٨).

قـــولـه: «﴿وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٣٣﴾»: أي تجعلوا له شريكا في عبادته، وأن تقولوا عليه من الافتراء والكذب من دعوىٰ أن له ولدا ونحو ذلك، مما لا علم لكم به[١].

الشاهد من هذه الآيات: نفي الشريك عن الله تعالىٰ، وإثبات تفرده بالكمال، ونفي الولد والمثل عنه سبحانه، وأن جميع المخلوقات تنزِّهُه وتقدِّسُه سبحانه عن ذلك.



(١) انظر: تفسير البغوي (٣/ ٢٢٦)، وتفسير ابن كثير (٣/ ٤٠٩)، وفتح القدير (٢/ ٢٢٩).

[استواء الله على عرشه]

٩٤- وَقَوْلُهُ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾[طه:٥].

٩٥-: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ في ستة مواضع[1] [الأعراف: ٥٤، يونس: ٣، الرعد: ٢، الفرقان: ٥٩، السجدة: ٤، الحديد: ٤].

.... الشــرح ....

شرع المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في إثبات صفة الاستواء لله تعالىٰ علىٰ عرشه.

قوله: «﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾»: أي علا، وارتفع وصعِدَ، واستقر[2].

العرش في اللغة: سرير الملك[3].

وفي الشرع: هو السقف المحيط بالمخلوقات، لا نعلم كيفيته.

قوله: «﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾»: أي علا وارتفع علىٰ العرش كما يليق بجلاله.

---

(١) في بعض النسخ: «في سبعة مواضع»، ويعنون به أن الاستواء تكرر في سبعة مواضع من القرآن الكريم.

(٢) انظر: مجموع الفتاوىٰ (٥/ ٥١٩-٥٢٠).

(٣) انظر: تهذيب اللغة، مادة «عرش».

مسألة [١]: هل يلزم من إثبات الاستواء علىٰ العرش عدم علو الله عَزَّوَجَلَّ قبله؟

الجواب: لا يلزم ذلك؛ لأن الاستواء علىٰ العرش أخص من مطلق العلو، فعلو الله تعالىٰ علىٰ خلقه عام، واستواؤه علىٰ عرشه خاص.

مسألة [٢]: تفسير الاستواء بالاستيلاء:

فسر أهل التعطيل الاستواء بالاستيلاء، واستدلوا بدليلين:

أحدهما: قول الشاعر:

قد استوىٰ بِشْرٌ علىٰ العـراق　　　من غير سيف أو دَم مِهْـــراق

أجيب من وجوه:

١-أنه منكر عند أهل اللغة، قال ابن الأعرابي: لا نعلم استوىٰ بمعنىٰ استولىٰ، ومن قال ذلك فقد أعظم الفِرية.

٢- الاستيلاء لا يوصف به إلا من قَدَر علىٰ الشيء بعد العجز عنه، والله تعالىٰ لم يزل قادرا علىٰ الأشياء ومستوليا عليها، ألا ترىٰ أنه لا يوصف بِشْر بالاستيلاء علىٰ العراق إلا وهو عاجز عنه قبل ذلك.

٣-هذا البيت لا يُعرف قائله، ولا يوجد في ديوان شعر من نُسب إليه وهو الأخطل النصراني[١].

---

(١) نسبه المعتزلة إلىٰ الأخطل، واختصوه به؛ لاختلاف نسخ ديوانه، وليجعلوه في حدود من يُحتج بشعرهم؛ لأن شعر العرب يحتج به إلىٰ سنة خمسين ومائة للهجرة، وأما بعد ذلك فلا يحتج به؛ لكثرة المولَّد فيه، واستعمال الألفاظ غير العربية.

٤-هذا شعر مُحدَث بعد كتاب الله، ولم يكن معروفا قبل نزول القرآن، ولا في عصر من أُنزل عليه القرآن صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[1]، فلا يحتج به في اللغة.

٥- أن الاستواء في البيت فُسِّر بالاستيلاء؛ لوجود القرينة على ذلك؛ لأنه يتعذر أن يصعد بِشر فوق العراق.

٦- عندهم لا يقبلون خبر الآحاد، فيقال لهم: ألا حكمتم على أنفسكم بمثل ما اعترضتم به.

وأجيب عن قولهم بأن الاستواء بمعنىٰ الاستيلاء:

١- أن تفسيرهم مخالف لإجماع السلف.

٢- أن تفسيرهم مخالف لظاهر النص؛ لأن مادة الاستواء إذا تعدت بعلىٰ فهي بمعنىٰ العلو، والاستقرار.

٣- أن تفسيرهم مخالف لمنهج السلف «**الإقرار، والتنزيه، وقطع الطمع عن إدراك حقيقتها**».

٤- أنه يلزم من تفسيرهم لوازم باطلة:

أ-يلزم أن يكون الله حين خلق السماوات والأرض ليس مستوليا علىٰ العرش؛ لأن الله يقول: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ

(١) انظر: بيان تلبيس الجهمية (٨/ ٢٩٩-٣٠٠)، واجتماع الجيوش الإسلامية (٢/ ١٨١)، والصواعق المرسلة (٢/ ٦٧٥).

وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ﴾[الأعراف:٥٤]، و«ثُمَّ» تفيد الترتيب، فيلزم أن يكون العرش قبل تمام السماوات والأرض لغير الله.

ب- أن الغالب من كلمة «**استولىٰ**» أنها لا تكون إلا بعد مغالبة، ولا أحد يغالب الله تعالىٰ.

جـ- أنه يصح أن نقول: إن الله استوىٰ علىٰ الأرض، والشجر، والجبال؛ لأنه مستولٍ عليها.

الدليل الثاني: قالوا: لو أثبتنا الاستواء علىٰ العرش بالمعنىٰ الذي تقولون وهو العلو والاستقرار لزم منه ثلاثة لوازم باطلة:

١-أن يكون محتاجا إلىٰ العرش، وهذا مستحيل.

٢-أن يكون جسما؛ لأن استواء شيء علىٰ شيء بمعنىٰ علوه عليه يعني أنه جسم.

٣-أن يكون الله محدودا؛ لأن المستوي علىٰ الشيء يكون محدودا، فمن استوىٰ علىٰ شيء كان محدودا في منطقة معينة محصورًا بها.

أجيب عن قولهم: بأنه يلزم من إثبات الاستواء أن يكون الله محتاجا إلىٰ العرش بأنه لا يلزم؛ لأن معنىٰ كونه مستويًا علىٰ العرش: أنه فوق العرش، لكنه علو خالص، وليس معناه أن العرش يحمله، وهذا اللازم الذي ادعيتموه ممتنع؛ لأنه نقص بالنسبة إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ،

وليس بلازم من الاستواء الحقيقي؛ لأننا لسنا نقول: إن معنىٰ ﴿ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾، أن العرش يحمله، فالعرش محمول: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴿١٧﴾﴾[الحاقة:١٧]، وتحمله الملائكة الآن، لكنه ليس حاملًا لله عَزَّوَجَلَّ؛ لأن الله سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ ليس محتاجًا إليه، ولا مفتقرًا إليه، وبهذا تبطل حججهم السلبية.

وأجيب عن قولهم: بأنه يلزم من إثبات الاستواء أن يكون الله جسمًا بأن كل شيء يلزم من كتاب الله وسنة رسوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ حقٌّ، ويجب علينا أن نلتزم به، ولكن لا بد أن يكون من لازم كلام الله ورسوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ؛ لأنه قد يمتنع أن يكون لازمًا، فإذا ثبت أنه لازم، فليكن، ولا حرج علينا إذا قلنا به.

ثم نقول: ماذا تعنون بالجسم الممتنع؟

إن أردتم به أنه ليس لله ذات تتصف بالصفات اللازمة لها اللائقة بها، فقولكم باطل؛ لأن لله ذاتًا حقيقية متصفة بالصفات، وأن له وجهًا ويدًا وعينًا وقدمًا، وقولوا ما شئتم من اللوازم التي هي لازم حق.

وإن أردتم بالجسم: الجسم المركَّب من العظام واللحم والدم ونحوه ، فهذا ممتنع علىٰ الله، وليس بلازم من القول بأن استواء الله علىٰ العرش علوه عليه؛ لأن الاستواء علىٰ الشيء أخص من مطلق العلو عليه، فهو علو خاص بما يكون عليه الاستواء.

وأجيب عن قولهم: بأنه يلزم من إثبات الاستواء أن يكون الله محدودا بأننا نقول: ماذا تعنون بالحد؟

إن أردتم أن يكون محدودًا، أي: يكون مباينًا للخلق منفصلًا عنهم، فهذا حق ليس فيه شيء من النقص.

وإن أردتم بكونه محدودًا: أن العرش محيط به، فهذا باطل، وليس بلازم، فإن الله تعالىٰ مستوٍ علىٰ العرش، ولا يلزم أن يكون العرش محيطًا به بل لا يمكن أن يكون محيطًا به؛ لأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أعظم من كل شيء، وأكبر من كل شيء، والأرضُ جميعًا قبضته يوم القيامة، والسماوات مطويات بيمينه[(١)].

مسألة [٣]: معنىٰ العرش عند المعطِّلة:

فسر أهل التعطيل العرش بالمُلك.

أجيب عنهم من وجهين:

أحدهما: وصف الله العرش يوم القيامة بأنه يحمله ثمانية، قال تعالىٰ: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ١٧﴾[الحاقة:١٧]، فهل المُلك يُحمل؟

الثاني: جاء في الحديث: «**فَإِذَا أَنَا بِمُوسَىٰ آخِذٌ بِقَائِمَةٍ مِنْ قَوَائِمِ**

---

(١) **انظر**: فتح رب البرية بتلخيص الحموية، صـ (٤٢)، وشرح العقيدة الواسطية، للشيخ ابن عثيمين (١/ ٣٧٦-٣٨١).

العَرْشِ»[1]، فهل الملك له قوائم؟

مسألة [٤]: الاستواء في القرآن جاء على وجهين:

أحدهما: لازم غير متعدٍّ: بمعنى كمُل وتَم، أي بلغ غاية علوه وارتفاعه، كقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ﴾[القصص:١٤].

الثاني: متعدٍّ: أي مقيد بحرف «**إلى**» أو «**على**»، كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾[فُصِّلَت:١١].

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾[الأعراف:٥٤].

والمتعدِّي بـ «**إلى**» يفيد العلو والارتفاع مع القصد، أي قاصدا السماء.

والمتعدِّي بـ «**على**» يفيد ارتفاع وعلو خاص؛ لأن «**استوى**» في الأصل بمعنى علا وارتفع، فإذا عُدي بـ «**على**» صار الاستواء بمعنى العلو والارتفاع الخاص؛ لأن «**على**» تفيد الاستعلاء.

مسألة [٥]: لماذا قال تعالى: ﴿ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾، ولم يقل: ﴿ٱسْتَوَىٰ عَلَى﴾؟

لأنه أراد أن يضمِّن استوى الذي هو بمعنى «**علا، وارتفع**» معنى الفعل «**قصد**»، أي علا وارتفع قاصدا السماء.

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٢٤١٢)، عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ومسلم (٢٣٧٣)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، واللفظ للبخاري.

والتضمين يقوم مقام العطف، يُلجأُ إليه؛ لئلا يطول الكلام بعطف فعل علىٰ فعل، ويكون بتعدية الفعل بحرف جر لا يناسبه، وإنما يناسب فعلا آخر، فيُستدل بالفعل علىٰ المعنىٰ الأصلي، وبالحرف علىٰ الفعل الذي ضُمِّن[1].



(١) انظر: اللآلئ البهية في شرح العقيدة الواسطية (١/ ٥٢١-٥٢٢).

[علو الله على مخلوقاته]

٩٦-: وقَولُهُ: ﴿يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾[آل عمران:٥٥].

٩٧-: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِ﴾[النساء:١٥٨].

٩٨- وقَولُهُ: ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥ﴾[فاطر:١٠].

٩٩- وقَولُهُ: ﴿وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبۡنِ لِي صَرۡحٗا لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ ٣٦ أَسۡبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبٗا﴾[غافر:٣٦-٣٧].

١٠٠- وقَولُهُ: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ١٦ أَمۡ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗاۖ فَسَتَعۡلَمُونَ كَيۡفَ نَذِيرِ ١٧﴾[المُلك:١٦-١٧].

.... **الشرح** ....

شرع المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في إثبات علو الله علىٰ خلقه فذكر ست آيات.

قوله: «﴿يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾»: أي مُنيمُك، كما قال تعالىٰ:

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيۡلِ﴾[الأنعام:٦٠][(١)].

قوله: «﴿وَرَافِعُكَ إِلَىَّ﴾»: أي إلىٰ السماء وهو حيٌّ؛ لقوله تعالىٰ: ﴿وَإِن مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤۡمِنَنَّ بِهِۦ قَبۡلَ مَوۡتِهِۦ﴾[النساء:١٥٩]، أي وإن من أهل الكتاب إلا يؤمن بعيسىٰ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ قبل موت عيسىٰ، وذلك حين ينزل إلىٰ الأرض قبل يوم القيامة[(٢)].

قوله: «﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِ﴾»: أي رفع الله سبحانه المسيح عيسىٰ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ وهو حي، وهذا فيه رد علىٰ اليهود الذين يزعمون أنهم قتلوه عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ.

قال تعالىٰ: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمۡۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينَۢا ١٥٧﴾[النساء:١٥٧].

قوله: «وقوله: ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾»: أي الذكر والتلاوة والدعاء وغيرها من الأقوال الصالحة يُصعد به إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ.

قوله: «﴿وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥ﴾»: أي العمل الصالح يرفعُ الكلم الطيب، فالكلم الطيب لا يُقبل إلا مع العمل الصالح، ومَن ذكر الله ولم يؤدِّ فرائضه، رَدَّ كلامه ولم يقبله[(٣)].

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٢/ ٤٧).
(٢) انظر: تفسير البغوي (٢/ ٣٠٨)، وتفسير ابن كثير (٢/ ٤٧).
(٣) انظر: تفسير الطبري (١٩/ ٣٣٩)، وتفسير البغوي (٦/ ٤١٥).

قوله: «وقوله: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَـٰهَـٰمَـٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَـٰبَ ۝٣٦ أَسْبَـٰبَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَـٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَـٰذِبًا﴾»: أي قال فرعون لوزيره هامانَ: ابنِ لي قصرا عاليا شاهقا حتىٰ أبلغ طرق السماء وأبوابها، فأنظر إلىٰ إله موسىٰ، وإني لأظن موسىٰ كاذبا فيما يقول: إن له ربًّا غيري أرسله إليَّ(١).

وفرعون يعلم أن موسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ صادق، وإنما قال ذلك للتمويه علىٰ قومه، وقد قال تعالىٰ: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾[النمل:١٤].

قوله: «وقوله: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ﴾»: أي آمنتم ربكم الذي علىٰ السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تذهب، وتجيء، وتضطرب.

و«في» هنا بمعنىٰ «علىٰ»، كقوله تعالىٰ: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾[طه:٧١]، أي علىٰ جذوع النخل.

وكنَّىٰ سبحانه عن نفسه هنا؛ لأن المقام مقام إظهار العظمة، وأنه الأقوىٰ، والقادر علىٰ كل شيء؛ لأن العالي له سلطة علىٰ من تحته.

قوله: «﴿أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾»: أي ريحا فيها حصباء -أي حجارة صغيرة- تدمغكم.

---

(١) انظر: تفسير البغوي (٧/ ١٤٩)، وتفسير ابن كثير (٧/ ١٤٤).

قــولــه: «﴿فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ﴾»: أي كيف يكون إنذاري، وعاقبة من تخلف عنه، وكذَّب به[(١)].

الشاهد من هذه الآيات: إثبات صفة علو الله علىٰ خلقه.

مسألة: الفرق بين العلو، والاستواء:

يختلف العلو عن الاستواء من وجهين:

أحدهما: العلو: من الصفات الذاتية.

والاستواء من الصفات الفعلية.

الثاني: العلو: صفة معنوية، أي من الصفات الثابتة بالعقل والنقل.

والاستواء: صفة خبرية، أي ثابتة بالنقل فقط لا بالعقل.

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٢٣/ ١٢٩)، وتفسير ابن كثير (٨/ ١٨٠).

[معية الله لخلقه]

١٠١- وَقَوْلُهُ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾﴾[الحديد:٤].

١٠٢- وَقَوْلُهُ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾﴾[المجادلة:٧].

١٠٣- وَقَوْلُهُ: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾[التوبة:٤٠].

١٠٤- وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾﴾[طه:٤٦].

١٠٥- وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾[النحل:١٢٨].

١٠٦- وَقَوْلُهُ: ﴿وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾﴾[الأنفال:٤٦].

١٠٧- وَقَوْلُهُ: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ

﴿وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝٢٤٩﴾[البقرة:٢٤٩].

.... الشــرح ....

شرع المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في إثبات معية الله تعالىٰ لخلقه، ذكرها بعد صفة العلو؛ لأنه قد يبدو أن هناك تناقضا بين كونه فوق كل شيء، وكونه مع عباده، فكان من المناسب أن يذكر الآيات التي تثبت معية الله للخلق بعد ذكر آيات العلو.

قوله: «وَقَوْلُهُ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾»: أي يعلم ما يدخل في الأرض من الماء والأموات، وما يخرج منها من النبات والأموات إذا حشروا، وما ينزل من السماء من الأمطار، وما يصعد فيها من الملائكة وأعمال العباد[1].

قوله: «﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾»: أي رقيب عليكم، شهيد علىٰ أعمالكم حيث أنتم، وأين كنتم، من بَر أو بحر، في ليل أو نهار، في البيوت أو القفار، الجميع في علمه علىٰ السواء، وتحت بصره وسمعه، فيسمع كلامكم ويرىٰ

---

(١) انظر: تفسير البغوي (٦/ ٣٨٣).

مكانكم، ويعلم سركم ونجواكم[(١)].

قوله: «وَقَوْلُهُ: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ﴾»: أي من سِرِّ ثلاثة، يعني من المسارة، أي: ما من شيء يناجي به الرجل صاحبيه، والنجوىٰ هي السر.

قوله: «﴿إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ﴾»: أي ولا أقل من هذا العدد المذكور كالواحد والاثنين، ولا أكثر منه كالستة والسبعة.

قوله: «﴿إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُواْ﴾»: أي يطَّلع عليهم، يسمع كلامهم وسرهم ونجواهم، ورسله أيضا مع ذلك تكتب ما يتناجون به، مع علم الله، وسمعه لهم.

وقد حكىٰ جماعة من العلماء الإجماع علىٰ أن المراد بهذه الآية معية علم الله تعالىٰ، ولا شك في إرادة ذلك، ولكن سمعه أيضا مع علمه محيط بهم، وبصره نافذ فيهم، فهو سبحانه مطلع علىٰ خلقه، لا يغيب عنه من أمورهم شيء[(٢)].

قوله: «﴿ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾»: أي ثم يخبر هؤلاء المتناجين وغيرهم بما عملوا من عمل مما يحبه ويسخطه يوم

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٨/ ٩).
(٢) السابق (٨/ ٤١-٤٢).

القيامة، فيجزيهم علىٰ ذلك.

قوله: «﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝٧﴾»: أي إن الله بنجواهم وأسرارهم، وسرائر أعمالهم، وغير ذلك من أمورهم، وأمور عباده عليمٌ[١].

قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: افتتح الآية بالعلم، واختتمها بالعلم[٢].

قوله: «﴿وَقَوْلُهُ: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾»: أي دع الحزن؛ لأن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ معنا بتأييده ونصره ومعونته، وهذه معية خاصة، ولم يكن حزن أبي بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ جُبنا منه، وإنما كان إشفاقا علىٰ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقال: إن أُقتل فأنا رجل واحد، وإن قُتلتَ هلكت الأمة[٣].

قوله: «وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ۝٤٦﴾»: أي لا تخافا منه؛ فإنني معكما أسمع كلامكما وكلامه، وأرىٰ مكانكما ومكانه، لا يخفىٰ عليَّ من أمركم شيء، لست بغافل عنكما، فلا تهتما[٤].

قوله: «وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ﴾»: أي بتأييده ونصره ومعونته وهذه معية خاصة.

---

(١) **انظر**: تفسير الطبري (٢٢/ ٤٦٩).

(٢) **انظر**: تفسير ابن كثير (٨/ ٤٢).

(٣) **انظر**: تفسير البغوي (٤/ ٥٠)، وتفسير ابن كثير (٤/ ٦١٥).

(٤) **انظر**: تفسير البغوي (٥/ ٢٧٦)، وتفسير ابن كثير (٥/ ٢٩٦).

قوله: «وَقَوْلُهُ: ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ﴾»: أي تركوا المحرَّمات، وامتثلوا الواجبات.

قوله: «وَقَوْلُهُ: ﴿وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾»: أي فعلوا الطاعات، فهؤلاء يحفظهم الله، ويؤيدهم، وينصرهم علىٰ أعدائهم ومخالفيهم[1].

قوله: «وَقَوْلُهُ: ﴿وَٱصْبِرُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾﴾»: أي اصبروا علىٰ طاعة الله، وعن معصيته وسخطه؛ فإن الله مع الصابرين علىٰ ذلك بالعون والنُّصرة.

قوله: «وَقَوْلُهُ: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾»: أي جماعة قليلة انتصرت علىٰ فئة كثيرة بقضائه وإرادته.

و«**كم**»: خبرية، تفيد التكثير.

قوله: «﴿وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾﴾»: أي بالنصر، والمعونة[2].

الشاهد من هذه الآيات: إثبات المعية لله تعالىٰ بأنواعها.

مسألة [١]: أنواع المعية:

المعية نوعان:

أحدهما: **معية عامة**: بمعنىٰ السمع والبصر والعلم، وهي تشمل

---

(١) **انظر**: تفسير ابن كثير (٤/ ٦١٥).

(٢) **انظر**: تفسير البغوي (١/ ٣٠٢).

كل أحد، وهي صفة ذاتية؛ لأن الله لم يزل، ولا يزال متصفا بها.

منها قوله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾[الحديد:٤].

الآخر: معية خاصة: بمعنىٰ النصر والتأييد والمعونة، وهي تخص عباد الله المؤمنين، وهي صفة فعلية؛ لأنها تابعة للمشيئة، وهي نوعان:

١-معية خاصة بوصف: كقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ١٢٨﴾[النحل:١٢٨]، فهذه معية خاصة بوصف التقوىٰ والإحسان.

وقوله تعالىٰ: ﴿وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ٤٦﴾[الأنفال:٤٦].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ٢٤٩﴾[البقرة:٢٤٩]، فهذه معية خاصة بوصف الصبر.

٢- معية خاصة بشخص: كقوله تعالىٰ: ﴿لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾[التوبة:٤٠]، فهذه معية خاصة بشخص ، وهو النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ، وأبو بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ.

وقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ٤٦﴾[طه:٤٦]، فهذه معية خاصة بشخص، وهو موسىٰ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، وهارون.

مسألة [٢]: هل المعية حقيقية؟ أو هي كناية عن علم الله عَزَّوَجَلَّ، وسمعه وبصره وقدرته وسلطانه، وغير ذلك من معاني ربوبيته؟

اختلف العلماء في ذلك علىٰ قولين:

أحدهما: المعية كناية عن العلم والسمع والبصر والقدرة وما أشبه ذلك، وهذا قول أكثر أئمة السلف.

فيقولون في معنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾[الحديد:٤]: أي هو عالم بكم، سميع لأقوالكم، بصير بأعمالكم.

الثاني: المعية حقيقية، ولكنها ليست كمعية الإنسان، فهو معنا، وهو عال علىٰ عرشه فوق كل شيء، وسيأتي مزيد تفصيل لهذه المسألة عند كلام المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن حقيقة المعية.

مسألة [٣]: هل بين المعية، والعلو تناقض؟

لا تناقض بينهما لثلاثة أوجه:

أحدها: أن الله جمع بينهما فيما وصف به نفسه، ولو كان فيه تناقضا ما وصف الله بهما نفسه جَلَّجَلَالُهُ.

الثاني: من الممكن أن يكون الشيء عاليا وهو معك؛ كما تقول: «**سرت والقمر معي**»، مع أن القمر في السماء.

الثالث: لو تعذر اجتماعهما في حق المخلوق لم يتعذر في حق الخالق؛ لأن الله أعظم وأجل، ولا يمكن أن تقاس صفات الخالق بصفات المخلوقين[١].

مسألة [٤]: تفسير المعية عند الحلولية:

(١) انظر: شرح العقيدة الواسطية، للشيخ ابن عثيمين (١/ ٤٠٤-٤٠٥).

فسرت الحلولية[1] المعية بأن الله معنا في أمكنتنا، واستدلوا بظاهر اللفظ، ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾[الحديد:٤]، وإذا كان معنا، فنحن لا نفهم من المعية إلا المخالطة والمصاحبة في المكان.

أجيب عنهم من أربعة أوجه:

أحدها: أن الظاهر ليس كما ذُكر، ثم إذ لو كان الظاهر هو المراد لحصل تناقض في الآية بين الاستواء، والمعية.

الثاني: قولهم هذا ممنوع في اللغة، فالمعية في اللغة: اسم لمطلق المصاحبة، وهي أوسع مدلولا من المخالطة والمصاحبة في المكان، وقد تقتضي أحد ثلاثة أمور:

١- تقتضي الاختلاط، كما لو قلت: «**اسقني لبنا مع ماء**» أي مخلوطا بماء.

٢- تقتضي المصاحبة في المكان، كما لو قلنا: «**وجدت فلانا مع فلان يمشيان**».

٣- لا تقتضي اختلاطا ولا مشاركة في المكان، كما لو قلت: «**فلان مع جنوده**»، وإن كان في غرفة القيادة.

الثالث: يلزم من قولهم هذا أحد قولين لا ثالث لهما، وكلاهما يمتنع:

---

(١) **الحلولية**: هم القائلون بأن الله يَحِلُّ في كل مكان بذاته.

أ- أن يكون الله متجزئًا، كل جزء منه في مكان.

ب- أن يكون متعددا، يعني كل إله في جهة.

الرابع: يلزم من قولهم أن يكون حالًّا اللهُ في الخلق، وهذا باطل[١].



(١) **انظر**: جامع المسائل لابن تيمية (٣/ ١٥٧)، وشرح العقيدة الواسطية، للشيخ ابن عثيمين (١/ ٤٠٧-٤٠٩).

[صفة الكلام]

١٠٨ - وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾﴾[النساء:٨٧].

١٠٩ - وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾﴾[النساء:١٢٢].

١١٠ - وَقَوْلُهُ: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾[المائدة:١١٦].

١١١ - وَقَوْلُهُ: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾[الأنعام:١١٥].

١١٢ -: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾﴾[النساء:١٦٤].

١١٣ -: ﴿مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ﴾[البقرة:٢٥٣].

١١٤ -: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾[الأعراف:١٤٣].

١١٥ -: ﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾﴾[مريم:٥٢].

١١٦ - وَقَوْلُهُ: ﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾﴾[الشعراء:١٠].

١١٧ -: ﴿وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ﴾[الأعراف:٢٢].

١١٨ - وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾﴾[القصص:٦٢].

١١٩-: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾﴾[القصص:٦٥].

١٢٠- وَقَوْلُهُ: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾[التوبة:٦].

١٢١-: ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾﴾[البقرة:٧٥].

١٢٢- وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُواْ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ﴾ [الفتح:١٥].

١٢٣- وَقَوْلُهُ: ﴿وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ ۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ﴾[الكهف:٢٧].

١٢٤- وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾﴾[النمل:٧٦].

الشرح

شرع المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في إثبات صفة الكلام لله تعالىٰ، وأن القرآن كلام الله تعالىٰ.

قوله: «وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾﴾»: أي لا أحد أصدق منه في قوله وخبره، ووعده ووعيده[1].

---

(١) انظر: تفسير البغوي (٢/ ٢٥٨)، وتفسير ابن كثير (٢/ ٣٧٠).

قــولــه: «وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾﴾»: أي لا أحد أصدق منه قولا وخبرا[١].

قــولــه: «وَقَوْلُهُ: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾»: إنما يقول الله له هذا القول يوم القيامة، هذا قول جمهور المفسرين، وهذا السؤال عنه؛ لتوبيخ قومه، وتعظيم أمر هذه المقالة[٢].

قــولــه: «وَقَوْلُهُ: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾»: أي صدقا في الأخبار، وعدلا في الأوامر والنواهي، فلما أكمل الدين لهم تمت النعمة عليهم[٣].

وجه الشاهد من هذه الآية: أنه وصف الكلمات بالصدق والعدل، فدل علىٰ أنها أقوال.

قــولــه: «﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾﴾»: هذا تشريف لموسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بأن الله كلَّمه؛ ولهذا يقال له: الكليم[٤].

قــولــه: «﴿تَكْلِيمًا﴾»: مصدر مؤكَّد؛ لدفع كون التكليم مجازا.

قــولــه: «﴿مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ﴾»: أي كلمه الله تعالىٰ بدون

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٢/ ٤١٦).
(٢) انظر: تفسير البغوي (٣/ ١٢١).
(٣) انظر: تفسير ابن كثير (٣/ ٢٦).
(٤) السابق (٢/ ٤٧٣-٤٧٤).

واسطة وهم موسىٰ، ومحمد، وآدام صلوات الله عليهم[١].

قوله: «﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا﴾»: أي للوقت الذي واعدناه أن نكلمه فيه[٢].

قوله: «﴿وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾»: أي أسمعه كلامه من غير واسطة.

قوله: «﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا ۝٥٢﴾»: أي من جانبه الأيمن من موسىٰ حين ذهب يبتغي من تلك النار جذوة، رآها تلوح فقصدها، فوجدها في جانب الطور الأيمن منه، عند شاطئ الوادي، فكلمه الله تعالىٰ، ناداه وقربه وناجاه[٣].

الفرق بين المناداة والمناجاة: أن المناداة تكون للبعيد، والمناجاة تكون للقريب.

قوله: «وَقَوْلُهُ: ﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝١٠﴾»: أي واذكر يا محمد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذ نادىٰ ربُّك موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ حين رأىٰ الشجرة والنار، أن اذهب إلىٰ القوم الذين ظلموا أنفسهم بالكفر والمعصية، وظلموا بني إسرائيل باستعبادهم وسومهم سوء

---

(١) انظر: تفسير البغوي (١/ ٣٠٨)، وتفسير ابن كثير (١/ ٦٧٠).

(٢) انظر: تفسير البغوي (٣/ ٢٧٥).

(٣) انظر: تفسير ابن كثير (٥/ ٢٣٧).

العذاب[١].

والنداء يدل علىٰ أن كلام الله تعالىٰ بصوت، وقوله: ﴿أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ يدل علىٰ أنه بحرف.

قوله: «﴿وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ﴾»: أي ونادىٰ آدمَ وحواءَ ربُّهما: ألم أنهكما عن أكل ثمرة الشجرة التي أكلتما ثمرها، وأعلمكما أن إبليس لكما عدو مبين؟ يقول: قد أبان عداوته لكما بترك السجود لآدم حسدا وبغيا[٢].

وهذا عتاب وتوبيخ، ويدل علىٰ أن الله كلمهما من قبل، وأن كلام الله بصوت وحرف، ويدل علىٰ أنه يتعلق بمشيئته؛ لأنه بعد نهي كما في قوله تعالىٰ: ﴿أَلَمْ أَنْهَكُمَا﴾.

قوله: «وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾﴾»: أي ينادي الله هؤلاء المشركين يوم القيامة: أين الآلهة التي كنتم تعبدونها في الدار الدنيا، من الأصنام والأنداد، هل ينصرونكم أو ينتصرون؟ وهذا علىٰ سبيل التقريع والتهديد[٣].

قوله: «﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾﴾»: أي

---

(١) انظر: تفسير البغوي (٦/ ١٠٧).
(٢) انظر: تفسير الطبري (١٠/ ١١٤).
(٣) انظر: تفسير ابن كثير (٦/ ٢٥٠).

ماذا كان جوابكم للمرسلين إليكم؟ وكيف كان حالكم معهم؟[١].

وفي هذه الآية: إثبات الكلام من وجهين: النداء، والقول.

قوله: «وَقَوْلُهُ: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾»: أي وإن استأمنك وطلب حمايتك يا رسولنا أحد من المشركين الذين أمرتك بقتالهم وأحللت لك استباحة نفوسهم وأموالهم؛ ليسمع كلام الله، فأجبه إلىٰ طلبه حتىٰ يسمع كلام الله -وهو القرآن- تقرؤه عليه، وتذكر له شيئا مما له وعليه من الثواب والعقاب[٢].

الشاهد من هذه الآية: إثبات الكلام لله تعالىٰ، وأن الذي يتلىٰ هو كلام الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

قوله: «﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾»: أي كان فريق من اليهود يسمعون التوراة.

قوله: «﴿ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۝٧٥﴾»: أي يتأولونه علىٰ غير تأويله، ويغيرون معناه من بعد ما فهموه، وهذه المخالفة علىٰ بصيرة منهم بذلك كما غيروا صفة النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وآية الرجم وهم يعلمون أنهم مخطِئون فيما ذهبوا إليه من تحريفه

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٦/ ٢٥٠).

(٢) انظر: تفسير الطبري (١١/ ٣٤٦)، وتفسير ابن كثير (٤/ ١١٣).

وتأويله[١].

الشاهد من هذه الآية: إثبات الكلام لله تعالىٰ، وأن التوراة من كلام الله.

قوله: «وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُواْ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾»: أي يريد المخلَّفون من الأعراب، الذين اختاروا المقام في أهليهم وشغلهم وتركوا الجهاد مع رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين خرج عام الحديبية أن يغيروا مواعيد الله تعالىٰ لأهل الحديبية بغنيمة خيبر خاصة، وتثبيط المسلمين عن الجهاد[٢].

قوله: «وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ﴾»: أي وعد الله أهل الحديبية غنيمة خيبر لهم خاصة قبل سؤالكم الخروج معهم[٣].

الشاهد من هذه الآية: إثبات الكلام لله تعالىٰ، وإثبات القول له، وأن الله يتكلم متىٰ شاء، وإذا شاء.

قوله: «﴿وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ﴾»: أي القرآن، واتبع ما فيه[٤].

---

(١) **انظر:** تفسير البغوي (١/ ١١٣)، وتفسير ابن كثير (١/ ٣٠٧).
(٢) **انظر:** تفسير البغوي (٧/ ٣٠٢)، وتفسير ابن كثير (٧/ ٣٣٧-٣٣٨).
(٣) **انظر:** تفسير ابن كثير (٧/ ٣٣٨).
(٤) **انظر:** تفسير البغوي (٥/ ١٦٦).

قــولــه: «﴿لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ﴾»: أي لا مغيرَ لها ولا محرِّف، ولا مؤول[١].

وهو يشـمل الكلمـات الكونيـة والشـرعية؛ فالكلمـات الشـرعية قـد تبدل من قبل أهل الكفر والنفاق، فيبدلونها إما بالمعنىٰ، وإما باللفظ إن استطاعوا، أما الكلمات الكونية فـلا يمكـن لأحـد أن يبـدلها، كـالموت والفقر وغيرهما.

قــولــه: «وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾﴾»: أي يقص علىٰ حملة التوراة والإنجيل ويبين لهم أكثر الذي هم فيه يختلفون، كاختلافهم في عيسىٰ وتباينهم فيه، فاليهود افتروا، والنصارىٰ غلوا، فجاء إليهم القرآن بالقول الوسـط الحـق العـدل: أنـه عبـد مـن عبـاد الله وأنبيائـه ورسـله الكـرام عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ[٢].

والقصص لا يكون إلا قولا، وحينئذ يكون القرآن كلام الله تعالىٰ.

الشاهد من هذه الآيات: إثبات الكلام لله تعالىٰ، وأنه يتكلم بصوت وحـرف، متـىٰ يشـاء، وإذا شـاء، وأن الكـلام صـفة ذاتيـة فعليـة، ذاتيـة: باعتبار وصفه بها في الأزل، وفعلية: لأنه يتكلم متىٰ شاء.

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٥/ ١٥١).
(٢) السابق (٦/ ٢١٠).

مسألة [١]: مذاهب الناس في كلام الله:

١- المعتزلة: الكلام مخلوق منفصل، ومعنىٰ «**الله تكلم**» أي خالق للكلام.

٢- الأشاعرة، والكُلَّابية: الكلام لازم لذات الله أزلا وأبدا، لا يتعلق بمشيئته وقدرته، ونفوا عنه الحرف والصوت، وقالوا: إنه معنىٰ واحد في الأزل، يعني لا يتكلم إذا شاء.

٣- الجهمية وبعض الفلاسفة: كلام الله حروف وأصوات قديمة لازمة للذات، لذا فإنها مقترنة في الأزل، فهو سبحانه لا يتكلم بها شيئا بعد شيء.

٤- الكرَّامية: كلام الله حادث قائم بذاته تعالىٰ، ومتعلق بمشيئته وقدرته، وأن له ابتداء في ذاته، وأن الله لم يكن متكلِّما في الأزل.

٥- أهل السنة: الكلام صفة له، قائمة بذاته، يتكلم بها بمشيئته وقدرته، وهو لم يزل ولا يزال متكلما إذا شاء، لا يشبه كلام المخلوقين.

مسألة [٢]: لماذا نفت المعتزلة صفة الكلام؟

لأن الكلام يلزم منه أن يكون بحرف وصوت، وهذا يستلزم التجسيم والتشبيه.

مسألة [٣]: أدلة القائلين بأن كلام الله نفسي:

استدل القائلون بأن كلام الله نفسي بدليلين:

١ - قول الأخطل النصراني:

إن الكـلام لفى الفؤاد وإنمـا جُعل اللسانُ علىٰ الفؤاد دليـلا

٢ - قول عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**وَقَدْ زَوَّرْتُ فِي نَفْسِي كَلَامًا**»، فسماه كلاما قبل التكلم به، فإن كان المتكلمُ ذا مخارج سُمع كلامه بحرف وصوت، وإن كان غير ذي مخارج فهو بخلاف ذلك، والباري عَزَّوَجَلَّ ليس بذي مخارج فلا يكون كلامه بحروف وأصوات، فإذا فهمه السامع تلاه بحروف وأصوات[1].

وأجيب: بأن الكلام في لغة العرب لا يحتمل المعنىٰ النفسي، بل لابد أن يكون بحرف وصوت.

وكلام الأخطل مردود من أوجه:

الأول: هذا البيت لم يثبت نقله عن قائله بإسناد صحيح لا واحد، ولا أكثر من واحد، ولا تلقاه أهل العربية بالقبول، فكيف يثبت به أدنىٰ شيء من اللغة فضلا عن مسمىٰ الكلام؟

الثاني: بتقدير أن يكون من شعره فالحقائق العقلية، أو مسمىٰ لفظ الكلام الذي يتكلم به جميع بني آدم لا يرجع فيه إلىٰ قول ألف شاعر فاضل، فماذا لو كان القائل شاعرا نصرانيا اسمه الأخطل؟! والنصارىٰ

(١) انظر: فتح الباري (١٣/ ٤٥٨).

قد عُرف أنهم يتكلمون في كلمة الله بما هو باطل.

الثالث: إن كان قال ذلك فيكون المعنىٰ علىٰ ما فسره به المفسرون للشعر أي أصل الكلام، ومعناه المقصود به من الفؤاد وهو المعنىٰ، واللسان دليل علىٰ ذلك[١].

الرابع: روي هذا البيت علىٰ وجه آخر بقوله: إن البيان لفي الفؤاد.

أما قول عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**وَقَدْ زَوَّرْتُ فِي نَفْسِي كَلَامًا**»، فهذه رواية غير محفوظة، والمحفوظ «**وَقَدْ زَوَّرْتُ فِي نَفْسِي مَقَالَةً**»[٢].

وعلىٰ فرض صحتها فإنه قال: «**زَوَّرْتُ**» أي هيأتها لأقولها، ولم يقل: «**قلتُ**»، فهذا يدل علىٰ أنه قدَّر في نفسه ما يريد أن يقوله، ولم يقله، فعُلم أنه لا يكون قولا إلا إذا قيل باللسان، وقبل ذلك لم يكن قولا لكن كان مقدرا في النفس، يُراد أن يقال: كما يقدِّر الإنسان في نفسه أنه يحج فيكون لما يريده من القول والعمل صورة ذهنية مقدرة في النفس، ولكن لا يسمىٰ قولا وعملا إلا إذا وجد في الخارج كما أنه لا يكون حاجا إلا إذا وُجدت منه أفعال الحج وأقواله[٣].

مسألة [٤]: تقسيم الأشاعرة والكُلَّابية لكلام الله:

قسَّمت الأشاعرة والكُلَّابية كلام الله قسمين:

---

(١) **انظر**: مجموع الفتاوىٰ (٦/ ٢٩٧، ٧/ ١٣٨-١٣٩).

(٢) رواه اللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (٢٤٣٦).

(٣) **انظر**: مجموع الفتاوىٰ (٧/ ١٣٧).

أحـــدهما: كــلام قــديم قــائم بــذات المــتكلم، والحــروفُ المؤلفـة ليسـت مـن الكـلام، ولا هـي كـلام، فـالكلام الـذي نـزل بـه جبريــل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ مــن الله لــيس كــلام الله بــل حكايــة عــن كــلام الله، كما قاله ابن كُلَّاب، أو عبارة عن كلام الله كما قاله الأشعري.

الثـاني: المعنـىٰ النفسـي متعـدد مـن حيـث المعنـىٰ، واحـد مـن حيـث الصـفة: وذلـك المعنـىٰ إن عـبر عنـه بالعبريـة كـان تـوراة، وإن عـبر عنـه بالسـريانية كـان إنجـيلا، وإن عـبر عنـه بالعربيـة كـان قرآنـا، والأمـر والنهـي والخـبر صـفات لـه لا أنـواع لـه، وإن تعلـق بالمـأمور سـمي أمـرا، وإن تعلـق بـالنهي سـمي نهيـا، وإن تعلـق بـالخبر سـمي خبرا.

وهذا القول معلوم فساده بالاضطرار؛ فإن معاني القرآن ليست هي معاني التوراة، وليست معاني التوراة المعربة هي القرآن، ولا القرآن إذا تـرجم بالعبريـة هـو التـوراة، ولا حقيقـة الأمـر هـي حقيقـة الخـبر؛ فـإن التوراة إذا عربّناها لم يكـن معناهـا معنـىٰ القـرآن، والقـرآن إذا ترجمنـاه بالعبرانية لم يكن توراة[1].

مسألة [٥]: أدلة المعتزلة علىٰ قولهم بخلق القرآن:

استدلت المعتزلـة علـىٰ قـولهم بخلـق القـرآن بعمـوم قولـه تعـالىٰ:

---

(١) انظـر: الجـواب الصـحيح (٤/ ٣٤٠)، والفتـاوىٰ الكـبرىٰ (٥/ ١١، ٦/ ٦٣٢)، ودرء تعارض العقل والنقل (٢/ ١١٠).

﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾[الرعد:١٦]، والقرآنُ شيء، فيدخل في العموم.

وأجيب عنهم من وجهين:

١ - أن القرآن كلام الله، وهو صفة من صفات الله، وصفات الله غير مخلوقة.

٢ - لفظة «**كل**» عام قد يراد به الخصوص؛ كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٖ﴾[النمل:٢٣]، وهي لم تبلغ ملك سليمان عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ.

مسألة [٦]: الآثار المترتبة علىٰ القول بخلق القرآن:

١ - تكذيب القرآن؛ لأن الله قال: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَا﴾[الشورىٰ:٥٢]، ولو كان مخلوقا ما صح أن يكون موحىٰ، وإذا كان وحيًا لزم ألا يكون مخلوقا؛ لأن الله هو الذي تكلم به.

٢ - إبطال مدلول الأمر، والنهي، والخبر، والاستخبار؛ لأن الأمر كأنه شيء خُلق علىٰ هذه الصورة، دون أن يعتبر مدلوله؛ والنهي خُلق علىٰ هذه الصورة دون أن يقصد مدلوله، وكذلك الخبر والاستخبار، وهذه الصيغ لو كانت مخلوقة لكانت مجرد شكل خُلق علىٰ هذه الصورة، كما خلقت الشمس علىٰ صورتها، والقمر علىٰ صورته، وهكذا، ولم تكن أمرا ولا نهيا ولا خبرا.

٣- يلزم أن يكون كل كلام الخلق كلاما لله تعالىٰ، ويلزم منه أن تكون كل صفات الله مخلوقة.

[القرآن مُنَزَّل من الله تعالى]

١٢٥- وقولُهُ: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٌ﴾[الأنعام:١٥٥].

١٢٦- وقولُهُ: ﴿لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِ﴾[الحشر:٢١].

١٢٧- ﴿وَإِذَا بَدَّلۡنَآ ءَايَةٗ مَّكَانَ ءَايَةٖ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفۡتَرِۭۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ١٠١ قُلۡ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلۡقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلۡحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ١٠٢ وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّهُمۡ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٞۗ لِّسَانُ ٱلَّذِي يُلۡحِدُونَ إِلَيۡهِ أَعۡجَمِيّٞ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيّٞ مُّبِينٌ ١٠٣﴾[النحل:١٠١-١٠٣].

.... الشـــرح ....

شرع المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في إثبات أن القرآن منزلٌ من عند الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

قوله: «وَقَوْلُهُ: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٌ﴾»: أي القرآن كتاب مبارك أنزلناه، من اتبعه وعمل به حصلت له البركة في الدنيا والآخرة[1].

(١) انظر: تفسير البغوي (٣/ ١٦٨)، وتفسير ابن كثير (٣/ ٣٦٩).

قوله: «وقوله: ﴿لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۚ﴾»: أي لو جُعل في الجبل تمييز وأُنزل عليه القرآن لخشع وتشقق وتصدع من خشية الله مع صلابته؛ حذرا من أن لا يؤدي حق الله عَزَّوَجَلَّ في تعظيم القرآن[1].

والمراد: إن كان الجبل في غلظته وقساوته، لو فهم هذا القرآن فتدبر ما فيه، لخشع وتصدع من خوف الله عَزَّوَجَلَّ، فكيف يليق بكم أيها البشر ألا تلين قلوبكم وتخشع، وتتصدع من خشية الله، وقد فهمتم عن الله أمره وتدبرتم كتابه؟[2].

قوله: «﴿وَإِذَا بَدَّلۡنَآ ءَايَةٗ مَّكَانَ ءَايَةٖ﴾»: أي وإذا رفعنا آية ووضعنا بدلا منها آية أخرىٰ، وهذا هو النسخ.

قوله: «﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ﴾»: أي أعلم بما هو أصلح لخلقه فيما يغير ويبدل من أحكامه.

قوله: «﴿قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفۡتَرِۭ﴾»: أي إذا رأىٰ المشركون تغيير الأحكام ناسخها بمنسوخها قالوا للرسول: إنما أنت يا محمد، مختلق كذاب متقوِّل علىٰ الله، وذلك لأنهم قالوا: إن محمدا يسخر بأصحابه، يأمرهم اليوم بأمر، وينهاهم عنه غدا، ما هو إلا مفتر، يتقوله من تلقاء نفسه.

---

(١) انظر: تفسير البغوي (٨/ ٨٧).

(٢) انظر: تفسير ابن كثير (٨/ ٧٨).

قـــولـه: «﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝١٠١﴾»: أي لا يعلمون حقيقة القرآن، وبيان الناسخ من المنسوخ.

قـــولـه: «﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ﴾»: أي نزل جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ بالقرآن من ربك يا محمد بالصدق والعدل.

قـــولـه: «﴿لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾»: أي ليثبت قلوب المؤمنين؛ ليزدادوا إيمانا ويقينا، ويصدقوا بما أنزل أولا وثانيا، وتخبت له قلوبهم.

قـــولـه: «﴿وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ۝١٠٢﴾»: أي وجعله هاديا مهديا، وبشارة للمسلمين الذين آمنوا بالله ورسله عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

قـــولـه: «﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ﴾»: أي إن محمدا إنما يعلمه هذا الذي يتلوه علينا من القرآن آدمي، وما هو من عند الله.

قـــولـه: «﴿لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ﴾»: أي يميلون ويشيرون إليه.

قـــولـه: «﴿أَعْجَمِيٌّ﴾»: أي رجل لا يفصح بالكلام كان بياعا يبيع عند الصفا، فربما كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يجلس إليه ويكلمه بعض الشيء، وذاك كان أعجمي اللسان لا يعرف العربية، أو أنه كان يعرف الشيء اليسير بقدر ما يرد جواب الخطاب فيما لا بد منه.

قـــولـه: «﴿وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ ۝١٠٣﴾»: أي فصيح وبيان

واضح، وأراد باللسان القرآن، والعرب تقول: اللغة لسان.

فكيف يتعلم مَن جاء بهذا القرآن، في فصاحته وبلاغته ومعانيه التامة الشاملة، التي هي أكمل من معاني كل كتاب نزل علىٰ نبي أُرسل، كيف يتعلم من رجل أعجمي؟! لا يقول هذا من له أدنىٰ مُسْكة من العقل[1].

الشاهد من هذه الآيات: إثبات أن القرآن نزل من عند الله، وأنه كلام الله لا كلام غيره.



(١) **انظر:** تفسير البغوي (٥/ ٤٣-٤٥)، وتفسير ابن كثير (٤/ ٦٠٣-٦٠٤).

[رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة]

١٢٨- وَقَوْلُهُ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾[القيامة:٢٢-٢٣].

١٢٩-: ﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ۝٢٣﴾[المطفِّفين:٢٣].

١٣٠- وَقَوْلُهُ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾[يونس:٢٦].

١٣١- وَقَوْلُهُ: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ۝٣٥﴾[ق:٣٥].

.... الشــرح ....

شرع المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في إثبات رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة.

قــولــه: «وَقَوْلُهُ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾»: أي من النضارة، أي حسنة بهية مشرقة مسرورة يعني يوم القيامة.

قــولــه: «﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾»: أي تراه عيانا[1].

قــولــه: «﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ﴾»: جمع أريكة وهي السرر.

قــولــه: «﴿يَنظُرُونَ﴾»: أي إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ، وهذا مقابلة لما وصف به أولئك الفجار: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ۝١٥﴾[المطفِّفين:١٥]، فذكر عن هؤلاء أنهم ينظرون إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ، وهم

(١) انظر: تفسير البغوي (٨/ ٢٨٤)، وتفسير ابن كثير (٨/ ٢٧٦).

علىٰ سررهم، وفرشهم، وقيل: أي ينظرون في ملكهم وما أعطاهم الله من الخير والفضل الذي لا ينقضي ولا يبيد(١).

قال الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**لما حجب الله قوما بالسخط دل علىٰ أن قوما يرونه بالرضا**»(٢).

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**وهذا الذي قاله الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في غاية الحسن، وهو استدلال بمفهوم هذه الآية، كما دل عليه منطوق قوله: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝﴾**[القيامة:٢٢-٢٣]»(٣).

قوله: «**وَقَوْلُهُ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾**»: أي للذين أحسنوا العمل في الدنيا الحسنىٰ، وهي الجنة، وزيادة: وهي النظر إلىٰ وجه الله الكريم(٤)، فسرها بذلك النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كما في حديث صُهَيْبٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الجَنَّةِ الجَنَّةَ، قَالَ: يَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الجَنَّةَ، وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: فَيَكْشِفُ الحِجَابَ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ**»، ثُمَّ تَلَا هَذِهِ

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٨/ ٣٥٢).
(٢) انظر: مناقب الشافعي، للبيهقي (١/ ٤١٩).
(٣) انظر: تفسير ابن كثير (٨/ ٣٥١).
(٤) انظر: تفسير البغوي (٤/ ١٣٠).

الآيَةَ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞ﴾[يونس:٢٦][(١)].

قوله: «وَقَوۡلُهُ: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا﴾»: أي للمؤمنين في الجنة ما يشاؤون من أنواع الخيرات، فمهما اختاروا وجدوا من أي أصناف الملاذ طلبوا أحضر لهم.

قوله: «﴿وَلَدَيۡنَا مَزِيدٞ ٣٥﴾»: أي زيادة علىٰ ذلك، وهو النظر إلىٰ وجه الله الكريم[(٢)].

الشاهد من هذه الآيات: إثبات رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة.

مسألة [١]: الإجماع علىٰ رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة:

قال أبو الحسن الأشعري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأجمعوا علىٰ أن المؤمنين يرون الله عَزَّوَجَلَّ يوم القيامة بأعين وجوههم علىٰ ما أخبر به تعالىٰ في قوله تعالىٰ: ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ٢٣﴾[القيامة:٢٣]»[(٣)].

وقال الحافظ عبد الغني المقدسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأجمع أهل الحق واتفق أهل التوحيد والصدق أن الله تعالىٰ يُرىٰ في الآخرة، كما جاء في كتابه، وصح عن رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ»[(٤)].

---

(١) صحيح: رواه مسلم (١٨١).

(٢) انظر: تفسير ابن كثير (٧/ ٤٠٦-٤٠٧).

(٣) انظر: رسالة إلىٰ أهل الثغر، لأبي الحسن الأشعري، صـ(١٣٤).

(٤) انظر: الاقتصاد في الاعتقاد، صـ(١٢٥).

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «اتفق عليها -أي على الرؤية- الأنبياء، والمرسلون، وجميع الصحابة، والتابعون، وأئمة الإسلام على تتابع القرون، وأنكرها أهل البدع المارقون، والجهمية»[(١)].

مسألة [٢]: حكم إنكار رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة:

دلت الأحاديث الصحاح المتواترة على رؤية المؤمنين ربهم عَزَّوَجَلَّ في الدار الآخرة، رؤية بالأبصار في عرصات القيامة، وفي روضات الجنان الفاخرة[(٢)].

قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **«من قال بأن الله تعالىٰ لا يرىٰ في الآخرة فقد كفر، عليه لعنة الله وغضبه، من كان من الناس، أليس الله عَزَّوَجَلَّ قال: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾[القيامة:٢٢-٢٣].**

وقال تعالىٰ: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾[المطفِّفين:١٥]، هذا دليل علىٰ أن المؤمنين يرون الله تعالىٰ»[(٣)].

مسألة [٣]: المخالفون لأهل السنة في الرؤية:

١- **الصوفية**: قالوا: الرؤية ممكنة في الدنيا والآخرة.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقد اتفق أئمة المسلمين علىٰ أن أحدا من المؤمنين لا يرىٰ الله بعينه في الدنيا ولم يتنازعوا إلا في النبي

---

(١) انظر: حادي الأرواح، لابن القيم، صـ (٢٨٥).

(٢) انظر: تفسير ابن كثير (٨/ ٣٥١).

(٣) انظر: الشريعة، للآجري (٢/ ٩٨٦).

صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خاصة مع أن جماهير الأئمة علىٰ أنه لم يره بعينه في الدنيا وعلىٰ هذا دلت الآثار الصحيحة الثابتة عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والصحابة وأئمة المسلمين»(١).

٢- **الخوارج والمعتزلة والإباضية:** الرؤية غير ممكنة في الدنيا والآخرة.

وفسروا قوله تعالىٰ: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ٢٣﴾ بمنتظرة.

وفسروا قوله تعالىٰ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ بالنعيم، أي يزيدهم الله تعالىٰ في الجنة نعيما زيادة علىٰ نعيمهم، وقالوا: تفسير الزيادة بالنظر إلىٰ وجه الله الكريم من الآحاد، والآحاد لا تقبل في العقيدة.

وقالت المعتزلة: إثبات الرؤية يلزم منه إثبات الجهة وهي ممتنعة في حق الله؛ لأنه إذا كان في جهة كان متحيزا، أي يشبه الأجسام، وهذا باطل؛ لذلك ننفي الرؤية.

أجيب عليهم بأن الجهة إذا كانت إلىٰ العلو فهي جائزة، والناس يرون ربهم وهو عالٍ عليهم بذاته عَزَّوَجَلَّ، وأما التحيز فهو منفي؛ لأن الله لا يحيط به شيء؛ كما قال تعالىٰ ﴿أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ ٥٤﴾ [فُصِّلَت:٥٤].

---

(١) انظر: مجموع الفتاوىٰ (٢/ ٣٣٥).

٣- الأشاعرة والماتريدية: الرؤية ممكنة، لكنها تكون إلىٰ جهة، أو إلىٰ غير جهة، والأول ممتنع عندهم؛ لأنه يقتضي التحيز، والثاني جائز، وذلك بإدراك يُجعل في العين، أي العين لا تبصر.

وهذا باطل؛ لأن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ جعل الرؤية للوجوه في قوله: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾[القيامة:٢٢-٢٣].

والنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شبَّه رؤية المؤمنين ربَّهم يوم القيامة برؤيتهم للقمر، كما في قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ الْقَمَرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ**»[(١)]، فدل علىٰ أنها رؤية بالبصر.

ولا يُعقل أن يقال: الرؤية تكون إلىٰ غير جهة؛ لأنه يلزم من إثبات الرؤية إثبات الجهة، وهذا هو الصحيح، ولكن نقول: الجهة معناها العلو[(٢)].

مسألة [٤]: أدلة المعتزلة علىٰ نفي الرؤية والرد عليها:

استدلت المعتزلة على نفي الرؤية بعدة أدلة أقواها دليلان:

الأول: قوله تعالىٰ: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾[الأنعام:١٠٣]، قالوا: هذه نفي للرؤية مطلقا.

أجيب عليه بأن النفي عن الإدراك، وليس الرؤية، وثمة فرق بين

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٥٥٤)، ومسلم (٦٣٣)، من حديث جرير بن عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) انظر: اللآلئ البهية في شرح العقيدة الواسطية (١/ ٦٠٤-٦١٢).

الرؤية والإدراك، فالإدراك شيء زائد على الرؤية، فنحن مثلا نرى القمر ولا ندركه، ومنه قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَرَآءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾﴾ [الشعراء:٦١]، ولم ينقل عن أحد من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ من طريق صحيح ولا ضعيف أنه أراد بذلك نفي الرؤية في الآخرة.

والمراد أن الأبصار تراه، ولكن لا تحيط به رؤية، كما أن العقول تعلمه ولا تحيط به علما.

الثاني: قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى﴾ [الأعراف:١٤٣]، قالوا: لن تفيد النفي المؤبد.

أجيب عليه بأربعة أوجه:

الوجه الأول: أن «لن» لا تفيد النفي المؤبد بدلالة القرآن واللغة، أما القرآن فإن الله تعالى حكى عن الكفار أنهم لن يتمنوا الموت، فقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا﴾ [البقرة:٩٥]، ثم ذكر أنهم سيتمنونه فقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [الزُّخرُف:٧٧].

وأما اللغة فلم يقل أحد من أئمتها: إن نفي «لن» للتأبيد مطلقا إلا الزمخشري من المتأخرين، قال ذلك ترويجًا لمذهبه في الاعتزال، وجحود صفات الخالق عَزَّوَجَلَّ، وقد رده عليه أئمة التفسير كابن كثير وغيره، ورده ابن مالك في الكافية حيث قال:

ومَن رأىٰ النفى بـ «لَنْ» مؤبَّـدا فقولَه ارْدُد، وخلافــه اعضُـــدَا[1]

الوجه الثاني: أن موسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أعلم بربه من غيره، فهو يعلم ما يجوز وما لا يجوز في حق الله تعالىٰ، ولو كانت الرؤية ممتنعة لما طلبها موسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

الوجه الثالث: أن الله علق الرؤية علىٰ استقرار الجبل، فقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى﴾ [الأعراف:١٤٣]، والمعلق علىٰ الممكن ممكن ولو كانت الرؤية غير ممكنة لنفاها.

الوجه الرابع: أن الله تعالىٰ لم ينكر علىٰ موسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ سؤاله الرؤية، فدل علىٰ إمكانها[2].



(١) انظر: شرح الكافية الشافية، لابن مالك (٣/ ١٥١٥).
(٢) انظر: حادي الأرواح، لابن القيم، صـ (٢٨٥-٢٨٧).

١٣٢ - وَهَذَا الْبَابُ فِي كِتَابِ اللهِ تَعَالَىٰ كَثِيرٌ.

١٣٣ - وَمَنْ تَدَبَّرَ الْقُرْآنَ طَالِبًا لِلْهُدَىٰ مِنْهُ؛ تَبَيَّنَ لَهُ طَرِيقُ الْحَقِّ.

الشــرح

قــولــه: «وَهَذَا الْبَابُ»: أي باب الأسماء والصفات.

قــولــه: «فِي كِتَابِ اللهِ تَعَالَىٰ كَثِيرٌ»: أي في القرآن الكريم آيات كثيرة تدل على أسماء الله تعالىٰ وصفاته.

قــولــه: «وَمَنْ تَدَبَّرَ الْقُرْآنَ طَالِبًا لِلْهُدَىٰ مِنْهُ»: أي تأمل فيه وتفكر فيما يدل عليه من الهدىٰ.

قــولــه: «تَبَيَّنَ لَهُ طَرِيقُ الْحَقِّ»: أي اتضح له سبيل الصواب والحق.

[منزلة السنةالنبوية من القرآن الكريم]

١٣٤ - **ثُمَّ سُنَّةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تُفَسِّرُ الْقُرْآنَ، وَتُبَيِّنُهُ، وَتَدُلُّ عَلَيْهِ، وَتُعَبِّرُ عَنْهُ.**

.... **الشـــرح** ....

قـــولـــه: «**ثُمَّ سُنَّةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**»: هذا معطوف علىٰ قوله فيما سبق: «**وقد دخل في هـذه الجملـة مـا وصـف الله بـه نفسـه في سـورة الإخلاص**».

بعد أن فرغ المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ من ذكر أدلة القرآن علىٰ إثبات صفات الله تعالىٰ؛ شرع في ذكر أدلـة السـنة علـىٰ ذلـك؛ لأن السـنة هـي الأصـل الثاني الذي يجب الرجوع إليه بعد كتاب الله تعالىٰ.

قال تعـالىٰ: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾[النساء:١١٣]، أي القرآن والسنة.

والسنة في اللغة: الطريقة، والسيرة، محمودة كانت أو مذمومة، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا ۖ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾﴾[الإسراء:٧٧].

وقول الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ سَنَّ فِي الإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً، فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ،**

وَمَنْ سَنَّ فِي الإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ»[1].

والسنة في الشرع تطلق ويراد بها أحد أربعة أمور:

١- الطريقة العامة.

منه قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ سَنَّ فِي الإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً، فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ ...**»[2].

٢- ما يقابل القرآن، أي كلام النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأفعاله.

منه قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يَؤُمُّ الْقَوْمَ أَقْرَؤُهُمْ لِكِتَابِ اللهِ، فَإِنْ كَانُوا فِي الْقِرَاءَةِ سَوَاءً، فَأَعْلَمُهُمْ بِالسُّنَّةِ**»[3]، أي ما جاء به النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وليس في القرآن.

٣- ما ثبت عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من قول، أو فعل، أو تقرير، أو صفة، أو هَمٍّ، أو إرادة، أو خَلق، أو خُلق، كما عند المحدِّثين.

٤- الطريقة المرضيَّة في الدين، أي ما يقابل البدعة.

والمراد هنا: قول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أو فعله الذي فيه ذكر الأمور الغيبية.

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (١٠١٧)، من حديث جرير بن عبد الله البَجلي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.
(٢) **صحيح**: رواه مسلم (١٠١٧)، من حديث جرير بن عبد الله البَجلي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.
(٣) **صحيح**: رواه مسلم (٦٧٣)، من حديث أبي مسعود الأنصاري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

قوله: «**تُفَسِّرُ الْقُرْآنَ**»: أي تبيِّنه، وتوضح معانيه ومقاصده، كما قال تعالىٰ: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾[النحل:٤٤].

ومن ذلك:

١-قوله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾[الأنعام:٨٢]، فقد فهم أصحاب النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قوله: ﴿بِظُلْمٍ﴾ علىٰ عمومه الذي يشمل كل ظلم ولو كان صغيرا ولذلك استشكلوا الآية، فبين لهم الرسول صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن المراد بالظلم في الآية: الشرك، فعَنْ عَبْدِ اللهِ بن مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: لَمَّا نَزَلَتِ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ أَيُّنَا لَا يَظْلِمُ نَفْسَهُ؟ قَالَ: «لَيْسَ كَمَا تَقُولُونَ ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ بِشِرْكٍ، أَوَلَمْ تَسْمَعُوا إِلَىٰ قَوْلِ لُقْمَانَ لِابْنِهِ: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾[لقمان:١٣]»[1].

٢-قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾[النساء:١٠١]، ظاهره يقتضي أن قصر الصلاة في السفر يشترط له الخوف، فبين الرسول صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه لا يشترط له الخوف، فعَنْ يَعْلَىٰ بْنِ أُمَيَّةَ، قَالَ: قُلْتُ لِعُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٣٦٠)، ومسلم (١٢٤).

ﭐلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ ﴾، فَقَدْ أَمِنَ النَّاسُ، فَقَالَ: عَجِبْتُ مِمَّا عَجِبْتَ مِنْهُ، فَسَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: «**صَدَقَةٌ تَصَدَّقَ اللهُ بِهَا عَلَيْكُمْ فَاقْبَلُوا صَدَقَتَهُ**»(١).

٣-قوله تعالىٰ: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾[الأنفال:٦٠]، فسرها النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالرمي، فعن عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ عَلَىٰ المِنْبَرِ يَقُولُ: «﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾، **أَلَا إِنَّ القُوَّةَ الرَّمْيُ، أَلَا إِنَّ القُوَّةَ الرَّمْيُ، أَلَا إِنَّ القُوَّةَ الرَّمْيُ**»(٢).

قوله: «وَتُبَيِّنُهُ»: أي توضِّح وتبين ما أُجمل في القرآن؛ حيث إن القرآن فيه آيات مجملة تحتاج إلىٰ بيان وتوضيح.

من ذلك:

١-قوله تعالىٰ: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾[البقرة:٤٣]، أمر الله بإقامة الصلاة، ولم يبين كيفية إقامتها، فأتت السنة مبينة كيفيتها.

٢-قوله تعالىٰ: ﴿وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾[البقرة:٤٣]، أمر الله بأداء الزكاة، ولم يبين كيفية أدائها، فأتت السنة مبينة كيفية جمعها وتوزيعها بين مستحقيها، ونحو ذلك.

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٦٨٦).

(٢) صحيح: رواه مسلم (١٩١٧).

٣-قوله تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران:٩٧]، أمر الله بأداء الحج، ولم يبين مناسكه، فأتت السنة مبينة كيفية أدائه.

قوله: «**وَتَدُلُّ عَلَيْهِ**»: أي تفسر القرآن، وتبينه.

قوله: «**وَتُعَبِّرُ عَنْهُ**»: أي تأتي بمعانٍ، وأحكام جديدة لم يأتِ بها القرآن.

من ذلك:

١-تحريم الجمع بين المرأة وعمتها، والمرأة وخالتها، فعن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**لَا يُجْمَعُ بَيْنَ المَرْأَةِ وَعَمَّتِهَا، وَلَا بَيْنَ المَرْأَةِ وَخَالَتِهَا**»(١).

٢-تحريم كل ذي ناب من السباع، فعَنْ أَبِي ثَعْلَبَةَ الخُشَنِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «**نَهَىٰ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ أَكْلِ كُلِّ ذِي نَابٍ مِنَ السَّبُعِ**»(٢).

٣-تحريم كل ذي مخلب من الطير، فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: «**نَهَىٰ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ كُلِّ ذِي نَابٍ مِنَ السِّبَاعِ، وَعَنْ كُلِّ ذِي مِخْلَبٍ مِنَ الطَّيْرِ**»(٣).

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٥١٠٩)، ومسلم (١٤٠٨).
(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٥٧٨٠)، ومسلم (١٩٣٢).
(٣) صحيح: رواه مسلم (١٩٣٤).

٤ - تحليل ميتة السمك والجراد، فعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**أُحِلَّتْ لَكُمْ مَيْتَتَانِ وَدَمَانِ، فَأَمَّا المَيْتَتَانِ، فَالحُوتُ وَالجَرَادُ، وَأَمَّا الدَّمَانِ، فَالكَبِدُ وَالطِّحَالُ**»[1].

مسألة [١]: السنة تقيد مطلق القرآن.

المطلق: هو اللفظ الدال علىٰ مدلول شائع في جنسه[2].

من ذلك:

١ - قوله تعالىٰ: ﴿مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصِي بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍ﴾[النساء:١١]، فكلمة ﴿وَصِيَّةٖ﴾، وردت في النص مطلقة، فأتت السنة بتقييدها بالثلث، فعَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: فَقُلْتُ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَأَتَصَدَّقُ بِثُلُثَيْ مَالِي؟ قَالَ: «**لَا**»، فَقُلْتُ: بِالشَّطْرِ؟ فَقَالَ: «**لَا**»، ثُمَّ قَالَ: «**الثُّلُثُ، وَالثُّلُثُ كَبِيرٌ**»[3].

٢ - قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا﴾[المائدة:٣٨]، ورد فيه القطع مطلقا، فأتت السنة بتقيده إلىٰ المفصل، فعن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «**قَطعَ النَّبيُّ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

---

(١) **صحيح:** رواه ابن ماجه (٣٣١٤)، وأحمد (٥٧٢٣)، وصححه الألباني في إرواء الغليل (٢٥٢٦).

(٢) **انظر:** إرشاد الفحول، للشوكاني (٢/ ١٠).

(٣) **متفق عليه:** رواه البخاري (١٢٩٥)، ومسلم (١٦٢٨).

سَارقًا مِن الِمفصَلِ»[١]، وأجمع المسلمون علىٰ ذلك[٢].

٣-قوله تعالىٰ: ﴿وَلۡيَطَّوَّفُواْ بِٱلۡبَيۡتِ ٱلۡعَتِيقِ ٢٩﴾[الحج:٢٩]، ورد فيه فعل الطواف مطلقا، فأتت السنة بتقيده بشروط الصلاة، فعن ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الطَّوَافُ حَوْلَ البَيْتِ مِثْلُ الصَّلَاةِ إِلَّا أَنَّكُمْ تَتَكَلَّمُونَ فِيهِ، فَمَنْ تَكَلَّمَ فِيهِ فَلَا يَتَكَلَّمَنَّ إِلَّا بِخَيْرٍ»[٣].

مسألة [٢]: السنة تخصص عام القرآن.

العام: هو لفظ دالٌّ علىٰ جَميع أجْزَاء ماهيَّة مدلول اللَّفْظِ[٤].

من ذلك:

١-قوله تعالىٰ: ﴿حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ﴾[المائدة:٣]، وهو علم في كل ميتة، فأتت السنة بتخصيص ميتة البحر بالحِل، فعن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال في ماء البحر: «هُوَ الطَّهُورُ مَاؤُهُ الحِلُّ مَيْتَتُهُ»[٥].

٢-قوله تعالىٰ: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ

---

(١) رواه البيهقي في الكبرىٰ (٨/ ٢٧١).

(٢) انظر: المغني، لابن قدامة (١٢/ ٤٤٠).

(٣) صحيح: رواه الترمذي (٩٦٠)، وصححه الألباني.

(٤) انظر: شرح الكوكب المنير، لابن النجار (٣/ ١٠٣).

(٥) صحيح: رواه أبوداود (٨٣)، والترمذي (٦٩)، وقال: «حسن صحيح»، والنسائي (٥٩)، وابن ماجه (٣٨٦)، وصححه الألباني.

ﭽﭑ ﭒﭼ[النساء:١١]، عامٌّ في كل الورثة، فأتت السنة بتخصيص بعض الورثة بعدم الإرث، فعن عبدِ الله بن عَمرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَرِثُ القَاتِلُ شَيْئًا»(١).

وعن أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**لَا يَرِثُ المُسْلِمُ الكَافِرَ، وَلَا يَرِثُ الكَافِرُ المُسْلِمَ**»(٢).

مسألة [٣]: هل يؤخذ بالحديث الآحاد في العقائد؟

دلَّ الكتاب، والسنة، والإجماع علىٰ قبول الحديث الآحاد في العقائد.

أما الكتاب فمنه:

١-قول الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ [الحُجُرات:٦].

هذا يدل علىٰ الجزم بقبول خبر الواحد وأنه لا يحتاج إلىٰ التثبيت، ولو كان خبره لا يفيد العلم لأمر بالتثبت حتىٰ يحصل العلم، ومما يدل عليه أيضا أن السلف الصالح وأئمة الإسلام لم يزالوا يقولون: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: كذا، وفعل كذا، وأمر بكذا، ونهىٰ عن كذا، وهذا معلوم في كلامهم بالضرورة.

---

(١) حسن: رواه أبو داود (٤٥٦٦)، وحسنه الألباني.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٦٧٦٤)، ومسلم (١٦١٤).

وفي صحيح البخاري: قال رسول الله ﷺ في عدة مواضع، وكثير من أحاديث الصحابة رضي الله عنهم يقول فيها أحدهم: قال رسول الله ﷺ، وإنما سمعه من صحابي غيره، وهذه شهادةٌ من العاقل وجزم على رسول الله ﷺ بما نسبه إليه من قول أو فعل، فلو كان خبر الواحد لا يفيد العلم لكان شاهدا على رسول الله ﷺ بغير علم(١).

٢-قول الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾[التوبة:١٢٢].

هذه الآية نصٌّ في أن خبر الآحاد حجة في التبليغ عقيدةً وأحكاما، فقد حضَّ الله جَلَّ جَلَالُهُ المؤمنين على أن يَنفِر طائفة منهم إلى النبي ﷺ؛ ليتعلَّموا منه دينهم ويتفقهوا فيه، ثم يرجعوا إلى قومهم ليبلِّغوا هذا العلم لهم، ولا شك أن ذلك ليس خاصا بما يسمى بالفروع والأحكام بل هو أعم، والطائفة في لغة العرب تقع على الواحد فما فوق، فلولا أن الحجة تقوم بحديث الآحاد عقيدة وحكما لما حض الله تعالى الطائفة على التبليغ(٢).

---

(١) **انظر**: مختصر الصواعق المرسلة، صـ(٥٧٧).

(٢) **انظر**: مختصر الصواعق المرسلة، صـ(٥٧٨)، والحديث حجة بنفسه في العقائد والأحكام، للشيخ الألباني، صـ(٥٣-٥٤).

قال الإمام البخاري: «وَيُسَمَّىٰ الرَّجُلُ طَائِفَةً؛ لِقول الله تعالىٰ: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟﴾[الحُجُرات:٩]، فَلَوِ اقْتَتَلَ رَجُلَانِ دَخَلَ فِي مَعْنَىٰ الآيَةِ»[(١)].

وأما السنَّة فمنها:

١ - حديث أَنَس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ أَهْلَ الْيَمَنِ قَدِمُوا عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالُوا: ابْعَثْ مَعَنَا رَجُلًا يُعَلِّمْنَا السُّنَّةَ وَالْإِسْلَامَ قَالَ فَأَخَذَ بِيَدِ أَبِي عُبَيْدَةَ فَقَالَ: «هَذَا أَمِينُ هَذِهِ الْأُمَّةِ»[(٢)].

فلو لم تقم الحجة بخبر الواحد لم يبعث إليهم أبا عبيدة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وحده[(٣)].

وفي الحديث فائدةٌ مهمة، وهي أن خبر الآحاد حجة في العقائد، كما هو حجة في الأحكام، لأننا نعلم بالضرورة أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يبعث أبا عبيدة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلىٰ أهل اليمن؛ ليعلمهم الأحكام فقط، بل والعقائد أيضا، فلو كان خبر الآحاد لا يفيد العلم الشرعي في العقيدة، ولا تقوم به الحجة فيها، لكان إرسالُ أبي عبيدة وحدَه إليهم ليعلِّمهم، أشبه شيء بالعبث، وهذا مما

---

(١) انظر: صحيح البخاري (٩/ ٨٦).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٤١٩).

(٣) انظر: الحديث حجة بنفسه في العقائد والأحكام، للشيخ الألباني، صـ(٥٥).

يَتَنزَّه الشارع عنه، فثبت يقينا إفادتُه العلم[١].

٢-حديث عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: بَيْنَا النَّاسُ بِقُبَاءٍ فِي صَلَاةِ الصُّبْحِ، إِذْ جَاءَهُمْ آتٍ، فَقَالَ: «**إِنَّ رَسُولَ اللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **قَدْ أُنْزِلَ عَلَيْهِ اللَّيْلَةَ قُرْآنٌ وَقَدْ أُمِرَ أَنْ يَسْتَقْبِلَ الكَعْبَةَ، فَاسْتَقْبِلُوهَا**»، وَكَانَتْ وُجُوهُهُمْ إِلَى الشَّأْمِ، فَاسْتَدَارُوا إِلَى الكَعْبَةِ[٢].

فهذا نص علىٰ أن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ قبلوا خبر الواحد في نسخ ما كان مقطوعا عندهم من وجوب استقبال بيت المقدس فتركوا ذلك، واستقبلوا الكعبة لخبره، فلولا أنه حجةٌ عندهم ما خالفوا به المقطوع عندهم من القبلة الأولىٰ[٣].

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «لم يُنكِر عليهم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بل شكروا علىٰ ذلك»[٤].

وأما الإجماع فمنه:

١-قول الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ: «لم أحفظ عن فقهاء المسلمين أنهم اختلفوا في تثبيت خبر الواحد»[٥].

---

(١) **انظر**: سلسلة الأحاديث الصحيحة، للألباني (٣/ ٤٠٥).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٧٢٥١)، ومسلم (٥٢٦).

(٣) **انظر**: الحديث حجة بنفسه في العقائد والأحكام، للشيخ الألباني، صـ(٥٨).

(٤) **انظر**: مختصر الصواعق المرسلة، صـ(٥٧٦).

(٥) **انظر**: الرسالة، للشافعي، صـ(٤٥٨).

٢-قول النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الذي عليه جماهير المسلمين من الصحابة والتابعين فَمَن بعدهم من المحدثين والفقهاء وأصحاب الأصول أن خبر الواحد الثقة حجة من حجج الشرع يلزم العمل بها، ..... وأن وجوب العمل به عَرَفناه بالشرع لا بالعقل، وذهبت القدرية والرافضة وبعض أهل الظاهر إلىٰ أنه لا يجب العمل به»(١).

٣-قول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «مذهب أصحابنا -أي الحنابلة- أن أخبار الآحاد المتلقاة بالقبول تصلح لإثبات أصول الديانات»(٢).

مسألة [٤]: هل يؤخذ بالحديث الآحاد عند المبتدعة؟

١-المعتزلة والجهمية: لا يؤخذُ إلا بالقرآن، أو بالمتواتر اللفظي.

٢-الكُلَّابية والأشعرية والماتريدية: يؤخذُ بأحاديث الآحاد إلا إذا أوهمت تشبيها فإنهم يؤولونها، كما قال قائلهم:

وكل نَصٍّ أوهمَ التشبيها ... أوِّله أو فوِّضْ ورُمْ تنزيها

أي كل نص من القرآن، أو السنة أوهم التشبيه فأوِّله، أو فوِّض معناه، واقصد بذلك تنزيه الله تعالىٰ.



---

(١) انظر: شرح صحيح مسلم (١/ ١٣٣).
(٢) انظر: المُسَوَّدَة، صـ (٢٤٨).

[الإيمان بما وصف به الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ربه جَلَّ وَعَلَا]

١٣٥ - وَمَا وَصَفَ الرَّسُولُ بِهِ رَبَّهُ، مِنَ الْأَحَادِيثِ الصِّحَاحِ الَّتِي تَلَقَّاهَا أَهْلُ الْمَعْرِفَةِ بِالْقَبُولِ؛ وَجَبَ الْإِيمَانُ بِهَا كَذَلِكَ.

.... الشــرح ....

قـولـه: «وَمَا وَصَفَ الرَّسُولُ بِهِ رَبَّهُ، مِنَ الْأَحَادِيثِ الصِّحَاحِ الَّتِي تَلَقَّاهَا أَهْلُ الْمَعْرِفَةِ بِالْقَبُولِ؛ وَجَبَ الْإِيمَانُ بِهَا كَذَلِكَ»: أي كما يجب الإيمان بما وصف الله به نفسه في القرآن، يجب الإيمان بما وصف الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ به ربه عَزَّ وَجَلَّ من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل.

وذلك لقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾[النجم:٣-٤].

وهذا الطريق الثانية الذي يعتمد عليه في إثبات الصفات لله تعالىٰ، إذ أن طرق إثبات الصفات لله تعالىٰ طريقان:

إحدهما: القرآن الكريم.

الثانية: السنة النبوية الصحيحة التي تلقاها أهل المعرفة بالقبول.

وقوله: «الصحاح»: جمع صحيح، والحديث الصحيح: هو ما نقله راو عدل، تام الضبط، عن مثله، من غير شذوذ ولا علة.

وقوله: «بالقبول»: أي قبِلها وأخذ بها أهل العلم بالحديث، فلا عبرة بغيرهم.

[أحاديث الصفات]

[١ - نزول الله إلى السماء الدنيا]

١٣٦ - مِثْلُ قَوْلِهِ ﷺ: «يَنْزِلُ رَبُّنَا إِلَىٰ سَمَاءِ الدُّنْيَا كُلَّ لَيْلَةٍ، حِينَ يَبْقَىٰ ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرِ، فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ»[1]. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

.... الشـــرح ....

قوله: «مِثْلُ قَوْلِهِ ﷺ: «يَنْزِلُ رَبُّنَا»: أي نزولا يليق بجلاله، لا يشبه نزول المخلوق.

قوله: «إِلَىٰ سَمَاءِ الدُّنْيَا كُلَّ لَيْلَةٍ، حِينَ يَبْقَىٰ ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرِ»: يبدأ الليل من غروب الشمس إلىٰ طلوع الفجر، وهذه أصح الروايات الواردة في تعيين الوقت، وجاء في بعض الروايات: «حِينَ يَبْقَىٰ نِصْفُ اللَّيْلِ الآخِرُ، أَوْ ثُلُثُ اللَّيْلِ»[2].

قوله: «فَيَقُولُ»: أي يقول الرب سبحانه.

قوله: «مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ»: أي دعاءه.

قوله: «مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ»: أي يطلب حاجة فأعطيه.

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (١١٤٥)، ومسلم (٧٥٨)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) رواه إسماعيل بن جعفر المدني في أحاديثه (١٧٧).

قوله: «مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ»: أي يسألني مغفرة ذنوبه، والمغفرة هي ستر الذنب، والتجاوز عنه.

الشاهد من هذا الحديث: إثبات النزول الإلهي في الثلث الأخير من الليل، وهو من الصفات الفعلية.

مسألة [١]: اختلاف الناس في معنىٰ النزول:

١ - الأشاعرة، والكُلَّابية، الماتريدية: ينزل أمر الله، أو رحمة الله.

٢ - المعتزلة: ينزل مَلك من ملائكة الله.

وهذا باطل من وجهين:

أحدهما: أن أمر الله يتنزل دائما وأبدا، ولا يختص النزول في الثلث الأخير من الليل، وكذلك الرحمة تنزل دائما.

الثاني: لا يصح أن نقول: ينزل مَلك من ملائكة الله؛ لأنه يستحيل أن يقول: «**مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ**».

مسألة [٢]: هل يخلو العرش من الله عند نزوله؟

اختلف أهل الحديث في ذلك علىٰ ثلاثة أقوال:

أحدها: لا يخلو من العرش: المأثور عن سلف الأمة وأئمتها.

الثاني: يخلو من العرش: قول طائفة قليلة من أهل الحديث.

الثالث: التوقف: قول طائفة كثيرة من أهل الحديث.

الصواب من ذلك: أنه لا يزال فوق العرش، ولا يخلو العرش منه، مع دنوه من خلقه ونزوله إلىٰ السماء الدنيا، ولا يكون العرش فوقه[1].

مسألة [٣]: إذا قلنا بالنزول فإنه يستلزم النزول دائما لاختلاف المواقيت!

نقول: نحن نؤمن بنزول الله تعالىٰ، ولا نعلم كيفيته.

مسألة [٤]: هل يقال: ينزل الله بذاته؟ أو لا يقال؟ أو يطلق اللفظ دون تقييد بالذات؟

اختلف أهل السنة في ذلك علىٰ ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه ينزل بذاته؛ حتىٰ لا يتوهم متوهم أنه نزول أمره أو رحمته: وهذا قول طوائف من أهل الحديث والسنة والصوفية والمتكلمين.

الثاني: لا ينزل بذاته.

الثالث: التوقف؛ لأنه مما لم يرد في القرآن، ولا السنة.

فنقول: ينزل، ولا نقول: بذاته، ولا بغير ذاته، بل نطلق اللفظ كما أطلقه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ونسكت عما سكت عنه، وهو

(١) انظر: شرح حديث النزول، لابن تيمية، صـ(٦٥-٦٦).

الصحيح[١].

ويجوز عند المناظرة أن نقول: ينزل ربنا بذاته؛ لأجل نفي التأويل والمعاني الباطلة، وهذا سلكه الدارمي في الرد علىٰ المَرِيسِي.

---

(١) انظر: مختصر الصواعق المرسلة، صـ(٤٦٩).

[٢- فرح الله عَزَّوَجَلَّ]

١٣٧ - وَقَوْلُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ، مِنْ أَحَدِكُمْ بِرَاحِلَتِهِ ...» الْحَدِيثَ[1]. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

الشـــرح

قولـه: «وَقَوْلُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ، مِنْ أَحَدِكُمْ بِرَاحِلَتِهِ...»: أي بالناقة التي يُرحل عليها إذا وجدها بعد أن أيس من رجوعها، وأيقن بالهلاك.

والتوبة: هي الإقلاع عن الذنب، والرجوع إلىٰ الطاعة.

الشاهد من هذا الحديث: إثبات صفة الفرح لله تعالىٰ علىٰ الوجه الذي يليق به سبحانه، وهو فرح حقيقي.

مسألة: مذاهب الناس في فرح الله تعالىٰ:

١ - المعتزلة: جعلوا الفرح مخلوقا منفصلا، أي مما شأنه أن

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٦٣٠٩)، ومسلم (٢٧٤٧)، واللفظ له، من حديث أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

نص الحديث: «لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ، مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَىٰ رَاحِلَتِهِ بِأَرْضِ فَلَاةٍ، فَانْفَلَتَتْ مِنْهُ وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَأَيِسَ مِنْهَا، فَأَتَىٰ شَجَرَةً، فَاضْطَجَعَ فِي ظِلِّهَا، قَدْ أَيِسَ مِنْ رَاحِلَتِهِ، فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ إِذَا هُوَ بِهَا، قَائِمَةً عِنْدَهُ، فَأَخَذَ بِخِطَامِهَا، ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ: اللهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ، أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ».

يُفرح، والشيء إذا كان من شأنه أن يُفرح يسمىٰ فرحا، كتوبة العبد في الحديث المتقدم.

٢- الأشاعرة: فسروا الفرح بالرضا؛ لأن الفرح يقتضي التغير، والرضا عندهم يفسر بإرادة الإحسان؛ فأرجعوا جميع الصفات إلىٰ الصفات العقلية السبعة التي أثبتوها.

يُرَدُّ عليهم: بأنه ثمة فروق بين الفرح والرضا:

١-الرضا عن الشيء من الطمأنينة، أما الفرح ففيه الطمأنينة، وزيادة البهجة والسرور واللذة.

٢-الرضا محمود، أما الفرح فقد يكون محمودا، أو مذموما.

٣- ليس في اللغة ترادف بين الرضا والفرح، فكل لفظ يختلف في معناه عن الآخر[1].

٣- أهل السنة والجماعة: يثبتون الفرح لله تعالىٰ علىٰ الوجه الذي يليق به من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل.



---

(١) انظر: اللآلئ البهية في شرح العقيدة الواسطية (٢/ ٤٣-٤٦).

[٣- ضحك الله عَزَّوَجَلَّ]

١٣٨ – وَقَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَضْحَكُ اللهُ إِلَىٰ رَجُلَيْنِ؛ يَقْتُلُ أَحَدُهُمَا الْآخَرَ؛ يَدْخُلانِ الْجَنَّةَ»(١). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

.... الشـــرح ....

قــولـــه: «وَقَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَضْحَكُ اللهُ إِلَىٰ رَجُلَيْنِ»: أي ضحكا حقيقيا يليق به سبحانه.

قــولــه: «يَقْتُلُ أَحَدُهُمَا الْآخَرَ؛ يَدْخُلانِ الْجَنَّةَ»: قَالَ الصَّحابةُ: كَيْفَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «يُقَاتِلُ هَذَا فِي سَبِيلِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ فَيُسْتَشْهَدُ، ثُمَّ يَتُوبُ اللهُ عَلَىٰ الْقَاتِلِ، فَيُسْلِمُ، فَيُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ فَيُسْتَشْهَدُ».

الشاهد من هذا الحديث: إثبات صفة الضحك لله تعالىٰ علىٰ الوجه الذي يليق به سبحانه، وهو ضحك حقيقي، وهو صفة فعلية.

مسألة: مذاهب الناس في ضحك الله تعالىٰ:

١ – المعتزلة: جعلوا الضحك مخلوقا منفصلا، أي هذا الشيء من شأنه أن يُضحك.

٢ – الأشاعرة: فسروا الضحك بالرضا، أو بإرادة الثواب.

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٢٨٢٦)، ومسلم (١٨٩٠)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

٣- أهل السنة والجماعة: يثبتون الضحك لله تعالىٰ علىٰ الوجه الذي يليق به من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل.



[٤ - عَجب الله وضحكه عَزَّوَجَلَّ]

١٣٩ - وَقَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «عَجِبَ رَبُّنَا مِنْ قُنُوطِ عِبَادِهِ وَقُرْبِ غِيَرِهِ؛ يَنْظُرُ إِلَيْكُمْ أَزِلِينَ قَنِطِينَ، فَيَظَلُّ يَضْحَكُ؛ يَعْلَمُ أَنَّ فَرَجَكُمْ قَرِيبٌ»[1]. حَدِيثٌ حَسَنٌ.

الشرح

قوله: «وَقَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «عَجِبَ رَبُّنَا»: العجب هو استغراب الشيء، ويكون لأحد شيئين:

أحدهما: خفاء الأسباب علىٰ المستغرب للشيء المتعجب منه، بحيث يأتيه بغتة بدون توقع.

وهذا مستحيل علىٰ الله؛ لأن الله فعال لكل شيء، عليم لا يخفىٰ عليه شيء في الأرض ولا في السماء.

الآخر: خروج الشيء عن نظائره، وعما ينبغي أن يكون عليه، بدون قصور من المتعجب، بحيث يعمل عملا مستغربا ينبغي أن يقع من مثله.

---

(١) الجزء الأول منه «عَجِبَ رَبُّنَا مِنْ قُنُوطِ عِبَادِهِ وَقُرْبِ غِيَرِهِ»: حسن رواه ابن ماجه (١٨١)، وأحمد (١٦١٨٧)، بلفظ «ضحك ربنا»، أما الجزء الثاني «يَنْظُرُ إِلَيْكُمْ أَزِلِينَ قَنِطِينَ، فَيَظَلُّ يَضْحَكُ؛ يَعْلَمُ أَنَّ فَرَجَكُمْ قَرِيبٌ» فلم أجده في شيء من كتب الحديث.

وهـذا ثابـت لله تعـالىٰ؛ لأنـه لـيس عـن نقـص مـن المتعجـب، ولكن عجب بالنظر إلىٰ حال المتعجب منه.

والتعجب يستعمل علىٰ وجهين:

أحـدهما: مـا يحمـده الفاعـل، ومعنـاه الاستحسـان، والإخبـار عن رضاه.

الآخر: ما يكرهه، ومعناه الإنكار، والذم له.

قـولـه: «مِنْ قُنُوطِ عِبَادِهِ»: أي اليأس من نزول المطر وزوال القحط، والقنوطُ: شدة اليأس من الشيء.

قـولـه: «وَقُرْبِ غِيَرِهِ»: أي تغيير الحال من شدة إلىٰ رخاء.

قـولـه: «يَنْظُرُ إِلَيْكُمْ أَزِلِينَ»: الأزِل: الضيق، أو الواقع في شدة.

قـولـه: «قَنِطِينَ»: أي يائسين من الفرج وزوال الشدة.

قـولـه: «فَيَظَلُّ يَضْحَكُ؛ يَعْلَمُ أَنَّ فَرَجَكُمْ قَرِيبٌ»: أي زوال شدتكم قريبة.

الشـاهد مـن هـذا الحـديث: إثبـات العجـب، والضـحك لله تعـالىٰ، وكذا النظر، وهي من صفاته الفعلية.

من أدلة إثبات صفة العَجب لله أيضا:

١ -قوله تعالىٰ: ﴿بَلْ عَجِبْتُ وَيَسْخَرُونَ ﴿١٢﴾﴾[الصافات:١٢]، علىٰ قراءة الضم.

٢-قولُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللهَ لَيَعْجَبُ مِنَ الشَّابِّ لَيْسَتْ لَهُ صَبْوَةٌ»[(١)].

مسألة: مذاهب الناس في صفة العَجَب:

١- المعتزلة: جعلوا العَجَب مخلوقا منفصلا، أي ما يُتعجب منه، فسروا العجب في الحديث المتقدم بأنه نظر إلىٰ ما يتعجب منه الخلق، ونزهوا الله عن التعجب.

٢- الأشاعرة: العجب معناه إظهار غرابة ما من شأنه أن يُتعجب منه، إما بالقول كالإشادة به، أو بتعجيب الخلق منه، أو بالفعل بأن يفعل بهم فعلا يُتعجب منه.

ولا شك أن هذا باطل؛ لأن فيه نفي لصفة من صفات الله تعالىٰ، وإنما لجؤوا إلىٰ ذلك؛ لأنهم قالوا: إن العجب لا يكون إلا ممن لا يعرف الحقيقة، ولا يعرف المستقبل.

ويُردُّ عليه بأن العجب علىٰ نوعين كما تقدم.

٣- أهل السنة والجماعة: يثبتون العجب لله تعالىٰ علىٰ الوجه الذي يليق به، ويكون عجبه؛ لأجل حال المتعجب منه[(٢)].

---

(١) حسن: رواه أحمد (١٧٣٧١)، عن عقبة بن عامر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وحسنه شيخنا أبو إسحاق الحويني حفظه الله.

(٢) انظر: اللآلئ البهية في شرح العقيدة الواسطية (٢/ ٥٣-٥٧).

[٥- قدم الله عَزَّوَجَلَّ]

١٤٠- وَقَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَزَالُ جَهَنَّمُ يُلْقَىٰ فِيهَا، وَتَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ؛ حَتَّىٰ يَضَعَ رَبُّ الْعِزَّةِ فِيهَا -وَفِي رِوَايَةٍ: عَلَيْهَا- قَدَمَهُ، فَيَنْزَوِي بَعْضُهَا إِلَىٰ بَعْضٍ، وَتَقُولُ: قَطْ قَطْ»[1]. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

الشــرح

قولــه: «وَقَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَزَالُ جَهَنَّمُ»: جهنم اسم لنار الآخرة، وسميت بها؛ لبعد قعرها[2].

قولــه: «يُلْقَىٰ فِيهَا»: أي يطرح فيها أهلها.

قولــه: «وَتَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ»: أي تطلب الزيادة لسعتها، وقد وعد الله أن يملأها.

قولــه: «حَتَّىٰ يَضَعَ رَبُّ الْعِزَّةِ فِيهَا -وَفِي رِوَايَةٍ: عَلَيْهَا- قَدَمَهُ فَيَنْزَوِي بَعْضُهَا إِلَىٰ بَعْضٍ»: أي ينضم بعضها إلىٰ بعض، ويتلاقىٰ طرفاها، ولا يبقىٰ فيها فضل عن أهلها.

قولــه: «وَتَقُولُ: قَطْ قَطْ»: أي حسبي حسبي، أي لا أريد

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٦٦٦١)، ومسلم (٢٨٤٨)، من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) انظر: النهاية في غريب الحديث (١/ ٣٢٣).

أحدا.

الشاهد من هذا الحديث: إثبات القَدَم لله تعالىٰ علىٰ الوجه الذي يليق به سبحانه من غير تمثيل ولا تشبيه، ولا تجسيم، ولا تعطيل.

مسألة: تفسير الأشاعرة للرِّجل والقدَم:

فسَّرت الأشاعرة «**الرِّجل**» بالجماعة من الناس المستحقين دخول النار، والرِّجل تأتي بمعنىٰ الطائفة؛ كما في قولِ النَّبِيِّ ﷺ: «**بَيْنَمَا أَيُّوبُ يَغْتَسِلُ عُرْيَانًا، خَرَّ عَلَيْهِ رِجْلُ جَرَادٍ**»[(١)]. أي: جماعة من جراد[(٢)].

وهذا تحريف باطل من ثلاثة أوجه:

أحدها: لا يُعرف في شيء من لغة العرب ألبتة أن الرِّجلَ معناها: جماعةٌ من الناس[(٣)].

الثاني: أن قوله: «**عليها**» يمنع من تفسير الرِّجل بالطائفة.

الثالث: لا يمكن أن يضيف الله تعالىٰ أهل النار إلىٰ نفسه؛ لأن إضافة الشيء إلىٰ الله تكريم، وتشريف.

وفسروا القَدَم بالمقدَّم، أي يضع الله عليها «**مقدمه**»، أي من يقدمهم إلىٰ النار، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمۡ قَدَمَ

---

(١) **صحيح:** رواه البخاري (٣٣٩١)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) **انظر:** كشف المشكل من حديث الصحيحين (٣/ ٥٢٨).

(٣) **انظر:** روضة الناظر (٢/ ٥٦٤)، ومجموع الفتاوىٰ (٦/ ٣٦٠)، والصواعق المرسلة (١/ ٢٠٥).

صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ﴾[يونس:٢]، ولكنهم ﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ﴿١٣﴾﴾[الطور:١٣]، ويُلقون فيها إلقاءً.

فهؤلاء المحرِّفون فروا من شيء ووقعوا في شرٍّ منه؛ فروا من تنزيه الله عن القدَم والرِّجل، ووقعوا في السفه ومجانبة الحكمة في أفعال الله عَزَّوَجَلَّ[(١)].

وهذا باطل؛ لأن أهل النار لا يقدمهم الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

(١) **انظر**: شرح العقيدة الواسطية، للشيخ ابن عثيمين (٢/ ٣٣).

[٦- كلام الله عَزَّوَجَلَّ]

١٤١ - وَقَوْلُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَقُولُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ لِآدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: يَا آدَمُ! فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، فَيُنَادِي بِصَوْتٍ: إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تُخْرِجَ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ بَعْثًا إِلَىٰ النَّارِ..»[(١)]. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

١٤٢ - وَقَوْلُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ، لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ حَاجِبٌ وَلَا تُرْجُمَانٌ»[(٢)]. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

.... الشـــرح ....

قــولــه: «وَقَوْلُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَقُولُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ لِآدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: يَا آدَمُ»: فيه إثبات الصوت لله تعالىٰ؛ لأن النداء لا يكون إلا بصوت.

قــولــه: «فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ»: أي إجابة لك بعد إجابة؛ للتأكيد، وقيل: معناه قربا منك وطاعة لك، وقيل: أنا مقيم علىٰ طاعتك[(٣)].

قــولــه: «وَسَعْدَيْكَ»: أي مساعدة في طاعتك بعد مساعدة[(٤)].

قــولــه: «فَيُنَادِي بِصَوْتٍ»: أي الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وقيل: الملائكة،

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٤٧٤١)، ومسلم (٢٢٢)، من حديث أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٧٤٤٣)، ومسلم (١٠١٦)، من حديث عدي بن حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) انظر: النهاية في غريب الحديث (٢/ ٣٦٦).

(٤) انظر: شرح صحيح مسلم (١/ ٢٣١).

وهو غير صحيح.

وقوله: «بصوت»: تأكيد لقوله: «**ينادي**»؛ لأن النداء لا يكون إلا بصوت.

قوله: «إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تُخْرِجَ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ بَعْثًا إِلَىٰ النَّارِ..»: البعث هنا بمعنىٰ المبعوث الموجه إليها، ومعناه: ميِّز أهل النار من غيرهم[١].

قوله: «وَقَوْلُهُ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ»: أي بلا واسطة.

قوله: «لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ حَاجِبٌ وَلَا تُرْجُمَانٌ»: بضم التاء وبفتحها هو الذي يترجم لغة إلىٰ لغة أخرىٰ، أي ينقله من لغة إلىٰ لغة أخرىٰ[٢].

الشاهد من هذين الحديثين: إثبات الكلام الحقيقي لله تعالىٰ وأنه بصوت؛ لأن الكلام النفسي ليس فيه نداء.

مسألة: هل يفهم من هذا الحديث ثبوت الرؤية؟

لا يدل هذا الحديث علىٰ ثبوت الرؤية، فقد يُسمع الكلام بدون رؤية المتكلم، ورؤيةُ الله في العرصات ليست ثابتة إلا للمؤمنين.

---

(١) **انظر**: شرح صحيح مسلم (٣/ ٩٧).
(٢) **انظر**: النهاية في غريب الحديث (١/ ٨٦).

أمـا الكـلام فيكـون لكـل أحـد حتـىٰ الكفـار، وقـد دلَّ القـرآن، والحديث علىٰ أن الله يكلم الكفار تكليم تـوبيخ، وتقريع، وتبكيـت لا تكليم تقريب، وتكريم، ورحمة، وقد وردت أحاديث صحاح، وحسان تصـرح بـأن جميع النـاس ذكـورهم، وإنـاثهم مشـتركون، في تكلـيم الله تعالىٰ لهم[١].



(١) انظر: مجموع الفتاوىٰ (٦/ ٤٣٥).

[٧- علو الله عَزَّوَجَلَّ]

١٤٣- وَقَوْلُهُ فِي رُقْيَةِ الْمَرِيضِ: «رَبَّنَا اللهَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ! أَمْرُكَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، كَمَا رَحْمَتُكَ فِي السَّمَاءِ، اجْعَلْ رَحْمَتَكَ فِي الْأَرْضِ، اغْفِرْ لَنَا حُوبَنَا وَخَطَايَانَا، أَنْتَ رَبُّ الطَّيِّبِينَ، أَنْزِلْ رَحْمَةً مِنْ رَحْمَتِكَ، وَشِفَاءً مِنْ شِفَائِكَ عَلَىٰ هَذَا الْوَجَعِ، فَيَبْرَأَ»(١). رَوَاهُ أَبُو دَاوُد.

١٤٤- وَقَوْلُهُ: «أَلَا تَأْمَنُونِي وَأَنَا أَمِينُ مَنْ فِي السَّمَاءِ»(٢). رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ، وَغَيْرُهُ.

١٤٥- وَقَوْلُهُ: «وَالْعَرْشُ فَوْقَ ذَلِكَ، وَاللهُ فَوْقَ الْعَرْشِ، وَهُوَ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ»(٣). رَوَاهُ أَبُو دَاوُد، وَالتِّرْمِذِيُّ، وَغَيْرُهُمَا.

١٤٦- وَقَوْلُهُ لِلْجَارِيَةِ: «أَيْنَ اللهُ؟». قَالَتْ: فِي السَّمَاءِ. قَالَ: «مَنْ أَنَا؟». قَالَتْ: أَنْتَ رَسُولُ اللهِ. قَالَ: «أَعْتِقْهَا؛ فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ»(٤). رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

---

(١) حسن: رواه أبو داود (٣٨٩٢)، والنسائي في الكبرىٰ (١٠٨٠٩)، من حديث أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وحسنه ابن تيمية في مجموع الفتاوىٰ (٣/ ١٣٩)، وضعفه الألباني.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٤٣٥١)، ومسلم (١٠٦٤)، من حديث أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) حسن: رواه أبو داود (٤٧٢٣)، والترمذي (٣٣٢٠)، وأحمد (١٧٧٠)، من حديث العباس بن عبد المطلب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وحسنه ابن تيمية في مجموع الفتاوىٰ (٣/ ١٣٩)، وضعفه الألباني.

(٤) صحيح: رواه مسلم (٥٣٧)، من حديث معاوية بن الحكم السُّلمي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الشـــرح

قـــولــه: «وَقَوْلُهُ فِي رُقْيَةِ الْمَرِيضِ»: أي القراءة علىٰ المريض طلبا لشفائه، وهي مشروعة إذا توفرت فيها ثلاثة شروط:

أحدها: أن يكون بكلام الله تعالىٰ أو بأسمائه وصفاته.

الثاني: أن تكون باللسان العربي، أو بما يُعرف معناه من غيره.

الثالث: أن يُعتقد أن الرقية لا تؤثر بذاتها بل بذات الله تعالىٰ[1].

قـــولــه: «رَبَّنَا اللهَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ»: فيه إثبات العلو لله تعالىٰ.

قـــولـــه: «أَمْرُك فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ»: أي علىٰ السماء والأرض.

قـــولــه: «كَمَا رَحْمَتُكَ فِي السَّمَاءِ، اجْعَلْ رَحْمَتَكَ فِي الْأَرْضِ، اغْفِرْ لَنَا حُوْبَنَا»: أي إثمنا، وتفتح الحاء وتضم[2].

قـــولــه: «وَخَطَايَانَا»: أي ذنوبنا، والمعنىٰ: استرنا، واعفُ عنا.

قـــولــه: «أَنْتَ رَبُّ الطَّيِّبِينَ»: الطيبون جمع طيب، وهم النبيون، وسائر الصالحين، وإضافة الطيبين للربوبية إضافة تشريف وتكريم.

قـــولــه: «أَنْزِلْ رَحْمَةً مِنْ رَحْمَتِكَ، وَشِفَاءً مِنْ شِفَائِكَ عَلَىٰ هَذَا الْوَجَعِ، فَيبرَأ»: أي يُشفىٰ من مرضه، ووجعه.

---

(١) **انظر**: فتح الباري (١٠/ ١٩٥).

(٢) **انظر**: النهاية في غريب الحديث والأثر (١/ ٤٥٥).

قـوله: «أَلَا تَأْمَنُونِي وَأَنَا أَمِينُ مَنْ فِي السَّمَاءِ»: أي والله سبحانه الذي علىٰ العرش فوق السماء ائتمنني علىٰ وحيه ورسالته(١).

قوله: «وَقَوْلُهُ: «وَالْعَرْشُ فَوْقَ ذَلِكَ»: أي فوق السماوات السبع وما بينهن.

قوله: «وَاللهُ فَوْقَ الْعَرْشِ»: أي مستوٍ عليه استواء يليق بجلاله.

قوله: «وَهُوَ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ»: أي بعلمه المحيط الذي لا يخفىٰ عليه شيء.

قوله: «وَقَوْلُهُ لِلْجَارِيَةِ: «أَيْنَ اللهُ؟». قَالَتْ: فِي السَّمَاءِ»: أي علىٰ السماء، والجارية هي أمَة معاويةَ بن الحَكم.

قوله: «قَالَ: «مَنْ أَنَا؟». قَالَتْ: أَنْتَ رَسُولُ اللهِ. قَالَ: «أَعْتِقْهَا؛ فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ»»: أي حكم بإيمانها لما أقرت أن ربها في السماء وعرفت ربها بصفة العلو والفوقية(٢).

وهذا الحديث فيه فوائد، منها:

١-الكافر لا يصير مؤمنا إلا بالإقرار بالله تعالىٰ وبرسالة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

---

(١) انظر: فتح الباري (١٣/ ٤١٨).
(٢) انظر: مجموع الفتاوىٰ (٥/ ١٩٢).

٢-من أقر بالشهادتين واعتقد ذلك جزما كفاه ذلك في صحة إيمانه وكونه من أهل القبلة والجنة، ولا يكلف مع هذا إقامة الدليل والبرهان علىٰ ذلك، ولا يلزمه معرفة الدليل، وهذا هو الصحيح الذي عليه الجمهور[(١)].

٣-من لم يؤمن بأن الله في السماء لم يكن مؤمنا[(٢)].

الشاهد من هذه الأحاديث: إثبات صفة العلو لله تعالىٰ.

مسألة: أنواع الرحمة:

الرحمة نوعان:

أحدهما: رحمة هي صفة الله تعالىٰ.

الآخر: رحمة هي أثر من آثار رحمة الله، وهي رحمة مخلوقة كما في الحديث: «**أَنْتِ رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي**»[(٣)].

---

(١) **انظر:** شرح صحيح مسلم (٥/ ٢٥).

(٢) **انظر:** بيان تلبيس الجهمية (٢/ ٦٠٨)، ودرء تعارض العقل والنقل (٢/ ٥٨).

(٣) **متفق عليه:** رواه البخاري (٤٨٥٠)، ومسلم (٢٨٤٦)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

[٨- قرب الله من عباده]

١٤٧ - وَقَوْلُهُ: «إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ إِلَىٰ الصَّلَاةِ؛ فَإِنَّ اللهَ قِبَلَ وَجْهِهِ؛ فَلَا يَبْصُقَنَّ قِبَلَ وَجْهِهِ، وَلَا عَنْ يَمِينِهِ، وَلَكِنْ عَنْ يَسَارِهِ، أَوْ تَحْتَ قَدَمِهِ»(١). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

١٤٨ - وَقَوْلُهُ: «اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ، وربَّ الأَرضِ، وَرَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ! رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ! فَالِقَ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ! مُنَزِّلَ التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ والفُرْقَانِ! أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ دَابَّةٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا، أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ، اقْضِ عَنِّي الدَّيْنَ، وَأَغْنِنِي مِنَ الْفَقْرِ»(٢). رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١٤٩ - وَقَوْلُهُ لَمَّا رَفَعَ أَصْحَابُهُ أَصْوَاتَهُمْ بِالذِّكْرِ: «أَيُّهَا النَّاسُ! ارْبَعُوا عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ؛ فَإِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا؛ إِنَّمَا تَدْعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا؛ إِنَّ الَّذِي تَدْعُونَهُ أَقْرَبُ إِلَىٰ أَحَدِكُمْ مِنْ عُنُقِ رَاحِلَتِهِ»(٣). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٤٠٦)، ومسلم (٥٤٧)، من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٧١٣).

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٢٩٩٢)، ومسلم (٢٧٠٤)، إلا الجملة الأخيرة رواها أحمد (١٩٥٩٩)، والنسائي في الكبرى (٧٦٣٣)، من حديث أبي موسىٰ الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الشـــرح

قـــولـــه: «وَقَوْلُهُ: «إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ إِلَىٰ الصَّلَاةِ»: أي شرع فيها.

قـــولـــه: «فَإِنَّ اللهَ قِبَلَ وَجْهِهِ»: أي أمامه.

قـــولـــه: «فَلَا يَبْصُقَنَّ قِبَلَ وَجْهِهِ»: أي لا يبزقن جِهةَ وجهه.

قـــولـــه: «وَلَا عَـنْ يَمِينِـهِ»: أي ولا يبصـق المصـلي عـن يمينـه؛ تعظيما لليمين وزيادة لشرفها، و«**لأَنَّ عَنْ يَمِينِهِ مَلَكًا**»[1].

قـــولـــه: «وَلَكِنْ عَنْ يَسَارِهِ، أَوْ تَحْتَ قَدَمِهِ»: أي ولكـن ليبصـق المصلي عن يساره، أو تحت قدمه.

قـــولـــه: «وَقَوْلُـهُ: «اللَّهُـمَّ»: أصـلها يـا الله، حـذفت يـا النـداء، وعُوِّض عنها بالميم.

قـــولـــه: «رَبَّ السَّـمَاوَاتِ السَّـبْعِ، ورَبَّ الأَرْضِ»: أي خالقهـا ومالكها.

قـــولـــه: «وَرَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ»: أي الكبير، الذي لا يقـدِّر قـدره إلا الله سبحانه.

قـــولـــه: «رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ»: أي خالقنا، ورازقنا، وخالق كـل شيء.

قـــولـــه: «فَالِقَ الْحَـبِّ وَالنَّوَىٰ»: أي شـاق حَـب الـزرع، ونـوىٰ

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٤١٦)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

التمر للإنبات.

قــولــه: «مُنَزِّلَ التَّوْرَاةِ»: أي علىٰ موسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

قــولــه: «وَالْإِنْجِيلِ»: أي علىٰ عيسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

قــولــه: «والفُرْقَانِ»: أي القرآن علىٰ محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قــولــه: «أَعُوذُ بِكَ»: أي أعتصم، وألتجئ، وأستجير.

قــولــه: «مِنْ شَرِّ كُلِّ دَابَّةٍ»: أي كل ما دب علىٰ وجه الأرض.

قــولــه: «أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا»: أي هي تحت قهرك وسلطانك، تصرفها كيف تشاء، والناصية هي مقدم الرأس.

قــولــه: «أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ، اقْضِ عَنِّي الدَّيْنَ، وَأَغْنِنِي مِنَ الْفَقْرِ»: أي أدِّ عني ديني، والدَّين: يشمل حقوق الله، وحقوق الناس.

قــولــه: «وَقَوْلُهُ لَمَّا رَفَعَ أَصْحَابُهُ أَصْوَاتَهُمْ بِالذِّكْرِ»: أي بالتَّكْبِيرِ: اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وكان عند رجوعهم من غزوة خيبر في السنة السابعة من الهجرة[1].

قــولــه: «أَيُّهَا النَّاسُ! ارْبِعُوا عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ»: أي ارفقوا وهوِّنوا

---

(١) انظر: صحيح البخاري (٤٢٠٥)، من حديث أبي موسىٰ الأشعري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

على أنفسكم.

قــولــه: «**فَإِنَّكُمْ**»: تعليل للأمر بالرفق.

قــولــه: «**لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ**»: أي لا يسمع دعائكم.

قــولــه: «**وَلَا غَائِبًا**»: أي لا يرىٰ مكانكم.

قــولــه: «**إِنَّمَا تَدْعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا**»: أي سميعا لجميع أقوالكم، وأنفاسكم، قريبا منكم.

قــولــه: «**إِنَّ الَّذِي تَدْعُونَهُ أَقْرَبُ إِلَىٰ أَحَدِكُمْ مِنْ عُنُقِ رَاحِلَتِهِ**»: أي قريب منكم فلا حاجة لرفع الصوت.

الشاهد من هذه الأحاديث: إثبات قرب الله تعالىٰ من خلقه، يسمع أصواتهم الخفية كما يسمع أصواتهم الجهرية.

مسألة: أنواع القُرْب:

القرب نوعان:

أحدهما: قرب خاص: هو قرب الله من عباده المؤمنين، ومن الداعين، والمصلين، بإجابتهم ونصرهم، وأقربُ ما يكون العبد من ربه وهو ساجد ، وهو قُرب يليق بجلاله وعظمته مع كونه علىٰ العرش عالٍ علىٰ خلقه.

الآخر: قرب عام: من كل الخلق، معناه: قرب الإحاطة، والعلم،

والقدرة، وقرب الملائكة، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنۡ حَبۡلِ ٱلۡوَرِيدِ ١٦﴾[ق:١٦]، أي الملائكة[١].



(١) صحيح: مجموع الفتاوىٰ (٤/ ٢٥٣، ٥/ ١٢٩)، بدائع الفوائد (٣/ ٨)، وطريق الهجرتين، صـ(٢٢).

[٩- رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة]

١٥٠- وَقَوْلُهُ: «إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ الْقَمَرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ؛ فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تُغْلَبُوا عَلَىٰ صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ، وَصَلَاةٍ قَبْلَ غُرُوبِهَا؛ فَافْعَلُوا»[١]. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

.............................الشـــرح.............................

قــولــه: «وَقَوْلُهُ: «إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ»: أي يا معشر المؤمنين، أي تعاينونه بأبصاركم.

قــولــه: «كَمَا تَرَوْنَ الْقَمَرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ»: أي كرؤيتكم القمر ليلةَ تمامه، والمعنىٰ: ترونه رؤية محققة لا شك فيها، ولا مشقة كما ترون القمر رؤية محققة بلا مشقة، فهو تشبيه للرؤية بالرؤية لا المرئي بالمرئي، والرؤية مختصة بالمؤمنين، وأما الكفار والمنافقون فلا يرونه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ[٢].

قــولــه: «لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ»: بتشديد الميم وتخفيفها، فالتشديد معناه: لا ينضم بعضكم إلىٰ بعض وتزدحمون وقت النظر

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٥٥٤)، ومسلم (٦٣٣)، من حديث جرير بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) انظر: شرح صحيح مسلم (٥/ ١٣٤).

إليه، ويجوز ضم التاء وفتحها علىٰ تفاعلون، وتتفاعلون، ومعنىٰ التخفيف: لا ينالكم ضيم في رؤيته، فيراه بعضكم دون بعض، أي لا تُظلمون فيه برؤية بعضكم دون بعض فإنكم ترونه في جهاتكم كلها[1].

قوله: «فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تُغْلَبُوا عَلَىٰ صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ»: أي صلاة الفجر.

قوله: «وَصَلَاةٍ قَبْلَ غُرُوبِهَا»: أي صلاة العصر.

قوله: «فَافْعَلُوا»: أي حافظوا علىٰ هاتين الصلاتين في جماعة وفي أوقاتهما.

الشاهد من هذا الحديث: إثبات رؤية المؤمنين ربَّهم عيانا يوم القيامة.

---

(١) انظر: النهاية في غريب الحديث (٣/ ١٠١)، وفتح الباري (١١/ ٤٤٧).

١٥١ - إِلَىٰ أَمْثَالِ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ الَّتِي يُخْبِرُ فِيهَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ رَبِّهِ بِمَا يُخْبِرُ بِهِ.

١٥٢ - فَإِنَّ الْفِرْقَةَ النَّاجِيَةَ أَهْلَ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ يُؤْمِنُونَ بِذَلِكَ.

كَمَا يُؤْمِنُونَ بِمَا أَخْبَرَ اللهُ بِهِ فِي كِتَابِهِ، مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلَا تَعْطِيلٍ، وَمِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ وَلَا تَمْثِيلٍ.

.... الشرح ....

قوله: «إِلَىٰ أَمْثَالِ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ الَّتِي يُخْبِرُ فِيهَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ رَبِّهِ بِمَا يُخْبِرُ بِهِ»: أي يصدقون بها كلها، ولا يصرفونها عن ظاهرها.

قوله: «فَإِنَّ الْفِرْقَةَ النَّاجِيَةَ أَهْلَ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ يُؤْمِنُونَ بِذَلِكَ»: أي يصدِّقون بالأحاديث الواردة في ذلك، ويُقرون بها إقرارًا جازما.

قوله: «كَمَا يُؤْمِنُونَ بِمَا أَخْبَرَ اللهُ بِهِ فِي كِتَابِهِ»: أي يصدِّقون ويُقرون إقرارًا جازما بما جاء في القرآن الكريم.

قوله: «مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلَا تَعْطِيلٍ»: أي لا يحرفون شيئا من النصوص عن مراده، ولا ينفون منها شيئا بل يثبتون ما أثبته الله لنفسه، وما أثبته له النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله: «وَمِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ وَلَا تَمْثِيلٍ»: أي لا يشبهون الله أو صفة من صفاته بخلقه، ولا يطمعون في معرفة كيفية صفاته تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، بل يقفون حيث جاء النص.

[وسطية أهل السنة والجماعة بين فرق الأمة]

١٥٣- بَلْ هُمُ الْوَسَطُ فِي فِرَقِ الْأُمَّةِ، كَمَا أَنَّ الْأُمَّةَ هِيَ الْوَسَطُ فِي الْأُمَمِ.

١٥٤- فَهُمْ وَسَطٌ فِي بَابِ صِفَاتِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بَيْنَ أَهْلِ التَّعْطِيلِ الْجَهْمِيَّةِ، وَبَيْنَ أَهْلِ التَّمْثِيلِ الْمُشَبِّهَةِ.

١٥٥- وَهُمْ وَسَطٌ فِي بَابِ أَفْعَالِ اللهِ تَعَالَىٰ بَيْنَ الْقَدَرِيَّةِ، وَالْجَبْرِيَّةِ.

١٥٦- وَفِي بَابِ وَعِيدِ اللهِ بَيْنَ الْمُرْجِئَةِ، وَبَيْنَ الْوَعِيدِيَّةِ مِنَ الْقَدَرِيَّةِ، وَغَيْرِهِمْ.

١٥٧- وَفِي بَابِ الْإِيمَانِ وَالدِّينِ بَيْنَ الْحَرُورِيَّةِ وَالْمُعْتَزِلَةِ، وَبَيْنَ الْمُرْجِئَةِ، وَالْجَهْمِيَّةِ.

١٥٨- وَفِي أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ الرَّوَافِضِ، وَبَيْنَ الْخَوَارِجِ.

.... **الشــرح** ....

قــولــه: «بَلْ هُمُ الْوَسَطُ فِي فِرَقِ الْأُمَّةِ، كَمَا أَنَّ الْأُمَّةَ هِيَ الْوَسَطُ فِي الْأُمَمِ»: أي أهل السنة والجماعة عدول ومتوسطون بين فريقي الإفراط «**الغلاة**»، والتفريط «**الجفاة**».

والوَسَطُ: هو العدل والقصد المصون عن الإفراط والتَّفريط[١].

قال تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾[البقرة:١٤٣].

قوله: «فَهُمْ وَسَطٌ فِي بَابِ صِفَاتِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ»: أي في باب إثبات صفات الله تعالىٰ.

قوله: «بَيْنَ أَهْلِ التَّعْطِيلِ»: التعطيل ينسب إلىٰ كل من عطَّل، أو نفىٰ صفة من صفات الله تعالىٰ، وهو نوعان:

أحدهما: تعطيل كلي: معناه نفي جميع الأسماء والصفات، وهو تعطيل الجهمية.

الآخر: تعطيل جزئي: معناه نفي جميع الصفات كما فعلت المعتزلة، أو إثبات البعض ونفي البعض كما فعلت الأشاعرة والماتردية.

قوله: «الْجَهْمِيَّةِ»: نسبة إلىٰ الجهم بن صفوان، وقد غلوا وأفرطوا في إثبات صفات الله تعالىٰ، فنفوها كلها.

قوله: «وَبَيْنَ أَهْلِ التَّمْثِيلِ الْمُشَبِّهَةِ»: أي الذين يمثلون ويشبهون الله بخلقه، فيقولون: يد الله كيد المخلوق، أو يد المخلوق كيد الله حاشا لله وكلَّا.

أما أهل السنة فوسط بين أهل التعطيل الذين فرطوا في إثبات

---

(١) انظر: المفردات في غريب القرآن، صـ(٨٦٩).

صفات الله، وبين أهل التمثيل الذين غالوا في إثبات صفات الله تعالىٰ، فأثبتوا صفات الله علىٰ الوجه اللائق بجلاله من غير تشبيه، ولا تمثيل، ولا تعطيل.

قوله: «**وَهُمْ وَسَطٌ فِي بَابِ أَفْعَالِ اللهِ تَعَالَىٰ**»: أي في قضاء الله وقدره.

قوله: «**بَيْنَ الْقَدَرِيَّةِ**»: نسبة إلىٰ القدر «**جمهور المعتزلة**»، وهم الذين غالوا في إثبات قدرة العبد، فقالوا: العبد يخلق فعل نفسه دون مشيئة من الله، فأفعال العباد عندهم لا تدخل تحت مشيئة الله وإرادته.

ويلزم من قولهم أن الله عاجز، وأنه يشاركه غيره في الخلق والإيجاد، وهذا قول المجوس، ولذلك المعتزلة سُمُّوا: مجوس هذه الأمة[(١)]؛ فالمجوس يقولون: إن للكون خالقَين، خالق للخير وخالق للشر، والمعتزلة زادوا عليهم وقالوا: كل يخلق فعل نفسه، فأثبتوا خالقِين؛ لذلك هم أردأ من المجوس.

قوله: «**وَالْجَبْرِيَّةِ**»: نسبة إلىٰ الجَبر «**الجهمية، و الأشعرية**»، وهم الذين غالوا في إثبات قدرة الله، فقالوا: إن الإنسان مجبور علىٰ فعل نفسه، مثل الريشة في مهب الريح، ويقولون: المؤثر في المقدور قدرة الرب دون قدرة العبد.

---

(١) حسن: رواه أبو داود (٤٦٩١)، وأحمد (٥٥٨٤)، وحسنه الألباني، عن ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا.

ومعنىٰ ذلك: أن الله يعذب العبد علىٰ شيء ليس له فيه اختيار، ولا استطاعة، ويثيبه علىٰ شيء لم يفعله.

أما أهل السنة فيقولون: أفعال العباد مخلوقة لله تعالىٰ، وللعبد اختيار ومشيئة وفعل يصدر عنه، ولكن مشيئة العبد تحت مشيئة الله؛ لقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾[التكوير:٢٩].

مسألة[١]: الجبرية قسمان:

أحدهما: الجبرية الغلاة: **هم جبرية الظاهر والباطن**: هم الجهمية، وغلاة الصوفية.

قالوا: إن الإنسان في أفعاله كالريشة في مهب الريح، ليس له اختيار ألبتة.

الآخر: الجبرية المتوسطة: **هم جبرية الباطن لا الظاهر**: هم الأشعرية، والماتريدية.

قالوا: إن الإنسان في الظاهر مختار، وفي الباطن مجبور، فهو كالسكين في يد القاطع، وعمله القطع، فالقطع فعل العبد، والفاعل هو الله.

لهذا التفريق اخترع أبو الحسن الأشعري لفظة «**الكسب**»، وقال: أفعال العباد كسب لهم، أي لا يضاف إليهم الفعل حقيقة، وإنما يضاف

إليهم مجازا(١).

مسألة [٢]: القدرية قسمان:

أحدهما: الغلاة نفاة العلم: قالوا: إن الأمر أُنُفٌ، أي مستأنَف، أي لم يسبق به قدَر ولا علم من الله تعالىٰ، وإنما يعلمه بعد وقوعه(٢).

وهم الذين قال فيهم ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: فَإِذَا لَقِيتَ أُولَئِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنِّي بَرِيءٌ مِنْهُمْ، وَأَنَّهُمْ بُرَآءُ مِنِّي، وَالَّذِي يَحْلِفُ بِهِ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ: لَوْ أَنَّ لِأَحَدِهِمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا، فَأَنْفَقَهُ مَا قَبِلَ اللهُ مِنْهُ حَتَّىٰ يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ(٣).

الآخر: المعتزلة: قالوا: العبد يخلق فعل نفسه، ولا عَلاقة له بفعل الله تعالىٰ(٤).

قوله: «وَفِي بَابِ وَعِيدِ اللهِ»: الوعيد هو التخويف والتهديد، أي ما توعد الله به العصاة.

قوله: «بَيْنَ الْمُرْجِئَةِ»: نسبة إلىٰ الإرجاء، وهو التأخير، سُموا بذلك؛ لأنهم أخروا الأعمال عن مسمىٰ الإيمان، حيث زعموا أن مرتكب الكبيرة كامل الإيمان، غير معرَّض للوعيد، وقالوا: لا يضر مع

---

(١) انظر: الملل والنحل (١/ ٨٥)، ومجموع الفتاوىٰ (٨/ ٢٥٦-٢٦١)، ولوامع الأنوار البهية (١/ ٩٠).

(٢) انظر: شرح صحيح مسلم (١/ ١٥٦).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٨).

(٤) انظر: مجموع الفتاوىٰ (٨/ ٢٥٦-٢٦١).

الإيمان ذنب، كما لا ينفع مع الكفر طاعة.

قوله: «وَبَيْنَ الْوَعِيدِيَّةِ مِنَ الْقَدَرِيَّةِ، وَغَيْرِهِمْ»: الوعيدية هم الذين أخذوا بآيات الوعيد، وهم المعتزلة والخوارج.

قالوا: إن مرتكب الكبيرة إذا مات ولم يتب، فهو خالد مخلد في النار.

أما أهل السنة فتوسطوا بين الطرفين، فقالوا: إن مرتكب الكبيرة تحت المشيئة، إن شاء الله عذبه، وإن شاء عفا عنه.

قوله: «وَفِي بَابِ الْإِيمَانِ وَالدِّينِ»: أي مرتكب الكبيرة، هل هو كافر أو مؤمن؟

قوله: «بَيْنَ الْحَرُورِيَّةِ»: هم الخوارج، سموا بذلك نسبة إلىٰ قرية بالعراق اجتمعوا فيها حين خرجوا علىٰ عليّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قالوا: مرتكب الكبيرة كافر خارج من الدين في الدنيا، ومخلَّد في النار يوم القيامة.

قوله: «وَالْمُعْتَزِلَةِ»: هم أتباع واصل بن عطاء، سموا بذلك؛ لاعتزال واصل بن عطاء مجلس الحسن البصري.

قالوا: مرتكب الكبيرة ليس بمؤمن ولا كافر، فهو في منزلة بين المنزلتين في الدنيا، ومخلَّد في النار يوم القيامة.

قوله: «وَبَيْنَ الْمُرْجِئَةِ، وَالْجَهْمِيَّةِ»: قالوا: مرتكب الكبيرة

مؤمن كامل الإيمان.

أما أهل السنة فتوسطوا بين هؤلاء وهؤلاء؛ فقالوا: مرتكب الكبيرة في الدنيا مؤمن ناقص الإيمان، وفي الآخرة تحت المشيئة إن شاء الله غفر له، وإن شاء عفا عنه.

والمرجئة علىٰ أربع طوائف: مرجئة الفقهاء من الكوفيين والحنفية، والأشاعرة، والكرَّامية، والجهمية.

ومرجئة الفقهاء يوافقون أهل السنة في أن الله يعذب من شاء من أهل الكبائر بالنار، ثم يخرجهم منها بالشفاعة.

قوله: «وَفِي أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»: أصحاب جمع صاحب؛ والصحابي: هو من لقي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مؤمنا به ومات علىٰ ذلك، ولو تخللت ردة في الأصح[(١)].

قوله: «بَيْنَ الرَّوَافِضِ»: هم الشيعة، وسمو رافضة من «**الرفض**» وهو الترك؛ لأنهم قالوا لزيد بن علي بن الحسين بن علي: تبرأ من الشيخين أبي بكر وعمر، فأبىٰ وقال: معاذ الله، فرفضوه، فسموا رافضة.

مذهبهم في الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أنهم كفار، ارتدوا بعد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا يستثنون منهم إلا آل البيت.

---

(١) انظر: نزهة النظر، لابن حجر العسقلاني، صـ(١١١).

وكفَّر غلاتهم عليَّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ لأنه أقر بالظلم والباطل حين بايع أبا بكر وعمر، وكان الواجب عليه أن ينكر بيعتهما، فلما لم يأخذ بالحق والعدل، ووافق علىٰ الظلم، صار ظالما كافرا.

قال الشعبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «**فُضِّلَتِ اليهود والنصارىٰ علىٰ الرافضة بخصلتين: سُئلت اليهود من خير أهل ملتكم؟ قالوا: أصحاب موسىٰ، وسئلت الرافضة: من شر أهل ملتكم؟ قالوا: أصحاب محمد، وسئلت النصارىٰ: من خير أهل ملتكم؟ قالوا: حواري عيسىٰ، وسئلت الرافضة: من شر أهل ملتكم؟ قالوا: حواري محمد، أُمروا بالاستغفار لهم فسبوهم، فالسيف مسلول عليهم إلىٰ يوم القيامة، لا يثبت لهم قدم، ولا تقوم لهم راية، ولا تجتمع لهم كلمة، دعوتهم مدحوضة، وجمعهم متفرق، كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله** عَزَّوَجَلَّ»[1].

قوله: «**وَبَيْنَ الْخَوَارِجِ**»: هم الذين كفروا عليا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكفَّروا معه كثيرا من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وقاتلوهم، واستحلوا دماءهم وأموالهم.

أما أهل السنة فوسط بين هؤلاء الروافض الذين غالوا في آل البيت وأشياعهم، حتىٰ ادعىٰ بعضهم الألوهية في علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ ومنهم من ادعىٰ أن عليا أحق بالنبوة من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

---

(١) رواه اللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (٨/ ١٥٤٩).

وبين الخوارج الذين كفروا عليًّا ومعاوية ومن معهما من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وقاتلوهم، واستحلوا دمائهم[(١)].

فأهل السنة يعترفون بالفضل لأصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأنهم أفضل الأمة بعد نبيها.

مسألة: حكم الجهمية، والرافضة:

اتفق أهل السنة والجماعة علىٰ أن الجهمية كفار.

واختلفوا في الرافضة، هل هم من الثلاث والسبعين فرقة، أو لا؟ علىٰ قولين:

القول الأول: ليسوا من الثلاث وسبعين فرقة، أي هم كفار.

القول الثاني: هي فرقة من الفرق المنتسبة إلىٰ القبلة[(٢)].

---

(١) انظر: شرح العقيدة الواسطية، للشيخ ابن عثيمين (٢/ ٧٤-٧٦).

(٢) انظر: الفرق بين الفرق، صـ(١٥-١٦)، ودقائق التفسير، لابن تيمية (٢/ ١٥١-١٥٣).

[لا تعارض بين كون الله على عرشه، وأنه مع خلقه]

وَقَدْ دَخَلَ فِيمَا ذَكَرْنَاهُ مِنَ الْإِيمَانِ بِاللهِ:

١٥٩- الْإِيمَانُ بِمَا أَخْبَرَ اللهُ بِهِ فِي كِتَابِهِ، وَتَوَاتَرَ عَنْ رَسُولِهِ ﷺ، وَأَجْمَعَ عَلَيْهِ سَلَفُ الْأُمَّةِ مِنْ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ فَوْقَ سَمَاوَاتِهِ عَلَىٰ عَرْشِهِ، عَلِيٌّ عَلَىٰ خَلْقِهِ، وَهُوَ سُبْحَانَهُ مَعَهُمْ أَيْنَمَا كَانُوا، يَعْلَمُ مَا هُمْ عَامِلُونَ.

١٦٠- كَمَا جَمَعَ بَيْنَ ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾﴾[الحديد:٤].

١٦١- وَلَيْسَ مَعْنَىٰ قَوْلِهِ: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ أَنَّهُ مُخْتَلِطٌ بِالْخَلْقِ، فَإِنَّ هَذَا لَا تُوجِبُهُ اللُّغَةُ، وَهُوَ خِلَافُ مَا أَجْمَعَ عَلَيْهِ سَلَفُ الْأُمَّةِ، وَخِلَافُ مَا فَطَرَ اللهُ عَلَيْهِ الْخَلْقَ.

١٦٢- بَلْ «الْقَمَرُ» آيَةٌ مِنْ آيَاتِ اللهِ، مِنْ أَصْغَرِ مَخْلُوقَاتِهِ، ثُمَّ هُوَ مَوْضُوعٌ فِي السَّمَاءِ، وَهُوَ مَعَ الْمُسَافِرِ، وَغَيْرِ الْمُسَافِرِ أَيْنَمَا كَانَ.

١٦٣- وَهُوَ سُبْحَانَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ، رَقِيبٌ عَلَىٰ خَلْقِهِ، مُهَيْمِنٌ عَلَيْهِمْ، مُطَّلِعٌ إِلَيْهِمْ؛ إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ مَعَانِي رُبُوبِيَّتِهِ.

١٦٤- وَكُلُّ هَذَا الْكَلَامِ الَّذِي ذَكَرَهُ اللهُ -مِنْ أَنَّهُ فَوْقَ الْعَرْشِ، وَأَنَّهُ مَعَنَا- حَقٌّ عَلَىٰ حَقِيقَتِهِ، لَا يَحْتَاجُ إِلَىٰ تَحْرِيفٍ، وَلَكِنْ يُصَانُ عَنِ الظُّنُونِ الْكَاذِبَةِ.

الشـــرح

شرع المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تبيين أنه لا تعارض بين كون الله مستويا علىٰ العرش وأنه مع خلقه، فذكر أربعة أوجه علىٰ ذلك:

الوجه الأول: أن الاختلاط لا توجبه لغة العرب، لأن كلمة «مع» تعني مطلق المصاحبة، لا تفيد اختلاطا ولا اقترابا ولا مجاورة، ولا مماسة.

مثاله: قول القائل: «**سرتُ والقمر معي**» وهو في السماء، ولا يلزم منه المخالطة، فإذا صح هذا في حق القمر وهو من أصغر المخلوقات، فكيف لا يقال في حق الخالق الذي هو أعظم من كل شيء؟

الوجه الثاني: أن القول بالاختلاط خلاف ما أجمع عليه السلف، فقد أجمع السلف علىٰ أن الله فوق عرشه، وأنه بائن من خلقه، وأنه مع خلقه.

الوجه الثالث: أن هذا القول خلاف ما فطر الله عليه الناس، إذ الفطرة تقر بأن الله في السماء.

الوجه الرابع: أن هذا القول خلاف ما أخبر به الله ورسوله

ﷺ، من أن الله فوق عرشه، وأنه مع خلقه.

قوله: «فَإِنَّ هَذَا لَا تُوجِبُهُ اللُّغَةُ»: لم يقل: «**تقتضيه**»؛ لأن اللغة قد تقتضيه، مثاله: سقني ماء مع لبن، أي مخلوطا.

قوله: «وَهُوَ سُبْحَانَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ»: أي مع كونه مع خلقه، فهو فوق العرش.

قوله: «رَقِيبٌ عَلَىٰ خَلْقِهِ»: أي مراقبا حافظا لأقوالهم، وأفعالهم، وحركاتهم، وسكناتهم.

قوله: «مُهَيْمِنٌ عَلَيْهِمْ»: أي حاكم مسيطر علىٰ عباده، فله الحكم، وإليه يرجع الأمر كله.

قوله: «مُطَّلِعٌ إِلَيْهِمْ؛ إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ مَعَانِي رُبُوبِيَّتِهِ»: أي ما تضمنته معاني الربوبية من ملك، وسلطان، وتدبير، وغير ذلك.

قوله: «وَكُلُّ هَذَا الْكَلَامِ الَّذِي ذَكَرَهُ اللهُ -مِنْ أَنَّهُ فَوْقَ الْعَرْشِ، وَأَنَّهُ مَعَنَا- حَقٌّ عَلَىٰ حَقِيقَتِهِ، لَا يَحْتَاجُ إِلَىٰ تَحْرِيفٍ، وَلَكِنْ يُصَانُ عَنِ الظُّنُونِ الْكَاذِبَةِ»: أي عن الأوهام التي ليس لها أساس من الصحة.



[قرب الله تعالى من خلقه]

وَقَدْ دَخَلَ فِي ذَلِكَ:

١٦٥- الْإِيمَانُ بِأَنَّهُ قَرِيبٌ مِنْ خَلْقِهِ كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾[البقرة:١٨٦].

١٦٦- وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ الَّذِي تَدْعُونَهُ، أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ عُنُقِ رَاحِلَتِهِ»[1].

١٦٧- وَمَا ذُكِرَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ مِنْ قُرْبِهِ وَمَعِيَّتِهِ لَا يُنَافِي مَا نَذْكُرُ مِنْ عُلُوِّهِ وَفَوْقِيَّتِهِ؛ فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ فِي جَمِيعِ نُعُوتِهِ، وَهُوَ عَلِيٌّ فِي دُنُوِّهِ، قَرِيبٌ فِي عُلُوِّهِ.

...............................الشرح...............................

قوله: «الْإِيمَانُ بِأَنَّهُ قَرِيبٌ مِنْ خَلْقِهِ كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾»:

أي إذا سألك يا محمد عبادي عني أين أنا؟ فإني قريب منهم أسمع دعاءهم، وأجيب دعوة الداعي منهم.

---

(١) صحيح: رواه أحمد (١٩٥٩٩)، والنسائي في الكبرى (٧٦٣٣)، من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

قــولــه: «﴿ **فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي**﴾»: أي فليستجيبوا لي بالطاعة.

قــولــه: «﴿**وَلْيُؤْمِنُواْ بِي**﴾»: أي ليصدقوا بي إذا هم استجابوا لي بالطاعة أني أثيبهم، وأدخلهم الجنة.

قــولــه: «﴿**لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ١٨٦**﴾»: أي إذا امتثلوا طاعتي، وآمنوا بي رشدوا[(١)].

قــولــه: «**وَقالَ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ الَّذِي تَدْعُونَهُ، أَقْرَبُ إِلَىٰ أَحَدِكُمْ مِنْ عُنُقِ رَاحِلَتِهِ**»»: أي دابته.

قــولــه: «**وَمَا ذُكِرَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ مِنْ قُرْبِهِ وَمَعِيَّتِه لَا يُنَافِي مَا نَذْكُرُ مِنْ عُلُوِّهِ وَفَوْقِيَّتِهِ؛ فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ فِي جَمِيعِ نُعُوتِهِ**»: أي صفاته.

قــولــه: «**وَهُوَ عَلِيٌّ فِي دُنُوِّهِ**»: أي في حال قربه من خلقه.

قــولــه: «**قَرِيبٌ فِي عُلُوِّهِ**»: أي قريب من خلقه في حال علوه علىٰ عرشه.

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٣/ ٢٢٢-٢٢٧).

[الإيمان بأن القرآن كلام اللّه منزّل غير مخلوق]

وَمِنَ الْإِيمَانِ بِهِ وَبِكُتُبِهِ:

١٦٨ - الْإِيمَانُ بِأَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، مُنَزَّلٌ، غَيْرُ مَخْلُوقٍ.

١٦٩ - مِنْهُ بَدَأَ، وَإِلَيْهِ يَعُودُ.

١٧٠ - وَأَنَّ اللهَ تَكَلَّمَ بِهِ حَقِيقَةً.

١٧١ - وَأَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ الَّذِي أَنْزَلَهُ اللهُ عَلَى نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هُوَ كَلَامُ اللهِ حَقِيقَةً، لَا كَلَامُ غَيْرِهِ.

١٧٢ - وَلَا يَجُوزُ إِطْلَاقُ الْقَوْلِ بِأَنَّهُ حِكَايَةٌ عَنْ كَلَامِ اللهِ، أَوْ عِبَارَةٌ عَنْهُ.

١٧٣ - بَلْ إِذَا قَرَأَهُ النَّاسُ أَوْ كَتَبُوهُ فِي الْمَصَاحِفِ لَمْ يَخْرُجْ بِذَلِكَ عَنْ أَنْ يَكُونَ كَلَامَ اللهِ حَقِيقَةً؛ فَإِنَّ الْكَلَامَ إِنَّمَا يُضَافُ حَقِيقَةً إِلَى مَنْ قَالَهُ مُبْتَدِئًا، لَا إِلَى مَنْ قَالَهُ مُبَلِّغًا مُؤَدِّيًا.

١٧٤ - وَهُوَ كَلَامُ اللهِ؛ حُرُوفُهُ وَمَعَانِيهِ؛ لَيْسَ كَلَامُ اللهِ الْحُرُوفَ دُونَ الْمَعَانِي، وَلَا الْمَعَانِي دُونَ الْحُرُوفِ.

.... **الشـــرح** ....

قـــولـــه: «وَمِنَ الْإِيمَانِ بِهِ وَبِكُتُبِهِ: الْإِيمَانُ بِأَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ»: أي تكلم به حقيقة سمعه جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ منه تعالىٰ، وبلَّغه

محمدًا صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال تعالىٰ: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾[التوبة:٦].

قوله: «مُنَزَّلٌ»: أي من عند الله تعالىٰ؛ لقوله: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ﴾[الفرقان:١].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾[الحِجر:٩].

قوله: «غَيْرُ مَخْلُوقٍ»: لقوله تعالىٰ: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾[الأعراف:٥٤]، فأخبر أن الأمر غير الخلق وهو كلامه سبحانه[1].

ولأنه من كلام الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وكلامه صفة من صفاته، أضافه إلىٰ نفسه من إضافة الصفة إلىٰ الموصوف، وصفات الله غير مخلوقة.

قوله: «مِنْهُ بَدَأَ»: أي القرآن بدأ من الله، وخرج منه، وتكلم به.

قال تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾[الشورىٰ:٥٢].

والمراد من هذا الرد علىٰ الجهمية الذين يقولون: إن القرآن بدأ من غيره، وإن الله لم يتكلم به حقيقة.

قوله: «وَإِلَيْهِ يَعُودُ»: أي القرآن يرجع إلىٰ الله؛ لأنه يُرفع في آخر

(١) انظر: الفتاوىٰ الكبرىٰ، لابن تيمية (٦/ ٤٨٤)، ومجموع الفتاوىٰ (٦/ ١٧).

الزمان، فلا يبقىٰ منه شيء في الصدور، ولا في المصاحف.

عَنْ شَدَّادٍ، أَنَّ ابْنَ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «**لَيُنْتَزَعَنَّ هَذَا الْقُرْآنُ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِكُمْ**»، قُلْتُ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، كَيْفَ يُنْتَزَعُ وَقَدْ أَثْبَتْنَاهُ فِي مَصَاحِفِنَا؟ قَالَ: «**يُسْرَىٰ عَلَيْهِ فِي لَيْلَةٍ فَلَا يَبْقَىٰ فِي قَلْبِ عَبْدٍ وَلَا مُصْحَفٍ مِنْهُ شَيْءٌ، وَيُصْبِحُ النَّاسُ فُقَرَاءَ كَالْبَهَائِمِ**»، ثُمَّ قَرَأَ عَبْدُ اللهِ: ﴿وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴿٨٦﴾﴾[الإسراء:٨٦][1].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأما إليه يعود: فإنه يُسرىٰ به في آخر الزمان من المصاحف والصدور فلا يبقىٰ في الصدور منه كلمة، ولا في المصاحف منه حرف»[2].

قوله: «وَأَنَّ اللهَ تَكَلَّمَ بِهِ حَقِيقَةً»: أي لفظه ومعناه من الله؛ لأنه صفة من صفاته، وصفات الله غير مخلوقة.

قوله: «وَأَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ الَّذِي أَنْزَلَهُ اللهُ عَلَىٰ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هُوَ كَلَامُ اللهِ حَقِيقَةً، لَا كَلَامُ غَيْرِهِ»: فيه رد علىٰ من زعم

---

(١) صحيح: رواه نعيم بن حماد في الفتن (١٦٨٥)، والبخاري في خلق أفعال العباد، صـ (٨٦)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٣٠١٩٣)، وعبد الرزاق في مصنفه (٥٩٨٠)، والطبراني في الكبير (٨٦٩٨)، والحاكم في المستدرك (٨٥٣٨)، والدارمي في السنن (٢٦٩)، وصححه ابن حجر في الفتح (١٣/ ١٦) حيث قال: «**سنده صحيح لكنه موقوف**»، وصححه الألباني في الصحيحة (٨٧).

(٢) انظر: مجموع الفتاوىٰ (٢/ ١٧٤).

أن القرآن من كلام جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ ألهمه الله إياه، أو من كلام محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله: «وَلَا يَجُوزُ إِطْلَاقُ الْقَوْلِ بِأَنَّهُ حِكَايَةٌ عَنْ كَلَامِ اللهِ»: أي هذا المعنىٰ الذي هو الكلام عندهم حُكي بمرآة، كما يحكي الصدىٰ كلام المتكلم، ومعنىٰ الحكاية المماثلة، وهذا قول الكُلَّابية.

قوله: «أَوْ عِبَارَةٌ عَنْهُ»: أي المتكلم عبَّر عن كلامه النفسي بحروف وأصوات خُلقت، وهذا قول الأشاعرة.

واتفقت الكُلَّابية والأشعرية علىٰ أن القرآن الذي في المصاحف ليس من كلام الله.

قوله: «بَلْ إِذَا قَرَأَهُ النَّاسُ أَوْ كَتَبُوهُ فِي الْمَصَاحِفِ لَمْ يَخْرُجْ بِذَلِكَ عَنْ أَنْ يَكُونَ كَلَامَ اللهِ حَقِيقَةً»: أي القرآن ألفاظه ومعانيه من كلام الله أين وُجد، سواء حُفظ في الصدور، أو حُكي بالألسنة، أو كُتب في المصاحف.

قوله: «فَإِنَّ الْكَلَامَ إِنَّمَا يُضَافُ حَقِيقَةً إِلَىٰ مَنْ قَالَهُ مُبْتَدِئًا، لَا إِلَىٰ مَنْ قَالَهُ مُبَلِّغًا مُؤَدِّيًا»: أي المبلغ يسمىٰ واسطة فقط، ولا يسمىٰ متكلما.

قوله: «وَهُوَ كَلَامُ اللهِ؛ حُرُوفُهُ وَمَعَانِيهِ؛ لَيْسَ كَلَامُ اللهِ الْحُرُوفَ دُونَ الْمَعَانِي»: هذا مذهب المعتزلة والجهمية؛ لأنهم

يقولون: إن الكلام ليس معنىٰ يقوم بذات الله، بل هو شيء من مخلوقاته كالسماء والأرض والناقة، فكلام الله حروف خلقها الله عَزَّوَجَلَّ، وسماها كلامًا له، كما خلق الناقة وسماها ناقة الله، وكما خلق البيت وسماه بيت الله.

ولهذا كان الكلام عند الجهمية والمعتزلة هو الحروف؛ لأن كلام الله عندهم عبارة عن حروف وأصوات خلقها الله عَزَّوَجَلَّ، ونسبها إليه تشريفًا وتعظيمًا.

قوله: «وَلَا الْمَعَانِيَ دُونَ الْحُرُوفِ»: هذا مذهب الكُلَّابية والأشعرية، فكلام الله عندهم معنىٰ في نفسه، ثم خلق أصواتًا وحروفًا تدل علىٰ هذا المعنىٰ؛ إما عبارة أو حكاية[1].

مسألة: مذاهب المخالفين لأهل السنة في القرآن:

١- قالت المعتزلة: خلق الله الكلام، وجعله يصدر من جبريل، أو خلقَ الكلام مكتوبا، ثم أخذه جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ مكتوبا.

٢- قالت الأشاعرة: الكلام من حيث هو صفة ليس فيه حرف، ولا صوت، إنما هو كلام نفسي[2].

وأجيب علىٰ من قال: إنه كلام جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ بوجوه:

---

(١) انظر: شرح العقيدة الواسطية، للشيخ ابن عثيمين (٢/ ٩٩-١٠٠).

(٢) انظر: اللآلئ البهية في شرح العقيدة الواسطية (٢/ ١٧٨).

١ – أن المسلمين إذا تلوا آية قالوا: «**قال الله**»، ولم يقولوا: «**قال جبريل**».

٢ – أن الموجود بين دفتي المصحف من كلام الله سبحانه، وليس من كلام جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ بإجماع المسلمين.

٣ – لو كان كلام جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ لما صح قول الله تعالىٰ: ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ﴾[النحل:١٠٢].

وأجيب علىٰ من قال: إنه كلام محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بنفس الأجوبة السابقة بالإضافة إلىٰ أن قولهم هذا يستلزم لوازم باطلة، منها:

١ – تكذيب القرآن، وموافقة الوليد بن المغيرة في مقالته: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾﴾[المدثر:٢٥].

٢ – دخولهم في الوعيد الذي أعده الله له: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾﴾[المدثر:٢٦].

[الإيمان بأن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة]

وَقَدْ دَخَلَ أَيْضًا فِيمَا ذَكَرْنَاهُ مِنَ الْإِيمَانِ بِهِ وَبِكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ:

١٧٥ - الْإِيمَانُ بِأَنَّ الْمُؤْمِنِينَ يَرَوْنَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِيَانًا بِأَبْصَارِهِمْ، كَمَا يَرَوْنَ الشَّمْسَ صَحْوًا لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ، وَكَمَا يَرَوْنَ الْقَمَرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، لَا يُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ.

١٧٦ - يَرَوْنَهُ سُبْحَانَهُ وَهُمْ فِي عَرَصَاتِ الْقِيَامَةِ.

١٧٧ - ثُمَّ يَرَوْنَهُ بَعْدَ دُخُولِ الْجَنَّةِ كَمَا يَشَاءُ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

الشرح

قوله: «وَقَدْ دَخَلَ أَيْضًا فِيمَا ذَكَرْنَاهُ مِنَ الْإِيمَانِ بِهِ وَبِكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ»: وجه دخول الإيمان بالرؤية في الإيمان بالله وبكتبه ورسله أن الله سبحانه أخبر بها في كتابه، وأخبر بها الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فمن لم يؤمن بها كان مكذِّبا لله جَلَّ جَلَالُهُ، ومكذِّبا لرسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله: «الْإِيمَانُ بِأَنَّ الْمُؤْمِنِينَ يَرَوْنَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِيَانًا»: أي معاينة، وهي رؤية محققة، ليست مجازية.

قوله: «بِأَبْصَارِهِمْ»: قيدها بالأبصار للتأكيد علىٰ أنها رؤية حقيقية، وفيه رد علىٰ من زعم أن الرؤية لا تكون بالبصر.

قوله: «كَمَا يَرَوْنَ الشَّمْسَ صَحْوًا لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ، وَكَمَا

«يَرَوْنَ الْقَمَرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، لَا يُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ»: أي لا يشعرون بشيء من المشقة عند النظر إليه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

قوله: «يَرَوْنَهُ سُبْحَانَهُ وَهُمْ فِي عَرَصَاتِ الْقِيَامَةِ»: هذا هو الموضع الأول الذي يرىٰ المؤمنون فيه ربهم.

والعرصات: جمع عَرْصة، وهي كل موضع واسع لا بناء فيه[1].

قوله: «ثُمَّ يَرَوْنَهُ بَعْدَ دُخُولِ الْجَنَّةِ كَمَا يَشَاءُ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ»: أي من غير إحاطة ولا تكييف لرؤيته، وهذا هو الموضع الثاني الذي يراه فيه المؤمنون.

مسألة: هل يرىٰ الكفار والمنافقون الله تعالىٰ في عرصات القيامة؟

اختلف أهل العلم في ذلك علىٰ ثلاثة أقوال:

أحدها: أن الكفار لا يرون ربهم بحال، وهذا قول أكثر العلماء المتأخرين، وعليه يدل عموم كلام المتقدمين.

الثاني: أنه يراه من أظهر التوحيد من مؤمني هذه الأمة، ومنافقيها، وغبرات من أهل الكتاب، ثم يحتجب عن المنافقين، فلا يرونه بعد ذلك، وهذا قول أبي بكر ابن خزيمة من أئمة أهل السنة.

الثالث: أن الكفار يرونه رؤية تعريف وتعذيب، كاللص إذا رأىٰ

---

(١) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٣/ ٢٠٨).

السلطان، ثم يحتجب عنهم؛ ليعظم عذابهم، ويشتد عقابهم، وهذا قول أبي الحسن بن سالم وأصحابه، وقول غيرهم.

ولكن ليس لأحد أن يطلق القول بأن الكفار يرون ربهم من غير تقييد؛ لأن الرؤية المطلقة قد صار يفهم منها الكرامة، والثواب، ففي إطلاق ذلك إيهام وإيحاش، وليس لأحد أن يطلق لفظًا يوهم خلاف الحق إلا أن يكون مأثورًا عن السلف، وهذا اللفظ ليس مأثورًا[1].



(١) انظر: مجموع الفتاوى (٦/ ٤٨٧-٤٨٨، ٦/ ٥٠١-٥٠٢، ٥٠٤).

[الإيمان بكُلِّ ما أخبر به النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِمَّا يكون بَعْد المَوت]

وَمِنَ الْإِيمَانِ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ:

١٧٨ - الْإِيمَانُ بِكُلِّ مَا أَخْبَرَ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِمَّا يَكُونُ بَعْدَ الْمَوْتِ:

١٧٩ - فَيُؤْمِنُونَ بِفِتْنَةِ الْقَبْرِ، وَبِعَذَابِ الْقَبْرِ وَبِنَعِيمِهِ.

١٨٠ - فَأَمَّا الْفِتْنَةُ؛ فَإِنَّ النَّاسَ يُفْتَنُونَ فِي قُبُورِهِمْ، فَيُقَالُ لِلرَّجُلِ: مَنْ رَبُّك؟ وَمَا دِينُك؟ وَمَنْ نَبِيُّك؟ فَـ ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ﴾[إبراهيم:٢٧].

- فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ: اللهُ رَبِّي، وَالْإِسْلَامُ دِينِي، وَمُحَمَّدٌ نَبِيِّي.

- وَأَمَّا الْمُرْتَابُ، فَيَقُولُ: آه آه! لَا أَدْرِي؛ سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئًا فَقُلْتُهُ، فَيُضْرَبُ بِمِرْزَبَةٍ مِنْ حَدِيدٍ، فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا كُلُّ شَيْءٍ إِلَّا الْإِنْسَانُ، وَلَوْ سَمِعَهَا الْإِنْسَانُ؛ لَصُعِقَ.

الشـــرح

قـــولـــه: «وَمِنَ الْإِيمَانِ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ»: الإيمان باليوم الآخر ركن من أركان الإيمان لا يصح إيمان عبد حتىٰ يؤمن به.

واليوم الآخر هو يوم القيامة، وسمي بذلك؛ لأنه آخر يوم في الدنيا، فلا يوم بعده[1].

قال تعالىٰ: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾[البقرة:١٧٧].

وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾﴾[النساء:١٣٦].

قوله: «الْإِيمَانُ بِكُلِّ مَا أَخْبَرَ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِمَّا يَكُونُ بَعْدَ الْمَوْتِ»: أي من جملة ما يؤمن به أهل السنة والجماعة الإيمان بما يحدث بعد الموت، وهذا فيه رد علىٰ المعتزلة الذين أنكروا كثيرا من الغيبيات؛ لأن عقولهم لم تدركها، كعذاب القبر ونعيمه، وسؤال الملكين، والميزان.

قوله: «فَيُؤْمِنُونَ بِفِتْنَةِ الْقَبْرِ»: أي بسؤال المَلكين: المنكر والنكير؛ لقوله تعالىٰ: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾[إبراهيم:٢٧].

(١) انظر: المفردات في غريب القرآن، صـ (٦٨-٦٩).

قـولــه: «وَبِعَذَابِ الْقَبْرِ وَبِنَعِيمِهِ»: أي النعيم لأهل الطاعة، والعذاب للكفار والمنافقين النفاق الاعتقادي ومن شاء الله من عصاة الموحِّدين.

قال تعالىٰ: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾[غافر:٤٦].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هذه الآية أصل كبير في استدلال أهل السنة علىٰ عذاب البرزخ في القبور»[١].

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: مَرَّ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَىٰ قَبْرَيْنِ فَقَالَ: «**أَمَا إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ**[٢]**، أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَكَانَ لَا يَسْتَتِرُ مِنْ بَوْلِهِ**»[٣].

قـولــه: «فَأَمَّا الْفِتْنَةُ؛ فَإِنَّ النَّاسَ يُفْتَنُونَ فِي قُبُورِهِمْ»: يخرج منهم الأنبياء والصديقون والشهداء والمرابطون، ومن مات بالطاعون.

والدليل علىٰ أن الأنبياء لا يفتنون: أن الأنبياء أفضل من الشهداء، وقد أخبر الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن الشهداء لا يفتنون

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٧/ ١٤٦).

(٢) في كبير: أي أنه ليس بكبير في زعمهما، وقيل: إنه ليس بكبير تركه عليهما. [انظر: شرح صحيح مسلم (٣/ ٢٠١)].

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (١٣٦١)، ومسلم (٢٩٢).

في قبورهم فقال: «كَفَىٰ بِبَارِقَةِ السُّيُوفِ عَلَىٰ رَأْسِهِ فِتْنَةً»(١).

وكذا الصديقون لا يفتنون؛ لأنهم أعلىٰ مرتبة من الشهداء.

وأما المرابطون، فلقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**رِبَاطُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ خَيْرٌ مِنْ صِيَامِ شَهْرٍ وَقِيَامِهِ، وَإِنْ مَاتَ جَرَىٰ عَلَيْهِ عَمَلُهُ الَّذِي كَانَ يَعْمَلُهُ، وَأُجْرِيَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ، وَأَمِنَ الْفَتَّانَ**»(٢).

قوله: «فَيُقَالُ لِلرَّجُلِ»: أي يقول له الملكان، المنكر والنكير؛ لأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا فَرَغَ مِنْ دَفْنِ الْمَيِّتِ وَقَفَ عَلَيْهِ، فَقَالَ: «**اسْتَغْفِرُوا لِأَخِيكُمْ، وَسَلُوا لَهُ بِالتَّثْبِيتِ، فَإِنَّهُ الْآنَ يُسْأَلُ**»(٣).

قوله: «مَنْ رَبُّكَ؟»: أي من ربك الذي خلقك وتعبده وتخصه بالعبادة؟

قوله: «وَمَا دِينُكَ؟»: أي ما عملك الذي تدين به لله عَزَّ وَجَلَّ، وتتقرب به إليه؟

قوله: «وَمَنْ نَبِيُّكَ؟»: أي من النبي الذي تؤمن به، وتتبعه؟

قوله: «فَـ ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ﴾»: أي بشهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله(٤).

---

(١) **صحيح**: رواه النسائي في الصغرىٰ (٢٠٥٣)، والكبرىٰ (٢١٩١)، وصححه الألباني.

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (١٩١٣)، من حديث سلمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) **صحيح**: رواه أبو داود (٣٢٢١)، من حديث عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) **انظر**: تفسير الطبري (١٣/ ٦٥٧).

وعَنِ البَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «**إِذَا أُقْعِدَ المُؤْمِنُ فِي قَبْرِهِ أُتِيَ، ثُمَّ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ**: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ﴾[إبراهيم:٢٧]»[1].

قوله: «فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ: اللهُ رَبِّي، وَالْإِسْلَامُ دِينِي، وَمُحَمَّدٌ نَبِيِّي، وَأَمَّا الْمُرْتَابُ»: أي الشاك، والمنافق.

قوله: «فَيَقُولُ: آه آه! لَا أَدْرِي»: وفي بعض ألفاظ الحديث: «فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ هَاهْ، لَا أَدْرِي»[2]، وهي كلمة تقال عند التحير، والتوجع.

قوله: «سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئًا فَقُلْتُهُ، فَيُضْرَبُ بِمِرْزَبَةٍ مِنْ حَدِيدٍ»: أي يضرب الذي لم يُجب بمطرقة من حديد.

قوله: «فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا كُلُّ شَيْءٍ»: أي صياحا مسموعا، يسمعه كل شيء.

قوله: «إِلَّا الْإِنْسَانُ»: أي لا يسمع الإنسان هذا الصياح، كذلك الجن لا يسمعون ذلك.

قوله: «وَلَوْ سَمِعَهَا الْإِنْسَانُ؛ لَصُعِقَ»: أي لمات.

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (١٣٦٩)، ومسلم (٢٨٧١).

(٢) صحيح: رواه أبو داود (٤٧٥٣)، وأحمد (١٨٥٣٤)، وصححه الألباني.

عَـنِ الْبَـرَاءِ بْـنِ عَـازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَـالَ: خَرَجْنَـا مَـعَ رَسُـولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي جَنَازَةِ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَانْتَهَيْنَا إِلَىٰ الْقَبْرِ وَلَمَّا يُلْحَدْ، فَجَلَسَ رَسُـولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَجَلَسْـنَا حَوْلَـهُ كَأَنَّمَا عَلَىٰ رُؤُوسِـنَا الطَّيْرُ، وَفِي يَدِهِ عُودٌ يَنْكُتُ بِهِ فِي الْأَرْضِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: «**اسْتَعِيذُوا بِاللهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ**» مَرَّتَيْنِ، أَوْ ثَلَاثًا.

وَقَالَ: «**وَإِنَّهُ لَيَسْمَعُ خَفْقَ نِعَالِهِمْ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ حِينَ يُقَالُ لَهُ: يَا هَذَا، مَنْ رَبُّكَ وَمَا دِينُكَ وَمَنْ نَبِيُّكَ؟ وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّيَ اللهُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: دِينِيَ الْإِسْلَامُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هُوَ رَسُولُ اللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **فَيَقُولَانِ: وَمَا يُدْرِيكَ؟ فَيَقُولُ: قَرَأْتُ كِتَابَ اللهِ فَآمَنْتُ بِهِ وَصَدَّقْتُ، فَذَلِكَ قَوْلُ اللهِ** عَزَّ وَجَلَّ ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾[إبراهيم:٢٧]، **الْآيَةُ، فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: أَنْ قَدْ صَدَقَ عَبْدِي، فَأَفْرِشُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَىٰ الْجَنَّةِ، وَأَلْبِسُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، فَيَأْتِيهِ مِنْ رَوْحِهَا وَطِيبِهَا، وَيُفْتَحُ لَهُ فِيهَا مَدَّ بَصَرِهِ.**

وَإِنَّ الْكَافِرَ -فَذَكَرَ مَوْتَهُ- **وَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ، وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ هَاهْ، لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ، لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ، لَا أَدْرِي، فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: أَنْ كَذَبَ، فَأَفْرِشُوهُ مِنَ النَّارِ، وَأَلْبِسُوهُ مِنَ النَّارِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَىٰ النَّارِ،**

فَيَأْتِيهِ مِنْ حَرِّهَا وَسَمُومِهَا، وَيُضَيَّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّىٰ تَخْتَلِفَ فِيهِ أَضْلَاعُهُ، ثُمَّ يُقَيَّضُ لَهُ أَعْمَىٰ أَبْكَمُ مَعَهُ مِرْزَبَةٌ مِنْ حَدِيدٍ لَوْ ضُرِبَ بِهَا جَبَلٌ لَصَارَ تُرَابًا، فَيَضْرِبُهُ بِهَا ضَرْبَةً يَسْمَعُهَا مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ[(١)] فَيَصِيرُ تُرَابًا، ثُمَّ تُعَادُ فِيهِ الرُّوحُ»[(٢)].

وعَنْ أَسْمَاءَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالَ: «إِنَّهُ قَدْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّكُمْ تُفْتَنُونَ فِي الْقُبُورِ قَرِيبًا، أَوْ مِثْلَ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ، فَيُؤْتَىٰ أَحَدُكُمْ، فَيُقَالُ: مَا عِلْمُكَ بِهَذَا الرَّجُلِ؟ فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ، أَوِ الْمُوقِنُ، فَيَقُولُ: هُوَ مُحَمَّدٌ، هُوَ رَسُولُ اللهِ، جَاءَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ، فَأَجَبْنَا وَآمَنَّا وَاتَّبَعْنَا، ثَلَاثَ مِرَارٍ، فَيُقَالُ لَهُ: نَمْ، قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ إِنَّكَ لَتُؤْمِنُ بِهِ، فَنَمْ صَالِحًا، وَأَمَّا الْمُنَافِقُ، أَوِ الْمُرْتَابُ فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي، سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ: شَيْئًا، فَقُلْتُ»[(٣)].

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ العَبْدَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُ أَصْحَابُهُ، وَإِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ، أَتَاهُ مَلَكَانِ فَيُقْعِدَانِهِ، فَيَقُولَانِ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ لِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ، فَيَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، فَيُقَالُ لَهُ: انْظُرْ إِلَىٰ

---

(١) **الثقلين**: أي الجن، والإنس. [انظر: النهاية في غريب الحديث (١/ ٢١٧)].

(٢) **صحيح**: رواه أبو داود (٤٧٥٣)، وأحمد (١٨٥٣٤)، وصححه الألباني.

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٠٥٣)، ومسلم (٩٠٥).

مَقْعَدِكَ مِنَ النَّارِ قَدْ أَبْدَلَكَ اللهُ بِهِ مَقْعَدًا مِنَ الجَنَّةِ، فَيَرَاهُمَا جَمِيعًا، وَيُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ.

وَأَمَّا المُنَافِقُ وَالكَافِرُ، فَيُقَالُ لَهُ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ النَّاسُ، فَيُقَالُ: لَا دَرَيْتَ وَلَا تَلَيْتَ، وَيُضْرَبُ بِمَطَارِقَ مِنْ حَدِيدٍ ضَرْبَةً، فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ غَيْرَ الثَّقَلَيْنِ»[(١)].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا قُبِرَ المَيِّتُ - أَوْ قَالَ: أَحَدُكُمْ - أَتَاهُ مَلَكَانِ أَسْوَدَانِ أَزْرَقَانِ، يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا: المنْكَرُ، وَلِلْآخَرِ: النَّكِيرُ، فَيَقُولَانِ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَيَقُولُ: مَا كَانَ يَقُولُ: هُوَ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولَانِ: قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ هَذَا، ثُمَّ يُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعًا فِي سَبْعِينَ، ثُمَّ يُنَوَّرُ لَهُ فِيهِ، ثُمَّ يُقَالُ لَهُ، نَمْ، فَيَقُولُ: أَرْجِعُ إِلَىٰ أَهْلِي فَأُخْبِرُهُمْ، فَيَقُولَانِ: نَمْ كَنَوْمَةِ العَرُوسِ الَّذِي لَا يُوقِظُهُ إِلَّا أَحَبُّ أَهْلِهِ إِلَيْهِ، حَتَّىٰ يَبْعَثَهُ اللهُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ، وَإِنْ كَانَ مُنَافِقًا قَالَ: سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ، فَقُلْتُ مِثْلَهُ، لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ: قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ ذَلِكَ، فَيُقَالُ لِلأَرْضِ: التَئِمِي عَلَيْهِ، فَتَلْتَئِمُ عَلَيْهِ، فَتَخْتَلِفُ فِيهَا أَضْلَاعُهُ[(٢)]، فَلَا يَزَالُ فِيهَا مُعَذَّبًا حَتَّىٰ يَبْعَثَهُ اللهُ مِنْ مَضْجَعِهِ

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (١٣٧٤)، ومسلم (٢٨٧٠).

(٢) تختلف فيها أضلاعه: أي يدخل بعضها في بعض. [انظر: مرقاة المفاتيح، للقاري (٨/ ٣٣٥٥)].

ذَلِكَ»[١].

مسألة [١]: هل عذاب القبر لكل من مات وإن لم يُقبر؟

مذهب أهل السنة أن كل من مات وهو مستحق للعذاب سيناله نصيبه من عذاب القبر، سواء قُبر أو لم يُقبر، فلو أكلته السباع، أو أُحرق حتىٰ صار رمادا ونُسف في الهواء، أو صلب، أو غرق في البحر وصل إلىٰ روحه وبدنه من العذاب ما يصل إلىٰ القبور[٢].

مسألة [٢]: هل يمتحن من ليس مكلَّفا كالصغير والمجنون في قبره؟

اختلف العلماء فيمن ليس مكلفا كالصغير والمجنون هل يمتحن في قبره ويسأله المنكر والنكير؟ علىٰ قولين:

أحدهما: أنه يمتحن وهو قول أكثر أهل السنة.

لحديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّه صَلَّىٰ عَلَىٰ صَبِيٍّ لَمْ يَعْمَلْ خَطِيئَةً قَطُّ، فقَالَ: «**اللَّهُمَّ أَعِذْهُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ**»[٣]، وهذا يدل علىٰ أنه يفتن.

والثاني: أنه لا يمتحن في قبره.

لأن المحنة إنما تكون لمن يكلف في الدنيا[٤].

---

(١) حسن: رواه الترمذي (١٠٧١)، وحسنه الألباني.
(٢) انظر: الروح، لابن القيم، صـ(٥٨).
(٣) صحيح: رواه مالك في الموطأ (١/ ١٢٨)، وصححه الألباني في المشكاة (١٦٨٩).
(٤) انظر: مجموع الفتاوىٰ (٤/ ٢٨٠).

مسألة [٣]: هل الكفار يفتنون في قبورهم؟

اختلف أهل السنة في الكفار هل يُفتنون في قبورهم علىٰ قولين، والصحيح أنهم يفتنون؛ لعموم الأدلة في ذلك، ولحديث البراء، وأنس بن مالك المتقدمين[1].

مسألة [٤]: هل سؤال المنكر والنكير مختص بهذه الأمة، أو يكون عام لجميع الأمم؟

الصحيح من أقوال أهل العلم أن سؤال المنكر والنكير عام لجميع الأمم، وأنهم منعمون أو معذبون في قبورهم بعد السؤال لهم، وإقامة الحجة عليهم كما ينعَّمون أو يعذبون في الآخرة بعد السؤال وإقامة الحجة[2]؛ لأن خير الأمم وهي أمة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تفتن، فمن باب أولىٰ أن تفتن الأمم السابقة.

مسألة [٥]: هل يكون العذاب والنعيم علىٰ البدن والروح معا، أو علىٰ البدن بدون الروح؟

اختُلف في ذلك علىٰ ثلاثة أقوال:

القول الأول: العذاب والنعيم علىٰ الروح والبدن جميعا.

وهذا ثابت في الكتاب والسنة واتفاق أهل السنة والجماعة.

---

(١) **انظر**: الروح، لابن القيم، صـ (٨٣-٨٤).

(٢) السابق، صـ (٨٦-٨٧).

القول الثاني: الروح لا تنعم ولا تعذب بمفردها، وإنما الروح هي الحياة، ولا تبقىٰ بعد فراق البدن، وهذا قول باطل، وهو قول طوائف من أهل الكلام من المعتزلة، وأصحاب أبي الحسن الأشعري.

القول الثالث: لا يكون العذاب والنعيم في البرزخ، وإنما يكون عند القيام من القبور، وهذا قول شاذ، وهو قول كثير من أهل الكلام من المعتزلة وغيرهم[(١)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**اعلم أن مذهب سلف الأمة وأئمتها أن الميت إذا مات يكون في نعيم أو عذاب، وأن ذلك يحصل لروحه ولبدنه، وأن الروح تبقىٰ بعد مفارقة البدن منعمة أو معذبة، وأنها تتصل بالبدن أحيانا فيحصل له معها النعيم والعذاب، ثم إذا كان يوم القيامة الكبرىٰ أُعيدت الأرواح إلىٰ أجسادها وقاموا من قبورهم لرب العالمين، ومعاد الأبدان متفق عليه عند المسلمين واليهود والنصارىٰ، وهذا كله متفق عليه عند علماء الحديث والسنة**»[(٢)].

مسألة [٦]: هل العذاب والنعيم في القبر دائم، أو ينقطع؟

العذاب نوعان:

أحدهما: عذاب دائم، وهو عذاب الكفار، والمنافقين النفاق

---

(١) **انظر:** مجموع الفتاوىٰ (٤/ ٢٨٢-٢٨٤).

(٢) السابق (٤/ ٢٨٤).

الاعتقادي.

الآخر: عذاب ينقطع، وهو عذاب بعض العصاة الذين خفت جرائمهم، فيعذب بحسب جرمه، ثم يخفف عنه كما يعذب في النار مدة ثم يزول عنه العذاب.

وقد ينقطع عنه العذاب بدعاء، أو صدقة، أو استغفار، أو ثواب حج[١].

مسألة [٧]: الحكمة من عدم سماع الإنسان صياح المعذبين في قبورهم:

١- ما جاء في قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ هَـذِهِ الْأُمَّـةَ تُبْتَلَىٰ فِـي قُبُورِهَا، فَلَوْلَا أَنْ لَا تَـدَافَنُوا لَـدَعَوْتُ اللهَ أَنْ يُسْمِعَكُمْ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ الَّذِي أَسْمَعُ مِنْهُ**»[٢].

٢- سترًا للميت.

٣- عدم إزعاج أهله؛ لأن أهله إذا سمعوا ميتهم يعذب ويصيح؛ لم يستقر لهم قرار.

٤- عدم تخجيل أهله؛ لأن الناس يقولون: هذا ولدكم! هذا أبوكم! هذا أخوكم! وما أشبه ذلك.

---

(١) **انظر**: الروح، لابن القيم، صـ (٨٩).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٢٨٦٧)، من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

٥- لأن الإنسان قد يهلك؛ لأنها صيحة ليست هينة، بل صيحة توجب أن تسقط القلوب من معاليقها، فيموت الإنسان أو يغشىٰ عليه.

٦- ليميز الله المؤمن والكافر؛ لأن الإيمان باليوم الآخر غيبي، فلو اطلع الإنسان عليه صار شهادة[١].

مسألة [٨]: كيف يُوسَّع للميت في قبره؟

هذا من علم الغيب الذي يجب علينا أن نؤمن به دون أن نكيفه.

مسألة [٩]: عقيدة المعتزلة في القبر:

أنكرت المعتزلة عذاب القبر، ونعيمه، وسؤال الملكين؛ لأن العقل لا يمكنه إدراك ذلك.

---

(١) انظر: شرح العقيدة الواسطية، للشيخ ابن عثيمين (٢/ ١١٨).

[١ - أهوال موقف القيامة]

ثُمَّ بَعْدَ هَذِهِ الْفِتْنَةِ إِمَّا نَعِيمٌ، وَإِمَّا عَذَابٌ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ الْكُبْرَىٰ.

١٨١ - فَتُعَادُ الْأَرْوَاحُ إِلَىٰ الْأَجْسَادِ.

١٨٢ - وَتَقُومُ الْقِيَامَةُ الَّتِي أَخْبَرَ اللهُ تَعَالَىٰ بِهَا فِي كِتَابِهِ، وعَلَىٰ لِسَانِ رَسُولِهِ، وَأَجْمَعَ عَلَيْهَا الْمُسْلِمُونَ.

١٨٣ - فَيَقُومُ النَّاسُ مِنْ قُبُورِهِمْ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا.

١٨٤ - وَتَدْنُو مِنْهُمُ الشَّمْسُ.

١٨٥ - وَيُلْجِمُهُمُ الْعَرَقُ.

.... الشـــرح ....

قــولــه: «ثُمَّ بَعْدَ هَذِهِ الْفِتْنَةِ»: ثم للترتيب، وليست للتراخي؛ لأن الإنسان يعذب، أو ينعم فورا.

قــولــه: «إِمَّا نَعِيمٌ، وَإِمَّا عَذَابٌ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ الْكُبْرَىٰ»: أي التي تقوم علىٰ الناس جميعا، وسميت بذلك؛ لقيام الناس من قبورهم لرب العالمين.

أما القيامة الصغرىٰ فهي الموت، وهي قيامة خاصة بكل إنسان؛ فإن كل إنسان له قيامة؛ فمن مات؛ قامت قيامته.

ولم يتكلم المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن أشراط الساعة؛ لأنه يريد أن يتكلم

عن اليوم الآخر، وما أشراط الساعة إلا مجرد علامات وإنذارات لقرب قيام الساعة؛ ليستعد لها من يستعد.

قوله: «فَتُعَادُ الْأَرْوَاحُ إِلَىٰ الْأَجْسَادِ»: أي حين ينفخ إسرافيل في الصور.

قال تعالىٰ: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ۝٥١ قَالُواْ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَاۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ۝٥٢﴾[يس:٥١-٥٢].

وقال تعالىٰ: ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ۝٦٨﴾[الزُّمَر:٦٨].

والأرواح: جمع روح، وهي ما يحيا الإنسان به، ولا يعلم حقيقتها إلا الله، كما قال تعالىٰ: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ۝٨٥﴾[الإسراء:٨٥].

قوله: «وَتَقُومُ الْقِيَامَةُ الَّتِي أَخْبَرَ اللهُ تَعَالَىٰ بِهَا فِي كِتَابِهِ»: كما قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ۝١ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ۝٢﴾[الحج:١-٢].

وقال سبحانه: ﴿ٱلْحَآقَّةُ ۝١ مَا ٱلْحَآقَّةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ

﴿٣﴾[الحاقة:١-٣].

وقال تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ: ﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ۝١﴾[الواقعة:١].

قوله: «وعَلَىٰ لِسَانِ رَسُولِهِ»: كما في حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قَالَ: «يَجْمَعُ اللهُ النَّاسَ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، يُسْمِعُهُمُ الدَّاعِي، وَيَنْفُذُهُمُ البَصَرُ[1]، وَتَدْنُو الشَّمْسُ، فَيَبْلُغُ النَّاسَ مِنَ الغَمِّ، وَالكَرْبِ مَا لا يُطِيقُونَ، وَلَا يَحْتَمِلُونَ....»[2].

قوله: «وَأَجْمَعَ عَلَيْهَا الْمُسْلِمُونَ»: أي أجمع المسلمون إجماعا قطعيا علىٰ الإيمان باليوم الآخر، فمن أنكره فهو كافر.

قوله: «فَيَقُومُ النَّاسُ مِنْ قُبُورِهِمْ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ»: أي بَرهم، وفاجرهم، مؤمنهم، الكلُّ سواء.

قال تعالىٰ: ﴿أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦﴾ [المطففين:٤-٦].

قوله: «حُفَاةً»: أي لا نعال لهم.

قوله: «عُرَاةً»: أي لا ثياب عليهم.

قوله: «غُرْلًا»: أي غير مختونين، والغرل: جمع الأغرل، وهو

---

(١) يَنْفُذُهُمُ البَصَرُ: أي ينفذهم بصر الرحمن حتىٰ يأتي عليهم كلهم. [انظر: النهاية في غريب الحديث (٥/ ٩١)].

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٤٧١٢)، ومسلم (١٩٣).

الأقلف، أي غير المختون[(١)].

قال تعالىٰ: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ٧﴾[التغابن:٧].

وعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «**يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا**»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ النِّسَاءُ وَالرِّجَالُ جَمِيعًا يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ؟! قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يَا عَائِشَةُ الْأَمْرُ أَشَدُّ مِنْ أَنْ يَنْظُرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ**»[(٢)].

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «**إِنَّكُمْ مَحْشُورُونَ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا**»، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿كَمَا بَدَأۡنَآ أَوَّلَ خَلۡقٖ نُّعِيدُهُۥۚ وَعۡدًا عَلَيۡنَآۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ١٠٤﴾[الأنبياء:١٠٤][(٣)].

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا تُخَيِّرُوا بَيْنَ الأَنْبِيَاءِ، فَإِنَّ النَّاسَ يَصْعَقُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الأَرْضُ، فَإِذَا أَنَا بِمُوسَىٰ آخِذٌ بِقَائِمَةٍ مِنْ قَوَائِمِ العَرْشِ، فَلَا أَدْرِي أَكَانَ فِيمَنْ صَعِقَ، أَمْ حُوسِبَ بِصَعْقَةِ الأُولَىٰ؟**»[(٤)].

قوله: «وَتَدْنُو مِنْهُمُ الشَّمْسُ»: أي تقترب منهم مقدار مِيل.

---

(١) انظر: النهاية في غريب الحديث (٣/ ٣٦٢).
(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٦٥٢٧)، ومسلم (٢٨٥٩)، واللفظ له.
(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٣٣٤٩)، ومسلم (٢٨٦٠).
(٤) صحيح: رواه البخاري (٢٤١٢).

عنْ سُلَيْمِ بْنِ عَامِرٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي الْمِقْدَادُ بْنُ الْأَسْوَدِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «**تُدْنَىٰ الشَّمْسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْخَلْقِ، حَتَّىٰ تَكُونَ مِنْهُمْ كَمِقْدَارِ مِيلٍ**» - قَالَ سُلَيْمُ بْنُ عَامِرٍ: فَوَاللهِ مَا أَدْرِي مَا يَعْنِي بِالْمِيلِ؟ أَمَسَافَةَ الْأَرْضِ، أَمِ الْمِيلَ الَّذِي تُكْتَحَلُ بِهِ الْعَيْنُ - قَالَ: «**فَيَكُونُ النَّاسُ عَلَىٰ قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ فِي الْعَرَقِ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَىٰ كَعْبَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَىٰ رُكْبَتَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَىٰ حَقْوَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُلْجِمُهُ الْعَرَقُ إِلْجَامًا**» قَالَ: وَأَشَارَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِيَدِهِ إِلَىٰ فِيهِ[(١)].

قوله: «وَيُلْجِمُهُمُ الْعَرَقُ»: أي يصل إلىٰ أفواههم حتىٰ يصير موضع اللجام من الدابة، وهو الفم، فيمنعهم من الكلام، ويُستثنىٰ من ذلك الأنبياء.

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**يَعْرَقُ النَّاسُ يَوْمَ القِيَامَةِ حَتَّىٰ يَذْهَبَ عَرَقُهُمْ فِي الْأَرْضِ سَبْعِينَ ذِرَاعًا، وَيُلْجِمُهُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ آذَانَهُمْ**»[(٢)].

مسألة [١]: كم نفخة يُنفخ في الصور؟

اختلف أهل العلم في ذلك علىٰ قولين:

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٨٦٤).

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٦٥٣٢).

أحدهما: يُنفخ في الصور نفختان: نفخة الفزع، ونفخة الصعق.

القول الثاني: يُنفخ في الصور ثلاث نفخات.

١-نفخة الفزع: قال تعالىٰ: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾[النمل:٨٧].

٢، ٣- نفخة الصعق، والقيام: قال تعالىٰ: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾﴾[الزُّمَر:٦٨][١]، أي ينتظرون أمر الله فيهم.

واختلفوا في المستثنىٰ، فقيل: هم الشهداء؛ فإنهم أحياء عند ربهم يرزقون، وقيل غير ذلك[٢].

مسألة [٢]: هل الشمس تدنو من كل الناس؟

نعم؛ ولكن بعض الناس يكونون في ظل العرش، كما في حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ تَعَالَىٰ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: إِمَامٌ عَدْلٌ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي المَسَاجِدِ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللهِ، اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّىٰ لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ،**

---

(١) انظر: مجموع الفتاوىٰ (٤/ ٢٦٠-٢٦١).

(٢) انظر: تفسير البغوي (٦/ ١٨١، ٧/ ١٣١)، وتفسير ابن كثير (٦/ ٢١٦).

وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللهَ خَالِيًا، فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ»(١).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللهَ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: أَيْنَ الْمُتَحَابُّونَ بِجَلَالِي، الْيَوْمَ أُظِلُّهُمْ فِي ظِلِّي يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلِّي»(٢).

وعَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا أَوْ وَضَعَ عَنْهُ، أَظَلَّهُ اللهُ فِي ظِلِّهِ»(٣).

وفي رواية: «أَظَلَّهُ اللهُ فِي ظِلِّ عَرْشِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»(٤).

وعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْمُتَحَابُّونَ فِي اللهِ فِي ظِلِّ الْعَرْشِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ يَغْبِطُهُمْ بِمَكَانِهِمُ النَّبِيُّونَ وَالشُّهَدَاءُ»(٥).

والمراد إذا قام الناس لرب العالمين يوم القيامة، ودنت منهم الشمس، واشتد عليهم حرها، وأخذهم العرق، ولا ظل هناك لشيء إلا للعرش(٦).

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (١٤٢٣)، ومسلم (١٠٣١).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٥٦٦).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٣٠٠٦).

(٤) صحيح: رواه أحمد (٨٧١١)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٠٢٧).

(٥) صحيح: رواه أحمد (٢٢٧٨٢)، وصححه الألباني في التعليقات الحسان (٥٧٦).

(٦) انظر: شرح صحيح مسلم (٧/ ١٢١).

[٢ - نصب الموازين، ونشر الدواوين]

١٨٦ - وَتُنْصَبُ الْمَوَازِينُ، فَيُوزَنُ فِيهَا أَعْمَالُ الْعِبَادِ، ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَـٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾[المؤمنون:١٠٢-١٠٣].

١٨٧ - وَتُنْشَرُ الدَّوَاوِينُ، وَهِيَ صَحَائِفُ الْأَعْمَالِ، فَآخِذٌ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ، وَآخِذٌ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ، أَوْ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَكُلَّ إِنسَـٰنٍ أَلْزَمْنَـٰهُ طَـٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ كِتَـٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَـٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾﴾[الإسراء:١٣-١٤].

...............................الشرح...............................

قوله: «وَتُنْصَبُ الْمَوَازِينُ، فَيُوزَنُ فِيهَا أَعْمَالُ الْعِبَادِ»:

الموازين: جمع ميزان، وجمعت باعتبار الموزون، لا باعتبار عددها؛ لقوله تعالىٰ: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾[الأعراف:٨].

قوله: «﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾»: أي رجحت حسناته علىٰ سيئاته.

قوله: «﴿فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾﴾»: أي الفائزون الناجون من النار.

قوله: «﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾»: أي ثقلت سيئاته علىٰ حسناته.

قوله: «﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾»: أي خابوا وصاروا إلىٰ النار.

قوله: «﴿فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ١٠٣﴾»: أي ماكثون في النار أبدا.

قوله: «وَتُنْشَرُ»: أي تُفتح لقارئها.

قوله: «الدَّوَاوِينُ، وَهِيَ صَحَائِفُ الْأَعْمَالِ»: الدواوين جمع ديوان، وهو السِّجل الذي تكتب فيه الأعمال.

قوله: «فَآخِذٌ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ»: أي منهم من يأخذ كتاب أعماله بيمينه، وهو المؤمن.

قوله: «وَآخِذٌ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ، أَوْ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِهِ»: أي تغل يده اليمنىٰ إلىٰ عنقه، وتجعل يده الشمال وراء ظهره، فيؤتىٰ كتابه بشماله من وراء ظهره[1].

قوله: «كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ﴾»: أي عمله وما قُدِّر عليه فهو ملازمه أينما كان.

وأراد بالطائر ما قضىٰ الله عليه أنه عامله، وما هو صائر إليه من سعادة أو شقاوة، سُمي طائرا علىٰ عادة العرب فيما كانت تتفاءل

---

(١) انظر: تفسير البغوي (٨/ ٣٧٤).

وتتشاءم به من الطير[١].

وقيل: لأنه طار عنه يوم عمله، فلا يستطيع إرجاعه[٢].

قوله: «﴿فِي عُنُقِهِۦ﴾»: أي في رقبته يلزمه، ولا يفارقه حتىٰ يجازىٰ به، فهو لازم له لزوم القلادة في العنق[٣].

وخصَّ العنق؛ لأنه عضو لا نظير له في الجسد، ومن ألزم بشيء فيه فلا محيد له عنه[٤].

قوله: «﴿وَنُخۡرِجُ لَهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ كِتَٰبٗا يَلۡقَىٰهُ﴾»: أي نجمع له عمله كله في كتاب يعطاه يوم القيامة، إما بيمينه إن كان سعيدا، أو بشماله إن كان شقيا.

قوله: «﴿مَنشُورًا ١٣﴾»: أي مفتوحا يقرؤه هو وغيره، فيه جميع عمله من أول عمره إلىٰ آخره.

قوله: «﴿ٱقۡرَأۡ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفۡسِكَ ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكَ حَسِيبٗا ١٤﴾»: أي إنك تعلم أنك لم تُظلم، ولم يُكتب عليك غير ما عملت؛ لأنك ذكرت جميع ما كان منك، ولا ينسىٰ أحد شيئا مما كان منه، وكل أحد

---

(١) انظر: تفسير البغوي (٥/ ٨٢).

(٢) انظر: تفسير ابن كثير (٥/ ٥٠)، وفتح القدير (٣/ ٢٥٣).

(٣) انظر: التفسير الوسيط، للواحدي (٣/ ٩٩).

(٤) انظر: تفسير ابن كثير (٥/ ٥١).

يقرأ كتابه سواء كان كاتبًا أو أميًّا(١).

مسألة [١]: تفسير الميزان عند أهل السنة والمعتزلة:

أجمع أهل السنة علىٰ الإيمان بالميزان، وأن أعمال العباد توزن يوم القيامة، وأن الميزان له لسان وكفتان ويميل بالأعمال، وأنكرت المعتزلة الميزان، وقالوا: هو عبارة عن العدل، فخالفوا الكتاب والسنة؛ لأن الله أخبر أنه يضع الموازين لوزن الأعمال؛ ليرىٰ العباد أعمالهم مُمَثَّلَةً؛ ليكونوا علىٰ أنفسهم شاهدين(٢).

مسألة [٢]: الموزون يوم القيامة ثلاثة:

١- الأعمال:

تُوزن الأعْمَال في الميزان يوم القيامة، وإن كانت أعراضا إلا أن الله تعالىٰ يقلبها يوم القيامة أجساما.

رُوِيَ ذَلِكَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فَيُؤْتَىٰ بِالأَعْمَالِ الحَسَنَةِ عَلَىٰ صُورَةٍ حَسَنَةٍ، وَبِالأَعْمَالِ السَّيِّئَةِ عَلَىٰ صُورَةٍ قَبِيحَةٍ، فَتُوضَعُ فِي المِيزَانِ، وَالحِكْمَةُ فِي وَزْنِ الأَعْمَالِ امْتِحَانُ اللهِ عِبَادَهُ بِالإِيمَانِ فِي الدُّنْيَا، وَإِقَامَةُ الحُجَّةِ عَلَيْهِمْ فِي العُقْبَىٰ(٣).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**كَلِمَتَانِ**

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٥/ ٥١).

(٢) انظر: فتح الباري (١٣/ ٥٣٨).

(٣) انظر: تفسير البغوي (٣/ ٢١٥)، وفتح الباري (١٣/ ٥٣٩).

حَبِيبَتَانِ إِلَىٰ الرَّحْمَنِ، خَفِيفَتَانِ عَلَىٰ اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي المِيزَانِ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللهِ العَظِيمِ»[(١)].

وعن النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ الكِلَابِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «يُؤْتَىٰ بِالقُرْآنِ يَوْمَ القِيَامَةِ وَأَهْلِهِ الَّذِينَ كَانُوا يَعْمَلُونَ بِهِ تَقْدُمُهُ سُورَةُ البَقَرَةِ، وَآلُ عِمْرَانَ»[(٢)].

وعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَا مِنْ شَيْءٍ أَثْقَلُ فِي المِيزَانِ مِنْ حُسْنِ الخُلُقِ»[(٣)].

٢-الصحف.

تُوزن صحائف الأعمال يوم القيامة؛ لحديث عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ العَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللهَ سَيُخَلِّصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَىٰ رُؤُوسِ الخَلَائِقِ يَوْمَ القِيَامَةِ فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سِجِلًّا كُلُّ سِجِلٍّ مِثْلُ مَدِّ البَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ أَظَلَمَكَ كَتَبَتِي الحَافِظُونَ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: أَفَلَكَ عُذْرٌ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: بَلَىٰ إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً، فَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ اليَوْمَ، فَتَخْرُجُ بِطَاقَةٌ فِيهَا: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولُ: احْضُرْ وَزْنَكَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ مَا هَذِهِ البِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٧٥٦٣)، ومسلم (٢٦٩٤).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٨٢٥).

(٣) صحيح: رواه أبو داود (٤٧٤٩)، وأحمد (٦٩٩٤)، وصححه أحمد شاكر، والألباني.

السِّجِلَّاتِ، فَقَالَ: إِنَّكَ لَا تُظْلَمُ، فَتُوضَعُ السِّجِلَّاتُ فِي كَفَّةٍ، وَالبِطَاقَةُ فِي كَفَّةٍ، فَطَاشَتِ السِّجِلَّاتُ، وَثَقُلَتِ البِطَاقَةُ، فَلَا يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللهِ شَيْءٌ»[(١)].

٣-العامل نفسه:

يوزن كل عامل يوم القيامة؛ لحديث ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ كَانَ يَجْتَنِي سِوَاكًا مِنَ الأَرَاكِ، وَكَانَ دَقِيقَ السَّاقَيْنِ، فَجَعَلَتِ الرِّيحُ تَكْفَؤُهُ، فَضَحِكَ القَوْمُ مِنْهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مِمَّ تَضْحَكُونَ؟» قَالُوا: يَا نَبِيَّ اللهِ، مِنْ دِقَّةِ سَاقَيْهِ، فَقَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَهُمَا أَثْقَلُ فِي المِيزَانِ مِنْ أُحُدٍ»[(٢)].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّهُ لَيَأْتِي الرَّجُلُ العَظِيمُ[(٣)] السَّمِينُ يَوْمَ القِيَامَةِ، لَا يَزِنُ عِنْدَ اللهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ، وَقَالَ: اقْرَؤُوا، ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَزْنًا ١٠٥﴾[الكهف:١٠٥]»[(٤)].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «قد يمكن الجمع بين هذه الآثار[(٥)]

---

(١) صحيح: رواه الترمذي (٢٦٣٩)، وابن ماجه (٤٣٠٠)، وأحمد (٦٩٩٤)، وصححه أحمد شاكر، والألباني.

(٢) صحيح: رواه أحمد (٣٩٩١)، وصححه أحمد شاكر.

(٣) العظيم: أي في الجسم، وليس في الأعمال الصالحة. [انظر: مرقاة المفاتيح، للقاري (٨/ ٣٥٢٠)].

(٤) متفق عليه: رواه البخاري (٤٧٢٩)، ومسلم (٢٧٨٥).

(٥) أي الآثار الواردة في الموزون في الميزان.

بأن يكون ذلك كله صحيحا، فتارة توزن الأعمال، وتارة توزن محالها، وتارة يوزن فاعلها»[١].

مسألة [٣]: أصناف الناس من حيث أخذ صحائف أعمالهم:

قيل: إن الناس من حيث أخذ صحائف أعمالهم ثلاثة أصناف:

أحدها: من يأخذها بيمينه.

الثاني: من يأخذها بشماله.

الثالث: من يأخذها من وراء الظهر.

والصحيح الذي عليه أكثر المفسرين أن الذي يأخذها بشماله يأخذها من وراء ظهره[٢].

(١) **انظر:** تفسير ابن كثير (٣/ ٣٩٠).

(٢) **انظر:** شرح العقيدة الواسطية، للشيخ ابن عثيمين (٢/ ١٥٠).

[٣- الحساب]

١٨٨ - وَيُحَاسِبُ اللهُ الْخَلْقَ.

١٨٩ - وَيَخْلُو بِعَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ، فَيُقَرِّرُهُ بِذُنُوبِهِ كَمَا وُصِفَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.

١٩٠ - وَأَمَّا الْكُفَّارُ؛ فَلَا يُحَاسَبُونَ مُحَاسَبَةَ مَنْ تُوزَنُ حَسَنَاتُهُ بِسَيِّئَاتِهِ؛ فَإِنَّهُمْ لَا حَسَنَاتٍ لَهُمْ، وَلَكِنْ تُعَدُّ أَعْمَالُهُمْ، وَتُحْصَىٰ، فَيُوقَفُونَ عَلَيْهَا، وَيُقَرَّرُونَ بِهَا، وَيُجْزَوْنَ بِهَا.

.... الشــرح ....

قــولــه: «وَيُحَاسِبُ اللهُ الْخَلْقَ»: المحاسبة هي اطلاع العباد علىٰ أعمالهم يوم القيامة، أو هو تعريف الله عَزَّوَجَلَّ للخلق بمقادير الجزاء علىٰ أعمالهم، وتذكيرهم بما قد نسوه من ذلك.

ودل علىٰ ذلك قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ۝٢٥ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ۝٢٦﴾[الغاشية:٢٥-٢٦].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ۝٤﴾[المائدة:٤].

وقوله تعالىٰ: ﴿ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡۚ لَا ظُلۡمَ ٱلۡيَوۡمَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ۝١٧﴾[غافر:١٧].

وقوله تعالىٰ: ﴿فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوۡفَ يُحَاسَبُ

حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ۝٩ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ۝١٠ فَسَوْفَ يَدْعُواْ ثُبُورًا ۝١١ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ۝١٢﴾[الانشقاق:٧-١٢].

وعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ فِي بَعْضِ صَلَاتِهِ: «**اللهُمَّ حَاسِبْنِي حِسَابًا يَسِيرًا**»، فَلَمَّا انْصَرَفَ، قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللهِ، مَا الْحِسَابُ الْيَسِيرُ؟ قَالَ: «**أَنْ يَنْظُرَ فِي كِتَابِهِ فَيَتَجَاوَزَ عَنْهُ؛ إِنَّهُ مَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ يَوْمَئِذٍ يَا عَائِشَةُ هَلَكَ**»(١).

قوله: «وَيَخْلُو بِعَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ، فَيُقَرِّرُهُ بِذُنُوبِهِ كَمَا وُصِفَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ»: أي يتفضل الله عَزَّ وَجَلَّ علىٰ عباده بستره لذنوبهم يوم القيامة، ويغفر ذنوب من شاء منهم(٢).

فعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «**إِنَّ اللهَ يُدْنِي الْمُؤْمِنَ، فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ وَيَسْتُرُهُ، فَيَقُولُ: أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا، أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ أَيْ رَبِّ، حَتَّىٰ إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ، وَرَأَىٰ فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ هَلَكَ، قَالَ: سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ، فَيُعْطَىٰ كِتَابَ حَسَنَاتِهِ، وَأَمَّا الكَافِرُ وَالْمُنَافِقُونَ، فَيَقُولُ الأَشْهَادُ: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ**

(١) صحيح: رواه أحمد (٢٤٢١٥)، وصححه الألباني في المشكاة (٥٥٦٢).
(٢) انظر: فتح الباري (١٠/ ٤٨٨).

﴿١٨﴾ [هود:١٨]»[1].

قوله: «وَأَمَّا الْكُفَّارُ؛ فَلَا يُحَاسَبُونَ مُحَاسَبَةَ مَنْ تُوزَنُ حَسَنَاتُهُ بِسَيِّئَاتِهِ؛ فَإِنَّهُمْ لَا حَسَنَاتٍ لَهُمْ، وَلَكِنْ تُعَدُّ أَعْمَالُهُمْ، وَتُحْصَىٰ، فَيُوقَفُونَ عَلَيْهَا، وَيُقَرَّرُونَ بِهَا، وَيُجْزَوْنَ بِهَا»: لقوله تعالىٰ: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِندَهُ لَلْحُسْنَىٰ فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٠﴾﴾ [فُصِّلَت:٥٠].

مسألة [١]: هل الحساب عام لجميع الناس يوم القيامة؟

الحساب عامٌّ للجميع يوم القيامة إلا مَن استُثنوا في حديث عَرضِ الأمم على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليلةَ المعراج، لمَّا قيل له: «هَـذِهِ أُمَّتُكَ وَمَعَهُمْ سَبْعُونَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ، وَلَا عَذَابٍ»[2].

وقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «سَأَلْتُ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ فَوَعَدَنِي أَنْ يُدْخِلَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعِينَ أَلْفًا عَلَىٰ صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةِ الْبَدْرِ، فَاسْتَزَدْتُ، فَزَادَنِي مَعَ كُلِّ أَلْفٍ سَبْعِينَ أَلْفًا»[3].

مسألة [٢]: هل يحاسب الكفار يوم القيامة؟

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٢٤٤١).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٢٠)، من حديث بُرَيْدَةَ بْنِ حُصَيْبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٣) صحيح: رواه أحمد (٨٧٠٧)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وصححه أحمد شاكر، وقال الحافظ ابن حجر في الفتح (١١/ ٤١٠): «إسناده جيد».

اختلف أهل العلم في ذلك علىٰ قولين، وفصل الخطاب أن الحساب يراد به عرض أعمالهم عليهم، وتوبيخهم عليها، ويراد بالحساب موازنة الحسنات بالسيئات.

فإن أريد بالحساب المعنىٰ الأول، فلا ريب أنهم يحاسبون بهذا الاعتبار.

وإن أريد المعنىٰ الثاني، فإن قصد بذلك أن الكفار تبقىٰ لهم حسنات يستحقون بها الجنة فهذا خطأ ظاهر.

وإن أريد أنهم يتفاوتون في العقاب؛ فعقاب من كثرت سيئاته أعظم من عقاب من قلَّت سيئاته، ومن كان له حسنات خفف عنه العذاب كما أن أبا طالب أخف عذابا من أبي لهب، فإذا كان بعض الكفار عذابه أشد عذابا من بعض؛ لكثرة سيئاته وقلة حسناته كان الحساب لبيان مراتب العذاب لا لأجل دخولهم الجنة[(١)].

مسألة [٣]: هل الجنُّ يحاسبون يومَ القيامة؟

لا خلاف في أن كفار الجن في النار، واختُلف هل يدخل مؤمنهم الجنة، ويثابون علىٰ الطاعة؟ علىٰ أقوال، أحسنها: نعم، وهو قول الجمهور.

ومن الأدلة علىٰ ذلك:

---

(١) انظر: مجموع الفتاوىٰ (٤/ ٣٠٥-٣٠٦).

قوله تعالىٰ ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ۝٤٦﴾[الرحمن:٤٦] إلىٰ آخر السورة، والخطاب للجن والإنس، فامتن عليهم بجزاء الجنة ووصفها لهم، وشوَّقهم إليها، فدل علىٰ أنهم ينالون ما امتن به عليهم إذا آمنوا[1].

مسألة [٤]: هل تشمل المحاسبة البهائم؟

تُحشرُ البهائم يوم القيامة، وتعاد كما يعاد أهل التكليف من الآدميين، وكما يعاد الأطفال والمجانين، ومن لم تبلغه الدعوة، وعلىٰ هذا تظاهرت دلائل القرآن والسنة، وإذا ورد لفظُ الشرع ولم يمنعْ من إجرائه علىٰ ظاهره عقلٌ ولا شرعٌ وجب حمله علىٰ ظاهره.

قال الله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ۝٥﴾[التكوير:٥].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «**لَتُؤَدُّنَّ الْحُقُوقَ إِلَىٰ أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حَتَّىٰ يُقَادَ لِلشَّاةِ الْجَلْحَاءِ، مِنَ الشَّاةِ الْقَرْنَاءِ**»[2]. والجلحاء هي التي لا قرن لها.

وعَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَىٰ شَاتَيْنِ تَنْتَطِحَانِ، فَقَالَ: «**يَا أَبَا ذَرٍّ هَلْ تَدْرِي فِيمَ تَنْتَطِحَانِ؟**»، قَالَ: لَا، قَالَ: «**لَكِنَّ اللهَ يَدْرِي، وَسَيَقْضِي بَيْنَهُمَا**»[3].

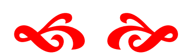
---

(١) انظر: الأشباه والنظائر، للسيوطي، صـ(٢٦١).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٥٨٢).

(٣) صحيح: رواه أحمد (٢١٤٣٨)، وصححه الألباني في الصحيحة (٤/ ١١٧).

قال العلماء: وليس من شرط الحشر والإعادة في القيامة المجازاة والعقاب والثواب، وأما القصاص من القرناء للجلحاء فليس هو من قصاص التكليف إذ لا تكليف عليها، بل هو قصاص مقابلة[١].



(١) انظر: شرح صحيح مسلم (١٦/ ١٣٦-١٣٧)، وبدائع الفوائد (٣/ ١٨٣).

[٤ - الحوض المورود]

١٩١ - وَفِي عَرَصَةِ الْقِيَامَةِ الْحَوْضُ الْمَوْرُودُ لِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

١٩٢ - مَاؤُهُ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَىٰ مِنَ الْعَسَلِ.

١٩٣ - طُولُهُ شَهْرٌ، وَعَرْضُهُ شَهْرٌ.

١٩٤ - آنِيَتُهُ عَدَيدَ نُجُومِ السَّمَاءِ.

١٩٥ - فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ شَرْبَةً؛ لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَهَا أَبَدًا.

.... الشـــرح ....

قـــولــــه: «وَفِـي عَرَصَـةِ الْقِيَامَـةِ الْحَـوْضُ الْمَـوْرُودُ لِمُحَمَّـدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»: أي الذي يرده الناس؛ ليشربوا منه شَربة لا يظمؤوا بعدها أبدا.

والحـوض: حـوض عظيـم يُعطاه النبـي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يـوم القيامـة، طوله شهر وعرضه شهر، تشرب منه أمته، لا يشـرب منـه أحـد غيـرهم، عدد آنيته كعدد نجوم السماء، مـاؤه أشـد بياضـا مـن اللبـن وأحلـىٰ مـن العسل، وأطيب من المسك، من شرب منه شَربة لـم يظمأ بعدها أبدا.

وأَحَادِيـثُ الحَـوْضِ صَـحِيحَةٌ متـواترةٌ، رواهَـا أربعـونَ صـحَابيًّا، وَالإِيمَانُ بِالحَوضِ فَرْضٌ وَالتَّصْدِيقُ بِهِ مِنَ الإِيمَانِ وَهُـوَ عَلَىٰ ظَاهِرِهِ

عِنْدَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ لَا يُتَأَوَّلُ وَلَا يُخْتَلَفُ فِيهِ[(١)].

وقد أجمع أهل السنة علىٰ إثبات الحوض، وأنكرته الخوارج، وبعض المعتزلة[(٢)].

ومن الأدلة علىٰ إثباته:

حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنَّ الرَّسولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «**فَإِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ بَعْدِي أَثَرَةً**[(٣)]**، فَاصْبِرُوا حَتَّىٰ تَلْقَوْنِي عَلَىٰ الحَوْضِ**»[(٤)].

وعَنْ عَبْدِ الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَىٰ الحَوْضِ**[(٥)]»[(٦)].

قوله: «مَاؤُهُ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَىٰ مِنَ الْعَسَلِ، طُولُهُ شَهْرٌ، وَعَرْضُهُ شَهْرٌ، آنِيَتُهُ عَدَدَ نُجُومِ السَّمَاءِ، فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ شَرْبَةً؛ لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَهَا أَبَدًا»: لقول الله تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١﴾[الكوثر:١].

---

(١) انظر: شرح صحيح مسلم (١٥/ ٥٣)، وحاشية ابن القيم علىٰ سنن أبي داود (١٣/ ٥٦).

(٢) انظر: فتح الباري (١١/ ٤٦٧).

(٣) أثرة: أي يفضل عليكم غيركم في الأموال. [انظر: شرح صحيح مسلم (١٢/ ٢٣٢)].

(٤) متفق عليه: رواه البخاري (٣١٦٣)، ومسلم (١٠٦١).

(٥) أنا فرطكم علىٰ الحوض: أي متقدمكم إليه. [انظر: النهاية في غريب الحديث (٣/ ٤٣٤)].

(٦) متفق عليه: رواه البخاري (٦٥٧٥)، ومسلم (٢٢٨٩).

وعَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَ: سَأَلْتُهَا عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١﴾ [الكوثر:١]، قَالَتْ: «**نَهَرٌ أُعْطِيَهُ نَبِيُّكُمْ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **شَاطِئَاهُ عَلَيْهِ دُرٌّ مُجَوَّفٌ، آنِيَتُهُ كَعَدَدِ النُّجُومِ**»[(١)].

وعَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ مَا آنِيَةُ الحَوْضِ؟ قَالَ: «**وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَآنِيَتُهُ أَكْثَرُ مِنْ عَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ وَكَوَاكِبِهَا، أَلَا فِي اللَّيْلَةِ المُظْلِمَةِ المُصْحِيَةِ**[(٢)]**، آنِيَةُ الجَنَّةِ**[(٣)] **مَنْ شَرِبَ مِنْهَا لَمْ يَظْمَأْ آخِرَ مَا عَلَيْهِ، يَشْخَبُ**[(٤)] **فِيهِ مِيزَابَانِ مِنَ الجَنَّةِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ، عَرْضُهُ مِثْلُ طُولِهِ، مَا بَيْنَ عَمَّانَ إِلَىٰ أَيْلَةَ، مَاؤُهُ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَىٰ مِنَ العَسَلِ**»[(٥)].

وعن عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ العَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ، وَزَوَايَاهُ سَوَاءٌ، وَمَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنَ الوَرِقِ، وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ المِسْكِ، وَكِيزَانُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ، فَمَنْ شَرِبَ**

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري (٤٩٦٥).

(٢) **في الليلة المظلمة المصحية**: خص الليلة المظلمة المصحية؛ لأن النجوم ترىٰ فيها أكثر، وأراد بالمظلمة التي لا قمر فيها مع أن النجوم طالعة؛ فإن وجود القمر يستر كثيرا من النجوم. [**انظر**: شرح صحيح مسلم (١٥/ ٦٠)].

(٣) **آنية الجنة**: ضبطه بعضهم برفع آنية، وبعضهم بنصبها، وهما صحيحان، فمن رفع فخبر مبتدأ محذوف، أي هي آنية الجنة، ومن نصب فبإضمار أعني، أو نحوه. [**انظر**: شرح صحيح مسلم (١٥/ ٦٠)].

(٤) **يشخب**: أي يسيل. [**انظر**: النهاية في غريب الحديث (٢/ ٤٥٠)].

(٥) **صحيح**: رواه مسلم (٢٣٠٠).

مِنْهُ فَلَا يَظْمَأُ بَعْدَهُ أَبَدًا»[١].

مسألة [١]: هل تشرب كلُّ أمة النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الحوض؟

يُذَادُ عن الحوض مَنْ بَدَّل، وغيَّر كما يذود الساقي الناقة الغريبة عن إبله إذا أرادت الشرب مع إبله[٢].

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**لَأَذُودَنَّ عَنْ حَوْضِي رِجَالًا كَمَا تُذَادُ الغَرِيبَةُ مِنَ الإِبِلِ**»[٣]، أي كما يذود الساقي الناقة الغريبة عن إبله إذا أرادت الشرب مع إبله[٤].

وعَنْ سَهْلٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «**أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَىٰ الحَوْضِ، مَنْ وَرَدَ شَرِبَ، وَمَنْ شَرِبَ لَمْ يَظْمَأْ أَبَدًا، وَلَيَرِدَنَّ عَلَيَّ أَقْوَامٌ أَعْرِفُهُمْ وَيَعْرِفُونِي، ثُمَّ يُحَالُ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ**»، وزاد أَبو سَعِيدٍ الخُدْرِيُّ أنَّ النَّبِيَّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «**إِنَّهُمْ مِنِّي**»، فَيُقَالُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا عَمِلُوا بَعْدَكَ، فَأَقُولُ: «**سُحْقًا سُحْقًا**[٥] **لِمَنْ بَدَّلَ بَعْدِي**»[٦].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**تَرِدُ**

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٢٩٢).
(٢) **انظر**: شرح صحيح مسلم (١٥/ ٦٤).
(٣) **صحيح**: رواه مسلم (٢٣٠٢).
(٤) **انظر**: شرح صحيح مسلم (١٥/ ٦٤).
(٥) **سحقا سحقا**: أي بعدا بعدا، والمكان السحيق البعيد، ونصب علىٰ تقدير ألزمهم الله سحقا، أو سحقهم سحقا. [**انظر**: شرح صحيح مسلم (٣/ ١٤٠)].
(٦) **متفق عليه**: رواه البخاري (٧٠٥٠)، ومسلم (٢٢٩٠).

عَلَيَّ أُمَّتِي الْحَوْضَ، وَأَنَا أَذُودُ النَّاسَ عَنْهُ، كَمَا يَذُودُ الرَّجُلُ إِبِلَ الرَّجُلِ عَنْ إِبِلِهِ» قَالُوا يَا نَبِيَّ اللهِ أَتَعْرِفُنَا؟ قَالَ: «نَعَمْ لَكُمْ سِيمَا لَيْسَتْ لِأَحَدٍ غَيْرِكُمْ تَرِدُونَ عَلَيَّ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ آثَارِ الْوُضُوءِ، وَلَيُصَدَّنَّ عَنِّي طَائِفَةٌ مِنْكُمْ فَلَا يَصِلُونَ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ هَؤُلَاءِ مِنْ أَصْحَابِي، فَيُجِيبُنِي مَلَكٌ، فَيَقُولُ: وَهَلْ تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ؟[1]»[2].

ظَاهِرِ هَذَين الحَدِيثينِ أَنَّ جَمِيعَ الأُمَّةِ يَشْرَبُ مِنْهُ إِلَّا مَنِ ارْتَدَّ،

---

(١) اختلف العلماء في المراد به علىٰ أقوال:

أحدها: أن المراد به المنافقون والمرتدون، فيجوز أن يحشروا بالغرة والتحجيل، فيناديهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للسيما التي عليهم، فيقال: ليس هؤلاء مما وعدت بهم؛ إن هؤلاء بدلوا بعدك، أي لم يموتوا علىٰ ما ظهر من إسلامهم.

الثاني: أن المراد من كان في زمن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم ارتد بعده فيناديهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وإن لم يكن عليهم سيما الوضوء؛ لما كان يعرفه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حياته من إسلامهم، فيقال: ارتدوا بعدك.

الثالث: أن المراد به أصحاب المعاصي والكبائر الذين ماتوا علىٰ التوحيد، وأصحاب البدع الذين لم يخرجوا ببدعتهم عن الإسلام، ولا يمتنع أن يكون لهم غرة وتحجيل.

وعلىٰ هذا القول لا يقطع لهؤلاء الذين يذادون بالنار، بل يجوز أن يزادوا عقوبة لهم، ثم يرحمهم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فيدخلهم الجنة بغير عذاب.

ويحتمل أن يكون كانوا في زمن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وبعده لكن عرفهم بالسيما.

قال الإمام الحافظ ابن عبد البر رَحِمَهُ اللَّهُ: كل من أحدث في الدين فهو من المطرودين عن الحوض كالخوارج والروافض وسائر أصحاب الأهواء، وكذلك الظلمة المسرفون في الجور، وطمس الحق، والمعلنون بالكبائر، وكل هؤلاء يخاف عليهم أن يكونوا ممن عنوا بهذا الخبر. [انظر: شرح صحيح مسلم (٣/ ١٣٦-١٣٧)].

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٤٧).

وَصَارَ كَافِرًا[١].

وعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَيَرِدَنَّ عَلَيَّ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِي الحَوْضَ، حَتَّىٰ عَرَفْتُهُمْ اخْتُلِجُوا[٢] دُونِي، فَأَقُولُ: أَصْحَابِي، فَيَقُولُ: لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ»[٣].

واسم التبديل يشمل صنفين:

أحدهما: عصاة مرتدون عن الاستقامة لا عن الإسلام، وهؤلاء مبدِّلون للأعمال الصالحة بالسيئة.

والثاني: مرتدون إلىٰ الكفر حقيقة ناكصون علىٰ أعقابهم[٤].

مسألة [٢]: هل لكل نبي حوض يوم القيامة؟

نعم لكل نبي حوض يوم القيامة؛ لحديث سَمُرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوْضًا، وَإِنَّهُمْ يَتَبَاهَوْنَ أَيُّهُمْ أَكْثَرُ وَارِدَةً، وَإِنِّي أَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ وَارِدَةً»[٥].

مسألة [٣]: هل الحوض يكون قبل الصراط، أو بعده؟

---

(١) **انظر**: شرح صحيح مسلم (١٥/ ٥٤).

(٢) **اختلجوا**: أي اقتطعوا. [**انظر**: شرح صحيح مسلم (١٥/ ٦٤)].

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦٥٨٢)، ومسلم (٢٣٠٤).

(٤) **انظر**: شرح صحيح مسلم (١٥/ ٦٤-٦٥).

(٥) **صحيح**: رواه الترمذي (٢٤٤٣)، وصححه ابن حجر في الفتح (١١/ ٤٦٧)، والألباني في صحيح الجامع (٢١٥٦).

الصحيح من أقوال أهل العلم أن حوض النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبل الصراط؛ لأنه يذاد عنه أقوام يقال عنهم: إنهم لم يزالوا يرتدون علىٰ أدبارهم، وأعقابهم منذ فارقتهم، فإن كان هؤلاء كفارا فالكافر لا يجاوز الصراط، بل يكب علىٰ وجهه في النار قبل أن يجاوزه.

ثم من جاوز الصراط لا يكون إلا ناجيا مسلَّمًا، فمثل هذا لا يحجب عن الحوض(١).

مسألة [٤]: هل الحوض قبل الميزان، أو بعده؟

اختلف أهل العلم في الميزان والحوض أيهما قبل الآخر علىٰ قولين:

أحدهما: الميزان قبل الحوض.

القول الثاني: الحوض قبل الميزان، وهو الصحيح؛ لأن الناس يخرجون عطاشًا من قبورهم، فيقدم قبل الميزان(٢).

---

(١) **انظر**: المستدرك علىٰ مجموع الفتاوىٰ (١/ ١٠٤)، والبداية والنهاية، لابن كثير (١٩/ ٤٦٩-٤٧٠).

(٢) **انظر**: التذكرة، للقرطبي، صـ (٧٠٣).

[٥ - الصراط، ودخول الجنة]

١٩٦ - وَالصِّرَاطُ مَنْصُوبٌ عَلَىٰ مَتْنِ جَهَنَّمَ.

١٩٧ - وَهُوَ الْجِسْرُ الَّذِي بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ.

١٩٨ - يَمُرُّ النَّاسُ عَلَيْهِ عَلَىٰ قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ:

- فَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَلَمْحِ الْبَصَرِ.
- وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَالْبَرْقِ.
- وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَالرِّيحِ.
- وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَالْفَرَسِ الْجَوَادِ.
- وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَرِكَابِ الْإِبِلِ.
- وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْدُو عَدْوًا.
- وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي مَشْيًا.
- وَمِنْهُمْ مَنْ يَزْحَفُ زَحْفًا.
- وَمِنْهُمْ مَنْ يُخْطَفُ فَيُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ؛ فَإِنَّ الْجِسْرَ عَلَيْهِ كَلَالِيبُ تَخْطَفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ.

١٩٩ - فَمَنْ مَرَّ عَلَىٰ الصِّرَاطِ دَخَلَ الْجَنَّةَ.

٢٠٠ - فَإِذَا عَبَرُوا عَلَيْهِ وُقِفُوا عَلَىٰ قَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ؛ فَيُقْتَصُّ

لِبَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ، فَإِذَا هُذِّبُوا وَنُقُّوا؛ أُذِنَ لَهُمْ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ.

٢٠١- وَأَوَّلُ مَنْ يَسْتَفْتِحُ بَابَ الْجَنَّةِ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

٢٠٢- وَأَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنَ الْأُمَمِ أُمَّتُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

الشـــرح

قـــولـــه: «وَالصِّرَاطُ مَنْصُوبٌ عَلَىٰ مَتْنِ جَهَنَّمَ»: أي علىٰ ظهر جهنم.

الصراط في اللغة: الطريق الواضح، علىٰ وزن فِعال بمعنىٰ مفعول، كغِراس بمعنىٰ مغروس(١).

ومن الأدلة علىٰ إثبات الصراط:

قول الله تعالىٰ: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾[مريم:٧١]، والأظهر والأقوىٰ أن الورود هو المرور علىٰ الصراط(٢).

وقول الله تعالىٰ: ﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَـٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّـٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝١٢ يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلْمُنَـٰفِقَـٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ

---

(١) انظر: تهذيب اللغة، مادة «صرط».

(٢) انظر: شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز الحنفي (٢/ ٦٣٤).

ٱلرَّحۡمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلۡعَذَابُ ١٣ يُنَادُونَهُمۡ أَلَمۡ نَكُن مَّعَكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمۡ فَتَنتُمۡ أَنفُسَكُمۡ وَتَرَبَّصۡتُمۡ وَٱرۡتَبۡتُمۡ وَغَرَّتۡكُمُ ٱلۡأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمۡرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ١٤﴾[الحديد:١٢-١٤].

وعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّهَا ذَكَرَتِ النَّارَ فَبَكَتْ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَا يُبْكِيكِ؟**» قَالَتْ: ذَكَرْتُ النَّارَ فَبَكَيْتُ، فَهَلْ تَذْكُرُونَ أَهْلِيكُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَمَّا فِي ثَلَاثَةِ مَوَاطِنَ فَلَا يَذْكُرُ أَحَدٌ أَحَدًا: عِنْدَ المِيزَانِ حَتَّىٰ يَعْلَمَ أَيَخِفُّ مِيزَانُهُ، أَوْ يَثْقُلُ، وَعِنْدَ الكِتَابِ حِينَ يُقَالُ:** ﴿فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقۡرَءُواْ كِتَٰبِيَهۡ ١٩﴾[الحاقة:١٩] **حَتَّىٰ يَعْلَمَ أَيْنَ يَقَعُ كِتَابُهُ أَفِي يَمِينِهِ، أَمْ فِي شِمَالِهِ، أَمْ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِهِ؟ وَعِنْدَ الصِّرَاطِ إِذَا وُضِعَ بَيْنَ ظَهْرَيْ جَهَنَّمَ**»[1].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ أُنَاسٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَلْ نَرَىٰ رَبَّنَا يَوْمَ القِيَامَةِ؟

فَقَالَ: «**هَلْ تُضَارُّونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ**».

قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللهِ.

قَالَ: «**هَلْ تُضَارُّونَ فِي القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ لَيْسَ دُونَهُ سَحَابٌ**».

قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللهِ.

---

(١) صحيح: رواه أبو داود (٤٧٥٥)، والترمذي (٢٢٣٥)، وصححه الألباني.

قَالَ: «فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ كَذَلِكَ، يَجْمَعُ اللهُ النَّاسَ.

فَيَقُولُ: مَنْ كَانَ يَعْبُدُ شَيْئًا فَلْيَتَّبِعْهُ، فَيَتْبَعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الشَّمْسَ، وَيَتْبَعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ القَمَرَ، وَيَتْبَعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الطَّوَاغِيتَ، وَتَبْقَىٰ هَذِهِ الأُمَّةُ فِيهَا مُنَافِقُوهَا، فَيَأْتِيهِمُ اللهُ فِي غَيْرِ الصُّورَةِ الَّتِي يَعْرِفُونَ.

فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ.

فَيَقُولُونَ: نَعُوذُ بِاللهِ مِنْكَ، هَذَا مَكَانُنَا حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا رَبُّنَا، فَإِذَا أَتَانَا رَبُّنَا عَرَفْنَاهُ، فَيَأْتِيهِمُ اللهُ فِي الصُّورَةِ الَّتِي يَعْرِفُونَ.

فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبُّنَا فَيَتْبَعُونَهُ، وَيُضْرَبُ جِسْرُ جَهَنَّمَ».

قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُجِيزُ، وَدُعَاءُ الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ: اللهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ، وَبِهِ كَلالِيبُ مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ، أَمَا رَأَيْتُمْ شَوْكَ السَّعْدَانِ؟».

قَالُوا: بَلَىٰ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «فَإِنَّهَا مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ، غَيْرَ أَنَّهَا لَا يَعْلَمُ قَدْرَ عِظَمِهَا إِلَّا اللهُ، فَتَخْطَفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ، مِنْهُمُ المُوبَقُ بِعَمَلِهِ، وَمِنْهُمُ المُخَرْدَلُ[1]، ثُمَّ يَنْجُو»[2].

واتفقت كلمة أهل السنة والجماعة علىٰ إثبات الصراط في الجملة،

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٦٥٧٣).

(٢) المخردل: أي المرمي المصروع، وقيل: المقطع، تقطعه كلاليب الصراط حتىٰ يهوي في النار. [انظر: النهاية في غريب الحديث (٢/ ٢٠)].

لكن أهل الحق يثبتونه علىٰ ظاهره من كونه جسرا ممدودا علىٰ متن جهنم أحدُّ من السيف، وأدقُّ من الشعر[1].

قوله: «وَهُوَ الْجِسْرُ الَّذِي بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ»: ورد أنه أَدَقُّ مِنَ الشَّعْرَةِ، وَأَحَدُّ مِنَ السَّيْفِ[2].

قوله: «يَمُرُّ النَّاسُ عَلَيْهِ عَلَىٰ قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ: فَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَلَمْحِ الْبَصَرِ»: أي كغمض العين بعد انتباهها.

قوله: «وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَالْبَرْقِ»: أي كسرعة البرق.

قوله: «وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَالرِّيحِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَالْفَرَسِ الْجَوَادِ»: أي الفائق في السرعة.

قوله: «وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَرِكَابِ الْإِبِلِ»: أي التي تحمل الناس.

قوله: «وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْدُو عَدْوًا»: أي يسرع.

قوله: «وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي مَشْيًا، وَمِنْهُمْ مَنْ يَزْحَفُ زَحْفًا»: أي يمشي علىٰ مقعدته.

قوله: «وَمِنْهُمْ مَنْ يُخطَفُ فَيُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ؛ فَإِنَّ الْجِسْرَ عَلَيْهِ كَلَالِيبُ تَخْطَفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ»: أي تأخذهم بسرعة بسبب أعمالهم السيئة، وقيل: علىٰ قدرها.

---

(١) **انظر**: لوامع الأنوار البهية (٢/ ١٩٢).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (١٨٣).

وكلاليب: جمع كَلُّوب، وهو حديدة معطوفة الرأس يعلق فيها اللحم وترسل في التنور[(١)].

قوله: «فَمَنْ مَرَّ عَلَىٰ الصِّرَاطِ دَخَلَ الْجَنَّةَ»: لأنه نجا من النار باجتيازه الصراط.

فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال: «.... **ثُمَّ يُؤْتَىٰ بِالجَسْرِ فَيُجْعَلُ بَيْنَ ظَهْرَيْ جَهَنَّمَ**»، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا الجَسْرُ؟ قَالَ: «**مَدْحَضَةٌ مَزِلَّةٌ**[(٢)]**، عَلَيْهِ خَطَاطِيفُ وَكَلَالِيبُ، وَحَسَكَةٌ**[(٣)] **مُفَلْطَحَةٌ**[(٤)] **لَهَا شَوْكَةٌ عُقَيْفَاءُ**[(٥)]**، تَكُونُ بِنَجْدٍ، يُقَالُ لَهَا: السَّعْدَانُ، المُؤْمِنُ عَلَيْهَا كَالطَّرْفِ**[(٦)]**، وَكَالبَرْقِ، وَكَالرِّيحِ، وَكَأَجَاوِيدِ الخَيْلِ وَالرِّكَابِ، فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ، وَنَاجٍ مَخْدُوشٌ، وَمَكْدُوسٌ**[(٧)] **فِي نَارِ جَهَنَّمَ، حَتَّىٰ يَمُرَّ آخِرُهُمْ يُسْحَبُ سَحْبًا**»[(٨)].

---

(١) **انظر:** شرح صحيح مسلم (٣/ ٢١).

(٢) **مدحضة مزلة:** أي تزلق فيه الأقدام، والمزلة: مفعلة من زل يزل إذا زلق. [**انظر:** النهاية في غريب الحديث (٢/ ٣١٠)، وفتح الباري (١١/ ٤٥٤)].

(٣) **حسكة:** هي شوكة صلبة معروفة. [**انظر:** النهاية في غريب الحديث (١/ ٣٨٦)].

(٤) **مفلطحة:** أي عريضة متسعة. [**انظر:** النهاية في غريب الحديث (١/ ٤٧١)].

(٥) **عقيفاء:** أي حديدة قد لوي طرفها، وفيها انحناء. [**انظر:** القاموس المحيط، مادة «عقف»].

(٦) **كالطرف:** أي كلمح البصر. [**انظر:** عمدة القاري، للعيني (٢٥/ ١٣٠)].

(٧) **مكدوس:** أي مدفوع من ورائه. [**انظر:** النهاية في غريب الحديث (٤/ ١٥٥)].

(٨) **صحيح:** رواه البخاري (٧٤٣٩).

وعَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «... وَتُرْسَلُ الأَمَانَةُ وَالرَّحِمُ، فَتَقُومَانِ جَنَبَتَي الصِّرَاطِ يَمِينًا وَشِمَالًا، فَيَمُرُّ أَوَّلُكُمْ كَالبَرْقِ» قَالَ: قُلْتُ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي أَيُّ شَيْءٍ كَمَرِّ البَرْقِ؟ قَالَ: «أَلَمْ تَرَوْا إِلَىٰ البَرْقِ كَيْفَ يَمُرُّ وَيَرْجِعُ فِي طَرْفَةِ عَيْنٍ؟ ثُمَّ كَمَرِّ الرِّيحِ، ثُمَّ كَمَرِّ الطَّيْرِ، وَشَدِّ الرِّجَالِ، تَجْرِي بِهِمْ أَعْمَالُهُمْ وَنَبِيُّكُمْ قَائِمٌ عَلَىٰ الصِّرَاطِ يَقُولُ: رَبِّ سَلِّمْ سَلِّمْ، حَتَّىٰ تَعْجِزَ أَعْمَالُ العِبَادِ، حَتَّىٰ يَجِيءَ الرَّجُلُ فَلَا يَسْتَطِيعُ السَّيْرَ إِلَّا زَحْفًا، وَفِي حَافَتَيِ الصِّرَاطِ كَلَالِيبُ مُعَلَّقَةٌ مَأْمُورَةٌ بِأَخْذِ مَنْ أُمِرَتْ بِهِ، فَمَخْدُوشٌ نَاجٍ، وَمَكْدُوسٌ فِي النَّارِ»[1].

قوله: «فَإِذَا عَبَرُوا عَلَيْهِ وُقِفُوا عَلَىٰ قَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ؛ فَيُقْتَصُّ لِبَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ»: أي يجري بينهم القصاص في المظالم، فيؤخذ للمظلوم من الظالم، وهذا غير القصاص الأول الذي في عرصات القيامة.

القنطرة: هي الجسر، لكنها جسر صغير.

قوله: «فَإِذَا هُذِّبُوا وَنُقُّوا؛ أُذِنَ لَهُمْ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ»: أي إذا نُقُّوا وصُفُّوا من الذنوب، بأداء ما عليهم من الحقوق إلىٰ أصحابها، أو يرضيهم الله سبحانه بكرمه ولطفه مما عنده.

لقوله تعالىٰ: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ

---

(١) صحيح: رواه مسلم (١٩٥).

مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾ [الحجر:٤٧].

وعن أَبي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَخْلُصُ المُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ، فَيُحْبَسُونَ عَلَىٰ قَنْطَرَةٍ بَيْنَ الجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيُقَصُّ لِبَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ مَظَالِمُ كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا، حَتَّىٰ إِذَا هُذِّبُوا وَنُقُّوا أُذِنَ لَهُمْ فِي دُخُولِ الجَنَّةِ، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَأَحَدُهُمْ أَهْدَىٰ بِمَنْزِلِهِ فِي الجَنَّةِ مِنْهُ بِمَنْزِلِهِ كَانَ فِي الدُّنْيَا»[(١)].

وفي لفظ: «إِذَا خَلَصَ المُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ حُبِسُوا بِقَنْطَرَةٍ بَيْنَ الجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيَتَقَاصُّونَ مَظَالِمَ كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا حَتَّىٰ إِذَا نُقُّوا وَهُذِّبُوا، أُذِنَ لَهُمْ بِدُخُولِ الجَنَّةِ»[(٢)].

واختلف العلماء في القنطرة علىٰ قولين:

أحدهما: هي من تتمة الصراط وهي طرفه الذي يلي الجنة.

الثاني: جسر صغير بعد الصراط.

والصحيح القول الثاني؛ لظاهر النصوص؛ كما في قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا خَلَصَ المُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ» أي نَجوا من السقوط فيها بعد ما جازوا علىٰ الصراط[(٣)].

قوله: «وَأَوَّلُ مَنْ يَسْتَفْتِحُ بَابَ الْجَنَّةِ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»: أي

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٦٥٣٥).

(٢) صحيح: رواه البخاري (٢٤٤٠).

(٣) انظر: فتح الباري (١١/ ٣٩٩).

أول من يحرِّك حلقها طالبا أن يفتح له بابها؛ لحديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**آتِي بَابَ الجَنَّةِ يَوْمَ القِيَامَةِ فَأَسْتَفْتِحُ، فَيَقُولُ الخَازِنُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَأَقُولُ: مُحَمَّدٌ، فَيَقُولُ: بِكَ أُمِرْتُ لَا أَفْتَحُ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ**»[(١)].

والاستفتاح: طلب الفتح، وفي هذا تشريف للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله: «وَأَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنَ الْأُمَمِ أُمَّتُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»: ذلك لفضلها علىٰ بقية الأمم، لحديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**نَحْنُ الْآخِرُونَ الْأَوَّلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَنَحْنُ أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ**»[(٢)].

مسألة: الصراط عند المعتزلة:

أَوَّل كثير من المعتزلة الصراط بأنه طريق الجنة وطريق النار، وهذا باطل؛ لمخالفته ظواهر النصوص.



---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (١٩٧).
(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٨٥٥).

[٦ - الشفاعة]

٢٠٣- وَلَهُ فِي الْقِيَامَةِ ثَلَاثُ شَفَاعَاتٍ:

٢٠٤- أَمَّا الشَّفَاعَةُ الْأُولَىٰ: فَيُشَفَّعُ فِي أَهْلِ الْمَوْقِفِ، حَتَّىٰ يُقْضَىٰ بَيْنَهُمْ بَعْدَ أَنْ يَتَرَاجَعَ الْأَنْبِيَاءُ: آدَمُ وَنُوحٌ وَإِبْرَاهِيمُ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ ابْنُ مَرْيَمَ -عليهِمْ مِنَ اللهِ السلامُ- الشَّفَاعَةَ حَتَّىٰ تَنْتَهِيَ إِلَيْهِ.

٢٠٥- وَأَمَّا الشَّفَاعَةُ الثَّانِيَةُ: فَيَشْفَعُ فِي أَهْلِ الْجَنَّةِ أَنْ يَدْخُلُوا الْجَنَّةَ.

وَهَاتَانِ الشَّفَاعَتَانِ خَاصَّتَانِ لَهُ.

٢٠٦- وَأَمَّا الشَّفَاعَةُ الثَّالِثَةُ: فَيَشْفَعُ فِيمَنْ اسْتَحَقَّ النَّارَ، وَهَذِهِ الشَّفَاعَةُ لَهُ وَلِسَائِرِ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَغَيْرِهِمْ.

- يَشْفَعُ فِيمَنْ اسْتَحَقَّ النَّارَ أَنْ لَا يَدْخُلَهَا.
- وَيَشْفَعُ فِيمَنْ دَخَلَهَا أَنْ يَخْرُجَ مِنْهَا.

٢٠٧- وَيُخْرِجُ اللهُ تَعَالَىٰ مِنَ النَّارِ أَقْوَامًا بِغَيْرِ شَفَاعَةٍ، بَلْ بِفَضْلِ اللهِ وَرَحْمَتِهِ.

٢٠٨- وَيَبْقَىٰ فِي الْجَنَّةِ فَضْلٌ عَمَّنْ دَخَلَهَا مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا.

٢٠٩- فَيُنْشِئُ اللهُ لَهَا أَقْوَامًا، فَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ.

.... الشـــرح ....

قــولـــه: «وَلَـهُ فِـي الْقِيَامَـةِ ثَـلَاثُ شَـفَاعَاتٍ»: أي للنبـي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، واللام للاستحقاق.

والشـفاعة في اللغـة: مـأخوذة مـن الشـفع، والشـفع خـلاف الـوتر؛ تقول: كان فردا فَشَفَعْتُهُ[1].

وفي الشرع: هي سؤال الخير للغير[2].

قــولــه: «أَمَّا الشَّفَاعَةُ الْأُولَىٰ: فَيُشَفَّعُ فِي أَهْلِ الْمَوْقِفِ حَتَّىٰ يُقْضَىٰ بَيْنَهُمْ»: هذه الشفاعة العظمىٰ، وهي المقام المحمود.

قــولــه: «بَعْدَ أَنْ يَتَرَاجَعَ الْأَنْبِيَاءُ: آدَمُ وَنُوحٌ وَإِبْرَاهِيمُ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ ابْنُ مَرْيَمَ -عليهمْ مِنَ اللهِ السلامُ- الشَّفَاعَةَ حَتَّىٰ تَنْتَهِيَ إِلَيْهِ»: أي يـرد الشـفاعة العظمـىٰ كـل نبـي مـن الأنبيـاء المـذكورين حتـىٰ يـأتي الناس النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيشفع فيهم.

فعَنْ أَبِي هُرَيْـرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُـولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَـالَ: «أَنَـا سَـيِّدُ النَّاسِ يَـوْمَ القِيَامَـةِ، وَهَـلْ تَـدْرُونَ مِـمَّ ذَلِـكَ؟ يَجْمَـعُ اللهُ النَّـاسَ الأَوَّلِـينَ وَالآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، يُسْمِعُهُمُ الدَّاعِي، وَيَنْفُذُهُمُ البَصَرُ[3]، وَتَدْنُو الشَّمْسُ، فَيَبْلُغُ النَّاسَ مِنَ الغَمِّ، وَالكَرْبِ مَا لَا يُطِيقُونَ، وَلَا يَحْتَمِلُونَ.

---

(١) انظر: مقاييس اللغة، مادة «شفع».

(٢) انظر: لوامع الأنوار البهية (٢/ ٢٠٤).

(٣) يَنْفُـذُهُمُ البَصَـرُ: أي ينفـذهم بصـر الـرحمن حتـىٰ يـأتي علـيهم كلهـم. [انظـر: النهايـة في غريب الحديث (٥/ ٩١)].

فَيَقُولُ النَّاسُ: أَلَا تَرَوْنَ مَا قَدْ بَلَغَكُمْ، أَلَا تَنْظُرُونَ مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ؟

فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ: عَلَيْكُمْ بِآدَمَ، فَيَأْتُونَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

فَيَقُولُونَ لَهُ: أَنْتَ أَبُو البَشَرِ، خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وَأَمَرَ المَلَائِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ، اشْفَعْ لَنَا إِلَىٰ رَبِّكَ، أَلَا تَرَىٰ إِلَىٰ مَا نَحْنُ فِيهِ، أَلَا تَرَىٰ إِلَىٰ مَا قَدْ بَلَغَنَا؟

فَيَقُولُ آدَمُ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ اليَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ قَدْ نَهَانِي عَنِ الشَّجَرَةِ فَعَصَيْتُهُ، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَىٰ غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَىٰ نُوحٍ.

فَيَأْتُونَ نُوحًا، فَيَقُولُونَ: يَا نُوحُ، إِنَّكَ أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَىٰ أَهْلِ الأَرْضِ، وَقَدْ سَمَّاكَ اللهُ عَبْدًا شَكُورًا، اشْفَعْ لَنَا إِلَىٰ رَبِّكَ، أَلَا تَرَىٰ إِلَىٰ مَا نَحْنُ فِيهِ؟

فَيَقُولُ: إِنَّ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ قَدْ غَضِبَ اليَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ قَدْ كَانَتْ لِي دَعْوَةٌ دَعَوْتُهَا عَلَىٰ قَوْمِي، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَىٰ غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ.

فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ، فَيَقُولُونَ: يَا إِبْرَاهِيمُ أَنْتَ نَبِيُّ اللهِ، وَخَلِيلُهُ مِنْ أَهْلِ الأَرْضِ، اشْفَعْ لَنَا إِلَىٰ رَبِّكَ، أَلَا تَرَىٰ إِلَىٰ مَا نَحْنُ فِيهِ؟

فَيَقُولُ لَهُمْ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ اليَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ

يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنِّي قَدْ كُنْتُ كَذَبْتُ ثَلَاثَ كَذِبَاتٍ، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَىٰ غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَىٰ مُوسَىٰ.

فَيَأْتُونَ مُوسَىٰ، فَيَقُولُونَ: يَا مُوسَىٰ أَنْتَ رَسُولُ اللهِ، فَضَّلَكَ اللهُ بِرِسَالَتِهِ وَبِكَلَامِهِ عَلَىٰ النَّاسِ، اشْفَعْ لَنَا إِلَىٰ رَبِّكَ، أَلَا تَرَىٰ إِلَىٰ مَا نَحْنُ فِيهِ؟

فَيَقُولُ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ اليَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنِّي قَدْ قَتَلْتُ نَفْسًا لَمْ أُومَرْ بِقَتْلِهَا، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَىٰ غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَىٰ عِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ.

فَيَأْتُونَ عِيسَىٰ، فَيَقُولُونَ: يَا عِيسَىٰ أَنْتَ رَسُولُ اللهِ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَكَلَّمْتَ النَّاسَ فِي المَهْدِ صَبِيًّا، اشْفَعْ لَنَا إِلَىٰ رَبِّكَ أَلَا تَرَىٰ إِلَىٰ مَا نَحْنُ فِيهِ؟

فَيَقُولُ عِيسَىٰ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ اليَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ قَطُّ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَلَمْ يَذْكُرْ ذَنْبًا، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَىٰ غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَىٰ مُحَمَّدٍ.

فَيَأْتُونَ مُحَمَّدًا، فَيَقُولُونَ: يَا مُحَمَّدُ أَنْتَ رَسُولُ اللهِ، وَخَاتِمُ الأَنْبِيَاءِ، وَقَدْ غَفَرَ اللهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ، وَمَا تَأَخَّرَ، اشْفَعْ لَنَا إِلَىٰ رَبِّكَ أَلَا تَرَىٰ إِلَىٰ مَا نَحْنُ فِيهِ؟

فَأَنْطَلِقُ فَآتِي تَحْتَ العَرْشِ، فَأَقَعُ سَاجِدًا لِرَبِّي عَزَّوَجَلَّ، ثُمَّ يَفْتَحُ اللهُ

عَلَيَّ مِنْ مَحَامِدِهِ وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا، لَمْ يَفْتَحْهُ عَلَىٰ أَحَدٍ قَبْلِي.

ثُمَّ يُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ سَلْ تُعْطَهْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ فَأَرْفَعُ رَأْسِي.

فَأَقُولُ: أُمَّتِي يَا رَبِّ، أُمَّتِي يَا رَبِّ، أُمَّتِي يَا رَبِّ.

فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ أَدْخِلْ مِنْ أُمَّتِكَ مَنْ لَا حِسَابَ عَلَيْهِمْ مِنَ البَابِ الأَيْمَنِ مِنْ أَبْوَابِ الجَنَّةِ، وَهُمْ شُرَكَاءُ النَّاسِ فِيمَا سِوَىٰ ذَلِكَ مِنَ الأَبْوَابِ.

ثُمَّ قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّ مَا بَيْنَ المِصْرَاعَيْنِ(١) مِنْ مَصَارِيعِ الجَنَّةِ، كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَحِمْيَرَ - أَوْ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَبُصْرَىٰ -»(٢).

قــولــه: «وَأَمَّا الشَّفَاعَةُ الثَّانِيَةُ: فَيَشْفَعُ فِي أَهْلِ الْجَنَّةِ أَنْ يَدْخُلُوا الْجَنَّةَ»: أي من استحقوا دخول الجنة، فلا يؤذن لهم بدخولها إلا بعد الشفاعة.

فعن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «آتِي بَابَ الجَنَّةِ يَوْمَ القِيَامَةِ فَأَسْتَفْتِحُ، فَيَقُولُ الخَازِنُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَأَقُولُ: مُحَمَّدٌ، فَيَقُولُ: بِكَ أُمِرْتُ لَا أَفْتَحُ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ»(٣).

قــولــه: «وَهَاتَانِ الشَّفَاعَتَانِ خَاصَّتَانِ لَهُ»: أي لا تكون لغيره.

---

(١) **المصراعين**: أي جانبي الباب. [**انظر**: شرح صحيح مسلم (٣/ ٦٩)].

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٤٧١٢)، ومسلم (١٩٣).

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (١٩٧).

ومن الشفاعات الخاصة بالنبي ﷺ أيضا: شفاعته في تخفيف العذاب عن عمه أبي طالب.

فعنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ رضي الله عنه، أَنَّهُ قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: مَا أَغْنَيْتَ عَنْ عَمِّكَ، فَإِنَّهُ كَانَ يَحُوطُكَ[(١)]، وَيَغْضَبُ لَكَ؟ قَالَ: «**هُوَ فِي ضَحْضَاحٍ مِنْ نَارٍ**[(٢)]**، وَلَوْلَا أَنَا لَكَانَ فِي الدَّرَكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ**»[(٣)].

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رضي الله عنه، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ، وَذُكِرَ عِنْدَهُ عَمُّهُ، فَقَالَ: «**لَعَلَّهُ تَنْفَعُهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ، فَيُجْعَلُ فِي ضَحْضَاحٍ مِنَ النَّارِ يَبْلُغُ كَعْبَيْهِ، يَغْلِي مِنْهُ دِمَاغُهُ**»[(٤)].

قوله: «وَأَمَّا الشَّفَاعَةُ الثَّالِثَةُ: فَيَشْفَعُ فِيمَنْ اسْتَحَقَّ النَّارَ، وَهَذِهِ الشَّفَاعَةُ لَهُ وَلِسَائِرِ النَّبِيِّنَ وَالصِّدِّيقِينَ وَغَيْرِهِمْ، يَشْفَعُ فِيمَنْ اسْتَحَقَّ النَّارَ أَنْ لا يَدْخُلَهَا، وَيَشْفَعُ فِيمَنْ دَخَلَهَا أَنْ يَخْرُجَ مِنْهَا»: هذه الشفاعة في أهل الكبائر من المؤمنين، وهذه أنكرتها الخوارج والمعتزلة.

ومن الأدلة على ثبوتها: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي**»[(٥)].

---

(١) **يحوطك**: أي يصونك ويدافع عنك.

(٢) **ضحضاح**: أي خُفِّف عنه شيء من العذاب.

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٨٨٣)، ومسلم (٢٠٩).

(٤) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٨٨٥)، ومسلم (٢١٠).

(٥) **صحيح**: رواه أبو داود (٤٧٣٩)، والترمذي (٢٤٣٥)، وصححه الألباني.

وعن عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يَخْرُجُ قَوْمٌ مِنَ النَّارِ بِشَفَاعَةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَدْخُلُونَ الجَنَّةَ، يُسَمَّوْنَ الجَهَنَّمِيِّينَ»[(١)].

وعنْ أبي سَعيدٍ الخُدريِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: شَفَعَتِ الملَائِكَةُ، وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ، وَشَفَعَ المؤْمِنُونَ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ، فَيُخْرِجُ مِنْهَا قَوْمًا لَمْ يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطُّ قَدْ عَادُوا حُمَمًا[(٢)]، فَيُلْقِيهِمْ فِي نَهَرٍ فِي أَفْوَاهِ الْجَنَّةِ يُقَالُ لَهُ: نَهَرُ الْحَيَاةِ، فَيَخْرُجُونَ كَمَا تَخْرُجُ الْحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ[(٣)]، أَلَا تَرَوْنَهَا تَكُونُ إِلَىٰ الْحَجَرِ، أَوْ إِلَىٰ الشَّجَرِ، مَا يَكُونُ إِلَىٰ الشَّمْسِ أُصَيْفِرُ وَأُخَيْضِرُ، وَمَا يَكُونُ مِنْهَا إِلَىٰ الظِّلِّ يَكُونُ أَبْيَضَ؟».

فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، كَأَنَّكَ كُنْتَ تَرْعَىٰ بِالْبَادِيَةِ.

قَالَ: «فَيَخْرُجُونَ كَاللُّؤْلُؤِ فِي رِقَابِهِمُ الْخَوَاتِمُ[(٤)]، يَعْرِفُهُمْ أَهْلُ الْجَنَّةِ هَؤُلَاءِ عُتَقَاءُ اللهِ الَّذِينَ أَدْخَلَهُمُ اللهُ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ عَمَلٍ عَمِلُوهُ، وَلَا خَيْرٍ قَدَّمُوهُ، ثُمَّ يَقُولُ: ادْخُلُوا الْجَنَّةَ فَمَا رَأَيْتُمُوهُ فَهُوَ لَكُمْ، فَيَقُولُونَ: رَبَّنَا،

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٦٥٦٦).

(٢) حمما: أي فحما. [انظر: النهاية في غريب الحديث (١/ ٤٤٤)].

(٣) حميل السيل: هو ما يجيء به السيل من طين، أو غثاء، وغيره. [انظر: النهاية في غريب الحديث (١/ ٤٤٢)].

(٤) الخواتم: جمع خاتم بفتح التاء وكسرها، والمراد بالخواتم هنا أشياء من ذهب، أو غير ذلك تعلق في أعناقهم علامة يعرفون بها. [انظر: شرح صحيح مسلم (٣/ ٣٣)].

أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ، فَيَقُولُ: لَكُمْ عِنْدِي أَفْضَلُ مِنْ هَذَا، فَيَقُولُونَ: يَا رَبَّنَا، أَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ هَذَا؟ فَيَقُولُ: رِضَايَ، فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا»[١].

وفي حديث الشفاعة: «يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الخَيْرِ مَا يَزِنُ بُرَّةً[٢]، ثُمَّ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مَا يَزِنُ مِنَ الخَيْرِ ذَرَّةً[٣]»[٤].

قوله: «وَيُخْرِجُ اللهُ تَعَالَىٰ مِنَ النَّارِ أَقْوَامًا بِغَيْرِ شَفَاعَةٍ، بَلْ بِفَضْلِ اللهِ ورَحْمَتِهِ»: أي يخرج الله من عصاة المؤمنين من شاء بغير شفاعة، وهذا من رحمته؛ لحديث أبي سَعيدٍ الخُدريِّ المتقدم.

قوله: «وَيَبْقَىٰ فِي الْجَنَّةِ فَضْلٌ»: أي متسع.

قوله: «عَمَّنْ دَخَلَهَا مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا»: لأن الله وصفها بالسعة، فقال: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾﴾[آل عمران:١٣٣].

قوله: «فَيُنْشِئُ اللهُ لَهَا أَقْوَامًا»: أي يخلق ويوجد جماعات.

قوله: «فَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ»: أي بفضله ورحمته.

---

(١) صحيح: رواه مسلم (١٨٣).

(٢) برة: أي قمحة.

(٣) ذرة: أي نملة صغيرة.

(٤) متفق عليه: رواه البخاري (٧٤١٠)، ومسلم (١٩١)، من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

مسألة [١]: اختلف أهل البدع في مرتكب الكبيرة من المسلمين علىٰ ثلاثة أقوال:

القول الأول: كافر في الدنيا، مخلد في نار جهنم في الآخرة.

القائلون به: الخوارج.

القول الثاني: في منزلة بين المنزلتين، أي ليس بمسلم ولا كافر في الدنيا، وفي الآخرة خالد مخلَّد في نار جهنم.

القائلون به: المعتزلة.

القول الثالث: مؤمن كامل الإيمان، ولا يدخل النار.

القائلون به: المرجئة[١].

واعلم أن أهل السنة متفقون كلهم علىٰ أن مرتكب الكبيرة لا يكفر كفرا ينقل عن الملة بالكلية، كما قالت الخوارج؛ إذ لو كفر كفرا ينقُل عن الملة لكان مرتدا يقتل علىٰ كل حال، ولا يقبل عفو ولي القصاص، ولا تجري الحدود في الزنا والسرقة وشرب الخمر! وهذا القول معلوم بطلانه وفساده بالضرورة من دين الإسلام؛ ومتفقون علىٰ أنه لا يخرج من الإيمان والإسلام، ولا يدخل في الكفر.

ولا يستحق الخلود مع الكافرين، كما قالت المعتزلة؛ فإن قولهم باطل أيضا، إذ قد جعل الله مرتكب الكبيرة من المؤمنين، قال تعالىٰ:

---

(١) انظر: النبوات، لابن تيمية (١/ ٥٨٢-٥٨٣).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَى﴾[البقرة:١٧٨] إلىٰ أن قال: ﴿فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ شَيۡءٞ فَٱتِّبَاعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِ﴾[البقرة:١٧٨]، فَلَمْ يُخْرِجِ القَاتِلَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا، وَجَعَلَهُ أَخًا لِوَلِيِّ القِصَاصِ، وَالمُرَادُ أُخُوَّةُ الدِّينِ بِلَا رَيْبٍ(١).

مسألة [٢]: افترق الناس في الشفاعة ثلاث فرق: طرفان، ووسط:

الأول: المشركون ومن وافقهم من مبتدعة أهل الكتاب، كالنصارىٰ، ومبتدعة هذه الأمة: أثبتوا الشفاعة التي هي شرك التي نفاها القرآن، كشفاعة المخلوق عند المخلوق، كما يشفع عند الملوك خواصهم لحاجة الملوك إلىٰ ذلك، فيسألونهم بغير إذنهم، وتجيب الملوك سؤالهم لحاجتهم إليهم.

وهؤلاء مشركون كفار؛ لأن الله تعالىٰ لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه، ولا يحتاج إلىٰ أحد من خلقه، بل من رحمته وإحسانه إجابة دعاء الشافعين، وهو سبحانه أرحم بعباده من الوالدة بولدها.

الثاني: الخوارج والمعتزلة: أنكروا شفاعة نبينا صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أهل الكبائر من أمته، وأنكروا الشفاعة بقوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خُلَّةٞ وَلَا شَفَٰعَةٞ﴾[البقرة:٢٥٤].

---

(١) انظر: شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز الحنفي، صـ(٣٢١-٣٢٢).

وبقوله تعالىٰ: ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ حَمِيمٖ وَلَا شَفِيعٖ يُطَاعُ ١٨﴾[غافر:١٨].

وهؤلاء مبتدعة ضلال، مخالفون للسنة المستفيضة عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ؛ ولإجماع خير القرون.

الثالث: أهل السنة والجماعة، وهم سلف الأمة وأئمتها، ومن تبعهم بإحسان، أثبتوا ما أثبته الله في كتابه، وسنة رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ من شفاعته لأهل الكبائر من أمته، وغير ذلك من أنواع شفاعاته، وشفاعة غيره من النبيين والملائكة.

وقالوا: إن الشفيع يطلب من الله ويسأل، ولا تنفع الشفاعة عنده إلا بإذنه.

لقوله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦ﴾[البقرة:٢٥٥].

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ﴾[الأنبياء:٢٨].

وقال سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ ٢٦﴾[النجم:٢٦][1]، أي يرضىٰ عن الشافع، والمشفوع.

---

(١) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم، لابن تيمية (٢/ ٣٥٩-٣٦١)، والفتاوىٰ الكبرىٰ، لابن تيمية (٣/ ٤٧-٤٨).

٢١٠- وَأَصْنَافُ مَا تَتَضَمَّنُهُ الدَّارُ الْآخِرَةُ مِنَ الْحِسَابِ، وَالثَّوَابِ، وَالْعِقَابِ، وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ.

٢١١- وَتَفَاصِيلُ ذَلِكَ مَذْكُورَةٌ فِي الْكُتُبِ الْمُنَزَّلَةِ مِنَ السَّمَاءِ، وَالْآثَارَةِ مِنَ الْعِلْمِ الْمَأْثُورَةِ عَنِ الْأَنْبِيَاءِ.

٢١٢- وَفِي الْعِلْمِ الْمَوْرُوثِ عَنِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ ذَلِكَ مَا يَشْفِي وَيَكْفِي، فَمَنِ ابْتَغَاهُ وَجَدَهُ.

الشرح

قوله: «**وَأَصْنَافُ**»: أي أنواع.

قوله: «**مَا تَتَضَمَّنُهُ الدَّارُ الْآخِرَةُ مِنَ الْحِسَابِ، وَالثَّوَابِ**»: أي جزاء الحسنات.

قوله: «**وَالْعِقَابِ**»: أي جزاء السيئات.

قوله: «**وَالْجَنَّةِ**»: أي الدار التي أعدها الله لأوليائه، فيها ما تشتهيه الأنفس، وتلذ الأعين، وما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

قال تعالىٰ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءً بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾[السجدة:١٧]، أي لا تعلم حقيقته وكنهه.

قوله: «**وَالنَّارِ**»: أي الدار التي أعدها الله تعالىٰ لأعدائه، وفيها من أنواع العذاب والعقاب ما لا يطاق.

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «**نَارُكُمْ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ**»، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنْ كَانَتْ لَكَافِيَةً قَالَ: «**فُضِّلَتْ عَلَيْهِنَّ بِتِسْعَةٍ وَسِتِّينَ جُزْءًا كُلُّهُنَّ مِثْلُ حَرِّهَا**»[1].

قوله: «وَتَفَاصِيلُ ذَلِكَ مَذْكُورَةٌ فِي الْكُتُبِ الْمُنَزَّلَةِ مِنَ السَّمَاءِ، وَالْأَثَارَةِ مِنَ الْعِلْمِ الْمَأْثُورَةِ عَنِ الْأَنْبِيَاءِ»: كالتوراة، والإنجيل، وصحف إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ.

قوله: «وَفِي الْعِلْمِ الْمَوْرُوثِ عَنِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ ذَلِكَ مَا يَشْفِي وَيَكْفِي»: أي في القرآن والسنة.

قوله: «فَمَنِ ابْتَغَاهُ وَجَدَهُ»: أي من بحث عنه وجده.

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٢٦٥)، ومسلم (٢٨٤٣).

[الإيمان بالقدر]

وَتُؤْمِنُ الْفِرْقَةُ النَّاجِيَةُ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ.

٢١٣- وَالْإِيمَانُ بِالْقَدَرِ عَلَىٰ دَرَجَتَيْنِ؛ كُلُّ دَرَجَةٍ تَتَضَمَّنُ شَيْئَيْنِ.

٢١٤- فَالدَّرَجَةُ الْأُولَىٰ: الْإِيمَانُ بِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ عَلِمَ مَا الْخَلْقُ عَامِلُونَ بِعِلْمِهِ الْقَدِيمِ الَّذِي هُوَ مَوْصُوفٌ بِهِ أَزَلًا وَأَبَدًا.

وَعَلِمَ جَمِيعَ أَحْوَالِهِمْ مِنَ الطَّاعَاتِ وَالْمَعَاصِي وَالْأَرْزَاقِ وَالْآجَالِ.

ثُمَّ كَتَبَ اللهُ تَعَالَىٰ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ.

٢١٥- فَأَوَّلُ مَا خَلَقَ اللهُ الْقَلَمَ فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ! قَالَ: مَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَا هُوَ كَائِنٌ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

٢١٦- فَمَا أَصَابَ الْإِنْسَانَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ، وَمَا أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ، جَفَّتِ الْأَقْلَامُ وَطُوِيَتِ الصُّحُفُ.

٢١٧- كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ٧٠﴾[الحج:٧٠].

٢١٨- وَقَالَ: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ٢٢﴾[الحديد:٢٢].

٢١٩- وَهَذَا التَّقْدِيرُ التَّابِعُ لِعِلْمِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يَكُونُ فِي مَوَاضِعَ

جُمْلَةً وَتَفْصِيلًا.

٢٢٠- فَقَدْ كَتَبَ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ مَا شَاءَ.

٢٢١- وَإِذَا خَلَقَ جَسَدَ الْجَنِينِ قَبْلَ نَفْخِ الرُّوحِ فِيهِ؛ بَعَثَ إِلَيْهِ مَلَكًا فَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ، فَيُقَالُ: اكْتُبْ رِزْقَهُ وَأَجَلَهُ وَعَمَلَهُ وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ، وَنَحْوَ ذَلِكَ.

٢٢٢- فَهَذَا الْقَدَرُ قَدْ كَانَ يُنْكِرُهُ غُلَاةُ الْقَدَرِيَّةِ قَدِيمًا، وَمُنْكِرُوهُ الْيَوْمَ قَلِيلٌ.

.... الشـــرح ....

قـــولـــه: «وَتُؤْمِنُ الْفِرْقَةُ النَّاجِيَةُ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»: الإيمان بالقدر هو الركن السادس من أركان الإيمان، لا يصح إيمان عبد إلا به.

وخير القدر: هو ما يلائم طبيعة الإنسان، بحيث يحصل له خير أو ارتياح أو سرور.

وشر القدر: هو ما لا يلائم طبيعة الإنسان، بحيث يحصل له به أذية، أو ضرر.

قـــولـــه: «وَالْإِيمَانُ بِالْقَدَرِ عَلَىٰ دَرَجَتَيْنِ؛ كُلُّ دَرَجَةٍ تَتَضَمَّنُ شَيْئَيْنِ»: إنما قسم المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذا التقسيم؛ لأجل الخلاف الواقع في القدر.

قوله: «فَالدَّرَجَةُ الْأُولَىٰ: الْإِيمَانُ بِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ عَلِمَ مَا الْخَلْقُ عَامِلُونَ»: لم يذكر المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن الله علم ما يفعله هو؛ لأن هذه المسألة لا خلاف فيها.

قوله: «بِعِلْمِهِ الْقَدِيمِ»: الذي لا أول لابتدائه، وهذه هي المرتبة الأولىٰ من درجات الإيمان بالقدر، وهي مرتبة العلم، ومعناها: أن الله تعالىٰ علمه محيط بكل شيء، فلا يخفىٰ عليه شيء في الأرض، ولا في السماء، كما قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾[الحشر:٢٢].

وقال تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ۝٢٨٢﴾[البقرة:٢٨٢].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا ۝٣٢﴾[النساء:٣٢].

وقال تعالىٰ: ﴿لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ۝١٢﴾[الطلاق:١٢].

وقال تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ۝٢١٦﴾[البقرة:٢١٦].

وعن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سُئِلَ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ ذَرَارِيِّ الْمُشْرِكِينَ، فَقَالَ: «اللهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ»(١).

وعَنْ عَائِشَةَ أُمِّ المؤْمِنِينَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: تُوُفِّي صَبِيٌّ، فَقُلْتُ: طُوبَىٰ لَهُ عُصْفُورٌ مِنْ عَصَافِيرِ الْجَنَّةِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَوَ لَا

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (١٣٨٤)، ومسلم (٢٦٥٩).

تَدْرِينَ أَنَّ اللهَ خَلَقَ الْجَنَّةَ، وَخَلَقَ النَّارَ، فَخَلَقَ لِهَذِهِ أَهْلًا وَلِهَذِهِ أَهْلًا»[1].

قوله: «الَّذِي هُوَ مَوْصُوفٌ بِهِ أَزَلًا وَأَبَدًا»: الذي لا أول لابتدائه.

والأزل: القديم الذي لا بداية له، والأبد: الدائم الذي لا نهاية له.

قوله: «وَعَلِمَ جَمِيعَ أَحْوَالِهِمْ مِنَ الطَّاعَاتِ»: جمع طاعة، وهي موافقة الأمر.

قوله: «وَالْمَعَاصِي»: جمع معصية، وهي مخالفة الأمر.

قوله: «وَالْأَرْزَاقِ»: جمع رزق، وهو كل ما ينفع الإنسان، المال، والصحة، والزوج، والأولاد، ... إلخ.

قوله: «وَالْآجَالِ»: جمع أجل، وهو مدىٰ الشيء.

قوله: «ثُمَّ كَتَبَ اللهُ تَعَالَىٰ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ»: أي أم الكتاب، وسمي محفوظًا؛ لأنه محفوظ من الزيادة والنقصان فيه.

وهذه هي المرتبة الثانية من الدرجة الأولىٰ من درجات القدر، وهي مرتبة الكتابة، ومعناها: أن الله كتب كل شيء في اللوح المحفوظ قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، كما قال الله تعالىٰ: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ﴾[الأنعام:٣٨].

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٦٦٢).

وقال الله تعالىٰ: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِيٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ١٢﴾[يس:١٢].

وقال الله تعالىٰ: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا﴾[التوبة:٥١].

وقال الله تعالىٰ: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ٢٢﴾[الحديد:٢٢].

وعَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قال النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ، مَا مِنْ نَفْسٍ مَنْفُوسَةٍ إِلَّا كُتِبَ مَكَانُهَا مِنَ الجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَإِلَّا قَدْ كُتِبَ شَقِيَّةً أَوْ سَعِيدَةً**»(١).

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «**كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ**»(٢).

وعن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**احْتَجَّ آدَمُ وَمُوسَىٰ، فَقَالَ لَهُ مُوسَىٰ: أَنْتَ آدَمُ الَّذِي أَخْرَجَتْكَ خَطِيئَتُكَ مِنَ الجَنَّةِ، فَقَالَ لَهُ آدَمُ: أَنْتَ مُوسَىٰ الَّذِي اصْطَفَاكَ اللهُ بِرِسَالَاتِهِ وَبِكَلَامِهِ، ثُمَّ تَلُومُنِي عَلَىٰ أَمْرٍ قُدِّرَ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أُخْلَقَ**»، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (١٣٦٢)، ومسلم (٢٦٤٧).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٦٥٣).

ﷺ: «فَحَجَّ آدَمُ مُوسَىٰ مَرَّتَيْنِ»[(١)].

قوله: «فَأَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ الْقَلَمَ فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ! قَالَ: مَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَا هُوَ كَائِنٌ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ»: هذا يشمل ما كان من فعل الله، وما كان من أفعال العباد.

فعن عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، يَقُولُ: «**إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ الْقَلَمَ، فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ قَالَ: رَبِّ وَمَاذَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ تَقُومَ السَّاعَةُ**»[(٢)].

وفي لفظ: «**أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ الْقَلَمُ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: اكْتُبْ. قَالَ: وَمَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: الْقَدَر. قَالَ: فَكَتَبَ مَا يَكُونُ، وَمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَىٰ أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ**»[(٣)].

قوله: «فَمَا أَصَابَ الْإِنْسَانَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ»: أي ما قدر أن يصيبه لم يخطئه، وما أصابه لم يخطئه.

قوله: «وَمَا أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ»: أي ما قدر أن يخطئه لم يكن ليصيبه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه.

فعَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا يُؤْمِنُ عَبْدٌ**

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٤٠٩)، ومسلم (٢٦٥٢).

(٢) **صحيح**: رواه أبو داود (٤٧٠٠)، والترمذي (٣٣١٩)، وقال: «**حسن صحيح**»، وأحمد (٢٢٧٠٥)، وصححه الألباني.

(٣) **صحيح**: رواه أحمد (٢٢٧٠٧).

حَتَّىٰ يُؤْمِنَ بِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، حَتَّىٰ يَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ، وَأَنَّ مَا أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ»[(١)].

وعن عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنَّه قَالَ لِابْنِهِ: يَا بُنَيَّ، إِنَّكَ لَنْ تَجِدَ طَعْمَ حَقِيقَةِ الْإِيمَانِ حَتَّىٰ تَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ الْقَلَمَ، فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ قَالَ: رَبِّ وَمَاذَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ تَقُومَ السَّاعَةُ»[(٢)].

قوله: «جَفَّتِ الْأَقْلَامُ، وَطُوِيَتِ الصُّحُفُ»: هذا كناية عن سبق كتابة المقادير والفراغ منها.

فعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «اعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَىٰ أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَىٰ أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ»[(٣)].

والأقلام: جمع قلم، وهي أقلام القدر التي كتب الله بها المقادير.

والصحف: جمع صحيفة، وهي ما يُكتب فيها أعمال العباد.

---

(١) **صحيح:** رواه الترمذي (٢١٤٤)، وأحمد (٢٧٤٩٠)، وصححه الألباني.

(٢) **صحيح:** رواه أبو داود (٤٧٠٠)، والترمذي (٢١٥٥)، وأحمد (٢٢٧٠٥)، وصححه الألباني.

(٣) **صحيح:** رواه الترمذي (٢٥١٦)، وصححه الألباني.

والمراد أن ما كُتب في اللوح المحفوظ من المقادير والكائنات فُرِغَ منه؛ تمثيلا بفراغ الكاتب من كتابته ويُبْس قلمه[١].

قوله: «كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ»: الكاف في مثل هذا التعبير للتعليل.

قوله: «﴿أَلَمْ تَعْلَمْ﴾»: أي يا أيها المخاطب، وهذا استفهام تقريري، أي قد علمت يا محمد، وتيقنت.

قوله: «﴿أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾»: هذا فيه إحاطة علمه سبحانه بالعالم العلوي والعالم السُّفلي.

قوله: «﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾»: أي كله.

قوله: «﴿فِي كِتَٰبٍ﴾»: أي مكتوب عنده في اللوح المحفوظ.

قوله: «﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾»: أي علمه لجميع ذلك، ما في السماء والأرض من مخلوقاته[٢].

قوله: «﴿عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ۝٧٠﴾»: أي سهل عليه، يسير لديه.

وهذا من تمام علمه تعالىٰ أنه علم الأشياء قبل كونها، وقدرها وكتبها أيضا، فما العباد عاملون قد علمه تعالىٰ قبل ذلك، علىٰ الوجه الذي يفعلونه، فيعلم قبل الخلق أن هذا يطيع باختياره، وهذا يعصي

---

(١) انظر: النهاية في غريب الحديث (١/ ٢٧٨-٢٧٩).
(٢) انظر: تفسير البغوي (٥/ ٣٩٩).

باختياره، وكتب ذلك عنده، وأحاط بكل شيء علما[١].

قوله: «وَقَالَ: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ﴾»: أي قحط المطر، وقلة النبات، ونقص الثمار.

قوله: «﴿وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ﴾»: أي الأمراض، وفقد الأولاد، والأوبئة المهلكة، وضيق العيش.

قوله: «﴿إِلَّا فِى كِتَٰبٍ﴾»: أي إلا وهي مكتوبة في اللوح المحفوظ.

قوله: «﴿مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ﴾»: أي من قبل أن نخلق الأرض والأنفس.

قوله: «﴿إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾﴾»: أي إثبات ذلك على كثرته هين على الله عَزَّوَجَلَّ[٢]، وهو يعلم الأشياء قبل حدوثها؛ يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف كان يكون.

وهذه الآية الكريمة من أدل الأدلة على القدرية نفاة العلم السابق قبحهم الله[٣].

قوله: «وَهَذَا التَّقْدِيرُ التَّابِعُ لِعِلْمِهِ سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ يَكُونُ فِي مَوَاضِعَ»: أي مواضع غير اللوح المحفوظ، ثم بيَّن هذه المواضع.

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٥/ ٤٥٢).
(٢) انظر: تفسير البغوي (٨/ ٤٠).
(٣) انظر: تفسير ابن كثير (٨/ ٢٦).

قــولــه: «جُمْلَـةً»: أي تقـديرا عامـا، وهـو المكتـوب في اللـوح المحفوظ، ويعم جميع المخلوقات.

قــولــه: «وَتَفْصِيلًا»: أي تقديرا خاصًّا مفصَّلا للتقدير العام، وهو التقدير اليومي، والعمري، والحولي.

قــولــه: «فَقَدْ كَتَبَ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ مَا شَاءَ»: هذا الموضع الأول، وهو اللوح المحفوظ، والمراد ما كتبه الله في اللوح المحفوظ قبل خلق السماوات والأرض، كما قال الله تعالىٰ: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا﴾[التوبة:٥١].

وقال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ٢٢﴾[الحديد:٢٢].

وعَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**كَانَ اللهُ، وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ غَيْرُهُ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَىٰ المَاءِ، وَكَتَبَ فِي الذِّكْرِ كُلَّ شَيْءٍ، وَخَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ**»[(١)].

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ العَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «**كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ**

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٣١٩١).

وَالأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ»[١].

وعن عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنَّه قَالَ لِابْنِهِ: يَا بُنَيَّ، إِنَّكَ لَنْ تَجِدَ طَعْمَ حَقِيقَةِ الْإِيمَانِ حَتَّىٰ تَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ الْقَلَمَ، فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ قَالَ: رَبِّ وَمَاذَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ تَقُومَ السَّاعَةُ»[٢].

قوله: «وَإِذَا خَلَقَ جَسَدَ الْجَنِينِ قَبْلَ نَفْخِ الرُّوحِ فِيهِ؛ بَعَثَ إِلَيْهِ مَلَكًا فَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ، فَيُقَالُ: اكْتُبْ رِزْقَهُ وَأَجَلَهُ وَعَمَلَهُ وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ»: هذا الموضع الثاني، وهو الكتابة العُمرية عند تخليق النطفة في الرحم، كما قال الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا﴾[الحج:٥].

وقال الله تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٦٥٣).

(٢) صحيح: رواه أبو داود (٤٧٠٠)، والترمذي (٢١٥٥)، وأحمد (٢٢٧٠٥)، وصححه الألباني.

جَعَلَكُمْ أَزْوَٰجًا ۚ وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١١﴾﴾[فاطر:١١].

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ مسعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكُونُ فِي ذَلِكَ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ فِي ذَلِكَ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يُرْسَلُ المَلَكُ فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ، وَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: بِكَتْبِ رِزْقِهِ، وَأَجَلِهِ، وَعَمَلِهِ، وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ، فَوَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ حَتَّىٰ مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، فَيَدْخُلُهَا، وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، حَتَّىٰ مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ، فَيَدْخُلُهَا»(١).

قولــه: «وَنَحْوَ ذَلِكَ»: هذا الموضع الثالث، وهو التقدير الحولي الذي يكون في ليلة القدر، يُقدَّر فيها كل ما يكون في السنة إلىٰ مثله: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾﴾[الدخان:٤].

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «يُقْضَىٰ وَيُفْصَلُ كُلُّ أَمْرٍ أَحْكَمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ فِي تِلْكَ السَّنَةِ إِلَىٰ مِثْلِهَا مِنَ السَّنَةِ الْأُخْرَىٰ»(٢).

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٣٢٠٨)، ومسلم (٢٦٤٣)، واللفظ له.

(٢) صحيح: رواه الطبري في تفسيره (٢٢/ ١١)، والطبراني في الكبير (١٠٥٩٥)،=

قال مجاهد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ليلة القدر: ليلة الحكم»[(١)].

وقال سعيد بن جُبير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يُؤذن للحجاج في ليلة القدر، فيكتبون بأسمائهم، وأسماء آبائهم، فلا يغادر منهم أحد، ولا يزاد فيهم، ولا ينقص منهم»[(٢)].

وقال الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والله الذي لا إله إلا هو إنها لفي رمضان وإنها لليلة القدر، يفرق فيها كل أمر حكيم، فيها يقضي الله تعالىٰ كل أجل وعمل ورزق إلىٰ مثلها[(٣)].

قوله: «فَهَذَا الْقَدَرُ»: أي تقدير العلم، والكتابة.

قوله: «قَدْ كَانَ يُنْكِرُهُ غُلَاةُ الْقَدَرِيَّةِ قَدِيمًا»: أي المبالغون في نفي القدر، فينكرون علم الله بالأشياء قبل وجودها وكتابته لها في اللوح المحفوظ وغيره، ويقولون: إن الله أمر ونهىٰ، ولا يعلم من يطيعه ممن يعصيه.

وهؤلاء كفار؛ لأنهم كذبوا قول الله تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾﴾[البقرة:٢٨١].

=والحاكم في المستدرك (٣٦٧٨)، وصححه، ووافقه الذهبي، والبيهقي في الشعب (٣٣٨٨)، والضياء المقدسي في المختارة (٢٤٨).

(١) انظر: تفسير الطبري (٢٤/ ٥٣٢).

(٢) انظر: تفسير الطبري (٢٤/ ٥٣٢).

(٣) انظر: تفسير الطبري (٢٤/ ٥٣٢-٥٣٣).

قــولــه: «وَمُنْكِرُوهُ الْيَوْمَ قَلِيلٌ»: أي علىٰ زمان شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ ؛ أي بقيت الفرقة التي تقر بالعلم، ولكن تنفي دخول أفعال العباد في القدر، وتزعم أنها مخلوقة لهم استقلالا، فلم يخلقها الله، ولم يردها.

مسألة [١]: الفرق بين الأجل والعمر:

الأجل لا يقبل التغيير بخلاف العمر فيقبل التغيير.

قال تعالىٰ عن الأجل: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ لَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ ۝٦١﴾[النحل:٦١].

وقال تعالىٰ: ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌۚ إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ فَلَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ ۝٤٩﴾[يونس:٤٩].

قال تعالىٰ عن العمر: ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنۡ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ﴾[فاطر:١١].

مسألة [٢]: أيهما خُلق أولا: العرش، أو القلم؟

اختلف السلف هل خلق العرش أولا، أو القلم علىٰ قولين:

القول الأول: العرش خلق أولا.

لحديث عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، يَقُولُ: «**كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ**

السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ»، قَالَ: «وَعَرْشُهُ عَلَىٰ الماءِ»[(١)].

فهذا صريح في أن التقدير وقع بعد خلق العرش، والتقدير وقع عند أول خلق القلم؛ لحديث عُبادة الآتي[(٢)].

القول الثاني: القلم خلق أولا.

لحديث عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «**إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ الْقَلَمَ، فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ قَالَ: رَبِّ وَمَاذَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ تَقُومَ السَّاعَةُ**»[(٣)].

فلا يخلو قوله: «**إن أول ما خلق الله القلم**» إلىٰ آخره إما أن يكون جملة، أو جملتين.

فإن كان جملة، وهو الصحيح كان معناه: أنه عند أول خلقه قال له: اكتب؛ كما في لفظ «**أولَ ما خلق الله القلمَ قال له: اكتب**» بنصب أول والقلم.

فإن كانا جملتين وهو مروي برفع أول والقلم، فيتعين حمله علىٰ أنه أول المخلوقات من هذا العالم؛ ليتفق الحديثان؛ إذ حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا صريح في أن العرش سابق علىٰ التقدير، والتقدير

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٦٥٣).

(٢) **انظر**: التبيان في أقسام القرآن، لابن القيم، صـ(٢٠٧).

(٣) **صحيح**: رواه أبو داود (٤٧٠٠)، والترمذي (٣٣١٩)، وقال: «**حسن صحيح**»، وأحمد (٢٢٧٠٥)، وصححه الألباني.

مقارن لخلق القلم، وفي اللفظ الآخر: «**لما خلق الله القلم قال له: اكتب**»(١).

والصحيح القول الأول، وهو قول جمهور أهل العلم، وصححه ابن تيمية، وابن القيم(٢).

مسألة [٣]: لفظة «أول ما خلق الله القلم» رويت علىٰ وجهين:

أحدهما: بالنصب، والمعنىٰ أنه عند أول خلقه القلم قال له: اكتب، وهذه هو الصحيح.

الآخر: بالرفع، والمعنىٰ أن أول المخلوقات من هذا العالم القلم، وعلىٰ هذا يكون تقدير الكلام: أول ما خلق الله القلم وقال له: اكتب.

---

(١) انظر: التبيان في أقسام القرآن، صـ (٢٠٧-٢٠٨).

(٢) انظر: الصفدية (٢/ ٨٠)، والتبيان في أقسام القرآن، صـ (٢٠٧).

[الدرجة الثانية]

٢٢٣- وَأَمَّا الدَّرَجَةُ الثَّانِيَةُ فَهِيَ مَشِيئَةُ اللهِ النَّافِذَةُ، وَقُدْرَتُهُ الشَّامِلَةُ.

٢٢٤- وَهُوَ الْإِيمَانُ بِأَنَّ مَا شَاءَ اللهُ كَانَ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ.

٢٢٥- وَأَنَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ، وَلَا فِي الْأَرْضِ مِنْ حَرَكَةٍ وَلَا سُكُونٍ إِلَّا بِمَشِيئَةِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، لَا يَكُونُ فِي مُلْكِهِ إِلَّا مَا يُرِيدُ.

٢٢٦- وَأَنَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ مِنَ الْمَوْجُودَاتِ وَالْمَعْدُومَاتِ.

٢٢٧- فَمَا مِنْ مَخْلُوقٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ إِلَّا اللهُ خَالِقُهُ سُبْحَانَهُ لَا خَالِقَ غَيْرُهُ، وَلَا رَبَّ سِوَاهُ.

.... الشـــرح ....

قوله: «وَأَمَّا الدَّرَجَةُ الثَّانِيَةُ»: أي من درجات الإيمان بالقدر.

قوله: «فَهِيَ مَشِيئَةُ اللهِ النَّافِذَةُ»: أي الماضية التي لا راد لها.

قوله: «وَقُدْرَتُهُ الشَّامِلَةُ»: أي العامة لكل شيء من الموجودات، والمعدومات.

قوله: «وَهُوَ الْإِيمَانُ بِأَنَّ مَا شَاءَ اللهُ كَانَ»: أي ما شاء الله وُجد.

قوله: «وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ»: أي لم يوجد.

قــولــه: «وَأَنَّهُ مَـا فِـي السَّـمَاوَاتِ وَلَا فِـي الْأَرْضِ مِـنْ حَرَكَـةٍ وَلَا سُـكُونٍ إِلَّا بِمَشِـيئَةِ اللهِ سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ»: أي لا يحصـل شـيء مـن ذلـك إلا وقد شاءه الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

قــولــه: «لَا يَكُونُ فِي مُلْكِهِ إِلَّا مَا يُرِيدُ»: أي وقوعه كونا وقدرا.

قــولــه: «وَأَنَّهُ سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَـدِيرٌ مِـنَ الْمَوْجُـودَاتِ، وَالْمَعْدُومَاتِ»: أي قادر علىٰ كل شـيء مـن الموجـودات؛ فيعـدمها أو يغيرها، ومن المعدومات؛ فيوجدها.

هـذه المرتبـة الأولـىٰ مـن الدرجـة الثانيـة، وهـي مرتبـة المشـيئة، ومعناها: أن ما شاءه الله كان، وما لم يشأ لم يكـن، كمـا قـال الله تعـالىٰ: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٨٢﴾[يس:٨٢].

وقال الله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾[الأنعام:٣٥].

وقال الله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَـَٔاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا﴾[السجدة:١٣].

وعن أَبِي مُوسَىٰ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ إِذَا جَاءَهُ السَّائِلُ أَوْ طُلِبَتْ إِلَيْهِ حَاجَةٌ قَالَ: «اشْـفَعُوا تُـؤْجَرُوا، وَيَقْضِـي اللهُ عَلَىٰ لِسَانِ نَبِيِّهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ مَا شَاءَ[(١)]»[(٢)].

---

(١) يَقْضِـي اللهُ عَلَـىٰ لِسَـانِ نَبِيِّـهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ مَـا شَـاءَ: أي يظهـر الله علىٰ لسـان رسـوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بـالوحي، أو الإلهـام مـا قـدره في علمـه بأنـه سـيقع. [انظـر: فـتح البـاري (١٣/ ٤٥٢)].

(٢) صحيح: رواه البخاري (١٤٣٢).

وعن ابن مسعود رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول: «إِذَا مَرَّ بِالنُّطْفَةِ ثِنْتَانِ وَأَرْبَعُونَ لَيْلَةً بَعَثَ اللهُ إِلَيْهَا مَلَكًا، فَصَوَّرَهَا وَخَلَقَ سَمْعَهَا وَبَصَرَهَا وَجِلْدَهَا وَلَحْمَهَا وَعِظَامَهَا، ثُمَّ قَالَ: يَا رَبِّ أَذَكَرٌ أَمْ أُنْثَى؟ فَيَقْضِي رَبُّكَ مَا شَاءَ، وَيَكْتُبُ المَلَكُ، ثُمَّ يَقُولُ: يَا رَبِّ أَجَلُهُ، فَيَقُولُ رَبُّكَ مَا شَاءَ، وَيَكْتُبُ المَلَكُ، ثُمَّ يَقُولُ: يَا رَبِّ رِزْقُهُ، فَيَقْضِي رَبُّكَ مَا شَاءَ، وَيَكْتُبُ الملَكُ، ثُمَّ يَخْرُجُ المَلَكُ بِالصَّحِيفَةِ فِي يَدِهِ، فَلَا يَزِيدُ عَلَى مَا أُمِرَ، وَلَا يَنْقُصُ»[١].

وعن عَبْدَ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنهما، قال: سَمِعت رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم، يقول: «إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ، كَقَلْبٍ وَاحِدٍ، يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ»[٢].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ: اللهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ، اللهُمَّ ارْحَمْنِي إِنْ شِئْتَ، لِيَعْزِمِ المَسْأَلَةَ؛ فَإِنَّهُ لَا مُكْرِهَ لَهُ»[٣].

قوله: «فَمَا مِنْ مَخْلُوقٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ إِلَّا اللهُ خَالِقُهُ سُبْحَانَهُ لَا خَالِقَ غَيْرُهُ»: أي لا خالقا للكون، وللأشياء كبيرها وصغيرها إلا الله.

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٦٤٥).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٢٦٥٤).

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦٣٣٩)، ومسلم (٢٦٧٩).

قــولــه: «وَلَا رَبَّ سِوَاهُ»: أي لا معبود سوىٰ الله.

هذه المرتبة الثانية من الدرجة الثانية، وهي مرتبة الخلق، ومعناها: أن الله خالق كل شيء؛ كما قال الله تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُ﴾[الأنعام:١٠٢].

وقال الله تعالىٰ: ﴿قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّٰرُ ١٦﴾[الرعد:١٦].

وقال الله تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ٩٦﴾[الصافات:٩٦].

وقال الله تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ٦٢﴾[الزُّمَر:٦٢].

وقال الله تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾[غافر:٦٢].

وعَنْ أَبِي بَكْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**الزَّمَانُ قَدْ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ**»(١)

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**إِنَّ اللهَ خَلَقَ الخَلْقَ، حَتَّىٰ إِذَا فَرَغَ مِنْ خَلْقِهِ، قَالَتِ الرَّحِمُ: هَذَا مَقَامُ العَائِذِ(٢) بِكَ مِنَ القَطِيعَةِ(٣)، قَالَ: نَعَمْ، أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ، وَأَقْطَعَ مَنْ**

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٣١٩٧)، ومسلم (١٦٧٩).

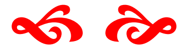
(٢) العائذ: أي المستعيذ، وهو المعتصم بالشيء المستجير به. [انظر: فتح الباري (٨/ ٥٨٠)].

(٣) القطيعة: أي الهجران والصد، وهي فعيلة، من القطع، ويريد به ترك البر والإحسان إلىٰ الأهل والأقارب، وهي ضد صلة الرحم. [انظر: النهاية في غريب الحديث (٤/ ٨٢)].

قَطَعَكِ؟ قَالَتْ: بَلَىٰ يَا رَبِّ، قَالَ: فَهُوَ لَكِ»[١].

وعن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَنْ يَبْرَحَ النَّاسُ يَتَسَاءَلُونَ حَتَّىٰ يَقُولُوا: هَذَا اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ، فَمَنْ خَلَقَ اللهَ؟»[٢].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «لَمَّا خَلَقَ اللهُ الْخَلْقَ، كَتَبَ فِي كِتَابِهِ، فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ: إِنَّ رَحْمَتِي تَغْلِبُ غَضَبِي»[٣].



(١) متفق عليه: رواه البخاري (٥٩٨٧)، ومسلم (٢٥٥٤).
(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٧٢٩٦)، ومسلم (١٣٤).
(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٧٤٠٤)، ومسلم (٢٧٥١)، واللفظ له.

[لا تعارض بين القدر والشرع
ولا بين تقدير الله للمعاصي وبغضه لها]

٢٢٨- وَمَعَ ذَلِكَ فَقَدْ أَمَرَ اللهُ الْعِبَادَ بِطَاعَتِهِ وَطَاعَةِ رُسُلِهِ، وَنَهَاهُمْ عَنْ مَعْصِيَتِهِ.

٢٢٩- وَهُوَ سُبْحَانَهُ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ وَالْمُحْسِنِينَ وَالْمُقْسِطِينَ.

٢٣٠- وَيَرْضَىٰ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ، وَلَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ، وَلَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ، وَلَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ.

٢٣١- وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ، وَلَا يُحِبُّ الْفَسَادَ.

.... الشـــرح ....

قـولـه: «وَمَعَ ذَلِكَ فَقَدْ أَمَرَ اللهُ الْعِبَادَ بِطَاعَتِهِ وَطَاعَةِ رُسُلِهِ، وَنَهَاهُمْ عَنْ مَعْصِيَتِهِ»: أي ومع عموم خلقه وربوبيته لم يترك العباد هَمَلًا، ولم يرفع عنهم الاختيار، بل أمرهم بطاعته وطاعة رسله عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، ونهاهم عن معصيته.

قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُواْۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٩٢﴾﴾ [المائدة:٩٢].

وقال تعالى: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١﴾﴾ [الأنفال:١].

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾ [النساء:٦٤].

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْ﴾ [الحشر:٧].

وقال تعالىٰ: ﴿فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٦٣﴾ [النور:٦٣].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ١٥٠ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ١٥١﴾ [النساء:١٥٠-١٥١].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «**إِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَاجْتَنِبُوهُ، وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ**»(١).

فإن وُجد عذرٌ يبيح فعل ما نهىٰ الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عنه، كأكل الميتة عند الضرورة، أو شرب الخمر عند الإكراه، أو التلفظ بكلمة الكفر إذا أكره، ونحو ذلك، فهذا ليس منهيا عنه في هذا الحال(٢).

قوله: «وَهُوَ سُبْحَانَهُ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ وَالْمُحْسِنِينَ وَالْمُقْسِطِينَ»:

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٧٢٨٨)، ومسلم (١٣٣٧).
(٢) انظر: شرح صحيح مسلم (٩/ ١٠٢).

أي يحب من اتصف بالصفات الحميدة، كالتقوىٰ، والإحسان، والقسط.

كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ۝٤﴾[التوبة:٤].

و: ﴿يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[البقرة:١٩٥].

و: ﴿يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٤٢﴾[المائدة:٤٢].

و: ﴿يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ۝٢٢٢﴾[البقرة:٢٢٢].

و: ﴿يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝١٤٦﴾[آل عمران:١٤٦].

و: ﴿يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ۝١٥٩﴾[آل عمران:١٥٩].

و: ﴿يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ۝٤﴾[الصف:٤].

قوله: «وَيَرْضَىٰ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ»: كما قال تعالىٰ: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝١٠٠﴾[التوبة:١٠٠].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ۝٧ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ۝٨﴾[البيِّنة:٧-٨].

قوله: «وَلَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ»: لقوله تعالىٰ: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ

لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾[آل عمران:٣٢].

والله ﴿لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾﴾[البقرة:١٩٠]، و﴿لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾﴾[البقرة:٢٠٥]، و﴿لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾﴾[البقرة:٢٧٦]، و﴿لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٧﴾﴾[آل عمران:٥٧]، و﴿لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾﴾[النساء:٣٦]، و﴿لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴿١٠٧﴾﴾[النساء:١٠٧]، و﴿لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾﴾[المائدة:٦٤]، و﴿لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾﴾[المائدة:٨٧]، و﴿لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾﴾[الأنعام:١٤١]، و﴿لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٨﴾﴾[الأنفال:٥٨]، و﴿لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾[النحل:٢٣].

قوله: «وَلَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ»: لقوله تعالىٰ: ﴿فَإِن تَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٩٦﴾﴾[التوبة:٩٦].

والفاسق: هو الخارج عن طاعة الله، سواء كان مرتكبا لكبيرة، أو مصرًّا علىٰ صغيرة من صغائر الذنوب.

قوله: «وَلَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ»: الفحشاء: ما تناهىٰ قبحه من الأقوال والأفعال.

قال تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ﴾[الأعراف:٢٨].

قوله: «وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ»: لقوله تعالىٰ: ﴿إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ﴾[الزُّمَر:٧].

ولا يلزم من تقديره الكفر أن يكون راضيا به سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، بل يقدره وهو يكرهه ويسخطه.

قوله: «وَلَا يُحِبُّ الْفَسَادَ»: لقوله تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ۝٢٠٥﴾[البقرة:٢٠٥].

أراد المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ بهذا الكلام الرد علىٰ من زعم أن الإرادة والمحبة بينهما تلازم، فإذا أراد الله شيئا فقد أحبه، وإذا شاء شيئا فقد أحبه، وهذا قول باطل.

والقول الحق أنه لا تلازم بين الإرادة والمحبة، فقد يريد الله ما لا يحبه، وقد يحب ما لا يشاء وجوده.



[إثبات القدر لا ينافي إسناد أفعال العباد إليهم حقيقة وأنهم يفعلونها باختيارهم]

٢٣٢- وَالْعِبَادُ فَاعِلُونَ حَقِيقَةً، وَاللهُ خَالِقُ أَفْعَالِهِمْ.

٢٣٣- وَالْعَبْدُ هُوَ الْمُؤْمِنُ وَالْكَافِرُ، وَالْبَرُّ وَالْفَاجِرُ، وَالْمُصَلِّي وَالصَّائِمُ.

٢٣٤- وَلِلْعِبَادِ قُدْرَةٌ عَلَىٰ أَعْمَالِهِمْ، وَلَهُمْ إِرَادَةٌ، وَاللهُ خَالِقُهُمْ وَخَالِقُ قُدْرَتِهِمْ وَإِرَادَتِهِمْ.

٢٣٥- كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾[التكوير:٢٨-٢٩].

٢٣٦- وَهَذِهِ الدَّرَجَةُ مِنَ الْقَدَرِ يُكَذِّبُ بِهَا عَامَّةُ الْقَدَرِيَّةِ، الَّذِينَ سَمَّاهُمُ السَّلَفُ مَجُوسَ هَذِهِ الْأُمَّةِ.

٢٣٧- وَيَغْلُو فِيهَا قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ الْإِثْبَاتِ، حَتَّىٰ يَسْلُبُوا الْعَبْدَ قُدْرَتَهُ وَاخْتِيَارَهُ، وَيُخْرِجُونَ عَنْ أَفْعَالِ اللهِ وَأَحْكَامِهِ؛ حِكَمَهَا وَمَصَالِحَهَا.

...................................الشــرح...................................

قوله: «وَالْعِبَادُ فَاعِلُونَ حَقِيقَةً»: هذا فيه رد علىٰ الجبرية التي تقول: العباد ليسوا فاعلين حقيقة، وإسناد الأفعال إليهم من باب المجاز.

قــولــه: «وَاللهُ خَالِقُ أَفْعَالِهِمْ»: هـذا فيـه الـرد علىٰ القدريـة النفـاة التي تقول: الله لم يخلق أفعال العباد، وإنما هم خلقوها استقلالًا دون مشيئة الله وتقديره لها.

قــولــه: «وَالْعَبْدُ هُوَ الْمُؤْمِنُ وَالْكَافِرُ، وَالْبَرُّ وَالْفَاجِرُ، وَالْمُصَلِّي وَالصَّائِمُ»: أي أن الوصف بالإيمان والكفر والبِر والفجور والصلاة والصيام وصف للعبد، لا لغيره؛ فهو المؤمن، وهو الكافر، وهو البار، وهو الفاجر، وهو المصلي، وهو الصائم، ولا يمكن أن يوصف بما ليس من فعله حقيقة.

والمراد بالعبودية هنا: العبودية العامة التي هي الخضوع لأمر الله الكوني؛ كقوله تعالىٰ: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا ۝٩٣﴾[مريم:٩٣].

وهي بخلاف العبودية الخاصة التي هي الخضوع لأمر الله الشرعي، وهي خاصة بالمؤمنين؛ كقوله تعالىٰ: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا﴾[الفرقان:٦٣]، وقوله: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ﴾[الفرقان:١].

قــولــه: «وَلِلْعِبَادِ قُدْرَةٌ عَلَىٰ أَعْمَالِهِمْ، وَلَهُمْ إِرَادَةٌ»: هـذا فيـه رد علىٰ الجبرية، أي ليس العباد مجبرين علىٰ أعمالهم؛ لأنه لو كان كذلك لما صح وصفهم بها؛ لأن فعل المجبَر لا يُنسب إليه، ولا يوصف به، ولا يستحق عليه الثواب والعقاب.

قــولــه: «وَاللهُ خَالِقُهُمْ وَخَالِقُ قُدْرَتِهِمْ وَإِرَادَتِهِمْ»: خلافا للقدرية القائلين بأن الله ليس خالقا لفعل العبد ولا لإرادته وقدرته.

قــولــه: «كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ۝٢٨﴾»: فيه رد علىٰ الجبرية، لأنه أثبت للعباد مشيئة، وهم يقولون: لا مشيئة لهم.

قــولــه: «﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢٩﴾»: فيه رد علىٰ القدرية القائلين بأن مشيئة العبد مستقلة بإيجاد الفعل من غير توقف علىٰ مشيئة الله، وهذا باطل؛ لأن الله علق مشيئة العباد علىٰ مشيئته سبحانه، وربطها بها.

قــولــه: «وَهَذِهِ الدَّرَجَةُ مِنَ الْقَدَرِ»: أي عموم مشيئته وإرادته لكل شيء، وعموم خلقه لكل شيء، وأن العباد عاملون حقيقة، والله خالقهم وخالق أفعالهم.

قــولــه: «يُكَذِّبُ بِهَا عَامَّةُ الْقَدَرِيَّةِ»: أي أكثرهم، فيدعون أن العبد يخلق فعل نفسه بدون مشيئة الله وإرادته.

قــولــه: «الَّذِينَ سَمَّاهُمُ السَّلَفُ مَجُوسَ هَذِهِ الْأُمَّةِ»: لأن عموم المجوس يقولون: إن للكون خالقين: خالق للخير وخالق للشر، فخالق الخير هو النور، وخالق الشر هو الظلمة، والمعتزلة زادوا عليهم وقالوا: كل إنسان يخلق فعل نفسه.

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**الْقَدَرِيَّةُ مَجُوسُ هَذِهِ الْأُمَّةِ إِنْ مَرِضُوا فَلَا تَعُودُوهُمْ، وَإِنْ مَاتُوا فَلَا تَشْهَدُوهُمْ**»[1].

قوله: «وَيَغْلُو فِيهَا قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ الْإِثْبَاتِ»: أي الجبرية.

قوله: «حَتَّىٰ يَسْلُبُوا الْعَبْدَ قُدْرَتَهُ وَاخْتِيَارَهُ»: أي قالوا: إن العبد مجبر علىٰ فعله، لأنه مكتوب عليه.

قوله: «وَيُخْرِجُونَ عَنْ أَفْعَالِ اللهِ وَأَحْكَامِهِ؛ حِكَمَهَا وَمَصَالِحَهَا»: أي هؤلاء الجبرية لا يثبتون لله حكمة ولا مصلحة، ويقولون: هو يفعل ويحكم لمجرد مشيئته، ولهذا يثاب المطيع وإن كان مجبراً علىٰ الفعل، ويعاقب العاصي وإن كان مجبراً علىٰ الفعل.

مسألة [١]: المخالفون في القدر فرقتان:

الفرقة الأولىٰ: القدرية، وهم فرقتان:

الأولىٰ: تنكر علم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بالأشياء قبل وجودها، وتزعم أن الله لم يقدر الأمور أزلا، ولم يتقدم علمه بها، وكانوا يقولون: إن الله أمر العباد ونهاهم، وهو لا يعلم من يطيعه ممن يعصيه، ولا من يدخل الجنة ممن يدخل النار حتىٰ فعلوا ذلك، فعلمه بعد ما فعلوه؛ ولهذا قالوا: الأمر أُنف، أي مستأنف، أي مبتدأ.

قال العلماء رَحِمَهُمُ اللَّهُ: المنكرون لهذا انقرضوا، وهم الذين كفرهم

---

(١) حسن: رواه أبو داود (٤٦٩١)، وأحمد (٥٥٨٤)، وحسنه الألباني.

عليه ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، الإمام مالك، والإمام الشافعي، والإمام أحمد وغيرهم من الأئمة رَحِمَهُمُ اللَّهُ، وهم الذين قال فيهم الشافعي: إن سَلَّم القدرية العلمَ خُصِموا؛ يعني يقال لهم: أيجوز أن يقع في الوجود خلاف ما تضمنه العلم؟ فإن منعوا وافقوا أهل السنة، وإن أجازوا لزمهم نسبة الجهل إلىٰ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ[(١)].

وقال الإمام أحمد في قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ﴾[الأحزاب:٧]، هذه حجة علىٰ القدرية.

يعني القدرية المنكرة للعلم بالأشياء قبل كونها، وهم غلاتها الذين كفرهم السلف، وإلا فلا تعرض فيها لمسألة خلق الأفعال[(٢)].

قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «قد انقرض هذا المذهب فلا نعرف أحدا ينسب إليه من المتأخرين»[(٣)].

الثانية: المقرون بالعلم.

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «القدرية اليوم مطبقون علىٰ أن الله عالم بأفعال العباد قبل وقوعها، وإنما خالفوا السلف في زعمهم بأن أفعال العباد مقدورة لهم وواقعة منهم علىٰ جهة الاستقلال، وهو مع كونه مذهبا باطلا أخف من المذهب الأول،

---

(١) انظر: لوامع الأنوار البهية (١/ ٣٠٠-٣٠١).

(٢) انظر: بدائع الفوائد (٣/ ١١٤).

(٣) انظر: فتح الباري (١/ ١١٩).

والمتأخرون منهم أنكروا تعلق الإرادة بأفعال العباد؛ فرارا من تعلق القديم بالمحدَث»[(١)].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أما هؤلاء فهم مبتدعون ضالون لكنهم ليسوا بمنزلة أولئك؛ وفي هؤلاء خلق كثير من العلماء والعباد كُتب عنهم العلم»[(٢)].

الفرقة الثانية: الجبرية الذين يقولون: إنا مجبرون علىٰ أفعالنا، ويسندون الأفعال إلىٰ الله، وهم فرقتان:

الأولىٰ: جبرية متوسطة: هم الذين يثبتون للعبد قدرة غير مؤثرة أصلا، فيسندون الفعل إلىٰ الله، ويثبتون للعبد كسبا كالأشاعرة، والماتريدية.

الثانية: جبرية خالصة: هم الذين لا يثبتون للعبد فعلا ولا قدرة علىٰ الفعل أصلا كالجهمية أصحاب الجهم بن صفوان، قالوا: لا قدرة للعبد أصلا، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لا يعلم الشيء قبل وقوعه، وعلمه تعالىٰ حادث لا في محل، ولا يوصف بما يوصف به غيره، كالعلم والقدرة والإرادة[(٣)].

مسألة [٢]: القدرية ثلاثة أصناف:

---

(١) انظر: فتح الباري (١/ ١١٩).
(٢) انظر: مجموع الفتاوىٰ (٧/ ٣٨٥).
(٣) انظر: الملل والنحل (١/ ٨٥)، ولوامع الأنوار البهية (١/ ٩٠).

الأول: قدرية مشركية: هم الذين اعترفوا بالقضاء والقدر وزعموا أن ذلك يوافق الأمر والنهي، وقالوا: ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ﴾[الأنعام:١٤٨]، ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍ﴾[النحل:٣٥]، ﴿وَقَالُواْ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم﴾[الزُّخرُف:٢٠]؛ فهؤلاء يؤول أمرهم إلىٰ تعطيل الشرائع والأمر والنهي مع الاعتراف بالربوبية العامة لكل مخلوق.

الثاني: قدرية مجوسية: هم الذين يجعلون لله شركاء في خلقه كما جعل الأولون لله شركاء في عبادته، فيقولون: خالق الخير، غير خالق الشر، ويقول من كان منهم في ملتنا: إن الذنوب الواقعة ليست واقعة بمشيئة الله تعالىٰ، وربما قالوا: ولا يعلمها أيضا، ويقولون: إن جميع أفعال الإنسان واقعة بغير قدرة الله، ولا فعله، فيجحدون مشيئته النافذة وقدرته الشاملة؛ ويزعمون أن هذا هو العدل، ويضمون إلىٰ ذلك سلب الصفات، ويسمونه التوحيد كما يسمي الأولون الإلحاد توحيدًا، فيلحد كل منهما في أسماء الله وصفاته.

الثالث: قدرية إبليسية: هم الذين صدقوا بأن الله صدر عنه الأمران، لكن يزعمون أن القدر والشرع بينهما تناقض[1]، فطعنوا في حكمة

(١) انظر: مجموع الفتاوىٰ (٨/ ٢٥٦-٢٦١).

الرب سبحانه، وزعيمهم في هذا إبليس، فهو الذي اعترض علىٰ الرب، وطعن في حكمته، مع إقراره بالشرع والقدر، فكان هو إمام هذه الطائفة المخذولة[1].



(١) انظر: توضيح مقاصد العقيدة الواسطية، صـ (١٩٩).

[الدين والإيمان قول وعمل]

وَمِنْ أُصُولِ الْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ:

٢٣٨- أَنَّ الدِّينَ وَالْإِيمَانَ قَوْلٌ، وَعَمَلٌ.

- قَوْلُ الْقَلْبِ، وَاللِّسَانِ.

- وَعَمَلُ الْقَلْبِ، وَاللِّسَانِ، وَالْجَوَارِحِ.

٢٣٩- وَأَنَّ الْإِيمَانَ يَزِيدُ بِالطَّاعَةِ، وَيَنْقُصُ بِالْمَعْصِيَةِ.

............................**الشــرح**............................

قــولــه: «وَمِنْ أُصُولِ الْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ»: أي من القواعد التي بنيت عليها عقيدة أهل السنة والجماعة.

قــولــه: «أَنَّ الـدِّينَ»: الـدين في اللغـة: هـو الـذل والانقيـاد[1]، وفي الشرع: ما أمر الله به .

ويطلـق الـدين، ويـراد بـه العمـل والجـزاء كمـا تقـدم، والمـراد هنـا العمل.

قــولــه: «وَالْإِيمَـانَ»: الإيمــان في اللغــة: التصــديق والإقــرار

(١) انظر: لسان العرب، مادة «دان».

الجازم(١).

قـولـه: «قَوْلٌ وَعَمَلٌ، قَوْلُ الْقَلْبِ، وَاللِّسَانِ، وَعَمَلُ الْقَلْبِ، وَاللِّسَانِ، وَالْجَوَارِحِ»: هذه أربعة أمور يتركب منها الإيمان في الشرع.

الأول: قول القلب: أي تصديقه، وإيقانه، واعتقاده.

الدليل علىٰ أن قول القلب من الإيمان: قول الله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾﴾[الزُّمَر:٣٣].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَـٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ﴾[الحُجُرات:١٤].

وقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟﴾[الحُجُرات:١٥]، أي صدَّقوا، ثم لم يشكوا.

وفي حديث الشفاعة: «**يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الخَيْرِ مَا يَزِنُ بُرَّةً**(٢)**، ثُمَّ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مَا يَزِنُ مِنَ الخَيْرِ ذَرَّةً**(٣)»(٤).

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**فَمُجَرَّدُ عِلْمِ القَلْبِ بِالحَقِّ إِنْ لَمْ يَقْتَرِنْ بِهِ عَمَلُ القَلْبِ بِمُوجَبِ عِلْمِهِ مِثْلُ مَحَبَّةِ القَلْبِ لَهُ وَاتِّبَاعِ القَلْبِ لَهُ لَمْ يَنْفَعْ صَاحِبَهُ، بَلْ أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ القِيَامَةِ عَالِمٌ لَمْ يَنْفَعْهُ اللهُ**

---

(١) **انظر:** لسان العرب، مادة «أمن».

(٢) **برة:** أي قمحة.

(٣) **ذرة:** أي نملة صغيرة.

(٤) **متفق عليه:** رواه البخاري (٧٤١٠)، ومسلم (١٩١)، من حديث أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

بِعِلْمِهِ»[١].

الثاني: قول اللسان: هو النطق بالشهادتين: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، والإقرار بلوازمها.

الدليل على أن قول اللسان من الإيمان: قوله تعالىٰ: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا﴾[البقرة:١٣٦].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبۡلِهِۦ مُسۡلِمِينَ ٥٣﴾[القصص:٥٣].

وعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّىٰ يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الإِسْلَامِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَىٰ اللهِ**»[٢].

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: «**فَأَمَّا الشَّهَادَتَانِ إِذَا لَمْ يَتَكَلَّمْ بِهِمَا مَعَ الْقُدْرَةِ فَهُوَ كَافِرٌ بِاتِّفَاقِ الْمُسْلِمِينَ، وَهُوَ كَافِرٌ بَاطِنًا وَظَاهِرًا عِنْدَ سَلَفِ الأُمَّةِ وَأَئِمَّتِهَا وَجَمَاهِيرِ عُلَمَائِهَا، وَذَهَبَتْ طَائِفَةٌ مِنَ الْمُرْجِئَةِ وَهُمْ جهمية الْمُرْجِئَةِ: كَجَهْمٍ وَالصَّالِحِيِّ وَأَتْبَاعِهِمَا إِلَىٰ أَنَّهُ إِذَا كَانَ مُصَدِّقًا بِقَلْبِهِ كَانَ كَافِرًا فِي الظَّاهِرِ دُونَ البَاطِنِ**»[٣].

---

(١) **انظر:** مجموع الفتاوىٰ (١٠/ ٢٧١).

(٢) **متفق عليه:** رواه البخاري (٢٥)، ومسلم (٢٠).

(٣) **انظر:** مجموع الفتاوىٰ (٧/ ٦٠٩).

الثالث: عمل القلب: هو النية والإخلاص والمحبة والانقياد والإقبال على الله عَزَّوَجَلَّ، والتوكل عليه، ولوازم ذلك وتوابعه.

الدليل على أن عمل القلب من الإيمان: قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ [الأنعام:٥٢].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾﴾ [الليل:١٩-٢٠].

وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الحج:٣٥].

وعن عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ، وَإِنَّمَا لِامْرِئٍ مَا نَوَىٰ، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَىٰ اللهِ وَرَسُولِهِ، فَهِجْرَتُهُ إِلَىٰ اللهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا أَوِ امْرَأَةٍ يَتَزَوَّجُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلَىٰ مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ**»(١).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ**»(٢).

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: «**عَامَّةَ فِرَقِ الأُمَّةِ تُدْخِلُ مَا هُوَ مِنْ أَعْمَالِ القُلُوبِ حَتَّىٰ عَامَّةِ فِرَقِ المُرْجِئَةِ تَقُولُ بِذَلِكَ،**

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٢٥٢٩)، ومسلم (١٩٠٧).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٤)، ومسلم (٤٤).

وَأَمَّا المُعْتَزِلَةُ وَالخَوَارِجُ وَأَهْلُ السُّنَّةِ وَأَصْحَابُ الحَدِيثِ فَقَوْلُهُمْ فِي ذَلِكَ مَعْرُوفٌ،

وَإِنَّمَا نَازَعَ فِي ذَلِكَ مَنْ اتَّبَعَ جَهْمَ بْنَ صَفْوَانَ مِنَ المُرْجِئَةِ، وَهَذَا القَوْلُ شَاذٌّ كَمَا أَنَّ قَوْلَ الكَرَّامِيَةِ الَّذِينَ يَقُولُونَ: هُوَ مُجَرَّدُ قَوْلِ اللِّسَانِ شَاذٌّ أَيْضًا، وَهَذَا أَيْضًا مِمَّا يَنْبَغِي الاعْتِنَاءُ بِهِ فَإِنَّ كَثِيرًا مِمَّنْ تَكَلَّمَ فِي مَسْأَلَةِ الإِيمَانِ هَلْ تَدْخُلُ فِيهِ الأَعْمَالُ؟ وَهَلْ هُوَ قَوْلٌ وَعَمَلٌ؟ يَظُنُّ أَنَّ النِّزَاعَ إِنَّمَا هُوَ فِي أَعْمَالِ الجَوَارِحِ وَأَنَّ المُرَادَ بِالقَوْلِ: قَوْلُ اللِّسَانِ، وَهَذَا غَلَطٌ؛ بَلِ القَوْلُ المُجَرَّدُ عَنْ اعْتِقَادِ الإِيمَانِ لَيْسَ إِيمَانًا بِاتِّفَاقِ المُسْلِمِينَ؛ فَلَيْسَ مُجَرَّدُ التَّصْدِيقِ بِالبَاطِنِ هُوَ الإِيمَانَ عِنْدَ عَامَّةِ المُسْلِمِينَ إِلَّا مَنْ شَذَّ مِنْ أَتْبَاعِ جَهْمٍ والصالحي، وَفِي قَوْلِهِمْ مِنَ السَّفْسَطَةِ العَقْلِيَّةِ وَالمُخَالَفَةِ فِي الأَحْكَامِ الدِّينِيَّةِ أَعْظَمُ مِمَّا فِي قَوْلِ ابْنِ كَرَّام إِلَّا مَنْ شَذَّ مِنْ أَتْبَاعِ ابْنِ كَرَّام وَكَذَلِكَ تَصْدِيقُ القَلْبِ الَّذِي لَيْسَ مَعَهُ حُبٌّ للهِ وَلَا تَعْظِيمٌ، بَلْ فِيهِ بُغْضٌ وَعَدَاوَةٌ للهِ وَرُسُلِهِ لَيْسَ إِيمَانًا بِاتِّفَاقِ المُسْلِمِينَ»(١).

الرابع: عمل اللسان والجوارح: عمل اللسان ما لا يؤدىٰ إلا به كتلاوة القرآن وسائر الأذكار، وعمل الجوارح ما لا يؤدىٰ إلا بها مثل القيام والركوع .

(١) انظر: مجموع الفتاوىٰ (٧/ ٥٥٠).

الدليل علىٰ أن عمل اللسان والجوارح من الإيمان: قول الله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾﴾ [الرعد:٢٢].

وقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الحُجُرات:١٥].

وقوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾﴾ [الأحزاب:٤١].

وعن ابن عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال لوفد عبد القيس: «**آمُرُكُمْ بِالإِيمَانِ بِاللهِ، وَهَلْ تَدْرُونَ مَا الإِيمَانُ بِاللهِ؟ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَتُعْطُوا مِنَ المَغْنَمِ الخُمُسَ**»(١).

قوله: «وَأَنَّ الْإِيمَانَ يَزِيدُ بِالطَّاعَةِ، وَيَنْقُصُ بِالْمَعْصِيَةِ»: هذا الخامس الذي يتركب منه الإيمان في الشرع.

ومن الأدلة علىٰ زيادة الإيمان، ونقصانه:

قول الله تعالىٰ: ﴿لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ﴾ [الفتح:٤].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴿١٧﴾﴾ [محمد:١٧].

---

(١) **متفق عليه:** رواه البخاري (٧٥٥٦)، ومسلم (١٧).

وقوله تعالىٰ: ﴿وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنًا﴾[المدَّثر: ٣١].

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فِي أَضْحَىٰ أَوْ فِطْرٍ إِلَىٰ المُصَلَّىٰ، فَمَرَّ عَلَىٰ النِّسَاءِ، فَقَالَ: «**يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ تَصَدَّقْنَ؛ فَإِنِّي أُرِيتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ**» فَقُلْنَ: وَبِمَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ، وَتَكْفُرْنَ العَشِيرَ، مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ أَذْهَبَ لِلُبِّ الرَّجُلِ الحَازِمِ مِنْ إِحْدَاكُنَّ**»، قُلْنَ: وَمَا نُقْصَانُ دِينِنَا وَعَقْلِنَا يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**أَلَيْسَ شَهَادَةُ المَرْأَةِ مِثْلَ نِصْفِ شَهَادَةِ الرَّجُلِ**» قُلْنَ: بَلَىٰ، قَالَ: «**فَذَلِكِ مِنْ نُقْصَانِ عَقْلِهَا، أَلَيْسَ إِذَا حَاضَتْ لَمْ تُصَلِّ، وَلَمْ تَصُمْ**» قُلْنَ: بَلَىٰ، قَالَ: «**فَذَلِكِ مِنْ نُقْصَانِ دِينِهَا**»(١)، فأثبت نقص الدين.

وأجمع أهل السنة والجماعة علىٰ أن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية(٢).

قال ابن بطة رَحِمَهُٱللَّهُ: «**اعلموا رحمكم الله أن الله عَزَّوَجَلَّ تفضل بالإيمان علىٰ من سبقت له الرحمة في كتابه، ومن أحب أن يسعده، ثم جعل المؤمنين في الإيمان متفاضلين، ورفع بعضهم فوق بعض درجات، ثم جعله فيهم يزيد ويقوىٰ بالمعرفة والطاعة، وينقص ويضعف بالغفلة والمعصية، وبهذا نزل الكتاب، وبه مضت السنة،**

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٣٠٤)، ومسلم (٧٩).

(٢) انظر: رسالة إلىٰ أهل الثغر، صـ(١٥٥).

وعليه أجمع العقلاء من أئمة الأمة، ولا ينكر ذلك ولا يخالفه إلا مرجئ خبيث، قد مرض قلبه، وزاغ بصره، وتلاعبت به إخوانه من الشياطين، فهو من الذين قال الله عَزَّوَجَلَّ فيهم: ﴿وَإِخْوَٰنُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِى ٱلْغَىِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ۝٢٠٢﴾[الأعراف:٢٠٢]»[1].

مسألة [١]: هل العمل داخل في مسمىٰ الإيمان؟

العمل داخل في مسمىٰ الإيمان، وركن فيه لا يقوم إلا به.

من الأدلة علىٰ ذلك:

قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾[البقرة:١٤٣]، أي إلىٰ بيت المقدس قبل ذلك لا يضيع[3]، فسمىٰ الصلاة إيمانا، وإطلاق الكل وإرادة الجزء دال علىٰ أنه من ماهيته، أي ركن فيه.

وقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣﴾[الأنفال:٢-٣]، بيَّن أن ما ذُكر في الآية يصير به العبد مؤمنا[4].

وعن ابن عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، أن النبيَّ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لوفد عبد

(١) انظر: الإبانة الكبرىٰ، لابن بطة (٢/ ٨٣٢).
(٢) انظر: تفسير الطبري (٣/ ١٦٧).
(٣) انظر: تفسير ابن كثير (١/ ٤٥٨).
(٤) انظر: الإيمان، لأبي يعلىٰ الفراء، صـ(١٤١).

القيس: «آمُرُكُمْ بِالإِيمَانِ بِاللهِ، وَهَلْ تَدْرُونَ مَا الإِيمَانُ بِاللهِ؟ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَتُعْطُوا مِنَ المَغْنَمِ الخُمُسَ»[(١)]، فجعل ذلك كله من الإيمان[(٢)]، فدل علىٰ أن الأعمال ركن له.

قَالَ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كَانَ الْإِجْمَاعُ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِمَّنْ أَدْرَكْنَاهُمْ أَنَّ الْإِيمَانَ قَوْلٌ وَعَمَلٌ وَنِيَّةٌ، لَا يُجْزِئُ وَاحِدٌ مِنَ الثَّلَاثَةِ بِالْآخَرِ»[(٣)].

وَقَالَ الثَّوْرِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وَذَكَرَ الْمُرْجِئَةَ: «هُوَ رَأْيٌ مُحْدَثٌ أَدْرَكْنَا النَّاسَ عَلَىٰ غَيْرِهِ»[(٤)].

وقال الآجري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «اعْلَمُوا رَحِمَنَا اللهُ تَعَالَىٰ وَإِيَّاكُمْ أَنِّي قَدْ تَصَفَّحْتُ الْقُرْآنَ فَوَجَدْتُ فِيهِ مَا ذَكَرْتُهُ فِي سِتَّةٍ وَخَمْسِينَ مَوْضِعًا مِنْ كِتَابِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ أَنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لَمْ يُدْخِلِ الْمُؤْمِنِينَ الْجَنَّةَ بِالْإِيمَانِ وَحْدَهُ، بَلْ أَدْخَلَهُمُ الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِهِ إِيَّاهُمْ، وَبِمَا وَفَّقَهُمْ لَهُ مِنَ الْإِيمَانِ بِهِ، وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَهَذَا رَدٌّ عَلَىٰ مَنْ قَالَ: الْإِيمَانُ: الْمَعْرِفَةُ، وَرَدٌّ عَلَىٰ مَنْ قَالَ: الْمَعْرِفَةُ وَالْقَوْلُ، وَإِنْ لَمْ يَعْمَلْ نَعُوذُ بِاللهِ مِنْ قَائِلِ هَذَا»[(٥)].

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٧٥٥٦)، ومسلم (١٧).

(٢) انظر: الإيمان، لأبي يعلىٰ الفراء، صـ(١٣٥).

(٣) انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة، للالكائي (٥/ ٩٥٦).

(٤) انظر: السنة، لعبد الله بن أحمد (١/ ٣١١)، والسنة، للخلال (٤/ ٧٢)، والشريعة، للآجري (٢/ ٦٨٢)، والإبانة الكبرىٰ، لابن بطة (٢/ ٩٠٣).

(٥) انظر: الشريعة، للآجري (٢/ ٦١٦).

وقال ابن عبد البر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أَجْمَعَ أَهْلُ الفِقْهِ وَالحَدِيثِ عَلَىٰ أَنَّ الإِيمَانَ قَوْلٌ وَعَمَلٌ، وَلَا عَمَلَ إِلَّا بِنِيَّةٍ، وَالإِيمَانُ عِنْدَهُمْ يَزِيدُ بِالطَّاعَةِ وَيَنْقُصُ بِالمَعْصِيَةِ وَالطَّاعَاتُ كُلُّهَا عِنْدَهُمْ إِيمَانٌ إِلَّا مَا ذُكِرَ عَنْ أَبِي حَنِيفَةَ وَأَصْحَابِهِ؛ فَإِنَّهُمْ ذَهَبُوا إِلَىٰ أَنَّ الطَّاعَاتِ لَا تُسَمَّىٰ إِيمَانًا»[1].

وقال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أَمَّا إِطْلَاقُ اسْمِ الْإِيمَانِ عَلَىٰ الْأَعْمَالِ فَمُتَّفَقٌ عَلَيْهِ عِنْدَ أَهْلِ الْحَقِّ، وَدَلَائِلُهُ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ تُحْصَرَ»[2].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «إِنَّ الْإِيمَانَ قَوْلٌ وَعَمَلٌ عِنْدَ أَهْلِ السُّنَّةِ مِنْ شَعَائِرِ السُّنَّةِ، وَحَكَىٰ غَيْرُ وَاحِدٍ الْإِجْمَاعَ عَلَى ذَلِكَ»[3].

مسألة [٢]: المقصود بعمل الجوارح:

المقصود بعمل الجوارح عند أهل السنة والجماعة جنس الأعمال، لا كل عمل، وهي التي تدخل في ركن الإيمان.

فلو تصور أن رجلا لم يعمل عملا ألبتة، أي لم يمتثل أمرا، ولم يجتنب نهيا؛ فإنه لم يأت بركن «**العمل**».

أما إذا امتثل أمرا أو أمرين، أو انتهىٰ عن فعل أو فعلين مما يُدخل

---

(١) انظر: التمهيد، لابن عبد البر (٩/ ٢٣٨).
(٢) انظر: شرح الأربعين النووي، لابن دقيق العيد، صـ (٣٣).
(٣) انظر: مجموع الفتاوىٰ (٧/ ٣٠٨).

في الإيمان، فقد أتىٰ بهذا الركن[١].

مسألة [٣]: الفرق بين النية والإخلاص:

النية: عامة؛ فإنها تستعمل لتمييز العبادة عن غيرها، وتستعمل في إخلاص القصد، وإخلاص العمل لله.

والإخلاص: خاص؛ فإنه بمعنىٰ قصد وجه الله تعالىٰ بالعمل.

مسألة [٤]: مذاهب الناس في زيادة الإيمان ونقصانه:

اختلف الناس في زيادة الإيمان ونقصانه علىٰ ثلاثة أقوال:

القول الأول: الإيمان يزيد وينقص، وهذا يكاد يكون إجماع عند أهل السنة والجماعة، وقول بعض المرجئة.

القول الثاني: الإيمان يزيد، ولا ينقص، وهو رواية عن الإمام مالك، وابن المبارك؛ لأن الأدلة دلت علىٰ زيادته، ولم تدل علىٰ نقصانه.

وهذا غير صحيح، لأن الشيء إذا زاد، ثم ذهب عنه ما كان سببا في الزيادة، فإنه ينقص.

القول الثالث: الإيمان لا يزيد، ولا ينقص، وهو قول المرجئة[٢].

---

(١) انظر: اللآلئ البهية في شرح العقيدة الواسطية (٢/ ٣٧٦-٣٧٧).

(٢) انظر: مجموع الفتاوىٰ (٧/ ٥٠٦-٥٠٧، ١٣/ ٥٠-٥١).

مسألة [٥]: أدلة المرجئة علىٰ أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص:

احتج المرجئة علىٰ أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص بأن الأعمال ليست من الإيمان حتىٰ يزيد وينقص، فالإيمان هو الإقرار، والإقرار لا يزيد ولا ينقص.

ورد عليهم أهل السنة من وجهين:

أحدهما: إخراجكم الأعمال من الإيمان ليس بصحيح؛ فإن الأعمال داخلة في الإيمان كما تقدم.

الآخر: قولكم: إن الإقرار بالقلب لا يختلف زيادة ونقصا ليس بصحيح، بل الإقرار بالقلب يتفاضل، فلا يمكن لأحد أن يقول: إن إيماني كإيمان أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

مسألة [٦]: مذاهب الناس في تعريف الإيمان:

القول الأول: نطق باللسان فقط.

القائلون به: الكرَّامية.

القول الثاني: اعتقاد بالقلب.

القائلون به: الأشاعرة.

القول الثالث: نطق باللسان واعتقاد بالقلب.

القائلون به: مرجئة الفقهاء.

القول الرابع: معرفة بالقلب.

القائلون به: الجهمية.

القول الخامس: نطق باللسان واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح.

القائلون به: أهل السنة والجماعة، والمعتزلة، والخوارج.

الفرق بين أهل السنة، والمعتزلة والخوارج في مسألة الإيمان:

أن المعتزلة يقولون: مرتكب الكبيرة في الدنيا ليس بمؤمن ولا كافر بل هو في منزلة بين المنزلتين، وفي الآخرة خالد مخلد في النار.

أما الخوارج فيقولون: مرتكب الكبيرة في الدنيا كافر، وفي الآخرة خالد مخلد في النار.

وأما أهل السنة فيقولون: مرتكب الكبيرة في الدنيا من أهل القبلة مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته، أما في الآخرة فهو تحت مشيئة الله إن شاء غفر له فضلا، وإن شاء عذبه عدلا.

مسألة [٧]: المرجئة علىٰ أربع طوائف:

الأولىٰ: مرجئة الفقهاء من الكوفيين والحنفية.

قالوا: إن الإيمان هو قول باللسان، واعتقاد بالقلب، ولا يدخلون فيه العمل.

الثانية: الأشاعرة ومن اتبعهم.

قالوا: الإيمان هو التصديق بالقلب ولو لم ينطق بلسانه.

وعليه فالكفار مؤمنون؛ لأنهم يصدقون بقلوبهم؛ كما قال تعالىٰ:

﴿وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ ۝٣٣﴾[الأنعام:٣٣].

الثالثة: الكرامية:

قالوا: الإيمان هو النطق باللسان فقط ولو لم يعتقد بقلبه.

وعليه فالمنافقون مؤمنون؛ لأنهم ينطقون بألسنتهم؛ كما قال تعالىٰ: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشۡهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ۝١﴾[المنافقون:١].

الرابعة: الجهمية:

قالوا: الإيمان هو المعرفة بالقول ولو لم يصدق.

وعليه فلا يوجد علىٰ ظهر الأرض كافر ألبتة؛ إذ لا أحد لا يعرف الله تعالىٰ.

فاليهود يعرفونه، كما قال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡ﴾[البقرة:١٤٦]، أي محمد صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ.



[حكم مرتكب الكبيرة]

٢٤٠- وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ لَا يُكَفِّرُونَ أَهْلَ الْقِبْلَةِ بِمُطْلَقِ الْمَعَاصِي وَالْكَبَائِرِ؛ كَمَا تَفْعَلُهُ الْخَوَارِجُ، بَلِ الْأُخُوَّةُ الْإِيمَانِيَّةُ ثَابِتَةٌ مَعَ الْمَعَاصِي.

٢٤١- كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي آيَةِ الْقِصَاصِ: ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة:١٧٨].

٢٤٢- وَقَالَ: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٩ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحُجُرات:٩-١٠].

٢٤٣- وَلَا يَسْلُبُونَ الْفَاسِقَ الْمِلِّيَّ اسْمَ الْإِيمَانِ بِالْكُلِّيَّةِ، وَلَا يُخَلِّدُونَهُ فِي النَّارِ؛ كَمَا تَقُولُهُ الْمُعْتَزِلَةُ، بَلِ الْفَاسِقُ يَدْخُلُ فِي اسْمِ الْإِيمَانِ.

٢٤٤- فِي مِثْلِ قَوْله تَعَالَىٰ: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾[النساء:٩٢].

٢٤٥- وَقَدْ لَا يَدْخُلُ فِي اسْمِ الْإِيمَانِ الْمُطْلَقِ.

٢٤٦- كَمَا فِي قَوْله تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾[الأنفال:٢].

٢٤٧- وَقَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ

مُؤْمِنٌ، وَلَا يَسْرِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَنْتَهِبُ نُهْبَةً ذَاتَ شَرَفٍ يَرْفَعُ النَّاسُ إِلَيْهِ فِيهَا أَبْصَارَهُمْ حِينَ يَنْتَهِبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ»[(١)].

٢٤٨- وَيَقُولُونَ: هُوَ مُؤْمِنٌ نَاقِصُ الْإِيمَانِ، أَوْ مُؤْمِنٌ بِإِيمَانِهِ، فَاسِقٌ بِكَبِيرَتِهِ؛ فَلَا يُعْطَىٰ الاسْمُ الْمُطْلَقُ، وَلَا يُسْلَبُ مُطْلَقُ الاسْمِ.

الشـــرح

قــولــه: «وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ لَا يُكَفِّرُونَ أَهْلَ الْقِبْلَةِ بِمُطْلَقِ الْمَعَاصِي وَالْكَبَائِرِ»: أي مع إقرارهم أن الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص، لا يكفرون أهل القبلة بمطلق المعاصي والكبائر؛ وأهل القبلة هم المسلمون.

لم يقل: بالمعاصي والكبائر؛ لأن المعاصي والكبائر منها ما يكون كفرا بخلاف مطلق المعصية فلا يكون كفرا.

والفرق بين مطلق الشيء، والشيء المطلق:

أن مطلق الشيء هو أصل الشيء يعني وجود أدنىٰ درجاته.

أما الشيء المطلق فهو الشيء الكامل، يعني وجود كل درجاته، أو وجود كماله.

والمراد أن أهل السنة لا يحكمون بالكفر علىٰ من يدعي

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٢٤٧٥)، ومسلم (٥٧)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الإسلام ويعمل الطاعات الظاهرة بمطلق ارتكاب المعاصي التي هي دون الشرك، ودون استحلال المعاصي.

قوله: «كَمَا تَفْعَلُهُ الْخَوَارِجُ»: الذين يقولون: من فعل كبيرة فهو كافر في الدنيا، خالد مخلَّد في النار يوم القيامة.

قوله: «بَلِ الْأُخُوَّةُ الْإِيمَانِيَّةُ ثَابِتَةٌ مَعَ الْمَعَاصِي»: أي العاصي أخ للمؤمنين في الإيمان.

قوله: «كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فِي آيَةِ الْقِصَاصِ: ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾»: هذا الدليل الأول على أن العاصي أخ للمؤمنين.

وتفسير الآية: إذا عفا المجني عليه أو وليه عن الجاني، ورضي أن يأخذ المال في الدية، فعلى الطالب للدية أن يتبع بالمعروف فلا يطالب بأكثر من حقه[1].

قوله: «وَقَالَ: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓاْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۞ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾»: هذا الدليل الثاني على أن العاصي أخ للمؤمنين، فقد سمى الله كلتا الطائفتين مؤمنة مع الاقتتال،

(١) انظر: تفسير البغوي (١/ ١٩١)، وتفسير ابن كثير (١/ ٤٩٠).

وبهذا استدل الإمام البخاري وغيره علىٰ أنه لا يخرج من الإيمان بالمعصية وإن عظمت، لا كما يقوله الخوارج ومن تابعهم من المعتزلة ونحوهم.

وتفسير الآية: إذا تقاتلت طائفتان من المسلمين، فعلىٰ المسلمين أن يسعوا في الصلح بينهم، ويدعوهم إلىٰ حكم الله، فإن تعدَّت إحداهما علىٰ الأخرىٰ وأبت الإجابة إلىٰ حكم كتاب الله، فعلىٰ المسلمين قتال الطائفة التي تبغي حتىٰ ترجع إلىٰ كتاب الله وتسمع للحق وتطيعه، فإن رجعت إلىٰ الحق فعلىٰ المسلمين أن يحكموا بينهم بالعدل فيما حدث بينهم؛ فإن الجميع إخوة في الدين[1].

قوله: «وَلَا يَسْلُبُونَ الْفَاسِقَ الْمِلِّيَّ»: أي من أصول أهل السنة والجماعة، أنهم لا ينفون الإيمان بالكلية عن الفاسق، وهو الذي يرتكب الكبيرة، أو يصر علىٰ الصغيرة.

والمِلِّيّ: نسبة إلىٰ الملة، وهو الذي علىٰ ملة الإسلام.

قوله: «اسْمَ الْإِيمَانِ بِالْكُلِّيَّةِ»: كما تقول الخوارج.

قوله: «وَلَا يُخَلِّدُونَهُ فِي النَّارِ كَمَا تَقُولُهُ الْمُعْتَزِلَةُ»: أي أهل السنة والجماعة لا يحكمون علىٰ الفاسق بالخلود في النار كما تقول المعتزلة.

---

(١) **انظر**: تفسير البغوي (٧/ ٣٤٠-٣٤١)، وتفسير ابن كثير (٧/ ٣٧٤-٣٧٥).

قوله: «بَلِ»: للإضراب الإبطالي.

قوله: «الْفَاسِقُ يَدْخُلُ فِي اسْمِ الْإِيمَانِ»: أي أصل الإيمان.

قوله: «فِي مِثْلِ قَوْله تَعَالَىٰ: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾»: أي من أعتق رقبة مؤمنة، وإن كان المعتَق فاسقا، أجزأه ذلك بلا خلاف بين أهل العلم؛ لأن المؤمنة هنا يدخل فيها الفاسق.

قوله: «وَقَدْ لَا يَدْخُلُ»: أي الفاسق المِلِّي.

قوله: «فِي اسْمِ الْإِيمَانِ الْمُطْلَقِ»: أي الإيمان الكامل.

قوله: «كَمَا فِي قَوْله تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾»: أي الإيمان الكامل.

قوله: «﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾»: أي ليس المؤمن الذي يخالف الله ورسوله ﷺ، إنما المؤمنون الصادقون في إيمانهم، الذين إذا ذُكر الله خافت قلوبهم، وهذه صفة المؤمن حق المؤمن، الذي إذا ذُكر الله خاف منه، ففعل أوامره، وترك زواجره[1].

قوله: «وَقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَسْرِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ»: أي كامل الإيمان، لأن الإيمان يردعه عن السرقة.

---

(١) انظر: تفسير البغوي (٣/ ٣٢٦)، وتفسير ابن كثير (٤/ ١١).

قــولـه: «وَلَا يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَنْتَهِبُ نُهْبَةً»: أي لا يختلس شيئا له قيمة عالية[(١)].

قــولـه: «ذَاتَ شَرَفٍ يَرْفَعُ النَّاسُ إِلَيْهِ فِيهَا أَبْصَارَهُمْ حِينَ يَنْتَهِبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ»: أي ذات قدر عظيم وقيمة جليلة، وقيل: ذات استشراف يستشرف الناس لها ناظرين إليها رافعين أبصارهم[(٢)].

قــولـه: «وَيَقُولُونَ: هُوَ مُؤْمِنٌ نَاقِصُ الْإِيمَانِ، أَوْ مُؤْمِنٌ بِإِيمَانِهِ، فَاسِقٌ بِكَبِيرَتِهِ»: جمعا بين النصوص التي نفت عنه الإيمان.

قــولـه: «فَلَا يُعْطَىٰ الاسْمُ الْمُطْلَقُ»: أي الإيمان الكامل.

قــولـه: «وَلَا يُسْلَبُ مُطْلَقُ الاسْمِ»: أي أصل الإيمان.

مسألة: أنواع الفسق:

الفسق نوعان:

أحدهما: فسق أكبر: هو بمعنىٰ الكفر الأكبر.

ومنه قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ﴾[الكهف:٥٠].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٥٤﴾﴾[البقرة:٢٥٤].

الآخر: فسق أصغر: هو دون الأول، ولا يُخرج من الملة.

---

(١) انظر: النهاية في غريب الحديث (٥/ ١٣٣).

(٢) انظر: النهاية في غريب الحديث (٢/ ٤٦١)، وشرح صحيح مسلم (٢/ ٤٤).

ومنه قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَأۡتُواْ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجۡلِدُوهُمۡ ثَمَٰنِينَ جَلۡدَةٗ وَلَا تَقۡبَلُواْ لَهُمۡ شَهَٰدَةً أَبَدٗاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ۝٤﴾[النور:٤].

وقوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ۝٦﴾[الحُجُرات:٦].



[مذهب أهل السنة في أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ]

وَمِنْ أُصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ:

٢٤٩- سَلَامَةُ قُلُوبِهِمْ وَأَلْسِنَتِهِمْ لِأَصْحَابِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

٢٥٠- كَمَا وَصَفَهُمُ اللهُ بِهِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ۝١٠﴾[الحشر:١٠].

٢٥١- وَطَاعَةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي قَوْلِهِ: «لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي؛ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا؛ مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ، وَلَا نَصِيفَهُ»[1].

الشـــرح

قـــولـــه: «وَمِنْ أُصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ: سَلَامَةُ قُلُوبِهِمْ»: أي من الغل والحقد والبغضاء.

قـــولـــه: «وَأَلْسِنَتِهِمْ لِأَصْحَابِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»: أي من الطعن واللعن والسب لأصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لفضائلهم وسبقهم.

ولقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «خَيْرُ أُمَّتِي قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٣٦٧٣)، ومسلم (٢٥٤١)، من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الَّذِينَ يَلُونَهُمْ»[(١)].

وهذا فيه الرد علىٰ الروافض والخوارج الذين يسبون الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ويتبرؤون منهم.

قوله: «كَمَا وَصَفَهُمُ اللهُ بِهِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾»: أي التابعون وهم الذين يجيئون بعد المهاجرين والأنصار إلىٰ يوم القيامة، ثم ذكر أنهم يدعون لأنفسهم ولمن سبقهم بالإيمان والمغفرة.

قوله: «﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا﴾»: أي إخواننا في الدين.

قوله: «﴿ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا﴾»: أي غشا وحسدا وبغضا، فمن كان في قلبه غل علىٰ أحد من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ولم يترحم علىٰ جميعهم فإنه ليس ممن عناه الله بهذه الآية؛ لأن الله تعالىٰ رتب المؤمنين علىٰ ثلاثة منازل: المهاجرين والأنصار والتابعين الموصوفين بما ذكر الله، فمن لم يكن من التابعين بهذه الصفة كان خارجا من أقسام المؤمنين[(٢)]، ومن لم يستغفر للصحابة علىٰ العموم ويطلب رضوان الله لهم فقد خالف ما أمره الله به في هذه

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٣٦٥٠)، ومسلم (٢٥٣٣)، من حديث عمران بن حصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) انظر: تفسير البغوي (٨/ ٧٩).

الآية[١].

قــولــه: «﴿لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ١٠﴾»: أي لرأفتك ورحمتك، نسألك المغفرة لنا، ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان.

وهؤلاء يستحق فقراؤهم من مال الفيء، وهم المهاجرون، ثم الأنصار، ثم التابعون بإحسان، أي: المتبعون لآثارهم الحسنة وأوصافهم الجميلة، الداعون لهم في السر والعلانية.

واستنبط الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ من هذه الآية الكريمة: أن الرافضي الذي يسب الصحابة ليس له في مال الفيء نصيب؛ لعدم اتصافه بما مدح الله به هؤلاء في قولهم: ﴿رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ١٠﴾[الحشر: ١٠][٢].

قــولــه: «وَطَاعَةُ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ»: أي من أصول أهل السنة والجماعة، طاعة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ، في سلامة قلوبهم وألسنتهم لأصحابه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ.

قــولــه: «فِي قَوْلِهِ: «لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي»»: أي لا تقدحوا، ولا تعيبوا.

---

(١) انظر: فتح القدير، للشوكاني (٥/ ٢٤٠).
(٢) انظر: تفسير ابن كثير (٨/ ٧٢-٧٣).

قــولــه: «فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ»: هذا القَسَم يراد منه تأكيد ما بعده.

قــولــه: «لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا؛ مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ»: المد يساوي ربع صاع، وإنما قدره به؛ لأنه أقل ما كانوا يتصدقون به في العادة[(١)].

قــولــه: «وَلَا نَصِيفَهُ»»: أي ولا نصفه.

والمعنىٰ: لو أنفق أحدكم مثل جبل أُحد ذهبا ما بلغ ثوابُه في ذلك ثوابَ نفقة أحد أصحاب النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مُدًّا ولا نِصف مُدٍّ، وسببُ تفضيل نفقتهم أنها كانت في وقت الضرورة وضيق الحال بخلاف غيرهم؛ ولأن إنفاقهم كان في نصرته صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وحمايته وذلك معدوم بعده، وكذا جهادهم وسائر طاعتهم، وقد قال الله تعالىٰ: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُواْ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾[الحديد: ١٠]، هذا كله مع ما كان في أنفسهم من الشفقة والتودد والخشوع والتواضع والإيثار والجهاد في الله حق جهاده، وفضيلةُ الصحبة ولو لحظة لا يوازيها عمل، ولا تنال درجتها بشيء، والفضائل لا تؤخذ بقياس، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء[(٢)].

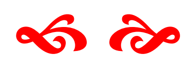
قال البيضاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: معنىٰ الحديث: لا ينال أحدكم بإنفاق مثل

---

(١) انظر: النهاية في غريب الحديث (٤/ ٣٠٨).

(٢) انظر: شرح صحيح مسلم (١٦/ ٩٣).

أحد ذهبا من الفضل والأجر ما ينال أحدهم بإنفاق مد طعـام أو نصـيفه وسبب التفاوت ما يقارن الأفضل من مزيد الإخلاص وصدق النية[١].



(١) انظر: فتح الباري (٧/ ٣٤).

[فضائل الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ومراتبهم]

٢٥٢- وَيَقْبَلُونَ مَا جَاءَ بِهِ الْكِتَابُ أَوِ السُّنَّةُ أَوِ الْإِجْمَاعُ مِنْ فَضَائِلِهِمْ وَمَرَاتِبِهِمْ.

٢٥٣- فَيُفَضِّلُونَ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ -وَهُوَ صُلْحُ الْحُدَيْبِيَةِ- وَقَاتَلَ عَلَىٰ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ بَعْدِهِ وَقَاتَلَ.

٢٥٤- وَيُقَدِّمُونَ الْمُهَاجِرِينَ عَلَىٰ الْأَنْصَارِ.

٢٥٥- وَيُؤْمِنُونَ بِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ قَالَ لِأَهْلِ بَدْرٍ -وَكَانُوا ثَلَاثَمِائَةٍ وَبِضْعَةَ عَشَرَ-: «اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ»[1].

٢٥٦- وَبِأَنَّهُ: «لَا يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ بَايَعَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ»[2]؛ كَمَا أَخْبَرَ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَلْ قَدْ رَضِيَ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ، وَكَانُوا أَكْثَرَ مِنْ أَلْفٍ وَأَرْبَعِمِائَةٍ.

٢٥٧- وَيَشْهَدُونَ بِالْجَنَّةِ لِمَنْ شَهِدَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ كَالْعَشَرَةِ.

- وَكَثَابِتِ بْنِ قَيْسِ بْنِ شَمَّاسٍ، وَغَيْرِهِمْ مِنَ الصَّحَابَةِ.

٢٥٨- وَيُقِرُّونَ بِمَا تَوَاتَرَ بِهِ النَّقْلُ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَغَيْرِهِ؛ مِنْ أَنَّ خَيْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا: أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرُ،

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٣٠٠٧)، ومسلم (٢٤٩٤)، من حديث علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٤٩٦)، من حديث حفصة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

وَيُثَلِّثُونَ بِعُثْمَانِ، وَيُرَبِّعُونَ بِعَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ؛ كَمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ الْآثَارُ.

الشرح

قوله: «وَيَقْبَلُونَ»: أي أهل السنة والجماعة.

قوله: «مَا جَاءَ بِهِ الْكِتَابُ أَوِ السُّنَّةُ أَوِ الْإِجْمَاعُ مِنْ فَضَائِلِهِمْ وَمَرَاتِبِهِمْ»: أي ليسوا هم على درجة واحدة، إنما هم متفاضلون فيما بينهم.

قوله: «فَيُفَضِّلُونَ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ -وَهُوَ صُلْحُ الْحُدَيْبِيَةِ- وَقَاتَلَ عَلَى مَنْ أَنْفَقَ مِنْ بَعْدِهِ وَقَاتَلَ»: لقوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُواْ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾[الحديد: ١٠]، أي لا يستوي في الفضل من أنفق ماله وقاتل العدو مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبل الفتح مع من أنفق وقاتل بعده، وذلك أن قبل فتح مكة كان الحال شديدا، فلم يكن يؤمن حينئذ إلا الصديقون، وأما بعد الفتح فإنه ظهر الإسلام ظهورا عظيما، ودخل الناس في دين الله أفواجا.

والمراد بالفتح عند أكثر المفسرين: فتح مكة[1]، واختار شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ، أن الفتح هو صلح الحديبية، وكان في ذي القَعدة، من السنة السادسة من الهجرة.

---

(١) انظر: تفسير البغوي (٨/ ٣٣)، وتفسير ابن كثير (٨/ ١٢).

والدليل علىٰ أن الفتح هو صلح الحديبية: قولُ البَرَاءِ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «تَعُدُّونَ أَنْتُمُ الفَتْحَ فَتْحَ مَكَّةَ، وَقَدْ كَانَ فَتْحُ مَكَّةَ فَتْحًا، وَنَحْنُ نَعُدُّ الفَتْحَ بَيْعَةَ الرِّضْوَانِ يَوْمَ الحُدَيْبِيَةِ»(١).

قوله: «وَيُقَدِّمُونَ الْمُهَاجِرِينَ عَلَىٰ الْأَنْصَارِ»: لأن المهاجرين جمعوا بين النصرة والهجرة، فقد هجروا أوطانهم وأموالهم وأهليهم إلىٰ الله ورسوله، ونصروا لله ورسوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

قال الله تعالىٰ في وصف المهاجرين: ﴿ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ﴾[الحشر:٨]، فنص علىٰ الهجرة والنصرة، لذلك هم أفضل من الأنصار.

ولأن الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ قدمهم علىٰ الأنصار في كتابه الكريم، فدل علىٰ أنهم أفضل.

قال تعالىٰ: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ١٠٠﴾[التوبة:١٠٠].

وقال تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ

(١) صحيح: رواه البخاري (٤١٥٠).

ﵟثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّهُۥ بِهِمۡ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١١٧ﵞ[التوبة:١١٧].

وقال تعالىٰ: ﵟلِلۡفُقَرَآءِ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأَمۡوَٰلِهِمۡ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ٨ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةٗ مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٩ﵞ[الحشر:٨-٩].

والمهاجرون: هم الذين هاجروا إلىٰ المدينة في عهد رسول الله ﷺ قبل فتح مكة.

والأنصار: هم الذين هاجر إليهم النبي ﷺ إلىٰ المدينة، وهم الأوس والخزرج.

والهجرة في اللغة: القطع والقطيعة، يقال: هجره إذا قطع صلته به[1].

وفي الشرع: الانتقال من بلد الشرك إلىٰ بلد الإسلام.

قوله: «وَيُؤْمِنُونَ بِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ قَالَ لِأَهْلِ بَدْرٍ -وَكَانُوا ثَلَاثَمِائَةٍ وَبِضْعَةَ عَشَرَ-: «اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ»»: كما في حديث علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: بَعَثَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنَا وَالزُّبَيْرَ، وَالمِقْدَادَ

---

(١) انظر: مقاييس اللغة (٦/ ٣٤).

بْنَ الأَسْوَدِ، قَالَ: «**انْطَلِقُوا حَتَّىٰ تَأْتُوا رَوْضَةَ خَاخٍ**[١]**، فَإِنَّ بِهَا ظَعِينَةً**[٢]**، وَمَعَهَا كِتَابٌ فَخُذُوهُ مِنْهَا**»، فَانْطَلَقْنَا تَعَادَىٰ بِنَا[٣] خَيْلُنَا حَتَّىٰ انْتَهَيْنَا إِلَىٰ الرَّوْضَةِ، فَإِذَا نَحْنُ بِالظَّعِينَةِ، فَقُلْنَا أَخْرِجِي الكِتَابَ، فَقَالَتْ: مَا مَعِي مِنْ كِتَابٍ، فَقُلْنَا: لَتُخْرِجِنَّ الكِتَابَ أَوْ لَنُلْقِيَنَّ الثِّيَابَ، فَأَخْرَجَتْهُ مِنْ عِقَاصِهَا[٤]، فَأَتَيْنَا بِهِ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَإِذَا فِيهِ مِنْ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ إِلَىٰ أُنَاسٍ مِنَ المُشْرِكِينَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ يُخْبِرُهُمْ بِبَعْضِ أَمْرِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يَا حَاطِبُ مَا هَذَا؟**»، قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، لَا تَعْجَلْ عَلَيَّ إِنِّي كُنْتُ امْرَأً مُلْصَقًا[٥] فِي قُرَيْشٍ، وَلَمْ أَكُنْ مِنْ أَنْفُسِهَا، وَكَانَ مَنْ مَعَكَ مِنَ المُهَاجِرِينَ لَهُمْ قَرَابَاتٌ بِمَكَّةَ يَحْمُونَ بِهَا أَهْلِيهِمْ وَأَمْوَالَهُمْ، فَأَحْبَبْتُ إِذْ فَاتَنِي ذَلِكَ مِنَ النَّسَبِ فِيهِمْ، أَنْ أَتَّخِذَ عِنْدَهُمْ يَدًا[٦] يَحْمُونَ بِهَا قَرَابَتِي، وَمَا فَعَلْتُ كُفْرًا وَلَا ارْتِدَادًا، وَلَا رِضًا بِالكُفْرِ بَعْدَ الإِسْلَامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَقَدْ صَدَقَكُمْ**»، قَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللهِ دَعْنِي أَضْرِبْ عُنُقَ هَذَا المُنَافِقِ، قَالَ:

---

(١) **روضة خاخ**: موضع بين مكة والمدينة.
(٢) **ظعينة**: أي امرأة في هودج، وقيل: هي المرأة.
(٣) **تعادىٰ**: أي تسرع.
(٤) **عقاصها**: أي شعرها المضفور.
(٥) **ملصقا**: أي مضافا إليهم، وليس منهم، وقيل: معناه: حليفا، ولم يكن من نفس قريش وأقربائهم.
(٦) **يدا**: أي نعمة ومنة.

«إِنَّهُ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا، وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللهَ أَنْ يَكُونَ قَدِ اطَّلَعَ[1] عَلَىٰ أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ»[2]، معناه الغفران لهم في الآخرة[3].

قال ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «تقرر عند أهل السنة قاطبة من تقديم علي بعد عثمان، ومن تقديم بقية العشرة المبشرة علىٰ غيرهم، ومن تقديم أهل بدر علىٰ من لم يشهدها»[4].

قوله: «وَبِأَنَّهُ: «لَا يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ بَايَعَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ»؛ كَمَا أَخْبَرَ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَلْ قَدْ رَضِيَ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ، وَكَانُوا أَكْثَرَ مِنْ أَلْفٍ وَأَرْبَعِمِائَةٍ»: أصحاب الشجرة هم أهل بيعة الرضوان، قال تعالىٰ: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾[الفتح:١٨].

وأفضل الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ: الخلفاء الأربعة، ثم الستة الباقون إلىٰ تمام العشرة، ثم البدريون، ثم أصحاب أحد، ثم أهل بيعة الرضوان بالحديبية[5].

---

(١) **اطلع**: أي نظر إليهم، وعلم حالهم وما سيكون منهم.

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٠٠٧)، ومسلم (٢٤٩٤).

(٣) **انظر**: شرح صحيح مسلم (١٦/ ٥٦).

(٤) **انظر**: فتح الباري (٧/ ٥٨).

(٥) **انظر**: مقدمة ابن الصلاح، صـ(٢٩٩).

وسبب بيعة الرضوان: أنَّهُ لمَّا أَرسل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلىٰ قريش؛ ليخبرهم أنه لم يأتوا لقتال، وإنما أتوا للعمرة، فتأخر عليه، فأُشيع مَقتلُه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقالَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا نَبرَحُ حَتَّىٰ نُنَاجِزَ القَومَ**»، فدعَا رسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلىٰ البَيْعةِ، فَكَانَتْ بَيْعَةُ الرِّضْوَانِ تَحْتَ الشَّجَرَةِ، وَبايَعَ المسلمونَ رسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهُو تحتَ الشجرةِ عَلىٰ ألا يَفِرُّوا، فَكَانَ النَّاسُ يَقُولُونَ: بَايَعَهُمْ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَىٰ الْمَوْتِ، ولما تمَّتِ البيعةُ رجعَ عثمانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[1].

قوله: «وَيَشْهَدُونَ بِالْجَنَّةِ لِمَنْ شَهِدَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»: الشهادة نوعان:

أحدهما: شهادة بوصف: كوصف الإيمان، فنشهد لكل مؤمن أنه في الجنة، وكل تقي في الجنة، بدون تقييد لشخص.

الآخر: شهادة لشخص: فلا نشهد لأحد معين أنه في الجنة إلا لمن نص عليه الشارع كالعشرة المبشرين بالجنة.

قوله: «كَالْعَشَرَةِ»: أي أهل السنة يشهدون بالجنة لمن شهد له رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهم المذكورون في حديثِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَبُو بَكْرٍ فِي الجَنَّةِ،**

---

(١) **انظر:** سيرة ابن هشام (٢/ ٣١٥-٣١٦)، وزاد المعاد (٣/ ٢٥٩-٢٦٠).

وَعُمَرُ فِي الجَنَّةِ، وَعُثْمَانُ فِي الجَنَّةِ، وَعَلِيٌّ فِي الجَنَّةِ، وَطَلْحَةُ فِي الجَنَّةِ وَالزُّبَيْرُ فِي الجَنَّةِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ فِي الجَنَّةِ، وَسَعْدٌ فِي الجَنَّةِ، وَسَعِيدٌ فِي الجَنَّةِ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الجَرَّاحِ فِي الجَنَّةِ»(١).

قــولــه: «وَكَثَابِتِ بْنِ قَيْسِ بْنِ شَمَّاسٍ»: لحديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ قَالَ لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ۝٢﴾[الحُجُرات:٢]، جَلَسَ ثَابِتُ بْنُ قَيْسٍ فِي بَيْتِهِ، وَقَالَ: أَنَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَاحْتَبَسَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَسَأَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَعْدَ بْنَ مُعَاذٍ، فَقَالَ: «يَا أَبَا عَمْرٍو، مَا شَأْنُ ثَابِتٍ؟ اشْتَكَىٰ؟(٢)» قَالَ سَعْدٌ: إِنَّهُ لَجَارِي، وَمَا عَلِمْتُ لَهُ بِشَكْوَىٰ، قَالَ: فَأَتَاهُ سَعْدٌ، فَذَكَرَ لَهُ قَوْلَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ ثَابِتٌ: أُنْزِلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ، وَلَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنِّي مِنْ أَرْفَعِكُمْ صَوْتًا عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَنَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَذَكَرَ ذَلِكَ سَعْدٌ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بَلْ هُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ»(٣).

قــولــه: «وَغَيْرِهِمْ مِنَ الصَّحَابَةِ»: كعُكَّاشَة بن محصَن، وعبد الله

---

(١) صحيح: رواه الترمذي (٣٧٤٧)، وصححه، والنسائي في الكبرىٰ (٨١٣٨)، وأحمد (١٦٧٥)، وصححه الألباني.

(٢) اشتكىٰ: أي مرض.

(٣) صحيح: رواه مسلم (١١٩).

بن سلام، وبلال بن رباح رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وغيرهم.

فعن عِمْرَانَ بنِ حُصَينٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ نَبِيُّ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعُونَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ**»، قَالُوا: وَمَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**هُمُ الَّذِينَ لَا يَكْتَوُونَ وَلَا يَسْتَرْقُونَ، وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ**»، فَقَامَ عُكَّاشَةُ، فَقَالَ: ادْعُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، قَالَ: «**أَنْتَ مِنْهُمْ**»، قَالَ: فَقَامَ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللهِ، ادْعُ اللهِ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، قَالَ: «**سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ**»[(١)].

وعَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «**مَا سَمِعْتُ النَّبِيَّ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **يَقُولُ لِأَحَدٍ يَمْشِي عَلَىٰ الأَرْضِ: إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ إِلَّا لِعَبْدِ اللهِ بْنِ سَلَامٍ**»[(٢)].

وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**رَأَيْتُنِي دَخَلْتُ الجَنَّةَ، فَإِذَا أَنَا بِالرُّمَيْصَاءِ، امْرَأَةِ أَبِي طَلْحَةَ، وَسَمِعْتُ خَشَفَةً، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: هَذَا بِلَالٌ، وَرَأَيْتُ قَصْرًا بِفِنَائِهِ جَارِيَةٌ، فَقُلْتُ: لِمَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: لِعُمَرَ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَدْخُلَهُ فَأَنْظُرَ إِلَيْهِ، فَذَكَرْتُ غَيْرَتَكَ**»، فَقَالَ عُمَرُ: بِأَبِي وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللهِ أَعَلَيْكَ أَغَارُ؟[(٣)].

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٥٧٠٥) عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، ومسلم (٢١٨)، واللفظ له.

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٣٨١٢).

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٦٧٩)، ومسلم (٢٣٩٤).

قوله: «وَيُقِرُّونَ»: أي يعترف أهل السنة والجماعة ويعتقدون.

قوله: «بِمَا تَوَاتَرَ بِهِ النَّقْلُ»: أي ما يثبت بطريق التواتر، وهو أقوىٰ الأسانيد.

قوله: «عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَغَيْرِهِ»: أي من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

قوله: «مِنْ أَنَّ خَيْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا: أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرُ، وَيُثَلِّثُونَ بِعُثْمَانَ»: أي يجعلونه الثالث في الأفضلية.

قوله: «وَيُرَبِّعُونَ بِعَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ»: أي يجعلونه الرابع في الأفضلية.

قوله: «كَمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ الْآثَارُ»: كما في قول ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: «كُنَّا نُخَيِّرُ بَيْنَ النَّاسِ[1] فِي زَمَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَنُخَيِّرُ أَبَا بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ، ثُمَّ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ»[2].

قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «خَيْرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَلَوْ شِئْتُ لَحَدَّثْتُكُمْ بِالثَّالِثِ»[3].

وقَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «مَا مَاتَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّىٰ عَرَفْنَا أَنَّ أَفْضَلَنَا بَعْدَهُ أَبُو بَكْرٍ، وَمَا مَاتَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّىٰ عَرَفْنَا أَنَّ

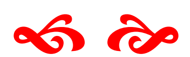
---

(١) نخير بين الناس: أي نقول: فلان خير من فلان.

(٢) صحيح: رواه البخاري (٣٦٥٥).

(٣) صحيح: رواه أحمد (٨٨٠)، وصححه أحمد شاكر.

أَفْضَلَنَا بَعْدَ أَبِي بَكْرٍ عُمَرُ، وَمَا مَاتَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّىٰ عَرَفْنَا أَنَّ أَفْضَلَنَا بَعْدَ عُمَرَ رَجُلٌ آخَرُ لَمْ يُسَمِّهِ»، يعني عُثمانَ[1].



(١) ضعيف: رواه ابن أبي عاصم في السنة (١٢٠٠)، وضعف الألباني إسناده في ظلال الجنة.

[حكم تقديم علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على غيره في الخلافة]

٢٥٩- وَكَمَا أَجْمَعَتِ الصَّحَابَةُ عَلَىٰ تَقْدِيمِ عُثْمَانَ فِي الْبَيْعَةِ، مَعَ أَنَّ بَعْضَ أَهْلِ السُّنَّةِ كَانُوا قَدْ اخْتَلَفُوا فِي عُثْمَانَ وَعَلِيٍّ بَعْدَ اتِّفَاقِهِمْ عَلَىٰ تَقْدِيمِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ؛ أَيُّهُمَا أَفْضَلُ؟

- فَقَدَّمَ قَوْمٌ عُثْمَانَ، وَسَكَتُوا، أَوْ رَبَّعُوا بِعَلِيٍّ، وَقَدَّمَ قَوْمٌ عَلِيًّا، وَقَوْمٌ تَوَقَّفُوا، لَكِنِ اسْتَقَرَّ أَمْرُ أَهْلِ السُّنَّةِ عَلَىٰ تَقْدِيمِ عُثْمَانَ، ثُمَّ عَلِيٍّ.

٢٦٠- وَإِنْ كَانَتْ هَذِهِ الْمَسْأَلَةُ - مَسْأَلَةُ عُثْمَانَ وَعَلِيٍّ- لَيْسَتْ مِنَ الْأُصُولِ الَّتِي يُضَلَّلُ الْمُخَالِفُ فِيهَا عِنْدَ جُمْهُورِ أَهْلِ السُّنَّةِ.

٢٦١- لَكِنَّ الْمَسْأَلَةَ الَّتِي يُضَلَّلُ الْمُخَالِفُ فِيهَا: مَسْأَلَةُ الْخِلَافَةِ.

٢٦٢- وَذَلِكَ بِأَنَّهُمْ يُؤْمِنُونَ أَنَّ الْخَلِيفَةَ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرُ، ثُمَّ عُثْمَانُ، ثُمَّ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

٢٦٣- وَمَنْ طَعَنَ فِي خِلَافَةِ أَحَدٍ مِنْ هَؤُلَاءِ؛ فَهُوَ أَضَلُّ مِنْ حِمَارِ أَهْلِهِ.

الشرح

قوله: «وَكَمَا أَجْمَعَتِ الصَّحَابَةُ عَلَىٰ تَقْدِيمِ عُثْمَانَ فِي الْبَيْعَةِ، مَعَ أَنَّ بَعْضَ أَهْلِ السُّنَّةِ كَانُوا قَدْ اخْتَلَفُوا فِي عُثْمَانَ وَعَلِيٍّ بَعْدَ اتِّفَاقِهِمْ عَلَىٰ تَقْدِيمِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ؛ أَيُّهُمَا أَفْضَلُ؟»: أي أجمع أهل

السنة والجماعة بما فيهم الصحابة علىٰ أن الأحق بالخلافة: أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ[(١)].

واتفقوا علىٰ أن الأفضل أبو بكر، ثم عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، ثم اختلفوا في التفضيل بين عثمان وعلي، وذلك في بادئ الأمر، ثم استقر الأمر علىٰ أن الأفضل عثمان، ثم علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا[(٢)].

قوله: «فَقَدَّمَ قَوْمٌ عُثْمَانَ، وَسَكَتُوا، أَوْ رَبَّعُوا بِعَلِيٍّ، وَقَدَّمَ قَوْمٌ عَلِيًّا، وَقَوْمٌ تَوَقَّفُوا»: أي أن أمر أهل السنة استقر علىٰ أن الأفضل بعد أبي بكر وعمر عثمان ثم علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وهذا هو الصواب.

وقال أبو حاتم، وأبو زرعة الرازيين رَحِمَهُمَا اللَّهُ: أدركنا العلماء في جميع الأمصار حجازا وعراقا وشاما ويمنا، فكان من مذهبهم: أن خير هذه الأمة بعد نبيها صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أبو بكر الصديق، ثم عمر بن الخطاب، ثم عثمان بن عفان، ثم علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وهم الخلفاء الراشدون المهديون، وأن العشرة الذين سماهم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وشهد لهم بالجنة علىٰ ما شهد به رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقوله الحق، والترحم علىٰ جميع أصحاب محمد والكف عما شجر بينهم[(٣)].

وقال ابن الصلاح رَحِمَهُ اللَّهُ: «أفضلهم علىٰ الإطلاق أبو بكر، ثم

---

(١) انظر: لمعة الاعتقاد، لابن قدامة، صـ(٣٦).

(٢) انظر: مقدمة ابن الصلاح، صـ(٢٩٨-٢٩٩).

(٣) انظر: شرح أصول الاعتقاد، للالكائي (١/ ١٩٧).

عمر، ثم إن جمهور السلف علىٰ تقديم عثمان علىٰ علي .... وتقديمُ عثمان هو الذي استقرت عليه مذاهب أصحاب الحديث وأهل السنة»(١).

وقال ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «في الحديث -أي حديث التخيير المتقدم- تقديم عثمان بعد أبي بكر وعمر كما هو المشهور عند جمهور أهل السنة، وذهب بعض السلف إلىٰ تقديم عليٍّ علىٰ عثمان، وممن قال به سفيان الثوري، ويقال: إنه رجع عنه، وقال به ابن خزيمة وطائفة قبله وبعده، وقيل: لا يفضل أحدهما علىٰ الآخر، قاله مالك في المدونة، وتبعه جماعة منهم يحيىٰ القطان، ومن المتأخرين ابن حزم؛ وحديث الباب حجة للجمهور»(٢).

قوله: «لَكِنِ اسْتَقَرَّ أَمْرُ أَهْلِ السُّنَّةِ عَلَىٰ تَقْدِيمِ عُثْمَانَ، ثُمَّ عَلِيٍّ»: لموافقته للنصوص.

خلاصة ما تقدم أن أهل السنة اختلفوا في التفضيل بين علي وعثمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا علىٰ أربعة أقوال:

أحدها: الأفضل عثمان، ثم علي، وهذا قول الأكثر.

الثاني: الأفضل عثمان، ثم السكوت.

(١) انظر: مقدمة ابن الصلاح، صـ (٢٩٨-٢٩٩).
(٢) انظر: فتح الباري (٧/ ١٦).

الثالث: الأفضل علي، ثم عثمان.

الرابع: التوقف.

قوله: «**وَإِنْ كَانَتْ هَذِهِ الْمَسْأَلَةُ -مَسْأَلَةُ عُثْمَانَ وَعَلِيٍّ- لَيْسَتْ مِنَ الْأُصُولِ الَّتِي يُضَلَّلُ الْمُخَالِفُ فِيهَا عِنْدَ جُمْهُورِ أَهْلِ السُّنَّةِ**»: أي أن المفاضلة بين عثمان وعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ليست من أصول أهل السنة التي يضلل فيها المخالف.

قوله: «**لَكِنَّ الْمَسْأَلَةَ الَّتِي يُضَلَّلُ الْمُخَالِفُ فِيهَا: مَسْأَلَةُ الْخِلَافَةِ**»: أي يحكم بضلال من خالف فيها؛ لأن المسلمين أجمعوا عليها.

قوله: «**وَذَلِكَ بِأَنَّهُمْ يُؤْمِنُونَ أَنَّ الْخَلِيفَةَ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرُ، ثُمَّ عُثْمَانُ، ثُمَّ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ**»: هذا ما أجمع عليه أهل السنة في مسألة الخلافة.

قوله: «**وَمَنْ طَعَنَ فِي خِلَافَةِ أَحَدٍ مِنْ هَؤُلَاءِ؛ فَهُوَ أَضَلُّ مِنْ حِمَارِ أَهْلِهِ**»: لمخالفته النص، والإجماع.

[مكانة أهل بيت النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ]

٢٦٤- وَيُحِبُّونَ أَهْلَ بَيْتِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَيَتَوَلَّوْنَهُمْ.

٢٦٥- وَيَحْفَظُونَ فِيهِمْ وَصِيَّةَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ حَيْثُ قَالَ يَوْمَ غَدِيرِ خُمٍّ: «أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي»(١).

٢٦٦- وَقَالَ أَيْضًا لِلْعَبَّاسِ عَمِّهِ؛ وَقَدْ شَكَىٰ إِلَيْهِ أَنَّ بَعْضَ قُرَيْشٍ يَجْفُو بَنِي هَاشِمٍ؛ فَقَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ؛ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحِبُّوكُمْ؛ لِلَّهِ وَلِقَرَابَتِي»(٢).

٢٦٧- وَقَالَ: «إِنَّ اللهَ اصْطَفَىٰ إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَىٰ مِنْ بَنِي إِسْمَاعِيلَ كِنَانَةَ، وَاصْطَفَىٰ مِنْ كِنَانَةَ قُرَيْشًا، وَاصْطَفَىٰ مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ»(٣).

.... الشرح ....

قوله: «وَيُحِبُّونَ أَهْلَ بَيْتِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»: أي من أصول أهل السنة والجماعة أنهم يحبون آل بيت رسول الله

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٤٠٨)، من حديث زيد بن أرقم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٢) صحيح: رواه أحمد (١٧٧٧)، من حديث العباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وصححه أحمد شاكر، وضعفه الألباني.

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٢٧٦)، من حديث واثلة بن الأسقع رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وآل بيت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هم أقرباؤه الذين حرمت عليهم الصدقة، وهم آل علي، وآل جعفر، وآل عقيل، وآل العباس، وبنو الحارث بن عبد المطلب.

وأزواجه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من آل بيته؛ كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ٣٣﴾[الأحزاب:٣٣].

فأهل السنة يحبونهم، ويفضلونهم، ويكرمونهم؛ لقوله تعالىٰ: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾[الشورى:٢٣].

قوله: «وَيَتَوَلَّوْنَهُمْ»: أي ينصرونهم، ويحبونهم، فالموالاة معناها المحبة، والنصرة.

والولي: المحِب، والصديق، والنصير[(١)].

قوله: «وَيَحْفَظُونَ فِيهِمْ وَصِيَّةَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»: أي يعملون بما عهده النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلىٰ أمته.

قوله: «حَيْثُ قَالَ يَوْمَ غَدِيرِ خُمٍّ»: موضع بين مكة والمدينة قريب من الجحفة، تَصُب فيه بئر هناك[(٢)].

---

(١) انظر: القاموس المحيط، مادة «ولي».

(٢) انظر: النهاية في غريب الحديث (٢/ ٨١).

والغدير: هنا هو مجمع السيل، **وخُم**: اسم رجل نُسب إليه الغدير.

وقيل: هو الغَيضَة، أي الشجر الملتف؛ نسب الغدير إليها؛ لأنه واقع فيها.

قوله: «أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي»: أي من توقيرهم، وإكرامهم، والقيام بحقوقهم.

قوله: «وَقَالَ أَيْضًا لِلْعَبَّاسِ عَمِّهِ؛ وَقَدْ شَكَىٰ إِلَيْهِ أَنَّ بَعْضَ قُرَيْشٍ يَجْفُو بَنِي هَاشِمٍ»: أي بترفُّع وكُرْهٍ.

وهاشم: هو جد أبي الرسول صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

قوله: «فَقَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يُؤْمِنُونَ»: أي الإيمان الكامل.

قوله: «حَتَّىٰ يُحِبُّوكُمْ؛ لِلَّهِ وَلِقَرَابَتِي»: أي تقربًا إلىٰ الله بذلك؛ لأنهم من أوليائه، ولكونهم قرابة رسول الله صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وفيه تشريف للنبي صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وإكرام له.

قوله: «وَقَالَ»: أي النبي صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

قوله: «إِنَّ اللهَ اصْطَفَىٰ إِسْمَاعِيلَ»: أي إسماعيل بن إبراهيم الخليل عَلَيْهِمَاالسَّلَامُ.

قوله: «وَاصْطَفَىٰ مِنْ بَنِي إِسْمَاعِيلَ كِنَانَةَ»: أي كنانة بن خزيمة، وهو الأب الرابع عشر لرسول الله صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وكِنانة تتفرع

منها قبيلة قريش.

قوله: «وَاصْطَفَىٰ مِنْ كِنَانَةَ قُرَيْشًا»: هو الأب الحادي عشر لرسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو فِهر بن مالك، وقيل: الأب الثالث عشر، وهو النَّضر بن كِنانة.

قوله: «وَاصْطَفَىٰ مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ»: هم بنو هاشم بن عبد مناف.

قوله: «وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ»: أي اصطفىٰ النبي محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من بني هاشم.

مسألة [١]: لفظة «الآل» لها إطلاقان:

أحدهما: إطلاق خاص: قرابة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

الآخر: إطلاق عام: أتباع النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

مسألة [٢]: من مقتضيات محبة آل البيت:

١- أن يُعتقد أنهم أفضل الناس نسبًا.

٢- أن يُكرموا ويُقدموا في المجالس.

٣- أن يُعانوا، ويدافع عنهم، وينصروا، وتحفظ أعراضهم.

٤- أن لهم حقًّا في الفيء.

[مكانة أزواج النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ]

٢٦٨- وَيَتَوَلَّوْنَ أَزْوَاجَ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ.

٢٦٩- وَيُقِرُّونَ بِأَنَّهُنَّ أَزْوَاجُهُ فِي الْآخِرَةِ.

٢٧٠- خُصُوصًا خَدِيجَةَ أُمَّ أَكْثَرِ أَوْلَادِهِ، وَأَوَّلَ مَنْ آمَنَ بِهِ وَعَاضَدَهُ عَلَىٰ أَمْرِهِ، وَكَانَ لَهَا مِنْهُ الْمَنْزِلَةُ الْعَالِيَةُ.

٢٧١- وَالصِّدِّيقَةَ بِنْتَ الصِّدِّيقِ الَّتِي قَالَ فِيهَا صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَضْلُ عَائِشَةَ عَلَىٰ النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَىٰ سَائِرِ الطَّعَامِ»[(١)].

...............................الشـــرح...............................

قـولـه: «وَيَتَوَلَّوْنَ أَزْوَاجَ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ»: أي بالمحبة والنصرة والتوقير؛ لقوله تعالىٰ: ﴿وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَـٰتُهُمْ﴾[الأحزاب:٦]، أي في الحرمة والاحترام، والإكرام والتوقير والإعظام، وتحريم نكاحهن علىٰ التأبيد، ولكن لا تجوز الخلوة بهن، فإنه حرام في حقهن كما في حق الأجانب، ولا ينتشر التحريم إلىٰ بناتهن وأخواتهن بالإجماع[(٢)].

وقد توفي النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن تسع نسوة، وهن: عائشة، وحفصة،

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٣٤١١)، ومسلم (٢٤٣١)، من حديث أبي موسىٰ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) انظر: تفسير البغوي (٦/ ٣١٩)، وتفسير ابن كثير (٦/ ٣٨١).

وزينب بنت جحش، وأم سلمة، وصفية، وميمونة، وأم حبيبة، وسَودة، وجويرية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُنَّ.

قوله: «وَيُقِرُّونَ»: أي أهل السنة والجماعة.

قوله: «بِأَنَّهُنَّ أَزْوَاجُهُ فِي الْآخِرَةِ»: لقوله تعالىٰ: ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِي وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ﴾[غافر:٨]، فيه أن زوجة الإنسان في الدنيا تكون زوجته في الآخرة إذا كانت من أهل الجنة.

قوله: «خُصُوصًا خَدِيجَةَ»: لما لها من المزايا والفضائل.

قوله: «أُمَّ أَكْثَرِ أَوْلَادِهِ»: فكل أولاده منها ما عدا إبراهيم فمن مارية القبطية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

قوله: «وَأَوَّلَ مَنْ آمَنَ بِهِ وَعَاضَدَهُ عَلَىٰ أَمْرِهِ»: أي ساعده، وأعانه في أول أمره.

قوله: «وَكَانَ لَهَا مِنْهُ الْمَنْزِلَةُ الْعَالِيَةُ»: لأنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يكثر من الثناء عليها.

فعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: مَا غِرْتُ عَلَىٰ أَحَدٍ مِنْ نِسَاءِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مَا غِرْتُ عَلَىٰ خَدِيجَةَ، وَمَا رَأَيْتُهَا، وَلَكِنْ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُكْثِرُ ذِكْرَهَا، وَرُبَّمَا ذَبَحَ الشَّاةَ ثُمَّ يُقَطِّعُهَا أَعْضَاءً، ثُمَّ يَبْعَثُهَا فِي صَدَائِقِ خَدِيجَةَ، فَرُبَّمَا قُلْتُ لَهُ: كَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي الدُّنْيَا امْرَأَةٌ إِلَّا

خَدِيجَةُ، فَيَقُولُ: «إِنَّهَا كَانَتْ، وَكَانَتْ، وَكَانَ لِي مِنْهَا وَلَدٌ»[(١)].

قوله: «وَالصِّدِّيقة بِنْتَ الصِّدِّيقِ»: أي عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

والصدِّيق: صيغة مبالغة من الصدق، وهو لقب أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قوله: «الَّتِي قَالَ فِيهَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَضْلُ عَائِشَةَ عَلَىٰ النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَىٰ سَائِرِ الطَّعَامِ»»: الثريد هو أفضل الأطعمة؛ لأنه خبز ولحم، وذلك لأن البر أفضل الأقوات، واللحم أفضل الإدام[(٢)].

مسألة: أيهما أفضل: خديجة، أو عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؟

لا شك أن كل واحدة قد اختصت بفضل لم تشاركها فيه غيرها، فسبق خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وتأثيرها في أول الإسلام، ونصرها، وقيامها في الدين لم تشركها فيه عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، ولا غيرها من أمهات المؤمنين.

وتأثير عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في آخر الإسلام، وحمل الدين، وتبليغه إلىٰ الأمة، وإدراكها من العلم ما لم تشركها فيه خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، ولا غيرها مما تميزت به عن غيرها[(٣)].

وقال بعض أهل العلم: خديجة أفضل؛ لأن الله بلغها السلام، أما عائشة فبلغها جبريل السلامَ.

---

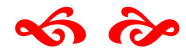
(١) **صحيح**: رواه البخاري (٣٨١٨).

(٢) **انظر**: منهاج السنة النبوية (٤/ ٣٠٢).

(٣) **انظر**: مجموع الفتاوىٰ (٤/ ٣٩٣).

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: «أَتَى جِبْرِيلُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ: هَذِهِ خَدِيجَةُ قَدْ أَتَتْ مَعَهَا إِنَاءٌ فِيهِ إِدَامٌ، أَوْ طَعَامٌ أَوْ شَرَابٌ، فَإِذَا هِيَ أَتَتْكَ فَاقْرَأْ عَلَيْهَا السَّلَامَ مِنْ رَبِّهَا وَمِنِّي وَبَشِّرْهَا بِبَيْتٍ فِي الجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ(١) لَا صَخَبَ(٢) فِيهِ، وَلَا نَصَبَ(٣)»(٤).

وعن عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا: «يَا عَائِشَ، هَذَا جِبْرِيلُ يُقْرِئُكِ السَّلَامَ»(٥).



---

(١) قصب: قال جمهور العلماء: المراد به قصب اللؤلؤ المجوف كالقصر المنيف، وقيل: قصب من ذهب منظوم بالجوهر. [انظر: شرح صحيح مسلم (١٥/ ٢٠٠)].

(٢) صخب: أي صوت مختلط مرتفع. [انظر: شرح صحيح مسلم (١٥/ ٢٠٠)].

(٣) النصب: أي مشقة وتعب. [انظر: شرح صحيح مسلم (١٥/ ٢٠٠)].

(٤) متفق عليه: رواه البخاري (٣٨٢٠)، ومسلم (٢٤٣٢).

(٥) متفق عليه: رواه البخاري (٣٧٦٨)، ومسلم (٢٤٤٧).

[تبرؤ أهل السنة والجماعة مما يقوله المبتدعة في حق الصحابة وأهل البيت]

٢٧٢- وَيَتَبَرَّؤُونَ مِنْ طَرِيقَةِ الرَّوَافِضِ الَّذِينَ يُبْغِضُونَ الصَّحَابَةَ وَيَسُبُّونَهُمْ.

- وَطَرِيقَةِ النَّوَاصِبِ، الَّذِينَ يُؤْذُونَ أَهْلَ الْبَيْتِ، بِقَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ.

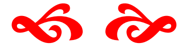
.... الشــرح ....

قوله: «وَيَتَبَرَّؤُونَ مِنْ طَرِيقَةِ الرَّوَافِضِ»: الروافض هم أشد أهل البدع كرها للصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

قوله: «الَّذِينَ يُبْغِضُونَ الصَّحَابَةَ وَيَسُبُّونَهُمْ»: أي الذين يقدحون في الصحابة، وينالون منهم.

قوله: «وَطَرِيقَةِ النَّوَاصِبِ»: أي الذين ناصبوا العداء لآل البيت، فيقدحون فيهم ويسبونهم ويكفرونهم ويطعنون فيهم.

قوله: «الَّذِينَ يُؤْذُونَ أَهْلَ الْبَيْتِ، بِقَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ»: أي أهل السنة والجماعة يتبرؤون من طريقة النواصب الذي يؤذون آل البيت بأقوالهم وأفعالهم.



[منهج أهل السنة فيما شجر بين الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ]

٢٧٣- وَيُمْسِكُونَ عَمَّا شَجَرَ بَيْنَ الصَّحَابَةِ.

٢٧٤- وَيَقُولُونَ: إِنَّ هَذِهِ الْآثَارَ الْمَرْوِيَّةَ فِي مَسَاوِئِهِمْ مِنْهَا مَا هُوَ كَذِبٌ، وَمِنْهَا مَا قَدْ زِيدَ فِيهِ وَنُقِصَ، وَغُيِّرَ عَنْ وَجْهِهِ.

وَعامَّةُ الصَّحِيحِ مِنْهُ هُمْ فِيهِ مَعْذُورُونَ: إِمَّا مُجْتَهِدُونَ مُصِيبُونَ، وَإِمَّا مُجْتَهِدُونَ مُخْطِئُونَ.

٢٧٥- وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ لَا يَعْتَقِدُونَ أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَ الصَّحَابَةِ مَعْصُومٌ عَنْ كَبَائِرِ الْإِثْمِ وَصَغَائِرِهِ، بَلْ يَجُوزُ عَلَيْهِمُ الذُّنُوبُ فِي الْجُمْلَةِ.

..............................الشــرح..............................

قــولــه: «وَيُمْسِكُونَ»: أي عن اللفظ والقول، والعمل، والكتابة، والحكاية، والاستماع، والإقراء، والاعتقاد، ونحوه.

قــولــه: «عَمَّا شَجَرَ بَيْنَ الصَّحَابَةِ»: أي عما وقع بينهم من النزاع، فلا يخوضون فيه.

قَالَ العَوَّامُ بْنُ حَوْشَبٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «أَدْرَكْتُ صَدْرَ هَذِهِ الأُمَّةِ يَقُولُونَ: اذْكُرُوا مَحَاسِنَ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى تَأْلَفَ عَلَيْهِمُ

القُلُوبُ، وَلَا تَذْكُرُوا مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ فَتُجَسِّرُوا[١] **النَّاسَ عَلَيْهِمْ»**[٢].

وأجمع أهل العلم علىٰ وجوب السكوت عن الخوض في الفتن التي جرت بين الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بعد قتل عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عملا بقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾[الحشر:١٠]، واعتقاد أن الكل منهم مجتهد إن أصاب فله أجران: أجر علىٰ اجتهاده وأجر علىٰ إصابته، وإن أخطأ فله أجر الاجتهاد، والخطأ مغفور، ولا نقول: إنهم معصومون بل مجتهدون إما مصيبون، وإما مخطئون لم يتعمدوا الخطأ في ذلك[٣].

كما أجمعوا علىٰ الكف عن ذكر الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ إلا بخير ما يذكرون به، وعلىٰ أنهم أحق أن ينشر محاسنهم، ويلتمس لأفعالهم أفضل المخارج، وأن نظن بهم أحسن الظن، وأحسن المذاهب[٤].

وسمي الشجار شجارا؛ لتداخل كلامهم بعضه في بعض، وأصله التداخل، واشتجروا: تنازعوا، قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾[النساء:٦٥][٥].

---

(١) **تُجَسِّرُوا**: أي تشجعوا.

(٢) **انظر**: الجامع لأحكام القرآن (١٨/ ٣٣).

(٣) **انظر**: معارج القبول (٣/ ١٢٠٨).

(٤) **انظر**: رسالة إلىٰ أهل الثغر، صـ(١٧٢).

(٥) **انظر**: مقاييس اللغة، مادة «شجر».

قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «من الحجة الواضحة الثابتة البيّنة المعروفة ذكر محاسن أصحاب رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كلهم أجمعين والكف عن ذكر مساويهم، والخلاف الذي شجر بينهم، فمن سب أصحاب رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أو أحدا منهم فهو مبتدع رافضي خبيث، مخالف لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلًا، بل حبهم سنة، والدعاء لهم قربة، والاقتداء بهم وسيلة، والأخذ بآثارهم فضيلة»[(١)].

قوله: «وَيَقُولُونَ: إِنَّ هَذِهِ الْآثَارَ الْمَرْوِيَّةَ فِي مَسَاوِئِهِمْ مِنْهَا مَا هُوَ كَذِبٌ»: أي قد افتراه أعداؤهم؛ ليقدحوا فيهم.

هذا القسم الأول من الآثار المروية في مساوئ الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ.

قوله: «وَمِنْهَا مَا قَدْ زِيدَ فِيهِ وَنُقِصَ، وَغُيِّرَ عَنْ وَجْهِهِ»: أي محرف، قد دخله الكذب، فلا يعتمد عليه، لأن فضل الصحابة معلوم.

وهذا القسم الثاني من الآثار المروية في مساوئ الصحابة.

قوله: «وَعامَّةُ الصَّحِيحِ مِنْهُ هُمْ فِيهِ مَعْذُورُونَ: إِمَّا مُجْتَهِدُونَ مُصِيبُونَ، وَإِمَّا مُجْتَهِدُونَ مُخْطِئُونَ»: لقول النبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا حَكَمَ الحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ، وَإِذَا حَكَمَ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ»[(٢)].

---

(١) انظر: طبقات الحنابلة، لأبي يعلىٰ (١/ ٣٠).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٧٣٥٢)، ومسلم (١٧١٦)، عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

وهـذا القسـم الثالـث مـن الآثـار المرويـة في مسـاوئ الصـحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ.

قــولــه: «وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ لَا يَعْتَقِدُونَ أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَ الصَّحَابَةِ مَعْصُومٌ عَنْ كَبَائِرِ الْإِثْمِ وَصَغَائِرِهِ»: أي لا يعتقدون ذلك؛ لقول النَّبِيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قَالَ: «**كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ وَخَيْرُ الخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ**»[1].

قــولــه: «بَلْ يَجُوزُ عَلَيْهِمُ الذُّنُوبُ فِي الْجُمْلَةِ»: كغيرهم من البشر، ولكن يمتازون عن غيرهم بعدة أشياء ذكرها المصنف رَحِمَهُٱللَّهُ.

---

(١) حسن: رواه الترمذي (٢٤٩٩)، وابن ماجه (٤٢٥١)، وأحمد (١٣٠٤٩)، من حديث أنس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وصححه الألباني.

[من مناقب أصحاب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ]

٢٧٦- وَلَهُمْ مِنَ السَّوَابِقِ وَالْفَضَائِلِ مَا يُوجِبُ مَغْفِرَةَ مَا يَصْدُرُ مِنْهُمْ إِنْ صَدَرَ.

٢٧٧- حَتَّىٰ إِنَّهُ يُغْفَرُ لَهُمْ مِنَ السَّيِّئَاتِ مَا لَا يُغْفَرُ لِمَنْ بَعْدَهُمْ؛ لِأَنَّ لَهُمْ مِنَ الْحَسَنَاتِ الَّتِي تَمْحُو السَّيِّئَاتِ مَا لَيْسَ لِمَنْ بَعْدَهُمْ.

٢٧٨- وَقَدْ ثَبَتَ بِقَوْلِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّهُمْ خَيْرُ الْقُرُونِ»(١).

٢٧٩- وَأَنَّ الْمُدَّ مِنْ أَحَدِهِمْ إِذَا تَصَدَّقَ بِهِ كَانَ أَفْضَلَ مِنْ جَبَلِ أُحُدٍ ذَهَبًا مِمَّنْ بَعْدَهُمْ(٢).

٢٨٠- ثُمَّ إِذَا كَانَ قَدْ صَدَرَ عَنْ أَحَدِهِمْ ذَنْبٌ؛ فَيَكُونُ قَدْ تَابَ مِنْهُ، أَوْ أَتَىٰ بِحَسَنَاتٍ تَمْحُوهُ، أَوْ غُفِرَ لَهُ بِفَضْلِ سَابِقَتِهِ، أَوْ بِشَفَاعَةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِينَ هُمْ أَحَقُّ النَّاسِ بِشَفَاعَتِهِ، أَوِ ابْتُلِيَ بِبَلَاءٍ فِي الدُّنْيَا كُفِّرَ بِهِ عَنْهُ.

٢٨١- فَإِذَا كَانَ هَذَا فِي الذُّنُوبِ الْمُحَقَّقَةِ؛ فَكَيْفَ بِالْأُمُورِ الَّتِي

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٣٦٥٠)، ومسلم (٢٥٣٣).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٣٦٧٣)، ومسلم (٢٥٤١)، من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

كَانُوا فِيهَا مُجْتَهِدِينَ؟ إِنْ أَصَابُوا؛ فَلَهُمْ أَجْرَانِ، وَإِنْ أَخْطَؤُوا؛ فَلَهُمْ أَجْرٌ وَاحِدٌ، وَالْخَطَأُ مَغْفُورٌ.

٢٨٢- ثُمَّ الْقَدْرُ الَّذِي يُنْكَرُ مِنْ فِعْلِ بَعْضِهِمْ قَلِيلٌ نَزْرٌ مَغْمُورٌ فِي جَنْبِ فَضَائِلِ الْقَوْمِ وَمَحَاسِنِهِمْ، مِنَ الْإِيمَانِ بِاللهِ وَرَسُولِهِ، وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِهِ، وَالْهِجْرَةِ، وَالنُّصْرَةِ، وَالْعِلْمِ النَّافِعِ، وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ.

٢٨٣- وَمَنْ نَظَرَ فِي سِيرَةِ الْقَوْمِ بِعِلْمٍ وعَدْلٍ وَبَصِيرَةٍ، وَمَا مَنَّ اللهُ بِهِ عَلَيْهِمْ مِنَ الْفَضَائِلِ؛ عَلِمَ يَقِينًا أَنَّهُمْ خَيْرُ الْخَلْقِ بَعْدَ الْأَنْبِيَاءِ.

٢٨٤- لَا كَانَ، وَلَا يَكُونُ مِثْلُهُمْ.

٢٨٥- وَأَنَّهُمْ هُمُ الصَّفْوَةُ مِنْ قُرُونِ هَذِهِ الْأُمَّةِ، الَّتِي هِيَ خَيْرُ الْأُمَمِ وَأَكْرَمُهَا عَلَى اللهِ.

الشـــرح

قــولــه: «وَلَهُمْ مِنَ السَّوَابِقِ وَالْفَضَائِلِ مَا يُوجِبُ مَغْفِرَةَ مَا يَصْدُرُ مِنْهُمْ إِنْ صَدَرَ»: كما في قصة حاطب بـن أبـي بَلْتَعـةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قـالَ عُمَـرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: يَا رَسُولَ اللهِ دَعْنِي أَضْرِبْ عُنُقَ هَذَا المُنَافِقِ، قَالَ: «إِنَّهُ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا، وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللهَ أَنْ يَكُونَ قَدِ اطَّلَعَ[1] عَلَىٰ أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ»[2].

---

(١) اطلع: أي نظر إليهم، وعلم حالهم وما سيكون منهم.
(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٣٠٠٧)، ومسلم (٢٤٩٤).

قوله: «حَتَّىٰ إِنَّهُ يُغْفَرُ لَهُمْ مِنَ السَّيِّئَاتِ مَا لَا يُغْفَرُ لِمَنْ بَعْدَهُمْ؛ لِأَنَّ لَهُمْ مِنَ الْحَسَنَاتِ الَّتِي تَمْحُو السَّيِّئَاتِ مَا لَيْسَ لِمَنْ بَعْدَهُمْ»: لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ﴾[هود:١١٤].

وعَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اتَّقِ اللهِ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الحَسَنَةَ تَمْحُهَا»(١).

قوله: «وَقَدْ ثَبَتَ بِقَوْلِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّهُمْ خَيْرُ الْقُرُونِ»»: أي جملة القرن بالنسبة إلىٰ كل قرن بجملته، والصحيح أن قرنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصحابة، والثاني التابعون، والثالث تابعوهم، واتفق العلماء علىٰ أن خير القرون قرنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والمراد أصحابه، والصحيح الذي عليه الجمهور أن كل مسلم رأىٰ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولو ساعة فهو من أصحابه(٢).

وأجمع العلماء علىٰ أن كل من صحب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولو ساعة، أو رآه ولو مرة مع إيمانه به وبما دعا إليه أفضل من التابعين بذلك(٣).

قوله: «وَأَنَّ الْمُدَّ مِنْ أَحَدِهِمْ إِذَا تَصَدَّقَ بِهِ كَانَ أَفْضَلَ مِنْ جَبَلِ

---

(١) حسن: رواه الترمذي (١٩٨٧)، وقال: «حسن صحيح»، وأحمد (٢١٣٥٤)، وحسنه الألباني.

(٢) انظر: صحيح شرح مسلم (١٦/ ٨٤-٨٥).

(٣) انظر: رسالة إلىٰ أهل الثغر، صـ (١٧١).

أُحُدٍ ذَهَبًا مِمَّنْ بَعْدَهُمْ»: لقول النَّبِيِّ ﷺ: «**لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ، ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ، وَلَا نَصِيفَهُ**»[(١)].

قوله: «ثُمَّ إِذَا كَانَ قَدْ صَدَرَ عَنْ أَحَدِهِمْ ذَنْبٌ؛ فَيَكُونُ قَدْ تَابَ مِنْهُ، أَوْ أَتَىٰ بِحَسَنَاتٍ تَمْحُوهُ، أَوْ غُفِرَ لَهُ بِفَضْلِ سَابِقَتِهِ»: أي الأعمال الصالحة التي قدَّمها.

قوله: «أَوْ بِشَفَاعَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ الَّذِينَ هُمْ أَحَقُّ النَّاسِ بِشَفَاعَتِهِ»: كما في قول النبي ﷺ: «**لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ يَدْعُو بِهَا فَيُسْتَجَابُ لَهُ، فَيُؤْتَاهَا، وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»[(٢)].

وقالَ ﷺ: «**أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ، أَوْ نَفْسِهِ**»[(٣)].

قوله: «أَوْ ابْتُلِيَ بِبَلَاءٍ فِي الدُّنْيَا كُفِّرَ بِهِ عَنْهُ»: أي إذا امتحن وأصيب بمصيبة مُحي عنه ذلك الذنب بسببها؛ لقول النبي ﷺ: «**مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ، مِنْ نَصَبٍ وَلَا وَصَبٍ**[(٤)]**، وَلَا هَمٍّ وَلَا**

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٦٧٣)، ومسلم (٢٥٤١)، من حديث أبي سعيد رضي الله عنه.

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦٣٠٤)، ومسلم (١٩٩)، واللفظ له، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) **صحيح**: رواه البخاري (٩٩)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) **وصب**: أي مرض.

حُـزْنٍ وَلَا أَذًىٰ وَلَا غَـمٍّ، حَتَّـىٰ الشَّـوْكَةِ يُشَـاكُهَا، إِلَّا كَفَّـرَ اللهُ بِهَـا مِـنْ خَطَايَاهُ»[(١)]، والصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أولىٰ الناس بذلك.

قـولـه: «فَإِذَا كَانَ هَذَا فِي الذُّنُوبِ الْمُحَقَّقَةِ؛ فَكَيْفَ بِالْأُمُورِ الَّتِي كَانُوا فِيهَا مُجْتَهِدِينَ؟»: الاجتهاد هو بذل الوسع في معرفة الحكم الشرعي.

قـولـه: «إِنْ أَصَابُوا؛ فَلَهُمْ أَجْرَانِ، وَإِنْ أَخْطَؤُوا؛ فَلَهُمْ أَجْرٌ وَاحِدٌ، وَالْخَطَأُ مَغْفُورٌ»: أي من أصاب الحق فله أجران، ومن أخطأ فله أجر واحد، وكذلك كل مجتهد.

قـولـه: «ثُمَّ الْقَدْرُ الَّذِي يُنْكَرُ مِنْ فِعْلِ بَعْضِهِمْ قَلِيلٌ نَزْرٌ مَغْمُورٌ فِي جَنْبِ فَضَائِلِ الْقَوْمِ وَمَحَاسِنِهِمْ»: أي القدر الذي يُنكر من فعل بعضهم قليل جدا.

قـولـه: «مِنَ الْإِيمَانِ بِاللهِ وَرَسُولِهِ، وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِهِ، وَالْهِجْرَةِ، وَالنُّصْرَةِ، وَالْعِلْمِ النَّافِعِ، وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ»: أي هـذه الفضائل والمناقب تغفر كل ما صدر عنهم من مساوئ.

قـولـه: «وَمَنْ نَظَرَ فِي سِيرَةِ الْقَوْمِ بِعِلْمٍ وعَدْلٍ وَبَصِيرَةٍ، وَمَا مَنَّ اللهُ بِهِ عَلَيْهِم مِنَ الْفَضَائِلِ؛ عَلِمَ يَقِينًا أَنَّهُمْ خَيْرُ الْخَلْقِ بَعْدَ الْأَنْبِيَاءِ»:

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٥٦٤١)، ومسلم (٢٥٧٣)، واللفظ له، من حديث أبي هريرة، وأبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

أي إذا نظر الإنسان بعلم وبصيرة في محاسنهم، وما أعطاهم الله من فضائل علم أنهم خير الخلق بعد الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

قوله: «لَا كَانَ، وَلَا يَكُونُ مِثْلُهُمْ»: أي ما وُجِد ولا يوجد مثلهم؛ لقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**خَيْرُ أُمَّتِي قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ**»(١)، ولأن الله اختارهم لصحبة نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله: «وَأَنَّهُمْ هُمُ الصَّفْوَةُ مِنْ قُرُونِ هَذِهِ الْأُمَّةِ، الَّتِي هِيَ خَيْرُ الْأُمَمِ وَأَكْرَمُهَا عَلَىٰ اللهِ»: لقوله تعالىٰ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾[آل عمران: ١١٠].



---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٣٦٥٠)، ومسلم (٢٥٣٣)، من حديث عمران بن حصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

[التصديقُ بكراماتِ الأولياءِ]

وَمِنْ أُصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ:

٢٨٦- التَّصْدِيقُ بِكَرَامَاتِ الْأَوْلِيَاءِ.

٢٨٧- وَمَا يُجْرِي اللهُ عَلَىٰ أَيْدِيهِمْ؛ مِنْ خَوَارِقِ الْعَادَاتِ، فِي أَنْوَاعِ الْعُلُومِ، وَالْمُكَاشَفَاتِ، وَأَنْوَاعِ الْقُدْرَةِ، وَالتَّأْثِيرَاتِ، كَالْمَأْثُورِ عَنْ سَالِفِ الْأُمَمِ فِي سُورَةِ الْكَهْفِ، وَغَيْرِهَا، وَعَنْ صَدْرِ هَذِهِ الْأُمَّةِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَسَائِرِ قُرُونِ الْأُمَّةِ.

٢٨٨- وَهِيَ مَوْجُودَةٌ فِيهَا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

الشـــرح

قـولـه: «وَمِنْ أُصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ: التَّصْدِيقُ بِكَرَامَاتِ الْأَوْلِيَاءِ»:

الإيمانُ بكراماتِ الأولياءِ أصلٌ من أصولِ الإيمانِ دلـتْ عليه نصوصُ الكتابِ والسنةِ فيجبُ اعتقادُ صحةِ ذلك وأنه حقٌّ، ومن كذَّب ذلكَ أو أنكر شيئا منه فقد ردَّ النصوص.

والكرامات: جمع كرامة، وهـي ظهـور أمـر خـارق للعـادة مـن قِبَـل شخص غير مُدَّعٍ للنبوة، فما لا يكون مقرونًا بالإيمان والعمل الصالح يكـون اسـتدراجًا، ويسـمىٰ شـعوذة، ومـا يكـون مقرونـًا بـدعوىٰ النبـوة

يكون معجزةً[١].

سميت كرامةً؛ لأن الله يُكرم بها أولياءه المتقين[٢].

والكرامة لزوم الاستقامة، ولم يكرم الله عبده بكرامة أعظم من موافقته فيما يحبه ويرضاه، وهو طاعته، وطاعة رسوله، وموالاة أوليائه، ومعاداة أعدائه[٣].

والأولياء: جمع ولي، وهو كلُّ عبدٍ مؤمن تقي؛ لقوله تعالىٰ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ۝٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ۝٦٣﴾[يونس:٦٢-٦٣]، والتقوىٰ هي امتثال أوامر الله، واجتناب نواهيه.

وكرامات الأولياء هي من دلائل النبوة؛ فإنها لا توجد إلا لمن اتبع النبيَّ الصادقَ[٤]، وسببها الإيمان والتقوىٰ[٥].

وذكر غير واحد من العلماء أن كرامات الأولياء معجزات للأنبياء؛ لأن الولي إنما نال ذلك ببركة متابعته لنبيه، وثواب إيمانه[٦].

(١) انظر: التعريفات، للشريف الجرجاني، صـ(١٨٤).
(٢) انظر: مجموع الفتاوىٰ (١١/ ٢٧٤).
(٣) انظر: التحفة العراقية، لابن تيمية، صـ(٤٩).
(٤) انظر: النبوات، لابن تيمية (١/ ٥٠١).
(٥) انظر: مجموع الفتاوىٰ (١١/ ٢٨٧).
(٦) انظر: البداية والنهاية، لابن كثير (٩/ ٣٠٧).

قــولــه: «وَمَا يُجْرِي اللهُ عَلَىٰ أَيْدِيهِمْ؛ مِنْ خَوَارِقِ الْعَادَاتِ»: أي ما يكون علىٰ خلاف العادة الكونية.

قــولــه: «فِي أَنْوَاعِ الْعُلُومِ، وَالْمُكَاشَفَاتِ»: هذا القسم الأول من أقسام الكرامات.

والمراد بالعلوم: ما يحصل للمسلم من العلوم ما لا يحصل لغيره.

مثالــه: أنَّ اللهَ أعلــم أبــا بكــرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن في بطــن زوجتــه أُنْثَــىٰ، وذلك قَبْلَ وِلَادَتِهَا[1].

والمراد بالمكاشفات: ما يظهر للمسلم من الأشياء التي يُكشف له عنها ما لا يحصل لغيره.

مثاله: ما رواه ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بَعَثَ جَيْشًا، وَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ رَجُلًا يُدْعَىٰ سَارِيَةَ، فَبَيْنَا عُمَرُ يَخْطُبُ، جَعَلَ يَصِيحُ وَهُوَ عَلَىٰ الْمِنْبَرِ يَا سَارِيَةُ الْجَبَلَ، يَا سَارِيَةُ الْجَبَلَ، فَقَدِمَ رَسُولُ الْجَيْشِ، فَسَأَلَهُ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، لَقِينَا عَدُوَّنَا فَهَزَمُونَا وَإِنَّ الصَّائِحَ لَيَصِيحُ: يَا سَارِيَةُ الْجَبَلَ، يَا سَارِيَةُ الْجَبَلَ، فَشَدَدْنَا ظُهُورَنَا بِالْجَبَلِ، فَهَزَمَهُمُ اللهُ[2].

قــولــه: «وَأَنْوَاعِ الْقُدْرَةِ، وَالتَّأْثِيرَاتِ»: هذا القسم الثاني من أقسام

---

(١) انظر: كرامات الأولياء، للالكائي، صـ (١٢٣).

(٢) صحيح: رواه البيهقي في الاعتقاد، صـ (٣١٤)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١١١٠).

الكرامات.

والمراد بالقدرة: أن يُقدِره الله علىٰ ما لم يقدر عليه غيره من الناس.

والمراد بالتأثيرات: أن يُقدِره الله علىٰ التأثير في المكان الذي هو فيه.

مثال القدرة:

- أن زكريا عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ كان كلما دخل علىٰ مريم وجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف، وفاكهة الصيف في الشتاء[1]، كما قال الله تعالىٰ: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾[آل عمران:٣٧].

مثال التأثيرات: أن الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ دخل عليه بعض الشرطة داره، فبحثوا عنه، فلم يجدوه مع أنه كان جالسا وسط الدار لم يتحرك؛ فهذا تأثير في أبصار الناس بأن لا يروه.

قوله: «كَالْمَأْثُورِ عَنْ سَالِفِ الْأُمَمِ فِي سُورَةِ الْكَهْفِ، وَغَيْرِهَا، وَعَنْ صَدْرِ هَذِهِ الْأُمَّةِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَسَائِرِ قُرُونِ الْأُمَّةِ»:

كقصة الثلاثة الذين انطبق عليهم الغار، فلم يستطيعوا الخروج حتىٰ ذكر كل واحد منهم عملا أخلصه لله جَلَّجَلَالُهُ[2].

---

(١) انظر: كرامات الأولياء، للالكائي، صـ (٧٢).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٣٤٦٥)، ومسلم (٢٧٤٣)، من حديث ابْنِ عُمَرَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا.

- وأن العلاء الحضرمي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مشىٰ، وجيشه علىٰ الماء، فما ابتلت قَدمٌ، ولا خُفُّ بعيرٍ، ولا حافرُ دابَّةٍ، وكان الجيش أربعة آلاف[1].

قوله: «وَهِيَ مَوْجُودَةٌ فِيهَا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ»: أي متىٰ وُجد أولياء الله كانت الكرامة.

والدليل علىٰ ذلك: أن النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذكر أنَّه يأتِي الدَّجَّالَ رَجُلٌ، وَهُوَ خَيْرُ النَّاسِ فَيَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّكَ الدَّجَّالُ الَّذِي حَدَّثَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَدِيثَهُ، فَيَقُولُ الدَّجَّالُ: أَرَأَيْتُمْ إِنْ قَتَلْتُ هَذَا، ثُمَّ أَحْيَيْتُهُ، هَلْ تَشُكُّونَ فِي الأَمْرِ؟ فَيَقُولُونَ: لَا، فَيَقْتُلُهُ، ثُمَّ يُحْيِيهِ، فَيَقُولُ: وَاللهِ مَا كُنْتُ فِيكَ أَشَدَّ بَصِيرَةً مِنِّي الْيَوْمَ، فَيُرِيدُ الدَّجَّالُ أَنْ يَقْتُلَهُ فَلَا يُسَلَّطُ عَلَيْهِ[2].

مسألة [١]: إثبات الكرامات:

كرامات الأولياء حق باتفاق أئمة الإسلام والسنة والجماعة، وقد دل عليها القرآن في غير موضع، والأحاديث الصحيحة والآثار المتواترة عن الصحابة والتابعين وغيرهم؛ وإنما أنكرها أهل البدع من المعتزلة، والجهمية ومن تابعهم[3].

---

(١) **انظر**: كرامات الأولياء، للالكائي، صـ(١٦٢).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٧١٣٢)، ومسلم (٢٩٣٨)، من حديث أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) **انظر**: مختصر الفتاوىٰ المصرية، لابن تيمية، صـ(٦٠٠)، والمستدرك علىٰ مجموع الفتاوىٰ (١/ ١٢٠).

مسألة [٢]: لماذا أنكرت المعتزلة الكرامات؟

أنكرت المعتزلة الكرامات لأمرين:

أحدهما: قالوا: لو أثبتنا الكرامات لاشتبه الساحر بالولي، والولي بالنبي؛ لأن كل واحد منهم يأتي بخارق.

الآخر: أنّ من مذهبهم عدم تجويز وقوع الخوارق علىٰ يد غير الأنبياء[1].

أجيب بأن الكرامة لا تظهر إلا علىٰ يد ولي، ولا يكون الإنسان وليا حتىٰ يتبع النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإذا ادعىٰ النبوة لم يكن وليًّا، بل كان متنبئًا كذابا.

مسألة [٣]: أكثر من يدعي الكرامات كذابون:

كثيرٌ ممن يدعي الكرامة، أو تدعىٰ له يكون كذابا أو ملبوسا عليه.

مسألة [٤]: هل تدل الكرامة علىٰ عصمة صاحبها؟

لا تدل الكرامة علىٰ عصمة صاحبها، ولا علىٰ وجوب اتباعه في كل ما يقوله؛ بل قد تصدر بعض الخوارق عن الكفار والسحرة بمؤاخاتهم للشياطين، كما ثبت عن الدجال أنه يقول للسماء: أمطري فتمطر، وللأرض أنبتي فتنبت، وأنه يقتل واحدا ثم يحييه، وأنه يخرج كنوز الذهب والفضة.

---

(١) انظر: النبوات، لابن تيمية (١/ ٤٨٤).

ولهذا اتفق أئمة الدين علىٰ أن الرجل لو طار في الهواء ومشىٰ علىٰ الماء لم يثبت له ولاية بل ولا إسلام حتىٰ يُنظر في اتباعه للأمر والنهي الذي بعث الله به رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[1].

مسألة [٥]: الفرق بين المعجزة، والكرامة:

الفرق بين المعجزة، والكرامة أن المعجزة للنبي، والكرامة للولي إلا أنهما يجتمعان في أن كلا منهما يكون خارقا للعادة[2].

مسألة [٦]: لماذا كانت الكرامات في التّابعين أكثر منها في الصّحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ؟

الكرامات تكون تأييدًا أو تثبيتًا أو إعانة للشخص أو نصرًا للحق، ولهذا كانت الكرامات في التّابعين أكثر منها في الصّحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ؛ لأنَّ الصّحابة عندهم من التثبيت والتأييد والنصر ما يستغنون به عن الكرامات؛ فإن الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان بين أظهرهم، وأمَّا التابعون؛ فإنهم دون ذلك، ولذلك كثرت الكرامات في زمنهم تأييدًا لهم وتثبيتًا ونصرًا للحق الذي هم عليه[3].

❁❁❁

---

(١) انظر: المستدرك علىٰ مجموع الفتاوىٰ (١/ ١٢٠).

(٢) انظر: مجموع الفتاوىٰ (١١/ ٣١١-٣١٢).

(٣) انظر: مجموع الفتاوىٰ (١١/ ٣٣٥)، وشرح العقيدة الواسطية، للشيخ ابن عثيمين (٢/ ٣٠٣).

[اتباع آثار رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واتباع سبيل السابقين]

ثُمَّ مِنْ طَرِيقِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ:

٢٨٩- اتِّبَاعُ آثَارِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَاطِنًا وَظَاهِرًا.

٢٩٠- وَاتِّبَاعُ سَبِيلِ السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ.

٢٩١- وَاتِّبَاعُ وَصِيَّةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حَيْثُ قَالَ: «عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي، تَمَسَّكُوا بِهَا، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ؛ فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»[1].

٢٩٢- وَيَعْلَمُونَ أَنَّ أَصْدَقَ الْكَلَامِ كَلَامُ اللهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

٢٩٣- فَيُؤْثِرُونَ كَلَامَ اللهِ عَلَىٰ غَيْرِهِ مِنْ كَلَامِ أَصْنَافِ النَّاسِ.

٢٩٤- وَيُقَدِّمُونَ هَدْيَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَىٰ هَدْيِ كُلِّ أَحَدٍ، وَبِهَذَا سُمُّوا أَهْلَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.

---

(١) صحيح: رواه أبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، وقال: «حسن صحيح»، وابن ماجه (٤٢)، وأحمد (١٧١٤٤)، من حديث العرباض بن سارية رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وصححه الألباني.

٢٩٥- وَسُمُّوا أَهْلَ الْجَمَاعَةِ؛ لِأَنَّ الْجَمَاعَةَ هِيَ الاجْتِمَاعُ، وَضِدُّهَا الْفُرْقَةُ، وَإِنْ كَانَ لَفْظُ الْجَمَاعَةِ قَدْ صَارَ اسْمًا لِنَفْسِ الْقَوْمِ الْمُجْتَمِعِينَ.

٢٩٦- وَالْإِجْمَاعُ: هُوَ الْأَصْلُ الثَّالِثُ الَّذِي يُعْتَمَدُ عَلَيْهِ فِي الْعِلْمِ وَالدِّينِ.

٢٩٧- وَهُمْ يَزِنُونَ بِهَذِهِ الْأُصُولِ الثَّلَاثَةِ جَمِيعَ مَا عَلَيْهِ النَّاسُ مِنْ أَقْوَالٍ وَأَعْمَالٍ بَاطِنَةٍ أَوْ ظَاهِرَةٍ، مِمَّا لَهُ تَعَلُّقٌ بِالدِّينِ.

٢٩٨- وَالْإِجْمَاعُ الَّذِي يَنْضَبِطُ هُوَ مَا كَانَ عَلَيْهِ السَّلَفُ الصَّالِحُ؛ إِذْ بَعْدَهُمْ كَثُرَ الاخْتِلَافُ، وَانْتَشَرَتِ الْأُمَّةُ.

الشرح

قوله: «ثُمَّ مِنْ طَرِيقِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ»: هذا بيان لمنهج أهل السنة والجماعة في استنباط الأحكام الدينية كلها: أصولها وفروعها، بعد طريقتهم في مسائل الأصول.

قوله: «اتِّبَاعُ آثَارِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»: أي يتبعون سنته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله: «بَاطِنًا»: أي ما يبطن من الأعمال، كأعمال القلب.

قوله: «وَظَاهِرًا»: أي ما يظهر، كأعمال الجوارح.

قوله: «وَاتِّبَاعُ سَبِيلِ السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ»: أي يتبعون طريق السابقين من هذه الأمة.

والسابقون الأولون هم من أسلم قبل الحديبية علىٰ الصحيح من أقوال العلماء؛ لقوله تعالىٰ: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾[الحديد:١٠].

وقيل: السابقون الأولون هم الذين صلوا إلىٰ القبلتين.

وقيل: هم أهل بدر(١).

قوله: «وَاتِّبَاعُ وَصِيَّةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»: أي اتباع العهد الذي عهد به النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلىٰ أصحابه رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ.

قوله: «حَيْثُ قَالَ: «عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي»: أي الزموا طريقتي، وهديي.

قوله: «وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ»: هم الذين خلفوا النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ.

والراشدون: جمع راشد، وهو من عرف الحق، وعمل به.

قوله: «الْمَهْدِيِّينَ»: هم الذين هداهم الله إلىٰ الحق.

وسنة الخلفاء الراشدين هي ما اجتمع عليه الأربعة، وقيل: هي ما سنه أحد الأربعة وقبله الصحابة في زمانه.

الصواب القول الثاني؛ لأن القول الأول يفضي إلىٰ تعطيل اتباع

---

(١) انظر: تفسير البغوي (٤/ ٨٧)، وتفسير ابن كثير (٤/ ٢٠٣).

سنة الخلفاء في زمن أبي بكر، وفي زمن عمر، وفي زمن عثمان، وفي زمن علي، حتىٰ تنقضي الخلافة الراشدة.

قوله: «مِنْ بَعْدِي»: أي بعد وفاتي.

قوله: «تَمَسَّكُوا بِهَا»: أي الزموها.

قوله: «وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ»: هذا مثل في شدة الاستمساك بأمر الدين؛ لأن العض بالنواجذ عَضٌّ بجميع الفم والأسنان، وهي الأضراس، وقيل: التي بعد الأنياب(١).

قوله: «وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ؛ فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»: أي احذروا البدع؛ لأنها من الضلالات.

ففي هذا الحديث أمر النبي ﷺ المسلمين باتباع سنته، وسنة الخلفاء الراشدين، وأمر بالاستمساك بها، وحذَّر من المحدثات المخالفة لها، وبيَّن أن المحدثات هي البدع التي نهىٰ عنها(٢).

قال سفيان الثوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «البدعة أحب إلىٰ إبليس من المعصية، المعصية يُتاب منها، والبدعة لا يُتاب منها»(٣).

البدعة لغة: ما أحدث علىٰ غير مثال سابق، ومنه قوله تعالىٰ:

---

(١) **انظر**: النهاية في غريب الحديث (٣/ ٢٥٢).
(٢) **انظر**: مجموع الفتاوىٰ (٣٥/ ٢٢)، والفتاوىٰ الكبرىٰ، لابن تيمية (٤/ ٢٥٤).
(٣) **انظر**: شرح السنة، للبغوي (١/ ٢١٦).

﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[الأنعام:١٠١][(١)].

وشرعا: طريقة في الدين مخترَعة، تضاهي الشرعية يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله سبحانه، سواء كانت في العقيدة، أو في الأقوال والأفعال[(٢)].

وقد اتفق علماء أهل السنة علىٰ معاداة أهل البدعة، ومهاجرتهم[(٣)].

قال الإمام مالك بن أنس رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «من أحدث في هذه الأمة اليوم شيئا لم يكن عليه سلفها فقد زعم أن رسولَ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خان الرسالة؛ لأن الله تعالىٰ يقول: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[المائدة:٣]، فما لم يكن يومئذ دينا؛ فلا يكون اليوم دينا»[(٤)].

قال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «البدعة: عبارة عن فعل لم يكن فابتدع والأغلب فِي المبتدعات أنها تصادم الشريعة بالمخالفة وتوجب التعاطي عليها بزيادة أو نقصان»[(٥)].

---

(١) **انظر**: النهاية في غريب الحديث (١/ ١٠٦)، ولسان العرب، مادة «بدع».
(٢) **انظر**: الاعتصام، للشاطبي (١/ ٥٠).
(٣) **انظر**: شرح السنة، للبغوي (١/ ٢٢٧).
(٤) **انظر**: الإحكام في أصول الأحكام، لابن حزم (٦/ ٥٨)، والاعتصام (١/ ٤٩٤).
(٥) **انظر**: تلبيس إبليس، لابن الجوزي، صـ (١٧).

مسألة [١]: مراتب البدع:

معلوم أن البدع ليست في رتبة واحدة فلا يصح أن يقال: إنها على حكم واحد، هو الكراهة فقط، أو التحريم فقط.

- بل منها ما هو من المعاصي التي ليست بكفر أو يختلف؛ هل هي كفر أم لا؟ كبدعة الخوارج والقدرية والمرجئة، ومن أشبههم من الفرق الضالة.

- ومنها ما هو معصية، وَيُتَّفَقُ عليها، وليست بكفر كبدعة التبتل[١]، والصيام قائما في الشمس، والخصاء بقصد قطع شهوة الجماع.

- ومنها، ما هو مكروه كالاجتماع للدعاء عشية عرفة، وما أشبه ذلك[٢].

مسألة [٢]: مفاسد البدع:

ثبت في مفاسد البدع أمران:

أحدهما: أنها مضادة للشارع ومُراغمة له، حيث نصَّب المبتدع نفسه نَصْبَ المستدرك على الشريعة، لا نَصْبَ المكتفي بما حد له.

والثاني: أن كل بدعة -وإن قلَّت- تشريع زائد أو ناقص، أو تغيير للأصل الصحيح، وكل ذلك قد يكون على الانفراد، وقد يكون ملحقا

---

(١) **التبتل**: أي الانقطاع بالعبادة عن الدنيا.

(٢) **انظر**: الاعتصام (١/ ٥١٦-٥١٧).

بما هو مشروع، فيكون قادحا في المشروع، ولو فعل أحد مثل هذا في نفس الشريعة عامدا لكفر؛ إذ الزيادة والنقصان فيها أو التغيير -قلَّ أو كثُر- كُفر، فلا فرق بين ما قلَّ منه وما كثر.

ويعضد هذا النظر عموم الأدلة في ذم البدع من غير استثناء[(١)].

قوله: «وَيَعْلَمُونَ أَنَّ أَصْدَقَ الْكَلَامِ كَلَامُ اللهِ»: لقوله تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾﴾[النساء:١٢٢].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾﴾[النساء:٨٧].

قوله: «وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»: أي أحسن الطريق والسيرة طريق النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وسيرته، فلا أحسن من طريقه وسيرته[(٢)].

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا خَطَبَ احْمَرَّتْ عَيْنَاهُ، وَعَلَا صَوْتُهُ، وَاشْتَدَّ غَضَبُهُ، حَتَّىٰ كَأَنَّهُ مُنْذِرُ جَيْشٍ وَيَقُولُ: «**أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَخَيْرُ الْهُدَىٰ هُدَىٰ مُحَمَّدٍ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**»[(٣)].

قوله: «خَيْرُ الْهُدَىٰ»: بضم الهاء وفتح الدال، وبفتح الهاء وإسكان الدال أيضا، بالفتح معناه: الطريق، أي أحسن الطرق طريق محمد

---

(١) انظر: الاعتصام (٢/ ٥٤٤-٥٤٥).

(٢) انظر: إكمال المعلم، للقاضي عياض (٣/ ٢٦٩).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٨٦٧).

صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يقال: فلان حسن الهدي، أي الطريقة والمذهب، وأما علىٰ رواية الضم فمعناه: الدلالة والإرشاد[(١)].

قوله: «فَيُؤْثِرُونَ كَلَامَ اللهِ عَلَىٰ غَيْرِهِ مِنْ كَلَامِ أَصْنَافِ النَّاسِ، وَيُقَدِّمُونَ هَدْيَ مُحَمَّدٍ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَىٰ هَدْيِ كُلِّ أَحَدٍ»: أي من الخلق مهما عظمت مكانته، إذا كان طريقه يخالف طريق رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله: «وَبِهَذَا سُمُّوا أَهْلَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ»: أي لتمسكهم بالكتاب سُموا أهل الكتاب، ولتمسكهم بالسنة سُموا أهل السنة.

قوله: «وَسُمُّوا أَهْلَ الْجَمَاعَةِ؛ لِأَنَّ الْجَمَاعَةَ هِيَ الاجْتِمَاعُ، وَضِدُّهَا الْفُرْقَةُ، وَإِنْ كَانَ لَفْظُ الْجَمَاعَةِ قَدْ صَارَ اسْمًا لِنَفْسِ الْقَوْمِ الْمُجْتَمِعِينَ»: أي سُموا بأهل الجماعة؛ لاجتماعهم علىٰ الحقِّ.

قوله: «وَالْإِجْمَاعُ: هُوَ الْأَصْلُ الثَّالِثُ»: الأصل الأول هو الكتاب، والأصل الثاني هو السنة.

ويُطلقُ الإجماع علىٰ الاتفاق، يقال: هذا أمر مُجْمَعٌ عليه: أي مُتَّفَق عليه[(٢)].

والإِجْمَاعُ: اتِّفَاقُ مُجْتَهِدِي الأُمَّةِ بَعْدَ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي عَصْرٍ

---

(١) انظر: شرح صحيح مسلم (٦/ ١٥٤).

(٢) انظر: تاج العروس، مادة «جمع».

مِنَ العُصُورِ عَلَىٰ أَمْرٍ مِنَ الأُمُورِ.

قـولـه: «الَّذِي يُعْتَمَدُ عَلَيْهِ فِي الْعِلْمِ وَالدِّينِ»: أي يُحتجُّ به علىٰ الأحكام الشرعية.

وقد اتفق العلماء علىٰ حجية الإجماع، وأنكره بعض أهل البدع من المعتزلة والشيعة[1].

قـولـه: «وَهُمْ يَزِنُونَ بِهَذِهِ الْأُصُولِ الثَّلَاثَةِ»: أي القرآن والسنة والإجماع.

قـولـه: «جَمِيعَ مَا عَلَيْهِ النَّاسُ مِنْ أَقْوَالٍ وَأَعْمَالٍ بَاطِنَةٍ أَوْ ظَاهِرَةٍ، مِمَّا لَهُ تَعَلُّقٌ بِالدِّينِ»: أي من أعمال الناس، كالصلاة، والصيام، والحج، والزكاة، والمعاملات، وأحكام الأسرة.

والمعنىٰ أن أهل السنة والجماعة يعرضون أقوال الناس وأفعالهم علىٰ الكتاب والسنة والإجماع فإذا دلَّت عليها فهي حق قالوا به، وإن لم تدل عليها فهي باطلة فلا يقولوا بها.

قـولـه: «وَالْإِجْمَاعُ الَّذِي يَنْضَبِطُ»: أي الذي يجزم بحصوله ووقوعه.

قـولـه: «هُوَ مَا كَانَ عَلَيْهِ السَّلَفُ الصَّالِحُ»: أي من الصحابة والتابعين.

---

(١) انظر: مجموع الفتاوىٰ (١١/ ٣٤١).

قوله: «إِذْ بَعْدَهُمْ كَثُرَ الاخْتِلَافُ، وَانْتَشَرَتِ الْأُمَّةُ»: أي بعد السلف الصالح صار الإجماع لا ينضبط.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «معنىٰ الإجماع: أن تجتمع علماء المسلمين علىٰ حكم من الأحكام، وإذا ثبت إجماع الأمة علىٰ حكم من الأحكام لم يكن لأحد أن يخرج عن إجماعهم؛ فإن الأمة لا تجتمع علىٰ ضلالة، ولكن كثير من المسائل يَظن بعض الناس فيها إجماعا، ولا يكون الأمر كذلك بل يكون القول الآخر أرجح في الكتاب والسُّنَّة»[1].

مسألة: الجماعة نوعان:

أحدهما: جماعة الأبدان: اجتماع في الأبدان في مكان واحد كأهل بلد معين.

ومنه قوله تعالىٰ: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾[آل عمران:١٠٣].

الآخر: جماعة في الدين: اجتماع في الدين أي في المعتقد وإن اختلفت بلادهم.

ومنه قوله تعالىٰ: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ

---

(١) انظر: مجموع الفتاوىٰ (٢٠/ ١).

وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ﴾[الشورى:١٣]، فهؤلاء الأنبياء اجتمعوا علىٰ عقيدة واحدة مع أنه ليسوا في مكان واحد، ولا في زمان واحد.



[فصل في بيان مكملات العقيدة من مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال التي يتحلى بها أهل السنة والجماعة]

ثُمَّ هُمْ مَعَ هَذِهِ الْأُصُولِ:

٢٩٩- يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ، وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ عَلَىٰ مَا تُوجِبُهُ الشَّرِيعَةُ.

٣٠٠- وَيَرَوْنَ إِقَامَةَ الْحَجِّ، وَالْجِهَادِ، وَالْجُمَعِ، وَالْأَعْيَادِ مَعَ الْأُمَرَاءِ؛ أَبْرَارًا كَانُوا، أَوْ فُجَّارًا.

٣٠١- وَيُحَافِظُونَ عَلَىٰ الْجَمَاعَاتِ.

٣٠٢- وَيَدِينُونَ بِالنَّصِيحَةِ لِلْأُمَّةِ.

.............................الشـــرح.............................

قـولـه: «ثُمَّ هُمْ مَعَ هَذِهِ الْأُصُولِ»: أي السابقة، وهي اتباع آثار الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، واتباع الخلفاء الراشدين.

قـولـه: «يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ، وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ»: لقوله تعالىٰ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾[آل عمران:١١٠].

والمعروف: اسمٌ لكل ما أُمر به من الإيمان ودعائمه وشعَبه،

كالتوبة والصبر والشكر والرجاء والخوف والمحبة والإخلاص والرضَا والإنابة وذكر الله تعالىٰ ودعائه والصدق والوفاء وصلة الأرحام وحسن الجوار وأداء الأمانة والعدل والإحسان والشجاعة والصلاة والزكاة والصيام والحج والجهاد وغير ذلك.

والمُنْكَرُ: اسمٌ لكلِّ ما نهىٰ اللهُ عنه من الكفر والكذب والخيانة والفواحش والظلم والجور والبخل والجُبن والكِبر والرياء والقطيعة وسوء المسألة واتباع الهوىٰ وغير ذلك(١).

قوله: «عَلَىٰ مَا تُوجِبُهُ الشَّرِيعَةُ»: أي باليد، ثم باللسان، ثم بالقلب؛ علىٰ حسب القدرة والمصلحة.

قالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«مَنْ رَأَىٰ مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ»**(٢).

فهذا الحديث أصل في صفة التغيير، فحق المغير أن يغيِّره بكل وجه أمكنه زواله به قولا كان، أو فعلا، فإن غلب علىٰ ظنه أن تغييره بيده يسبب منكرا أشد منه كف يده واقتصر علىٰ القول باللسان والوعظ والتخويف، فإن خاف أن يسبب قوله مثل ذلك غيَّر بقلبه وكان في سعة(٣).

---

(١) **انظر**: جامع المسائل، لابن تيمية (٥/ ٢٣٨).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٤٩)، من حديث أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) **انظر**: شرح صحيح مسلم (٢/ ٢٥).

وهذا خلافا للمعتزلة الذين يخالفون ما توجبه الشريعة في هذا؛ فيرون أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو الخروج علىٰ ولاة الأمور.

قوله: «وَيَرَوْنَ إِقَامَةَ الْحَجِّ، وَالْجِهَادِ، وَالْجُمَعِ، وَالْأَعْيَادِ مَعَ الْأُمَرَاءِ؛ أَبْرَارًا كَانُوا، أَوْ فُجَّارًا»: أي أهل السنة يعتقدون إقامة الحج والجهاد والجمع والأعياد مع ولاة المسلمين، أو نوابهم سواء كانوا طائعين لله، أو عاصين؛ لأن الحج والجهاد فرضان يتعلقان بالسفر، فلا بد من سائس يسوس الناس فيهما، ويقاوم العدو، وهذا المعنىٰ كما يحصل بالإمام البر يحصل بالإمام الفاجر.

وهذا فيه الرد علىٰ الرافضة، حيث قالوا: لا جهاد في سبيل الله حتىٰ يخرج الرضا من آل محمد، وينادي مناد من السماء: اتبعوه![(١)].

وقد أجمع أهل العلم علىٰ السمع والطاعة لأئمة المسلمين وعلىٰ أن كل من ولي شيئًا من أمورهم عن رضىٰ أو غلبة وامتدت طاعته من بر وفاجر لا يلزم الخروج عليهم بالسيف جار أو عدل، وعلىٰ أن يغزوا معهم العدو، ويحج معهم البيت، وتدفع إليهم الصدقات إذا طلبوها، ويُصلىٰ خلفهم الجمع والأعياد[(٢)].

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «من أصول أهل السنة والجماعة أنهم

---

(١) انظر: شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز الحنفي (٢/ ٢٥٥-٢٥٧).
(٢) انظر: رسالة إلىٰ أهل الثغر، صـ (١٦٨-١٦٩).

يصلون الجمع والأعياد والجماعات، لا يدعون الجمعة والجماعة كما فعل أهل البدع من الرافضة وغيرهم.

فإن كان الإمام مستورا لم يظهر منه بدعة، ولا فجور صُلِّي خلفه الجمعة والجماعة باتفاق الأئمة الأربعة، وغيرهم من أئمة المسلمين.

ولم يقل أحد من الأئمة إنه لا تجوز الصلاة إلا خلف من عُلِم باطن أمره، بل ما زال المسلمون من بعد نبيهم يصلون خلف المسلم المستور.

ولكن إذا ظهر من المصلي بدعة أو فجور وأمكن الصلاة خلف من يعلم أنه مبتدع أو فاسق مع إمكان الصلاة خلف غيره، فأكثر أهل العلم يصححون صلاة المأموم، وهذا مذهب الشافعي، وأبي حنيفة، وهو أحد القولين في مذهب مالك وأحمد.

وأما إذا لم يمكن الصلاة إلا خلف المبتدع، أو الفاجر كالجمعة التي إمامها مبتدع، أو فاجر، وليس هناك جمعة أخرىٰ، فهذه تصلىٰ خلف المبتدع، والفاجر عند عامة أهل السنة والجماعة، وهذا مذهب الشافعي وأبي حنيفة وأحمد بن حنبل وغيرهم من أئمة أهل السنة بلا خلاف عندهم ....

فالصلاة خلف المستور جائزة باتفاق علماء المسلمين.

ومن قال: إن الصلاة محرمة، أو باطلة خلف من لا يُعْرف حاله،

فقد خالف إجماع أهل السنة والجماعة.

وقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يصلون خلف من يعرفون فجوره كما صلىٰ عبد الله بن مسعود، وغيره من الصحابة خلف الوليد بن عقبة بن أبي مُعَيط، وكان قد يشرب الخمر، وصلىٰ مرة الصبح أربعا وجلده عثمان بن عفان علىٰ ذلك.

وكان عبد الله بن عمر، وغيره من الصحابة يصلون خلف الحجاج بن يوسف.

وكان الصحابة والتابعون يصلون خلف ابن أبي عبيد، وكان متهما بالإلحاد، وداعيا إلىٰ الضلال»[1].

قوله: «وَيُحَافِظُونَ عَلَىٰ الْجَمَاعَاتِ»: أي الصلوات الخمس في جماعة خلافا للشيعة، الذين لا يرون الصلاة إلا مع الإمام المعصوم، وخلافا للمنافقين الذين يتخلفون عنها.

عَنْ عَبْدِ اللهِ بن مَسْعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَلْقَىٰ اللهَ غَدًا مُسْلِمًا، فَلْيُحَافِظْ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ الصَّلَوَاتِ حَيْثُ يُنَادَىٰ بِهِنَّ، فَإِنَّ اللهَ شَرَعَ لِنَبِيِّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُنَنَ الْهُدَىٰ، وَإِنَّهُنَّ مِنْ سُنَنَ الْهُدَىٰ، وَلَوْ أَنَّكُمْ صَلَّيْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ كَمَا يُصَلِّي هَذَا المتَخَلِّفُ فِي بَيْتِهِ، لَتَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ، وَلَوْ تَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ لَضَلَلْتُمْ، وَمَا مِنْ رَجُلٍ يَتَطَهَّرُ فَيُحْسِنُ الطُّهُورَ، ثُمَّ

---

(١) انظر: مجموع الفتاوىٰ (٣/ ٢٨٠-٢٨١).

يَعْمِدُ إِلَىٰ مَسْجِدٍ مِنْ هَذِهِ المسَاجِدِ، إِلَّا كَتَبَ اللهُ لَهُ بِكُلِّ خَطْوَةٍ يَخْطُوهَا حَسَنَةً، وَيَرْفَعُهُ بِهَا دَرَجَةً، وَيَحُطُّ عَنْهُ بِهَا سَيِّئَةً، وَلَقَدْ رَأَيْتُنَا وَمَا يَتَخَلَّفُ عَنْهَا إِلَّا مُنَافِقٌ مَعْلُومُ النِّفَاقِ، وَلَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ يُؤْتَىٰ بِهِ يُهَادَىٰ بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ حَتَّىٰ يُقَامَ فِي الصَّفِّ»(١).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ أَثْقَلَ صَلَاةٍ عَلَىٰ المنَافِقِينَ صَلَاةُ الْعِشَاءِ، وَصَلَاةُ الْفَجْرِ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِيهِمَا لَأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْوًا»(٢).

خالف في ذلك طوائف:

١- المنافقون: لا يحضرون إلا ما اشتهوا.

٢- الشيعة: لا جمعة ولا جماعة إلا مع الإمام المعصوم.

٣- الخوارج: لا يصلون إلا مع من كان علىٰ مثل عقيدتهم.

٤- جماعة التوقف: لا يصلون إلا مع من يعلمون عقيدته الباطنة.

قوله: «وَيَدِينُونَ بِالنَّصِيحَةِ لِلْأُمَّةِ»: أي يتعبدون لله عَزَّ وَجَلَّ بالنصيحة للأمة، ويعتقدون ذلك دينا.

فعَنْ أَبِي رُقَيَةَ تَمِيمِ الدَّارِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ»، ثلاثًا، قُلْنَا: لِمَنْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «للهِ، ولِكِتَابِهِ،

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٦٥٤).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٦٥٧)، ومسلم (٦٥١)، واللفظ له.

ولِرَسولِهِ، ولأئمَّةِ المُسلِمِينَ، وعامَّتِهم»[١].

والنصيحة: هي تصفية النفس من الغش للمنصوح له، أو هي كلمة يعبر بها عن إرادة الخير للمنصوح له.

والنصيحة لله: تكون بالإيمان به، ونفي الشريك عنه، ووصفِه بما وصف به نفسه، ووصفه به رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وتنزيهه عن النقائص، والعيوب، ومُشابهة المخلوقين، والرغبة في محابه بفعل طاعته، والرهبة من مَسَاخِطِهِ بترك معصيته.

والنصيحة لكتابه: تكون بالإيمان بأنه كلامه، وتنزيله، وتلاوته حق تلاوته، وتعظيمه، والعمل بما فيه.

والنصيحة لرسوله: تكون بتصديق رسالته، والإيمان بجميع ما جاء به وطاعته، وإحياء سنته بتعلمها وتعليمها، والاقتداء به في أقواله وأفعاله، ومحبته، ومحبة أتباعه.

والنصيحة لأئمة المسلمين: أي لحكامهم، وعلمائهم، وتكون بمعاونتهم علىٰ الحق، وطاعتهم فيه، وأمرهم به، وتذكيرهم برفق ولطف، وإعلامهم بما غفلوا عنه، وترك الخروج عليهم، وتألف قلوب الناس لطاعتهم، وأن يُدْعىٰ لهم بالصلاح.

والنصيحة لعامة المسلمين غير الحُكَّام: تكون بإرشادهم

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٠٥).

لمصالحهم في آخرتهم ودنياهم، وكف الأذىٰ عنهم، وتعليمهم ما يجهلونه من دينهم، وإعانتهم عليه بالقول والفعل، وستر عوراتهم، ودفع المضار عنهم، وجلب المنافع لهم، وأمرهم بالمعروف، ونهيهم عن المنكر برفق وإخلاص، والشفقة عليهم، وأن يحب لهم ما يحب لنفسه من الخير، ويكره لهم ما يكره لنفسه من المكروه.

وقال الفضيل رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «المؤمن يستر، وينصح، والفاجر يهتك، ويُعيِّر»[(١)].

ينبغي أن تكون النصيحة برفق، وأن تكون سرًّا:

قال الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «من وعظ أخاه سرًّا فقد نصحه وزانه، ومن وعظه علانية فقد فضحه وشانه»[(٢)].

مسألة [١]: لا يجوز الخروج علىٰ ولاة الأمور خلافا للخوارج:

فعن عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**اسْمَعْ وَأَطِعْ، فِي عُسْرِكَ وَيُسْرِكَ، وَمَنْشَطِكَ وَمَكْرَهِكَ، وَأَثَرَةٍ عَلَيْكَ، وَإِنْ أَكَلُوا مَالَكَ، وَضَرَبُوا ظَهْرَكَ**»[(٣)].

وعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّهُ قَالَ: «**عَلَىٰ الْمَرْءِ**

---

(١) انظر: جامع العلوم والحكم (١/ ٢٢٥).

(٢) انظر: شرح صحيح مسلم (٢/ ٢٤).

(٣) صحيح: رواه ابن أبي عاصم في السنة (١٠٢٦)، وابن حبان في صحيحه (١٠/ ٤٢٦)، وصححه الألباني.

الْمُسْلِمِ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ فِيمَا أَحَبَّ وَكَرِهَ، إِلَّا أَنْ يُؤْمَرَ بِمَعْصِيَةٍ، فَإِنْ أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ، فَلَا سَمْعَ وَلَا طَاعَةَ»[١].

قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أما الخروج عليهم وقتالهم فحرام بإجماع المسلمين، وإن كانوا فسقة ظالمين، وقد تظاهرت الأحاديث بمعنىٰ ما ذكرته، وأجمع أهل السنة أنه لا ينعزل السلطان بالفسق، وأما الوجه المذكور في كتب الفقه لبعض أصحابنا أنه ينعزل وحكي عن المعتزلة أيضا فغلط من قائله مخالف للإجماع.

قال العلماء: وسبب عدم انعزاله وتحريم الخروج عليه ما يترتب علىٰ ذلك من الفتن وإراقة الدماء، وفساد ذات البين، فتكون المفسدة في عزله أكثر منها في بقائه»[٢].

ولأنه يترتب علىٰ الخروج علىٰ ولاة الأمور فساد عظيم وشر كثير إلا إذا رأىٰ المسلمون كفرا بواحا عندهم من الله فيه برهان، فلا بأس أن يخرجوا علىٰ هذا السلطان لإزالته إذا كان عندهم قدرة، أما إذا لم يكن عندهم قدرة فلا يجوز، أو كان الخروج يسبب شرًّا أكثر فليس لهم الخروج رعاية للمصالح العامة[٣].

مسألة [٢]: طرق تنصيب ولي الأمر:

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٧١٤٤)، ومسلم (١٨٣٩).
(٢) انظر: شرح صحيح مسلم (١٢/ ٢٢٩).
(٣) انظر: تمام المنة علىٰ شرح السنة، للمؤلف، صـ(١٤٢).

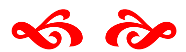
لتنصيب ولي الأمر أربع طرق:

أحدها: النص، لأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نص علىٰ أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ونص أبو بكر علىٰ عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

الطريق الثانية: الاستخلاف، بأن ينص المستخلف علىٰ واحد معين كما فعل الصدِّيق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أو علىٰ جماعة كما فعل عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ويكون التخيير إليهم في تعيين واحد منهم كما فعل الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ في تعيين عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الطريق الثالثة: إجماع أهل الحَلِّ والعقد، إذا مات إمام بلد، ولم يكن استخلف عليهم أحدا، فأقاموا عليهم إماما، واجتمعوا عليه، ورضوا به، وجب علىٰ الجميع أن يسمع له، ويطيع.

الطريق الرابعة: التغلب؛ وذلك بأن يتغلب من له أهلية الإمامة ويأخذها بالقهر والغلبة[1].



(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن (١/ ٢٦٨-٢٦٩).

٣٠٣- وَيَعْتَقِدُونَ مَعْنَىٰ قَوْلِهِ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ، يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا»، وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ(١).

- وَقَوْلُهُ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَىٰ مِنْهُ عُضْوٌ؛ تَدَاعَىٰ لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالْحُمَّىٰ وَالسَّهَرِ»(٢).

٣٠٤- وَيَأْمُرُونَ بِالصَّبْرِ عَلَىٰ الْبَلَاءِ، وَالشُّكْرِ عِنْدَ الرَّخَاءِ، وَالرِّضَا بِمُرِّ الْقَضَاءِ.

٣٠٥- وَيَدْعُونَ إِلَىٰ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ، وَمَحَاسِنِ الْأَعْمَالِ.

٣٠٦- وَيَعْتَقِدُونَ مَعْنَىٰ قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا»(٣).

٣٠٧- وَيَنْدُبُونَ إِلَىٰ أَنْ تَصِلَ مَنْ قَطَعَكَ، وَتُعْطِيَ مَنْ حَرَمَكَ، وَتَعْفُوَ عَمَّنْ ظَلَمَكَ.

.... الشرح ....

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٤٨١)، ومسلم (٢٥٨٥)، من حديث أبي موسىٰ الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٦٠١١)، ومسلم (٢٥٨٦)، من حديث النعمان بن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) صحيح: رواه أبو داود (٤٦٨٢)، والترمذي (١١٦٢)، وقال: «حسن صحيح»، وأحمد (١٠٨١٧)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصححه الألباني.

قـولـه: «وَيَعْتَقِدُونَ مَعْنَىٰ قَوْلِهِ ﷺ: «الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ»: اللام في المؤمن للجنس، أي كل مؤمن لأخيه مثل البنيان في تماسكه وترابطه.

قـولـه: «يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا»: هذا بيان لوجه التشبيه، أي يعاونه في أمور الآخرة، وكذا في الأمور المباحة من الدنيا.

قـولـه: «وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ ﷺ»: أي يشد بعضهم بعضا مثل هذا الشد، ويستفاد منه أن الذي يريد المبالغة في بيان أقواله يمثلها بحركاته؛ ليكون أوقع في نفس السامع[1].

قـولـه: «وَقَوْلُهُ ﷺ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ»: أي في محبتهم وتواصلهم.

قـولـه: «وَتَرَاحُمِهِمْ»: أي يرحم بعضهم بعضا بأخوة الإيمان لا بسبب شيء آخر.

قـولـه: «وَتَعَاطُفِهِمْ»: أي إعانة بعضهم بعضا.

قـولـه: «كَمَثَلِ الْجَسَدِ»: أي بالنسبة إلىٰ جميع أعضائه، وجه الشبه فيه الاتفاق في التعب والراحة.

قـولـه: «إِذَا اشْتَكَىٰ مِنْهُ عُضْوٌ؛ تَدَاعَىٰ لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ»: أي دعا بعضه بعضا إلىٰ المشاركة في الألم.

---

(١) انظر: فتح الباري (١٠/ ٤٥٠).

قــولــه: «بِالْحُمَّىٰ وَالسَّهَرِ»: أي تداعيه بالسهر؛ لأن الألـم يمنع النوم، وأما الحمىٰ فلأن فقد النوم يهيِّجُها، والحمىٰ هي ارتفاع حـرارة البدن فوق المعتاد(١).

وهـذان الحـديثان المتقـدمان فيهمـا التصـريح بتعظـيم حقـوق المسـلمين بعضـهم علـىٰ بعـض، وحـثهم علـىٰ الـتراحم والملاطفـة والتعاضد في غير إثم، ولا مكروه(٢).

قــولــه: «وَيَـأْمُرُونَ بِالصَّـبْرِ عَلَـىٰ الْـبَلَاءِ»: أي عنـد الامتحـان بالمصائب والشدائد، يشمل صبر القلوب وصبر الجوارح.

قــولـه: «وَالشُّكْرِ عِنْدَ الرَّخَاءِ»: أي عند السعة والنعم.

والشكر: هو ظهور أثـر نعمـة الله علىٰ لسـان العبـد ثنـاءً، واعترافـا؛ وعلىٰ قلبه شهودا، ومحبة؛ وعلىٰ جوارحه انقيادًا، وطاعة(٣).

فشكر اللسان يكون بالثناء علىٰ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بالتسبيح، والتحميـد، والتهليل، والتكبير.

وشكر الجوارح يكون باستعمال الجوارح فيما يحب ربُّنا ويرضىٰ.

وشكر القلب يكون باعتقاد أن كل نعمة هي بمحض فضـل مـن الله وحده.

---

(١) **انظر**: دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين (٣/ ٨).

(٢) **انظر**: شرح صحيح مسلم (١٦/ ١٣٩-١٤٠).

(٣) **انظر**: مدارج السالكين، لابن القيم (٢/ ٢٢٤).

قــولـه: «وَالرِّضَا بِمُرِّ الْقَضَاءِ»: أي على ما يكرهون، من مرض وفقر ونحوهما.

قال تعالىٰ: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾﴾[البقرة:١٥٥-١٥٦].

وقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**عَجَبًا لِأَمْرِ المؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ[١] شَكَرَ، فَكَانَ[٢] خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ[٣] صَبَرَ فَكَانَ[٤] خَيْرًا لَهُ**»[٥].

قــولـه: «وَيَدْعُونَ إِلَىٰ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ»: أي أحسن الأخلاق، وأفضلها.

قــولــه: «وَمَحَاسِنِ الْأَعْمَالِ»: كالكرم والشجاعة والصدق والأمانة.

قــولــه: «وَيَعْتَقِدُونَ مَعْنَىٰ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا»»: أي من أكمل المؤمنين إيمانا ألينهم

---

(١) سراء: أي نعماء، وسعة عيش، ورخاء، وتوفيق طاعة. [انظر: مرقاة المفاتيح (٨/ ٣٣١٧)].

(٢) فكان: أي شُكْرُه. [انظر: مرقاة المفاتيح (٨/ ٣٣١٧)].

(٣) ضراء: أي فقر، ومرض، ومحنة، وبلية. [انظر: مرقاة المفاتيح (٨/ ٣٣١٧)].

(٤) فكان: أي صَبْرُه. [انظر: مرقاة المفاتيح (٨/ ٣٣١٧)].

(٥) صحيح: رواه مسلم (٢٩٩٩)، من حديث صهيب رضي الله عنه.

وألطفهم وأجملهم في التعامل مع الناس.

قوله: «وَيَنْدُبُونَ»: أي يدعون.

قوله: «إِلَىٰ أَنْ تَصِلَ مَنْ قَطَعَك»: أي من الأقارب ممن تجب صلتهم عليك، لقول النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «لَيْسَ الوَاصِلُ بِالمكَافِئِ، وَلَكِنِ الوَاصِلُ الَّذِي إِذَا قُطِعَتْ رَحِمُهُ وَصَلَهَا»[1].

وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللهَ خَلَقَ الخَلْقَ، حَتَّىٰ إِذَا فَرَغَ مِنْ خَلْقِهِ، قَالَتِ الرَّحِمُ: هَذَا مَقَامُ العَائِذِ بِكَ مِنَ القَطِيعَةِ، قَالَ: نَعَمْ، أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ، وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ؟ قَالَتْ: بَلَىٰ يَا رَبِّ، قَالَ: فَهُوَ لَكِ»، فَاقْرَؤُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾﴾[محمد:٢٢][2].

قوله: «وَتُعْطِي مَنْ حَرَمَك»: أي تبذل العطاء لمن منعه عنك؛ لأن ذلك من الإحسان.

قوله: «وَتَعْفُو عَمَّنْ ظَلَمَك»: أي من انتقص حقك، كمن يأخذ حقك ظلما.

قال تعالىٰ: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾﴾[الشورى:٤٠].

---

(١) **صحيح:** رواه البخاري (٥٩٩١)، من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

(٢) **متفق عليه:** رواه البخاري (٥٩٨٧)، ومسلم (٢٥٥٤)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

وقال تعالىٰ: ﴿إِن تُبْدُواْ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُواْ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾﴾[النساء:١٤٩].

وقال تعالىٰ: ﴿وَإِن تَعْفُواْ وَتَصْفَحُواْ وَتَغْفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾﴾[التغابن:١٤].

حلف أبو بكر الصدِّيق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ألا ينفق علىٰ مِسْطح بن أُثاثة ابن خالته بعدما قال في عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ما قال في حادثة الإفك، وكان مسطحٌ فقيرا لا مال له، وكان الصدِّيق ينفق عليه، فلما نزلت هذه الآية إلىٰ قوله: ﴿وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾[النور:٢٢]، قال أبو بكر الصدِّيق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: بلىٰ، والله إنا نُحب يا ربنا أن تغفر لنا، ثم رجع إلىٰ مِسْطَح ما كان يصله من النفقة، وقال: والله لا أنزعها منه أبدا(١).

(١) انظر: تفسير البغوي (٦/ ٢٦-٢٧)، وتفسير ابن كثير (٦/ ٣١).

٣٠٨- وَيَأْمُرُونَ بِبِرِّ الْوَالِدَيْنِ، وَصِلَةِ الْأَرْحَام، وَحُسْنِ الْجِوَارِ، وَالْإِحْسَانِ إِلَىٰ الْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ، وَالرِّفْقِ بِالْمَمْلُوكِ.

٣٠٩- وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْفَخْرِ، وَالْخُيَلَاءِ، وَالْبَغْيِ، وَالاسْتِطَالَةِ عَلَىٰ الْخَلْقِ بِحَقٍّ أَوْ بِغَيْرِ حَقٍّ.

٣١٠- وَيَأْمُرُونَ بِمَعَالِي الْأَخْلَاقِ.

٣١١- وَيَنْهَوْنَ عَنْ سِفْسَافِهَا.

٣١٢- وَكُلُّ مَا يَقُولُونَهُ وَيَفْعَلُونَهُ مِنْ هَذَا أَوْ غَيْرِهِ؛ فَإِنَّمَا هُمْ فِيهِ مُتَّبِعُونَ لِلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.

٣١٣- وَطَرِيقَتُهُمْ هِيَ دِينُ الْإِسْلَامِ؛ الَّذِي بَعَثَ اللهُ بِهِ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

الشرح

قوله: «وَيَأْمُرُونَ»: أي أهل السنة والجماعة.

قوله: «بِبِرِّ الْوَالِدَيْنِ»: أي طاعتهما في غير معصية؛ لقوله تعالىٰ ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا﴾[النساء:٣٦].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ إِمَّا يَبۡلُغَنَّ عِندَكَ ٱلۡكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوۡ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ وَلَا تَنۡهَرۡهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوۡلٗا كَرِيمٗا ﴿٢٣﴾ وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ﴿٢٤﴾﴾[الإسراء:٢٣-٢٤].

قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾﴾: أي ولا تزجُرهما، وقل لهما قولا جميلا حسنا.

وقوله تعالىٰ: ﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ﴾: أي وكن لهما ذليلا رحمة منك بهما تطيعهما فيما أمراك به مما لم يكن فيه معصية، ولا تخالفهما فيما أحبَّا[1].

قوله: «وَصِلَةِ الْأَرْحَامِ»: أي بالإحسان إليهم، وهم الأقارب؛ لقوله تعالىٰ: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ﴾[النساء:١]، أي واتقوا الأرحام أن تقطعوها[2].

وقوله تعالىٰ: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾﴾[محمد:٢٢].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٢٥﴾﴾[الرعد:٢٥].

وعَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «**لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعٌ**»[3]، يَعْنِي قَاطِعَ رَحِمٍ.

والأرحام قسمان:

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ٤١٧).

(٢) السابق (٧/ ٥٢٠).

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٥٩٨٤)، ومسلم (٢٥٥٦).

القسم الأول: رحم محرَم، وهو كل شخصين بينهما قرابة، لو فُرِض أحدهما ذكرا والآخر أنثىٰ، لم يحل أن يكون أحدهما زوجا للآخر؛ مثل: الآباء والأمهات بالنسبة لأولادهم، والإخوة والأخوات، والأجداد والجدات، وآباء الأجداد وأجدادهم، والأولاد وأولادهم، وأولاد الأولاد، والأعمام والعمات والأخوال والخالات.

والقسم الثاني: رحم غير محْرَم، وهم من عدا القسم الثاني من ذوي الأرحام، مثل: بنات الأعمام وبنات العمات وبنات الأخوال وبنات الخالات، أي الذين يجوز أن يتزوج بعضهم بعضا، إذا لم توجد أسباب أخرىٰ تمنع الزواج بينهم كالرضاعة مثلا.

وقد اتفق الفقهاء علىٰ وجوب صلة الرحم المحرَم.

واختلفوا في صلة الرحم غير المحرَم؛ والجمهور علىٰ أنه يجب صلة جميع الأقارب، محرَما كان أو غير محرم؛ وهو الذي يتفق مع عموم الأدلة الواردة في وجوب صلة ذوي الأرحام؛ لأنهم من ذوي الأرحام، أي يلتقون في رحم قريب[(١)].

قوله: «وَحُسْنِ الْجِوَارِ»: أي بالإحسان إلىٰ من يسكن بالجوار، ببذل المعروف وكف الأذىٰ.

---

(١) **انظر:** شرح صحيح مسلم (١٦/ ١١٣)، وعمدة القاري، للعيني (٢٢/ ٩٠)، وشرح سنن ابن ماجه، للسيوطي (١/ ٢٧٤).

قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِالْجَارِ، حَتَّىٰ ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ»(١).

وقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ»(٢).

وقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلَا يُؤْذِ جَارَهُ»(٣).

وقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَاللهِ لَا يُؤْمِنُ، وَاللهِ لَا يُؤْمِنُ، وَاللهِ لَا يُؤْمِنُ» قِيلَ: وَمَنْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «الَّذِي لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَايِقَهُ»(٤)، أي شره، وغدره(٥).

قوله: «وَالْإِحْسَانِ إِلَىٰ الْيَتَامَىٰ»: اليتيم هو من مات أبوه قبل البلوغ(٦)، والإحسان إليهم يكون بالعطف عليهم، والقيام بحوائجهم، والتصدق عليهم.

قال تعالىٰ: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٦٠١٥)، ومسلم (٢٦٢٥)، من حديث ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٦٠١٩)، ومسلم (٤٨)، من حديث أَبِي شُرَيْحٍ العَدَوِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٦٠١٨)، ومسلم (٤٧)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٤) صحيح: رواه البخاري (٦٠١٦)، من حديث أَبِي شُرَيْحٍ العَدَوِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٥) انظر: شرح صحيح مسلم (٢/ ١٧).

(٦) انظر: النهاية في غريب الحديث (٥/ ٢٩١).

وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾[البقرة:١٧٧].

وقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَنَا وَكَافِلُ اليَتِيمِ فِي الجَنَّةِ هَكَذَا**» وَأَشَارَ بِالسَّبَّابَةِ(١) وَالوُسْطَىٰ، وَفَرَّجَ بَيْنَهُمَا شَيْئًا(٢).

وقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أُحَرِّجُ حَقَّ الضَّعِيفَيْنِ(٣): الْيَتِيمِ، وَالْمَرْأَةِ**»(٤).

قوله: «وَالْمَسَاكِينِ»: أي الإحسان إلىٰ المساكين وهم المحتاجون، والإحسان إليهم يكون بالتصدق عليهم.

قوله: «وَابْنِ السَّبِيلِ»: أي المسافر الذي انقطعت به السبل،

---

(١) السبابة: أي الأصبع التي تلي الإبهام، سميت بذلك؛ لأن بها يسب الشيطان، وتسمىٰ السباحة؛ لأنها يسبح بها في الصلاة فيشار بها في التشهد لذلك. [انظر: فتح الباري (١٠/٤٣٦)].

(٢) صحيح: رواه البخاري (٥٣٠٤)، من حديث سهل بن سعد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٣) أحرج حق الضعيفين: أي أضيقه وأحرمه علىٰ من ظلمهما. [انظر: شرح سنن ابن ماجه، للسيوطي وغيره، صـ(٢٦٢)].

(٤) حسن: رواه ابن ماجه (٣٦٧٨)، والنسائي في الكبرىٰ (٩١٠٤)، وأحمد (٩٦٦٦)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

والإحسان إليه يكون بإعطائه أجرة سفره، والعطف عليه.

قال تعالىٰ: ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔاۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ٣٦﴾[النساء:٣٦].

والجار ذي القربىٰ: أي الجار ذي القرابة والرحم منك.

والجار الجُنُب: هو الجار البعيد الذي لا قرابة بينك وبينه.

والصاحب بالجَنب: هو رفيق الرجل في سفره(١).

قوله: «وَالرِّفْقِ بِالْمَمْلُوكِ»: أي يأمرون بالرفق إلىٰ العبد، ويشمل الخادم، فلا يكلف من العمل إلا ما يطيق، ويعان عليه، ويطعم مما يطعم الإنسان، ويكسىٰ مما يكتسي منه.

قال النَّبيُّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِخْوَانُكُمْ خَوَلُكُمْ(٢)، جَعَلَهُمُ اللهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ، فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ، فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ، وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ، وَلَا تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ، فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ**»(٣).

وقال صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ لَطَمَ مَمْلُوكَهُ، أَوْ ضَرَبَهُ، فَكَفَّارَتُهُ أَنْ**

---

(١) **انظر:** تفسير الطبري (٨/ ٣٣٥، ٣٣٧، ٣٤٠).

(٢) **خولكم:** أي أتباعكم. [**انظر:** النهاية في غريب الحديث (٢/ ٨٨)].

(٣) **متفق عليه:** رواه البخاري (٣٠)، ومسلم (١٦٦١)، من حديث أبي ذر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

يُعْتِقَهُ»[(١)].

في هذا الحديث الرفق بالمماليك، وحُسن صحبتهم، وكف الأذىٰ عنهم[(٢)].

قوله: «وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْفَخْرِ»: أي المباهاة بالمكارم والمناقب من حسب ونسب.

قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، «إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُبِّيَّةَ[(٣)] الْجَاهِلِيَّةِ، وَفَخْرَهَا بِالْآبَاءِ مُؤْمِنٌ تَقِيٌّ، وَفَاجِرٌ شَقِيٌّ، أَنْتُمْ بَنُو آدَمَ وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ، لَيَدَعَنَّ رِجَالٌ فَخْرَهُمْ بِأَقْوَامٍ، إِنَّمَا هُمْ فَحْمٌ مِنْ فَحْمِ جَهَنَّمَ، أَوْ لَيَكُونُنَّ أَهْوَنَ عَلَىٰ اللهِ مِنَ الْجِعْلَانِ[(٤)] الَّتِي تَدْفَعُ بِأَنْفِهَا النَّتِنَ»[(٥)].

قوله: «وَالْخُيَلَاءِ»: أي الكِبر والإعجاب.

قال تعالىٰ: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الأحقاف: ٢٠].

---

(١) صحيح: رواه مسلم (١٦٥٧)، من حديث ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

(٢) انظر: شرح صحيح مسلم (١١/ ١٢٧).

(٣) عُبِّيَّةَ: أي كِبر. [انظر: النهاية في غريب الحديث (٣/ ١٦٩)].

(٤) الجعلان: دويبة سوداء قوتها الغائط، فإن شمت رائحة طيبة ماتت. [انظر: التيسير بشرح الجامع الصغير (٢/ ٢١٩)].

(٥) صحيح: رواه أبو داود (٥١١٦)، والترمذي (٣٩٥٥)، وأحمد (٨٧٣٦)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وصححه الألباني.

وعَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ**» قَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً، قَالَ: «**إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ، وَغَمْطُ النَّاسِ**»(١)، أي رد الحق وإنكاره، واحتقار الناس(٢).

قــولــه: «وَالْبَغْيِ»: أي العدوان علىٰ الناس.

قال تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾[الأعراف:٣٣].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْيِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝٩٠﴾[النحل:٩٠].

قــولــه: «وَالاسْتِطَالَةِ عَلَىٰ الْخَلْقِ»: أي الترفع عليهم واحتقارهم والوقيعة فيهم.

قــولــه: «بِحَقٍّ أَوْ بِغَيْرِ حَقٍّ»: لأن المستطيل إذا استطال بحق فقد افتخر، وإذا استطال بغير حق فقد بغىٰ، ولا يحل هذا ولا هذا.

قــولــه: «وَيَأْمُرُونَ بِمَعَالِي الْأَخْلَاقِ»: أي أهل السنة يأمرون بالأخلاق العالية فهي الأخلاق الحسنة.

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٩١)، من ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) انظر: شرح صحيح مسلم (٢/ ٩٠).

قوله: «وَيَنْهَوْنَ عَنْ سِفْسَافِهَا»: أي رديئها، كالكذب، والخيانة، والفواحش.

قوله: «وَكُلُّ مَا يَقُولُونَهُ وَيَفْعَلُونَهُ»: أي أهل السنة والجماعة.

قوله: «مِنْ هَذَا أَوْ غَيْرِهِ»: أي مما تقدم من مكارم الأخلاق، وغيرها مما لم يذكره.

قوله: «فَإِنَّمَا هُمْ فِيهِ مُتَّبِعُونَ لِلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ»: أي أخذوه من الكتاب والسُّنة.

قوله: «وَطَرِيقَتُهُمْ هِيَ دِينُ الْإِسْلَامِ؛ الَّذِي بَعَثَ اللهُ بِهِ مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»: أي يمتثلون أوامرها، ويجتنبون نواهيها.

مسألة: الفخر نوعان:

١- مذموم: هو ما يقصد به الاستطالة على الناس والترفع عليهم.

٢- محمود: هو ما يقصد به بيان ما عليه الإنسان، ومنه قول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ، وَلَا فَخْرَ، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ الْأَرْضُ عَنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا فَخْرَ، وَأَنَا أَوَّلُ شَافِعٍ، وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ، وَلَا فَخْرَ، وَلِوَاءُ الْحَمْدِ بِيَدِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا فَخْرَ»[1].

ومن مقاصد الفخر المحمود:

---

(١) صحيح: رواه ابن ماجه (٤٣٠٨)، وأحمد (١٠٩٨٧)، من حديث أبي سعيد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وصححه الألباني.

١ – التحدث بنعم الله.

٢ – الاقتداء به.

٣ – تشجيع الناس علىٰ العمل.



[من مزايا أهل السنة]

٣١٤- لَكِنْ لَمَّا أَخْبَرَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّ أُمَّتَهُ سَتَفْتَرِقُ عَلَىٰ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً؛ كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً؛ وَهِيَ السُّنَّةُ والْجَمَاعَةُ.

٣١٥- وَفِي حَدِيثٍ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: «هُمْ مَنْ كَانَ عَلَىٰ مِثْلِ مَا أَنَا عَلَيْهِ اليَوْمَ وَأَصْحَابِي»[(١)]؛ صَارَ الْمُتَمَسِّكُونَ بِالْإِسْلَامِ الْمَحْضِ الْخَالِصِ عَنِ الشَّوْبِ هُمْ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ.

٣١٦- وَفِيهِمُ الصِّدِّيقُونَ، وَالشُّهَدَاءُ، وَالصَّالِحُونَ.

٣١٧- وَفِيهِمْ أَعْلَامُ الْهُدَىٰ، وَمَصَابِيحُ الدُّجَىٰ، أُولُوا الْمَنَاقِبِ الْمَأْثُورَةِ، وَالْفَضَائِلِ الْمَذْكُورَةِ.

٣١٨- وَفِيهِمُ الْأَبْدَالُ.

٣١٩- وَمِنْهُمْ أَئِمَّةُ الدِّينِ الَّذِينَ أَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَىٰ هِدَايَتِهِمْ وَدِرَايَتِهِمْ.

٣٢٠- وَهُمُ الطَّائِفَةُ الْمَنْصُورَةُ، الَّذِينَ قَالَ فِيهِمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

---

(١) صحيح: رواه أبو داود (٤٥٩٦، ٤٥٩٧)، والترمذي (٢٦٤٠، ٢٦٤١)، وقال: «**حسن صحيح**»، وابن ماجه (٣٩٩١، ٣٩٩٢)، وأحمد (٨٣٧٧)، بألفاظ مختلفة عن أبي هريرة، ومعاوية، وعبدالله بن عمرو، وعوف بن مالك، وثوبان رضي الله عنهم، وصححه أحمد شاكر، والألباني.

«لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَىٰ الْحَقِّ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ وَلَا مَنْ خَذَلَهُمْ، حَتَّىٰ تَقُومَ السَّاعَةُ»[١].

الشرح

قوله: «لَكِنْ لَمَّا أَخْبَرَ ﷺ: أَنَّ أُمَّتَهُ سَتَفْتَرِقُ عَلَىٰ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً»: أي أمة الإجابة.

وأمة النبي ﷺ ثلاثة أقسام:

أحدها: أمة الاتباع: هم أهل العمل الصالح.

الثاني: أمة الإجابة: هم مطلق المسلمين.

الثالث: أمة الدعوة: هم من بعث إليهم من الخلق كافةً[٢].

قوله: «كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً»: هذا وعيد بالنار، ولا يلزم منه الخلود، وليست هذه الفرق خالدة في النار بالإجماع.

والجهمية ليست من هذه الفرق بالإجماع، وأما الرافضة الغلاة فأخرجهم بعض أهل السنة منها.

قوله: «وَهِيَ السُّنَّةُ والْجَمَاعَةُ»: الذين يأخذون بسنة النبي ﷺ، ويجتمعون عليها.

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٧٣١١)، ومسلم (١٩٢٠)، واللفظ له، من حديث ثَوْبَانَ رضي الله عنه.

(٢) **انظر**: فتح الباري (١١/ ٤١١).

قوله: «وَفِي حَدِيثٍ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: «هُمْ مَنْ كَانَ عَلَىٰ مِثْلِ مَا أَنَا عَلَيْهِ اليَوْمَ وَأَصْحَابِي»؛ صَارَ الْمُتَمَسِّكُونَ بِالْإِسْلَامِ الْمَحْضِ الْخَالِصِ عَنِ الشَّوْبِ هُمْ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ»: أي من خالف في أصل من الأصول لم يكن من أهل السنة والجماعة، كالأشاعرة، والماتريدية.

قوله: «وَفِيهِمُ»: أي أهل السنة.

قوله: «الصِّدِّيقُونَ»: جمع صدِّيق، وهو صيغة مبالغة من الصدق؛ قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾﴾[الزُّمَر:٣٣].

قوله: «وَالشُّهَدَاءُ»: جمع شهيد، بمعنىٰ شاهد، وهم القتلىٰ في سبيل الله.

قوله: «وَالصَّالِحُونَ»: أي أهل الأعمال الصالحة.

قوله: «وَفِيهِمْ أَعْلَامُ»: الأعلام: جمع عَلَم، وهو في الأصل الجبل.

ومنه قوله تعالىٰ: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ﴿٣٢﴾﴾[الشورىٰ:٣٢]، أي: كالجبال[1].

قوله: «الْهُدَىٰ»: أي الذين يستدل الناس بهم، ويهتدون بهديهم،

---

(١) انظر: المفردات في غريب القرآن، صـ(٥٨١).

وهم العلماء الربانيون الذين يقتدىٰ بهم من الأئمة.

والهدىٰ: اسمٌ لكل ما أُمر به من الإيمان ودعائمه وشعَبه، كالتوبة والصبر والشكر والرجاء والخوف والمحبة والإخلاص والرضَا والإنابة وذكر الله تعالىٰ ودعائه والصدق والوفاء وصلة الأرحام وحسن الجوار وأداء الأمانة والعدل والإحسان والشجاعة والصلاة والزكاة والصيام والحج والجهاد وغير ذلك[(١)].

قوله: «وَمَصَابِيحُ الدُّجَىٰ»: جمع مصباح، وهو ما يستصبح به للإضاءة، أي فصاروا مصابيح في الظلام، يقتدي بهم الخلق، ويتخذون من سيرتهم وحياتهم قدوة يسيرون علىٰ منوالهم حتىٰ يصلوا إلىٰ دار السلام.

والدُّجىٰ: جمع دُجية، وهي الظلمة؛ أي هم مصابيح الظُّلَم يستضاء بهم للناس.

قوله: «أُولُوا الْمَنَاقِبِ الْمَأْثُورَةِ»: أي أصحاب المراتب العالية الشريفة، والمناقب جمع منقبة، وهي المرتبة، أي ما يبلغه الإنسان من الشرف والسؤدد.

قوله: «وَالْفَضَائِلِ الْمَذْكُورَةِ»: أي الخصال الفاضلة، كالعبادة، والزهادة، والكرم، ونحو ذلك.

---

(١) انظر: جامع المسائل، لابن تيمية (٥/ ٢٣٨).

قوله: «وَفِيهِمُ الْأَبْدَالُ»: أي الأولياء والعُبَّاد، وسُمُّوا بذلك لأنهم كلما مات أحد أُبدل بآخر.

قوله: «وَمِنْهُمْ أَئِمَّةُ الدِّينِ الَّذِينَ أَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَىٰ هِدَايَتِهِمْ وَدِرَايَتِهِمْ»: أي في أهل السنة علماء يقتدىٰ بهم، كالأئمة الأربعة وغيرهم.

قوله: «وَهُمُ الطَّائِفَةُ الْمَنْصُورَةُ، الَّذِينَ قَالَ فِيهِمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَىٰ الْحَقِّ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ وَلَا مَنْ خَذَلَهُمْ، حَتَّىٰ تَقُومَ السَّاعَةُ»»: أي قرب قيام الساعة؛ لأن الساعة لا تقوم إلا علىٰ شرار الخلق؛ لقولِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا عَلَىٰ شِرَارِ النَّاسِ»[1].

مسألة: هل الأشاعرة والماتريدية من أهل السنة؟

لفظ «أهل السنة» له معنيان:

أحدهما: عام: يراد به من أثبت خلافة الخلفاء الثلاثة، فيدخل فيهم جميع الطوائف إلا الرافضة.

الآخر: خاص: يراد به أهل الحديث والسنة المحضة، فلا يدخل فيه إلا من يثبت الصفات لله تعالىٰ، ويقول: إن القرآن غير مخلوق، وإن الله يرىٰ في الآخرة، ويثبت القدر، وغير ذلك من الأصول المعروفة عند

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٩٤٩)، عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

أهل الحديث والسنة[١].

وعليه فالأشاعرة، والماتريدية ليسوا من أهل السنة والجماعة؛ لأنهم ينفون الصفات عدا سبعة أو ثمانية.

ولأنهم يقولون: الإيمان هو التصديق فقط خلافا لأهل السنة الذين يقولون: الإيمان قول وعمل واعتقاد.

ولأنهم يقولون: القرآن لفظه من الله ومعناه من جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ خلافا لأهل السنة الذين يقولون: الله تكلم بالقرآن حقيقة.

ولأنهم خالفوا طريقة القرآن والسنة في إثبات وجود الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

وقد أخطأ السفاريني في قوله: «**أهل السنة والجماعة ثلاث فرق: الأثرية وإمامهم أحمد بن حنبل** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، والأشعرية وإمامهم أبو الحسن الأشعري** رَحِمَهُ اللَّهُ**، والماتريدية وإمامهم أبو منصور الماتريدي**»[٢].

❁❁❁❁❁

(١) انظر: منهاج السنة النبوية (٢/ ٢٢١).

(٢) انظر: لوامع الأنوارالبهية (١/ ٧٣).

[خاتمة]

فَنَسْأَلُ اللهَ الْعَظِيمَ أَنْ يَجْعَلَنَا مِنْهُمْ، وَأَنْ لا يَزِيغَ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا، وَيَهَبَ لَنَا مِنْ لَدُنْهُ رَحْمَةً؛ إِنَّهُ هُوَ الْوَهَّابُ.

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَحْدَهُ، وصَلَّىٰ عَلَىٰ خيرِ خَلْقِهِ محمَّدٍ، وآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسلَّمَ.

الشــرح

قــولــه: «فَنَسْأَلُ اللهَ الْعَظِيمَ أَنْ يَجْعَلَنَا مِنْهُمْ، وَأَنْ لا يَزِيغَ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا، وَيَهَبَ لَنَا مِنْ لَدُنْهُ رَحْمَةً؛ إِنَّهُ هُوَ الْوَهَّابُ»: كما قال تعالىٰ: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ۝٨﴾[آل عمران:٨].

أي ربَّنا لا تُمِلْ قلوبنا عن الحق والهدىٰ بعد إذ وفقتنا لدينك والإيمان بآياتك؛ ولا تجعلنا كالذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه من القرآن، ولكن ثبتنا علىٰ صراطك المستقيم، ودينك القويم، وأعطنا من عندك؛ توفيقا وتثبيتا للذي نحن عليه من الإيمان والهدىٰ، إنك أنت الوهاب[١].

قــولــه: «وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَحْدَهُ، وصَلَّىٰ عَلَىٰ خيرِ خَلْقِهِ محمَّدٍ،

---

(١) انظر: تفسير البغوي (٢/ ١١)، وتفسير ابن كثير (٢/ ١٣).

وآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسلَّمَ»: كما ابتدأ المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ كتابه بالثناء علىٰ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، والصلاة والسلام علىٰ النبي المختار صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وآله وصحبه الأخيار اختتمه بذلك، ومن تمام الثناء أن يفتتح به الكلام، ثم يُختم به.

تم الشرح

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

المصادر والمراجع

١- الإبانة الكبرىٰ، لابن بَطَّة «عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان العُكْبَري، ت٣٨٧هـ»، تحقيق: رضا معطي، وآخرين، طبعة: دار الراية- الرياض، ط١، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م.

٢- اجتماع الجيوش الإسلامية، لابن قيم الجوزية «محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد، ت٧٥١هـ»، تحقيق: عواد عبد الله المعتق، طبعة: مطابع الفرزدق التجارية – الرياض، ط١، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.

٣- الأحاديث المختارة «المستخرج من الأحاديث المختارة مما لم يخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما»، للمقدسي «محمد بن عبدالواحد، ت ٦٤٣هـ»، تحقيق: د. عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، طبعة: دار خضر- بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م.

٤- الأحكام السلطانية، لأبي يعلىٰ الفراء «محمد بن الحسين بن محمد بن خلف، ت٤٥٨هـ»، تحقيق: محمد حامد الفقي، طبعة: دار الكتب العلمية- بيروت، ط٢، ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م.

٥- الإحكام في أصول الأحكام، لابن حزم «علي بن أحمد بن سعيد، ت٤٥٦هـ»، تحقيق: الشيخ أحمد محمد شاكر، طبعة: دار الآفاق الجديدة- بيروت، بدون طبعة، وبدون تاريخ.

٦- **أحكام القرآن**، للجصاص «أحمد بن علي أبي بكر الرازي، ت٣٧٠هـ»، تحقيق: محمد صادق القمحاوي، طبعة: دار إحياء التراث العربي- بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ.

٧- **أحكام القرآن**، لابن العربي «محمد بن عبدالله بن محمد بن عبد الله، ت٥٤٣هـ»، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، طبعة: دار الكتب العلمية- بيروت، ط٣، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م.

٨- **إحياء علوم الدين**، للغزالي «محمد بن محمد الطوسي، ت ٥٠٥هـ»، طبعة: دار المعرفة – بيروت، بدون طبعة، وبدون تاريخ.

٩- **إرشاد الفحول إلىٰ تحقيق الحق من علم الأصول**، للشوكاني «محمد بن علي، ت١٢٥٠هـ»، تحقيق: الشيخ أحمد عزو عناية، طبعة: دار الكتاب العربي- دمشق، ط١، ١٤١٩هـ، ١٩٩م.

١٠- **إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل**، للألباني «محمد ناصر الدين بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، ت١٤٢٠هـ»، طبعة: المكتب الإسلامي- بيروت، ط١، ١٣٩٩هـ.

١١- **الأسماء والصفات**، للبيهقي «أحمد بن الحسين بن علي بن موسىٰ، ت٤٥٨هـ»، تحقيق: عبد الله بن محمد الحاشدي، طبعة: مكتبة السوادي- جدة، ط١، ١٤١٣هـ، ١٩٩٣م.

١٢- **الأشباه والنظائر في النحو**، للسيوطي «عبد الرحمن بن أبي بكر، ت٩١١هـ»، تحقيق: د. عبد العال سالم مكرم، طبعة: مؤسسة الرسالة-

بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٥م.

١٣- **الاعتصام**، للشاطبي «إبراهيم بن موسىٰ بن محمد اللخمي، ت ٧٩٠هـ»، تحقيق: سليم بن عيد الهلالي، طبعة: دار ابن عفان- السعودية، ط١، ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م.

١٤- **الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية**، للبزَّار «عمر بن علي بن موسىٰ بن خليل، ت٧٤٩هـ»، تحقيق: زهير الشاويش، طبعة: المكتب الإسلامي- بيروت، ط٣، ١٤٠٠هـ.

١٥- **إعلام الموقعين عن رب العالمين**، لابن قيم الجوزية «محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد، ت٧٥١هـ»، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، طبعة: دار الكتب العلمية- بيروت، ط١، ١٤١١هـ، ١٩٩١م.

١٦- **إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان**، لابن قيم الجوزية «محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد، ت٧٥١هـ»، تحقيق: محمد حامد الفقي، طبعة: مكتبة المعارف- الرياض، بدون طبعة، وبدون تاريخ.

١٧- **الاقتصاد في الاعتقاد**، لعبد الغني المقدسي «بن عبد الواحد بن علي بن سرور، ت ٦٠٠هـ»، تحقيق: أحمد بن عطية بن علي الغامدي، طبعة: مكتبة العلوم والحكم- المدينة المنورة، ط١، ١٤١٤هـ، ١٩٩٣م.

١٨- **اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم**، لابن تيمية «أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله، ت٧٢٨هـ»، تحقيق: ناصر عبد الكريم العقل، طبعة: دار عالم الكتب- بيروت، ط٧، ١٤١٩هـ،

١٩٩٩م.

١٩- **إكمال المعلم**، للقاضي عياض «بن موسىٰ بن عياض بن عمرون، ت ٥٤٤هـ»، تحقيق: الدكتور يحيىٰ إسماعيل، طبعة: دار الوفاء- مصر، ط١، ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م.

٢٠- **الإيمان**، لابن منده «محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيىٰ، ت٣٩٥هـ»، تحقيق: د. علي بن محمد بن ناصر الفقيهي، طبعة: مؤسسة الرسالة- بيروت، ط٢، ١٤٠٦هـ.

٢١- **بدائع الفوائد**، لابن قيم الجوزية «محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد، ت٧٥١هـ»، طبعة: دار الكتاب العربي- بيروت، بدون طبعة، وبدون تاريخ.

٢٢- **البداية والنهاية**، لابن كثير «إسماعيل بن عمر، ت٧٧٤هـ»، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، طبعة: دار هجر-مصر، ط١، ١٤١٨هـ، ١٩٩٧م.

٢٣- **بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية**، لابن تيمية «أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله، ت٧٢٨هـ»، تحقيق: مجموعة من المحققين، طبعة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف- المدينة المنورة، ط١، ١٤٢٦هـ.

٢٤- **بيان كلمة التوحيد والرد علىٰ الكشميري عبد المحمود** «مطبوع ضمن الرسائل والمسائل النجدية»، لعبد الرحمن بن حسن بن محمد بن

عبد الوهاب، ت١٢٨٥هـ»، طبعة: دار العاصمة- الرياض، ط٣، ١٤١٢هـ.

٢٥- **تاج العروس من جواهر القاموس**، للزّبيدي «محمد بن محمد الحسيني، ت١٢٠٥»، تحقيق: مجموعة من المحققين، طبعة: مطبعة حكومة الكويت- الكويت، ط١، ١٣٨٥هـ، ١٩٦٥م.

٢٦- **تاريخ ابن الوردي**، لابن الوردي «عمر بن مظفر بن عمر بن محمد، ت٧٤٩هـ»، طبعة: دار الكتب العلمية- بيروت، ط١، ١٤١٧هـ، ١٩٩٦م.

٢٧- **التبيان في أقسام القرآن**، لابن قيم الجوزية «محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد، ت٧٥١هـ»، تحقيق: محمد حامد الفقي، طبعة: دار المعرفة- بيروت، بدون طبعة، وبدون تاريخ.

٢٨- **التحفة العراقية في الأعمال القلبية**، لابن تيمية «أحمد بن عبدالحليم بن عبد السلام بن عبد الله، ت٧٢٨هـ»، طبعة: المطبعة السلفية- القاهرة، ط٢، ١٣٩٩هـ.

٢٩- **التحقيق في أحاديث الخلاف**، لابن الجوزي «عبد الرحمن بن علي بن محمد، ت٥٩٧هـ»، تحقيق: مسعد عبد الحميد محمد السعدني، طبعة: دار الكتب العلمية- بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.

٣٠- **التدمرية**، لابن تيمية «أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله، ت٧٢٨هـ»، تحقيق: د. محمد بن عودة السعوي، طبعة: مكتبة العبيكان- الرياض، ط٦، ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م.

٣١- **التذكرة بأحوال الموتىٰ وأمور الآخرة**، للقرطبي «محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح، ت ٦٧١هـ»، تحقيق: د. الصادق بن محمد بن إبراهيم، طبعة: مكتبة دار المنهاج- الرياض، ط١، ١٤٢٥هـ.

٣٢- **التعريفات**، للجُرجاني «علي بن محمد بن علي الزين الشريف، ت٨١٦هـ»، تحقيق: جماعة من العلماء، طبعة: دار الكتب العلمية- بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.

٣٣- **التعليقات الحسان علىٰ صحيح ابن حبان وتمييز سقيمه من صحيحه، وشاذه من محفوظه**، للألباني «محمد ناصر الدين بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، ت١٤٢٠هـ»، طبعة: دار باوزير- المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م.

٣٤- **تفسير الألوسي** «روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني»، للألوسي «محمود بن عبد الله الحسيني، ت١٢٧٠هـ»، تحقيق: علي عبد الباري عطية، طبعة: دار الكتب العلمية- بيروت، ط١، ١٤١٥هـ

٣٥- **التفسير البسيط**، للواحدي «علي بن أحمد بن محمد بن علي، ت٤٦٨هـ»، تحقيق: مجموعة من الباحثين، طبعة: عمادة البحث العلمي- جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية- السعودية، ط١، ١٤٣٠هـ.

٣٦- **تفسير البغوي** «معالم التنزيل في تفسير القرآن»، للبغوي «حسين بن مسعود بن محمد بن الفراء، ت٥١٦هـ»، تحقيق: عبدالرزاق المهدي، طبعة: دار إحياء التراث العربي- بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ.

٣٧- **تفسير البيضاوي** «أنوار التنزيل وأسرار التأويل»، للبيضاوي، «عبدالله بن عمر بن محمد الشيرازي، ت٦٨٥هـ»، تحقيق: محمد عبدالرحمن المرعشلي، طبعة: دار إحياء التراث العربي- بيروت، ط١، ١٤١٨هـ.

٣٨- **تفسير ابن جُزَي** «التسهيل لعلوم التنزيل»، لابن جُزَي «محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ت٧٤١هـ»، تحقيق: د. عبد الله الخالدي، طبعة: دار الأرقم بن أبي الأرقم- بيروت، ط١، ١٤١٦هـ.

٣٩- **تفسير ابن أبي حاتم** «تفسير القرآن العظيم»، لابن أبي حاتم «محمد عبد الرحمن بن محمد، ت ٣٢٧هـ»، تحقيق: أسعد محمد الطيب، طبعة: مكتبة نزار مصطفىٰ الباز- المملكة العربية السعودية، ط٣، ١٤١٩هـ.

٤٠- **تفسير الرازي** «مفاتيح الغيب»، للرازي «عبد الله محمد بن عمر بن الحسن، ت٦٠٦هـ»، طبعة: دار إحياء التراث العربي- بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ.

٤١- **تفسير الزمخشري** «الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل»، للزمخشري «محمود بن عمرو بن أحمد، ت٥٣٨هـ»، طبعة: دار الكتاب العربي- بيروت، ط٣- ١٤٠٧هـ.

٤٢- **تفسير الطبري** «جامع البيان في تأويل القرآن»، للطبري «محمد بن جرير بن يزيد بن كثير، ت٣١٠هـ»، تحقيق: أحمد محمد شاكر، طبعة:

مؤسسة الرسالة- بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م.

٤٣- **تفسير ابن عرفة**، لابن عرفة «محمد بن محمد الورغمي المالكي، ت٨٠٣هـ»، تحقيق: جلال الأسيوطي، طبعة: دار الكتب العلمية- بيروت، ط١، ٢٠٠٨م.

٤٤- **تفسير القرطبي** «الجامع لأحكام القرآن»، للقرطبي «محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح، ت ٦٧١هـ»، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، طبعة: دار الكتب المصرية- القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ، ١٩٦٤م.

٤٥- **تفسير ابن كثير** «تفسير القرآن العظيم»، لابن كثير «إسماعيل بن عمر، ت٧٧٤هـ»، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، طبعة: دار طيبة- الرياض، ط٢، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.

٤٦- **تفسير الماتريدي** «تأويلات أهل السنة»، لأبي منصور الماتريدي «أحمد بن محمد بن محمود، ت٣٣٣هـ»، تحقيق: د. مجدي باسلوم، طبعة: دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م.

٤٧- **تفسير الماوردي** «النكت والعيون»، للماوردي «علي بن محمد بن محمد بن حبيب، ت٤٥٠هـ»، تحقيق: السيد بن عبدالمقصود بن عبدالرحيم، طبعة: دار الكتب العلمية- بيروت، بدون طبعة، وبدون تاريخ.

٤٨- **التفسير الوسيط** «الوسيط في تفسير القرآن المجيد»، للواحدي «علي بن أحمد بن محمد بن علي، ت٤٦٨هـ»، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، وآخرين، طبعة: دار الكتب العلمية- بيروت، ط١،

١٤١٥هـ، ١٩٩٤م.

٤٩- تلبيس إبليس، لابن الجوزي «عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، ت٥٩٧هـ»، طبعة: دار الفكر - بيروت، ط١، ١٤٢١هـ، ٢٠٠١م.

٥٠- تمام المنة علىٰ شرح السنة، د. خالد الجهني، طبعة: دار التقوىٰ- القاهرة، ط١، ١٤٣٦هـ، ٢٠١٥م.

٥١- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، لابن عبد البر «عمر يوسف بن عبد الله بن محمد، ت٤٦٣هـ»، تحقيق: مصطفىٰ بن أحمد العلوي، ومحمد عبد الكبير البكري، طبعة: وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية – المغرب، ١٣٨٧هـ.

٥٢- تهذيب اللغة، للهروي «محمد بن أحمد بن الأزهري، ت٣٧٠هـ»، تحقيق: محمد عوض مرعب، طبعة: دار إحياء التراث العربي- بيروت، ط١، ٢٠٠١م.

٥٣- توضيح مقاصد العقيدة الواسطية، للشيخ عبد الرحمن بن ناصر البراك، إعداد: عبد الرحمن بن صالح السديس، طبعة: دار التدمرية- الرياض، ط٣، ١٤٣٢هـ.

٥٤- التيسير بشرح الجامع الصغير، للمناوي «عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين، ت١٠٣١هـ»، طبعة: مكتبة الإمام الشافعي- الرياض، ط٣، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٥٥- تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد الذي هو حق الله

على العبيد، لسليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب «ت ١٢٣٣هـ»، تحقيق: زهير الشاويش، طبعة: المكتب الاسلامي - بيروت، ط١، ١٤٢٣هـ،٢٠٠٢م.

٥٦- **جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم**، لابن رجب الحنبلي «عبد الرحمن بن أحمد، ت٧٩٥هـ»، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس، طبعة: مؤسسة الرسالة- بيروت، ط٧، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م.

٥٧- **جامع المسائل**، لابن تيمية «أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله، ت٧٢٨هـ»، تحقيق: محمد عزير شمس، طبعة: دار عالم الفوائد- الرياض، ط١، ١٤٢٢هـ.

٥٨- **الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح**، لابن تيمية «أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله، ت٧٢٨هـ»، تحقيق: علي بن حسن، وآخرين، طبعة: دار العاصمة- السعودية، ط٢، ١٤١٩هـ، ١٩٩٩م.

٥٩- **الجواهر المضية في طبقات الحنفية**، لمحيي الدين الحنفي «عبد القادر بن محمد بن نصر الله القرشي، ت٧٧٥هـ»، طبعة: مير محمد كتب خانه – باكستان، بدون طبعة، وبدون تاريخ.

٦٠- **حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح**، لابن قيم الجوزية «محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد، ت٧٥١هـ»، طبعة: مطبعة المدني- القاهرة، بدون طبعة، وبدون تاريخ.

٦١- **حاشية ابن القيم على سنن أبي داود** «تهذيب سنن أبي داود وإيضاح علله ومشكلاته»، مطبوع مع عون المعبود، لابن قيم الجوزية «محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد، ت٧٥١هـ»، طبعة: دار الكتب العلمية – بيروت، ط٢، ١٤١٥هـ.

٦٢- **الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة**، لزكريا الأنصاري «بن محمد بن أحمد بن زكريا، ت٩٢٦هـ»، تحقيق: د. مازن المبارك، طبعة: دار الفكر المعاصر- بيروت، ط١، ١٤١١هـ.

٦٣- **الحديث حجة بنفسه في العقائد والأحكام**، للألباني «محمد ناصر الدين بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، ت١٤٢٠هـ»، طبعة: مكتبة المعارف- الرياض، ط١، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٥م.

٦٤- **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، لأبي نعيم الأصبهاني «أحمد بن عبد الله بن أحمد، ت٤٣٠هـ»، طبعة: السعادة- مصر، ١٣٩٤هـ، ١٩٧٤م.

٦٥- **خلق أفعال العباد**، للبخاري «محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة، ت٢٥٦هـ»، تحقيق: د. عبد الرحمن عميرة، طبعة: دار المعارف السعودية- الرياض، بدون طبعة، وبدون تاريخ.

٦٦- **الداء والدواء** «الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي»، لابن قيم الجوزية «محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد، ت٧٥١هـ»، تحقيق: محمد أجمل الإصلاحي، خرج أحاديثه: زائد بن أحمد النشيري،

طبعة: مجمع الفقه الإسلامي- جدة، ودار عالم الفوائد- جدة، ط١، ١٤٢٩هـ.

٦٧- **درء تعارض العقل والنقل**، لابن تيمية «أحمد بن عبدالحليم بن عبد السلام بن عبد الله، ت٧٢٨هـ»، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، طبعة: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية- المملكة العربية السعودية، ط٢، ١٤١١هـ، ١٩٩١م.

٦٨- **درة البيان في أصول الإيمان**، د. محمد يسري، طبعة دار اليسر- مصر، ط٤، ١٤٢٩هـ، ٢٠٠٨م.

٦٩- **الدرر السنية في الأجوبة النجدية**، لعلماء نجد الأعلام، جمع: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، ط٦، ١٤١٧هـ،١٩٩٦م.

٧٠- **دقائق التفسير الجامع لتفسير ابن تيمية**، لابن تيمية «أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله، ت٧٢٨هـ»، تحقيق: د. محمد السيد الجليند، طبعة: مؤسسة علوم القرآن- دمشق، ط٢، ١٤٠٤هـ.

٧١- **دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين**، للبكري «محمد علي بن محمد بن علان بن إبراهيم، ت١٠٥٧هـ»، اعتنىٰ بها: خليل مأمون شيحا، طبعة: دار المعرفة - بيروت، ط٤، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م.

٧٢- **ذم التأويل**، لابن قدامة المقدسي «عبد الله بن أحمد بن محمد، ت٦٢٠هـ»، تحقيق: بدر بن عبد الله البدر، طبعة: الدار السلفية- الكويت، ط١، ١٤٠٦هـ.

٧٣- **الرد على الشاذلي في حزبيه، وما صنفه في آداب الطريق**، لابن تيمية «أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله، ت٧٢٨هـ»، تحقيق: علي بن محمد العمران، طبعة: دار عالم الفوائد- مكة، ط١، ١٤٢٩هـ.

٧٤- **الرد الوافر**، لابن ناصر الدين «محمد بن عبد الله بن محمد بن أحمد بن مجاهد، ت٨٤٢هـ»، تحقيق: زهير الشاويش، طبعة: المكتب الإسلامي- بيروت، ط١، ١٣٩٣هـ.

٧٥- **الرسالة**، للإمام الشافعي «محمد بن إدريس، ت ٢٠٤هـ»، تحقيق: أحمد شاكر، طبعة: مكتبة الحلبي- مصر، ط١، ١٣٥٨هـ،١٩٤٠م.

٧٦- **رسالة إلى أهل الثغر بباب الأبواب**، لأبي الحسن الأشعري «علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم، ت ٣٢٤هـ»، تحقيق: د. عبدالله شاكر محمد الجنيدي، طبعة: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية- المدينة المنورة، بدون طبعة، ١٤١٣هـ.

٧٧- **رسالة ابن القيم إلى أحد إخوانه**، لابن قيم الجوزية «محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد، ت٧٥١هـ»، تحقيق: عبد الله بن محمد المديفر، طبعة: مطابع الشرق الأوسط– الرياض، ط١، ١٤٢٠هـ.

٧٨- **الرسل والرسالات**، د. عمر بن سليمان بن عبد الله الأشقر، طبعة: مكتبة الفلاح- الكويت، ودار النفائس- الكويت، ط٤، ١٤١٠هـ.

١٩٨٩م.

٧٩- الروح في الكلام علىٰ أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة، لابن قيم الجوزية «محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد، ت٧٥١هـ»، طبعة: دار الكتب العلمية- بيروت، بدون طبعة، وبدون تاريخ.

٨٠- روضة المحبين ونزهة المشتاقين، لابن قيم الجوزية «محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد، ت٧٥١هـ»، طبعة: دار الكتب العلمية- بيروت، بدون طبعة، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م.

٨١- روضة الناظر وجنة المناظر في أصول الفقه علىٰ مذهب الإمام أحمد بن حنبل، لابن قدامة «عبد الله بن أحمد بن محمد، ت٦٢٠هـ»، تحقيق: د. عبدالكريم بن علي النملة، طبعة: مكتبة الرشد- الرياض، ط٩، ١٤٣٠هـ، ٢٠٠٩م.

٨٢- زاد المعاد في هدي خير العباد، لابن قيم الجوزية «محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد، ت٧٥١هـ»، طبعة: مؤسسة الرسالة- بيروت، ومكتبة المنار الإسلامية- الكويت، ط٢٧، ١٤١٥هـ، ١٩٩٤م.

٨٣- السلسلة الصحيحة، للألباني «محمد ناصر الدين بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، ت١٤٢٠هـ»، طبعة: مكتبة المعارف- الرياض، ط١، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠٢م.

٨٤- السلسلة الضعيفة، للألباني «محمد ناصر الدين بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، ت١٤٢٠هـ»، طبعة: دار المعارف- الرياض، ط١،

١٤١٢هـ، ١٩٩٢م.

٨٥- **السنة**، للخلَّال «أحمد بن محمد بن هارون بن يزيد، ت٣١١هـ»، تحقيق: د. عطية الزهراني، طبعة: دار الراية- الرياض، ط١، ١٤١٠هـ، ١٩٨٩م.

٨٦- **السنة**، لابن أبي عاصم «أحمد بن عمرو بن الضحاك، ت ٢٨٧هـ» تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، طبعة: المكتب الإسلامي- بيروت، ط١، ١٤٠٠هـ.

٨٧- **السنة**، لعبد الله بن أحمد بن محمد بن حنبل «ت ٢٩٠هـ»، تحقيق: د. محمد بن سعيد بن سالم القحطاني، طبعة: دار ابن القيم - الدمام، ط١، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م.

٨٨- **سنن الترمذي**، للترمذي «محمد بن عيسىٰ بن سَوْرة، ت٢٧٩هـ»، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر، وآخرين، طبعة: مصطفىٰ البابي الحلبي- مصر، ط٢، ١٣٩٥هـ، ١٩٧٥م.

٨٩- **سنن الدارمي**، للدارمي «عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل، ت٢٥٥»، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، طبعة: دار المغني- المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤١٢هـ، ٢٠٠٠م.

٩٠- **سنن أبي داود**، لأبي داود السِّجِسْتاني «سليمان بن الأشعث بن إسحاق، ت٢٧٥هـ»، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، طبعة: المكتبة العصرية- بيروت، بدون طبعة، وبدون تاريخ.

٩١- السنن الكبرىٰ، للبيهقي «أحمد بن الحسين بن علي بن موسىٰ، ت٤٥٨هـ»، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، طبعة: دار الكتب العلمية- بيروت، ط٣، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م.

٩٢- سنن ابن ماجه، لابن ماجه «محمد بن يزيد القزويني، ت٢٧٣هـ»، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، طبعة: دار إحياء الكتب العربية- القاهرة، بدون طبعة، وبدون تاريخ.

٩٣- سنن النسائي الصغرىٰ، للنسائي «أحمد بن شعيب، ت٣٠٣هـ»، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، طبعة: مكتب المطبوعات الإسلامية- حلب، ط٢، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م.

٩٤- سنن النسائي الكبرىٰ، للنسائي «أحمد بن شعيب، ت٣٠٣هـ»، تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي، طبعة: مؤسسة الرسالة- بيروت، ط١، ١٤٢١هـ، ٢٠٠١م.

٩٥- سير أعلام النبلاء، للذهبي «محمد بن أحمد بن عثمان، ت٧٤٨هـ»، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط، طبعة: مؤسسة الرسالة- بيروت، ط٣، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م.

٩٦- السيرة النبوية، لابن هشام «عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري، ت٢١٣هـ»، تحقيق: مصطفىٰ السقا، وآخرين، طبعة: مكتبة مصطفىٰ البابي الحلبي- مصر، ط٢، ١٣٧٥هـ، ١٩٥٥م.

٩٧- شأن الدعاء، للخطابي «حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب،

ت٣٨٨هـ»، تحقيق: أحمد يوسف الدّقاق، طبعة: دار الثقافة العربية- مصر، ط١، ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م.

٩٨- **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، لابن العماد «عبد الحي بن أحمد بن محمد، ت ١٠٨٩هـ»، تحقيق: محمود الأرنؤوط، خرج أحاديثه: عبد القادر الأرنؤوط، طبعة: دار ابن كثير- دمشق، بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م.

٩٩- **شرح الأربعين النووية في الأحاديث الصحيحة النبوية**، لابن دقيق العيد «محمد بن علي بن وهب بن مطيع القشيري، ت٧٠٢هـ»، طبعة: مؤسسة الريان- مصر، ط٦، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م.

١٠٠- **شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة**، للالكائي «هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الرازي، ت٤١٨هـ»، تحقيق: أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي، طبعة: دار طيبة- السعودية، ط٨، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٣م.

١٠١- **شرح حديث النزول**، لابن تيمية «أحمد بن عبد الحليم بن عبدالسلام بن عبد الله، ت٧٢٨هـ»، طبعة: المكتب الإسلامي- بيروت، ط٥، ١٣٩٧هـ، ١٩٧٧م.

١٠٢- **شرح السنة**، للبغوي «حسين بن مسعود بن محمد بن الفراء، ت٥١٦هـ»، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ومحمد زهير الشاويش، طبعة: المكتب الإسلامي- بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م.

١٠٣- **شرح سنن ابن ماجه**، للسيوطي «عبد الرحمن بن أبي بكر، ت

٩١١هـ»، وآخرين، طبعة: قديمي كتب خانة- باكستان، بدون طبعة، وبدون تاريخ.

١٠٤- شرح صحيح مسلم «المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج»، للنووي «محيي الدين يحيىٰ بن شرف بن مرِّي، ت٦٧٦هـ»، طبعة: دار إحياء التراث العربي- بيروت، ط٢، ١٣٩٢هـ.

١٠٥- شرح العقيدة الأصفهانية، لابن تيمية «أحمد بن عبد الحليم بن عبدالسلام بن عبد الله، ت٧٢٨هـ»، تحقيق: محمد بن رياض الأحمد، طبعة: المكتبة العصرية- بيروت، ط١، ١٤٢٥هـ.

١٠٦- شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز الحنفي «محمد بن علاء الدين عليّ بن محمد، ت٧٩٢هـ»، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وعبد الله بن المحسن التركي، طبعة: مؤسسة الرسالة- بيروت، ط١٠، ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م.

١٠٧- شرح العقيدة الواسطية، لابن عثيمين «محمد بن صالح بن محمد، ت١٤٢١هـ»، طبعة: دار ابن الجوزي- الرياض، ط٦، ١٤٢١هـ.

١٠٨- شرح الكافية الشافية، لابن مالك «محمد بن عبد الله الطائي الجياني، ت٦٧٢هـ»، تحقيق: عبد المنعم أحمد هريدي، طبعة: جامعة أم القرىٰ- مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية- مكة المكرمة، ط١٤٠٢،١هـ، ١٩٨٢م.

١٠٩- شرح الكوكب المنير، لابن النجار «محمد بن أحمد بن

عبدالعزيز بن علي الفتوحي، ت ٩٧٢هـ»، تحقيق: محمد الزحيلي، ونزيه حماد، طبعة: مكتبة العبيكان- الرياض، ط٢، ١٤١٨هـ، ١٩٩٧م.

١١٠- **شرف أصحاب الحديث**، للخطيب البغدادي «أحمد بن علي بن ثابت، ت ٤٦٣هـ»، تحقيق: د. محمد سعيد خطي اوغلي، طبعة: دار إحياء السنة النبوية – أنقرة، بدون طبعة، وبدون تاريخ.

١١١- **الشريعة**، الآجُرِّيُّ «محمد بن الحسين بن عبد الله، ت٣٦٠هـ»، تحقيق: د. عبد الله بن عمر بن سليمان الدميجي، طبعة: دار الوطن- الرياض، ط٢، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.

١١٢- **شُعب الإيمان**، للبيهقي «أحمد بن الحسين بن علي بن موسىٰ، ت ٤٥٨هـ»، تحقيق: د. عبد العلي عبد الحميد حامد، طبعة: مكتبة الرشد- الرياض، ط١، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٣م.

١١٣- **شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل**، لابن قيم الجوزية «محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد، ت٧٥١هـ»، طبعة: دار المعرفة- بيروت، بدون طبعة، ١٣٩٨هـ، ١٩٧٨م.

١١٤- **شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم**، لنشوان بن سعيد الحميري «ت٥٧٣هـ»، تحقيق: د حسين بن عبد الله العمري، وآخرين، طبعة: دار الفكر المعاصر- بيروت، ودار الفكر- دمشق، ط١، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.

١١٥- **الشهادة الزكية في ثناء الأئمة علىٰ ابن تيمية**، لمرعي الكرمي «بن

يوسف بن أبي بكر بن أحمد، ت١٠٣٣هـ»، تحقيق: نجم عبدالرحمن خلف، طبعة: دار الفرقان، ومؤسسة الرسالة- بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ.

١١٦- **صحيح البخاري**، للبخاري «محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة، ت٢٥٦هـ»، ترقيم عبدالباقي، طبعة: دار الشعب- القاهرة، ط١، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م.

١١٧- **صحيح الجامع**، للألباني «محمد ناصر الدين بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، ت١٤٢٠هـ»، طبعة: المكتب الإسلامي- بيروت، ط٣، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.

١١٨- **صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان**، لابن حبان «محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ، ت٣٥٤هـ»، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، طبعة: مؤسسة الرسالة- بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.

١١٩- **صحيح أبي داود الأم**، للألباني، «محمد ناصر الدين بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، ت١٤٢٠هـ»، طبعة: مؤسسة غراس- الكويت، ط١، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م.

١٢٠- **صحيح مسلم**، لمسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري «ت٢٦١هـ»، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، طبعة: دار إحياء التراث العربي- بيروت، بدون طبعة، وبدون تاريخ.

١٢١- **صحيح وضعيف سنن الترمذي**، للألباني «محمد ناصر الدين بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، ت١٤٢٠هـ»، طبعة: مكتب التربية العربي

لدول الخليج- السعودية، ط١، ١٤٠٩هـ.

١٢٢- صحيح وضعيف سنن أبي داود، للألباني «محمد ناصر الدين بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، ت١٤٢٠هـ»، طبعة: مكتب التربية العربي لدول الخليج- السعودية، ط١، ١٤٠٩هـ.

١٢٣- صحيح وضعيف سنن ابن ماجه، للألباني «محمد ناصر الدين بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، ت١٤٢٠هـ»، طبعة: مكتب التربية العربي لدول الخليج- السعودية، ط١، ١٤٠٩هـ.

١٢٤- صحيح وضعيف سنن النسائي، للألباني «محمد ناصر الدين بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، ت١٤٢٠هـ»، طبعة: مكتب التربية العربي لدول الخليج- السعودية، ط١، ١٤٠٩هـ.

١٢٥- الصفدية، لابن تيمية «أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله، ت٧٢٨هـ»، تحقيق: محمد رشاد سالم، طبعة: مكتبة ابن تيمية- مصر، ط٢، ١٤٠٦هـ.

١٢٦- الصواعق المرسلة في الرد علىٰ الجهمية والمعطلة، لابن قيم الجوزية «محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد، ت٧٥١هـ»، تحقيق: علي بن محمد الدخيل الله، طبعة: دار العاصمة- الرياض، ط١، ١٤٠٨هـ.

١٢٧- طبقات الحنابلة، لأبي الحسين ابن أبي يعلىٰ محمد بن محمد «ت٥٢٦هـ»، تحقيق: محمد حامد الفقي، طبعة: دار المعرفة- بيروت، بدون طبعة، وبدون تاريخ.

١٢٨- طريق الهجرتين وباب السعادتين، لابن قيم الجوزية «محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد، ت٧٥١هـ»، طبعة: دار السلفية- القاهرة، ط٢، ١٣٩٤هـ.

١٢٩- ظلال الجنة، للألباني «محمد ناصر الدين بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، ت١٤٢٠هـ»، المطبوع مع السنة لابن أبي عاصم، طبعة: المكتب الإسلامي- بيروت، ط١، ١٤٠٠هـ، ١٩٨٠م.

١٣٠- عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، لابن قيم الجوزية «محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد، ت٧٥١هـ»، طبعة: دار ابن كثير- بيروت، ومكتبة دار التراث- المدينة المنورة، ط٣، ١٤٠٩هـ، ١٩٨٩م.

١٣١- العرش وما رُوِي فيه، لابن أبي شيبة «محمد بن عثمان بن أبي شيبة العبسي، ت٢٩٧هـ»، تحقيق: محمد بن خليفة بن علي التميمي، طبعة: مكتبة الرشد- الرياض، ط١، ١٤١٨هـ،١٩٩٨م.

١٣٢- العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، لابن عبدالهادي «محمد بن أحمد بن عبد الهادي بن يوسف، ت٧٤٤هـ»، تحقيق: محمد حامد الفقي، طبعة: دار الكاتب العربي- بيروت، بدون طبعة، وبدون تاريخ.

١٣٣- العظمة، للأصبهاني «عبد الله بن محمد بن جعفر أبي الشيخ، ت ٣٦٩هـ»، تحقيق: رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري، طبعة: دار العاصمة – الرياض، ط١، ١٤٠٨هـ.

١٣٤- **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**، للعيني «محمود بن أحمد بن موسىٰ، ت٨٥٥هـ»، طبعة: المطبعة المنيرية- مصر، بدون طبعة، ١٣٤٣هـ.

١٣٥- **العين**، للخليل بن أحمد الفراهيدي «ت١٧٠هـ»، تحقيق: د. مهدي المخزومي، ود. إبراهيم السامرائي، طبعة: دار الرائد العربي- بيروت، ط١، ١٩٨٦م.

١٣٦- **غريب الحديث**، لابن الجوزي «عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، ت٥٩٧هـ»، تحقيق: د. عبد المعطي أمين القلعجي، طبعة: دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م.

١٣٧- **غريب الحديث**، للخطابي «حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب، ت٣٨٨هـ»، تحقيق: عبد الكريم إبراهيم الغرباوي، وخرج أحاديثه: عبد القيوم عبد رب النبي، طبعة: دار الفكر- بيروت، بدون طبعة، ١٤٠٢هـ، ١٩٨٢م.

١٣٨- **غريب الحديث**، لأبي عُبيد القاسم بن سلام بن عبد الله الهروي «ت٢٢٤هـ»، تحقيق: د. محمد عبد المعيد خان، طبعة: مطبعة دائرة المعارف العثمانية- الهند، ط١، ١٣٨٤هـ، ١٩٦٤م.

١٣٩- **الفتاوىٰ الكبرىٰ**، لابن تيمية «أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله، ت٧٢٨هـ»، طبعة: دار الكتب العلمية- بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٧م.

١٤٠- **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، لابن حجر العسقلاني «أحمد بن علي بن محمد بن علي، ت٨٥٢»، طبعة: دار المعرفة - بيروت، بدون طبعة، ١٣٧٩هـ.

١٤١- **فتح رب البرية بتلخيص الحموية**، لابن عثيمين «محمد بن صالح بن محمد، ت١٤٢١هـ»، طبعة: دار ابن الجوزي- الرياض، بدون طبعة، ١٤٢٤هـ.

١٤٢- **فتح القدير**، للشوكاني «محمد بن علي بن محمد بن عبدالله، ت ١٢٥٠هـ»، طبعة: دار ابن كثير- دمشق، ودار الكلم الطيب- بيروت، ط١، ١٤١٤هـ.

١٤٣- **الفتن**، لنعيم بن حماد «بن معاوية بن الحارث، ت٢٢٨هـ»، تحقيق: سمير أمين الزهيري، طبعة: مكتبة التوحيد- القاهرة، ط١، ١٤١٢هـ.

١٤٤- **الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان**، لابن تيمية «أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله، ت٧٢٨هـ»، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط، طبعة: مكتبة دار البيان- دمشق، ط١، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م.

١٤٥- **الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية**، للأسفراييني «عبدالقاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله البغدادي التميمي، ت٤٢٩هـ»، طبعة: دار الآفاق الجديدة- بيروت، ط٢، ١٩٧٧م.

١٤٦- **الفروق اللغوية**، لأبي هلال العسكري «الحسن بن عبد الله، ت

نحو ٣٩٥هـ»، تحقيق: الشيخ بيت الله بيات، طبعة: مؤسسة النشر الإسلامي- إيران، ط١، ١٤١٢هـ.

١٤٧- **الفوائد**، لابن قيم الجوزية «محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد، ت٧٥١هـ»، طبعة: دار الكتب العلمية- بيروت، ط٢، ١٣٩٣هـ، ١٩٧٣م.

١٤٨- **فيض القدير شرح الجامع الصغير**، للمناوي، «عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين، ت١٠٣١هـ»، طبعة: المكتبة التجارية الكبرىٰ- مصر، ط١، ١٣٥٦هـ.

١٤٩- **القاموس المحيط**، للفيروزآبادي «محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم، ت ٨١٧»، طبعة: المطبعة الأميرية، ط٣، ١٣٠١هـ.

١٥٠- **القواعد المثلىٰ في صفات الله وأسمائه الحسنىٰ**، لابن عثيمين «محمد بن صالح بن محمد، ت١٤٢١هـ»، طبعة: مكتبة الإيمان- المنصورة، بدون طبعة، وبدون تاريخ.

١٥١- **القول السديد شرح كتاب التوحيد**، للسعدي «عبد الرحمن بن ناصر، ت ١٣٧٦هـ»، طبعة: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، ط٢، ١٤٢١هـ.

١٥٢- **الكامل في اللغة والأدب**، لابن المبرد «محمد بن يزيد المبرد، ت٢٨٥هـ»، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، طبعة: دار الفكر العربي- القاهرة، ط٣، ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م.

١٥٣- كرامات الأولياء، للالكائي «هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري، ت٤١٨هـ»، تحقيق: أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي، طبعة: دار طيبة- السعودية، ط٨، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٣م.

١٥٤- كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، للتهانوي «محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد، ت بعد ١١٥٨هـ»، تحقيق: د. علي دحروج، طبعة: مكتبة لبنان ناشرون- بيروت، ط١، ١٩٩٦م.

١٥٥- كشف المشكل من حديث الصحيحين، لابن الجوزي «عبدالرحمن بن علي بن محمد الجوزي، ت٥٩٧هـ»، تحقيق: علي حسين البواب، طبعة: دار الوطن – الرياض، ط١، ١٤١٨هـ، ١٩٩٧م.

١٥٦- الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، للكفوي «أيوب بن موسىٰ الحسيني القريمي، ت١٠٩٤هـ»، تحقيق: عدنان درويش، ومحمد المصري، طبعة: مؤسسة الرسالة- بيروت، ط٢، ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م.

١٥٧- اللآلئ البهية في شرح العقيدة الواسطية، د. صالح آل الشيخ، طبعة: دار العاصمة- الرياض، ط١، ١٤٣١هـ، ٢٠١٠م.

١٥٨- لسان العرب، لابن منظور «محمد بن مكرم بن علي، ت٧١١هـ»، طبعة: دار صادر- بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.

١٥٩- لمعة الاعتقاد، لابن قدامة «عبد الله بن أحمد بن محمد، ت٦٢٠هـ»، طبعة: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة

والإرشاد- المملكة العربية السعودية، ط٢، ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م.

١٦٠- **لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية**، للسفاريني «محمد بن أحمد بن سالم، ت١١٨٨هـ»، طبعة: مؤسسة الخافقين ومكتبتها- دمشق، ط٢، ١٤٠٢هـ، ١٩٨٢م.

١٦١- **مجموع الفتاوىٰ**، لابن تيمية «أحمد بن عبد الحليم بن عبدالسلام بن عبد الله، ت٧٢٨هـ»، طبعة: الشيخ عبد الرحمن بن قاسم، بدون طبعة، وبدون تاريخ.

١٦٢- **مختار الصحاح**، للرازي «محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر، ت٦٦٦هـ»، تحقيق: محمود خاطر، طبعة: مكتبة لبنان ناشرون- بيروت، طبعة ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م.

١٦٣- **مختصر الصواعق المرسلة علىٰ الجهمية والمعطلة**، لابن قيم الجوزية «محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد، ت٧٥١هـ»، اختصره: محمد بن محمد بن عبد الكريم بن رضوان البعلي «ت٧٧٤هـ»، تحقيق: سيد إبراهيم، طبعة: دار الحديث- القاهرة، ط١، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م.

١٦٤- **مختصر الفتاوىٰ المصرية لابن تيمية**، للبعلي «محمد بن علي بن أحمد بن عمر، ت٧٧٨هـ»، تحقيق: عبد المجيد سليم، ومحمد حامد الفقي، طبعة: مطبعة السنة المحمدية- القاهرة، بدون طبعة، وبدون تاريخ.

١٦٥- **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**، لابن قيم

الجوزية «محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد، ت٧٥١هـ»، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، طبعة: دار الكتاب العربي – بيروت، ط٣، ١٤١٦هـ، ١٩٩٦م.

١٦٦- **مذكرة على العقيدة الواسطية**، لابن عثيمين «محمد بن صالح بن محمد، ت١٤٢١هـ»، طبعة: مدار الوطن- الرياض، بدون طبعة، ١٤٢٦هـ.

١٦٧- **مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح**، للهروي «علي الملا القاري، ت١٠١٤هـ»، طبعة: دار الفكر- بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠٢م.

١٦٨- **المسالك في شرح موطأ مالك**، لابن العربي «محمد بن عبدالله بن محمد بن عبد الله، ت٥٤٣هـ»، تحقيق: محمد بن الحسين السُّليماني، وعائشة بنت الحسين السُّليماني، طبعة: دار الغرب الإسلامي- بيروت، ط١، ١٤٢٨هـ، ٢٠٠٧م.

١٦٩- **المستدرك على الصحيحين**، للحاكم النيسابوري «محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه، ت٤٠٥هـ»، تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا، طبعة: دار الكتب العلمية- بيروت، ط١، ١٤١١هـ، ١٩٩٠م.

١٧٠- **المستدرك على مجموع فتاوى شيخ الإسلام**، لابن تيمية «أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله، ت٧٢٨هـ»، جمعه ورتبه: محمد بن عبد الرحمن بن قاسم، ط١، ١٤١٨هـ.

١٧١- **مسند أحمد**، لأحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد

«ت١٢٤١هـ»، تحقيق: أحمد محمد شاكر، طبعة: دار الحديث- القاهرة، ط١، ١٤١٦هـ، ١٩٩٥م.

١٧٢- **مسند أحمد**، للإمام أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد «ت١٢٤١هـ»، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وآخرين، إشراف: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، طبعة: مؤسسة الرسالة- بيروت، ط١، ١٤٢١هـ، ٢٠٠١م.

١٧٣- **المسَوَّدة في أصول الفقه**، لآل تيمية «مجد الدين عبد السلام ابن تيمية «ت ٦٥٢هـ»، وعبد الحليم ابن تيمية «ت ٦٨٢هـ»، وأحمد ابن تيمية «ت ٧٢٨هـ»»، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، طبعة: دار الكتاب العربي- بيروت، بدون طبعة، وبدون تاريخ.

١٧٤- **مشكاة المصابيح**، للخطيب التبريزي «محمد بن عبد الله، ت ٧٤١هـ»، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، طبعة: المكتب الإسلامي- بيروت، ط٣، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م.

١٧٥- **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير**، للفيومي «أحمد بن محمد بن علي، ت٧٧٠هـ»، طبعة: المكتبة العلمية- بيروت، بدون طبعة، وبدون تاريخ.

١٧٦- **المصنف**، لابن أبي شيبة «عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان، ت٢٣٥هـ»، تحقيق: كمال يوسف الحوت، طبعة: مكتبة الرشد- الرياض، ط١، ١٤٠٩هـ.

١٧٧- **معارج القبول بشرح سلم الوصول إلىٰ علم الأصول**، لحافظ بن أحمد بن علي الحكمي «ت ١٣٧٧هـ»، تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر، طبعة: دار ابن القيم- الدمام، ط١، ١٤١٠هـ، ١٩٩٠م.

١٧٨- **معاني القرآن وإعرابه**، لأبي إسحاق الزجاج «إبراهيم بن السري بن سهل، ت٣١١هـ»، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، طبعة: عالم الكتب- بيروت، ط١٤٠٨،١هـ، ١٩٨٨م.

١٧٩- **معجم البلدان**، لياقوت الحموي «بن عبد الله الرومي، ت٦٢٦هـ»، طبعة: دار صادر- بيروت، ط٢، ١٩٩٥م.

١٨٠- **المعجم في مشتبه أسامي المحدثين**، للهروي «عبيد الله بن عبد الله، ت ٤٠٥هـ»، تحقيق: نظر محمد الفاريابي، طبعة: مكتبة الرشد – الرياض، ط١، ١٤١١هـ.

١٨١- **المعجم الكبير**، للطبراني «سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير، ت٣٦٠هـ»، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، طبعة: مكتبة ابن تيمية- القاهرة، ط٢، بدون تاريخ.

١٨٢- **معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع**، للبكري «عبد الله بن عبد العزيز بن محمد، ت٤٨٧هـ»، طبعة: عالم الكتب- بيروت، ط٣، ١٤٠٣هـ.

١٨٣- **المغني**، لابن قدامة «عبد الله بن أحمد بن محمد، ت٦٢٠هـ»، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، ود. محمد الحلو، طبعة: عالم

الكتب- الرياض، ط٦، ١٤٢٨هـ، ٢٠٠٧م.

١٨٤- **المفردات في غريب القرآن**، للراغب الأصفهاني «الحسين بن محمد بن المفضل، ت٥٠٢هـ»، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، طبعة: دار القلم- بيروت، الدار الشامية- دمشق، ط١، ١٤١٢هـ.

١٨٥- **مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين**، لأبي الحسن الأشعري «علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم، ت ٣٢٤هـ»، تحقيق: نعيم زرزور، طبعة: المكتبة العصرية- بيروت، ط١، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م.

١٨٦- **مقاييس اللغة**، لابن فارس «أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني، ت٣٩٥هـ»، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، طبعة: دار الفكر- بيروت، ط١، ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م.

١٨٧- **مقدمة ابن الصلاح** «معرفة أنواع علوم الحديث»، لابن الصلاح «عثمان بن عبد الرحمن بن عثمان، ت٦٤٣هـ»، تحقيق: نور الدين عتر، طبعة: دار الفكر- سوريا، ودار الفكر المعاصر- بيروت، بدون طبعة، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م.

١٨٨- **الملل والنحل**، للشهرستاني «محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد، ت٥٤٨هـ»، طبعة: مؤسسة الحلبي- مصر، بدون طبعة، وبدون تاريخ.

١٨٩- **مناقب الشافعي**، للبيهقي «أحمد بن الحسين بن علي بن موسىٰ، ت ٤٥٨هـ»، تحقيق: السيد أحمد صقر، طبعة: دار التراث-

القاهرة، ط١، ١٣٩٠هـ، ١٩٧٠م.

١٩٠- **منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية**، لابن تيمية «أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله، ت٧٢٨هـ»، تحقيق: محمد رشاد سالم، طبعة: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية- السعودية، ط١، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م.

١٩١- **موطأ الإمام مالك**، للإمام مالك بن أنس بن مالك، «ت١٧٩هـ»، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، طبعة: دار إحياء التراث العربي- بيروت، بدون طبعة، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٥م.

١٩٢- **النبوات**، لابن تيمية «أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله، ت٧٢٨هـ»، تحقيق: عبد العزيز بن صالح الطويان، طبعة: أضواء السلف- الرياض، ط١، ١٤٢٠هـ،٢٠٠٠م.

١٩٣- **نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر**، لابن حجر العسقلاني «أحمد بن علي بن محمد بن علي، ت٨٥٢»، تحقيق: نور الدين عتر، مطبعة: الصباح- دمشق، ط٣، ١٤٢١هـ، ٢٠٠م.

١٩٤- **النهاية في غريب الحديث والأثر**، لابن الأثير «المبارك بن محمد بن محمد بن محمد الجزري، ت٦٠٦هـ»، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي، طبعة: المكتبة العلمية - بيروت، بدون طبعة، ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م.

١٩٥- **الهداية الرشيدة شرح البداية في العقيدة**، د. خالد الجهني، طبعة:

دار التقوىٰ- القاهرة، ط١، ١٤٣٦هـ، ٢٠١٥م.

١٩٦- الوابل الصيب من الكلم الطيب، لابن قيم الجوزية «محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد، ت٧٥١هـ»، تحقيق: سيد إبراهيم، طبعة: دار الحديث – القاهرة، ط٣، ١٩٩٩م.

١٩٧- الوافي بالوفيات، للصفدي «صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله، ت٧٦٤هـ»، تحقيق: أحمد الأرنؤوط، وتركي مصطفىٰ، طبعة: دار إحياء التراث- بيروت، بدون طبعة، ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م.



الفهرست

تم بحمد الله

كتب للمؤلف

علوم القرآن:

١- الفرق بين الرسم العثماني، والرسم الإملائي الذي جرىٰ عليه العُرف.

٢- هل البسملة آية من كتاب الله؟

٣- ردود القرآن علىٰ كفار قريش في بعض دعاويهم.

٤- علم المصطلح وتعريفه في القرآن كما ظهر عند السيوطي في الإتقان.

العقيدة:

١- حصول المنة بشرح أصول السنة للإمام أحمد.

٢- تمام المنة علىٰ شرح السنة للإمام المزني.

٣- حرز الأماني شرح مقدمة ابن أبي زيد القيرواني.

٤- فتح الرب الغني علىٰ أصول السنة للإمام الحميدي.

٥- الاعتماد شرح لمعة الاعتقاد.

٦- الجامع لمسائل العقيدة الواسطية.

٧- التعليقات المرضية علىٰ المنظومة اللامية.

٨- فتح الرب الحميد شرح كتاب التوحيد.

٩- تحقيق كتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب.

١٠- أوجز العبارات علىٰ كشف الشبهات.

١١- الكلمات السديدة شرح البداية في العقيدة.

١٢- الهداية الرشيدة شرح البداية في العقيدة.

١٣- فتح المنان شرح أصول الإيمان.

١٤- تهذيب كتاب أصول الإيمان.

١٥- القول السديد شرح تفسير كلمة التوحيد.

١٦- القول الأبلغ علىٰ القواعد الأربع.

١٧- الشرح المأمول علىٰ ثلاثة الأصول.

١٨- إعلام الأنام بشرح نواقض الإسلام.

١٩- شرح الأصل الجامع لعبادة الله وحده.

٢٠- حصول المأمول بشرح ستة الأصول.

٢١- المقصد المأمول من معارج القبول.

٢٢- التوضيحات الجلية للمصطلحات الكونية والشرعية [مطبوع ملحقا بكتاب «**فتح الرب الغني علىٰ أصول السنة للإمام الحُميدي**»].

٢٣- حاشية علىٰ منهج العقيدة للمبتدئين.

٢٤- الإيمان عند السلف.

٢٥- الشيعة [مطبوع ملحقا بكتاب «**الكلمات السديدة شرح البداية في**

العقيدة»].

٢٦- العذر بالجهل [مطبوع ملحقًا بكتاب «**أوجز العبارات علىٰ كشف الشبهات**»].

٢٧- الشرح المختصر علىٰ البداية في العقيدة.

٢٨- الشرح المختصر علىٰ أصول السنة للإمام أحمد بن حنبل.

٢٩- الشرح المختصر علىٰ أصول السنة للإمام الحميدي.

٣٠- الشرح المختصر علىٰ شرح السنة للإمام المزني.

٣١- الشرح المختصر علىٰ مقدمة ابن أبي زيد القيرواني.

٣٢- الشرح المختصر علىٰ لمعة الاعتقاد الهادي إلىٰ سبيل الرشاد.

٣٣- الشرح المختصر علىٰ المنظومة اللامية لشيخ الإسلام ابن تيمية.

٣٤- الشرح المختصر علىٰ ثلاثة الأصول.

٣٥- الشرح المختصر علىٰ نواقض الإسلام.

٣٦- الشرح المختصر علىٰ القواعد الأربع.

٣٧- الشرح المختصر علىٰ ستة الأصول.

٣٨- الشرح المختصر علىٰ الأصل الجامع لعبادة الله وحده.

٣٩- الشرح المختصر علىٰ تفسير كلمة التوحيد.

٤٠- الشرح الميسر علىٰ البداية في العقيدة.

٤١-الجامع لمسائل العقيدة الطحاوية.

الحديث:

١- جني الثمار شرح صحيح الأذكار.

٢- التحفة السَّنِيَّة في شرح الأربعين النووية.

٣- خزينة الأسرار في طريق الأبرار.

٤- الشرح المختصر علىٰ صحيح الأذكار.

٥- الشرح المختصر علىٰ الأربعين النووية.

الفقه:

١- التوثيق لبداية المتفقه.

٢- الاختيارات الفقهية للإمام أبي بكر بن المنذر في أحكام الأسرة «**رسالة ماجستير**».

٣- سِمْط اللآلي في الاختيارات الفقهية للشيخ وحيد بن بالي.

٤- كيف تحسب زكاة مالك ؟

٥- رحلة الحجيج من البداية إلىٰ النهاية.

٦- الدرر البهية في فقه الأضحية.

٧- كيف نصلي كما كان النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يصلي؟

٨- مختصر التوثيق لبداية المتفقه.

٩- مختصر كيف تحسب زكاة مالك؟

١٠- مختصر أحكام الأسرة للإمام ابن المنذر.

١١- الشرح المختصر علىٰ منظومة القواعد الفقهية.

١٢- الشرح المختصر لبداية المتفقه.

١٣- رحلة الحجيج رحلة إيمانية إلىٰ بلد الله الحرام «إعداد وتحقيق».

١٤-المختصر المفيد في أحكام الصيام وآداب العيد.

١٥- مختصر أحكام الأضحية وعشر ذي الحجة.

١٦- الميسر في مناسك الحج والعمرة.

١٧- تيسر الفقه للمبتدئين «الطهارة، والصلاة».

١٨- قضايا المرأة المعاصرة في الشريعة الإسلامية «رسالة دكتوراة».

المواريث:

١- البداية المختصرة في علم المواريث.

٢- هداية الوريث شرح بداية المواريث.

٣- التقريرات السنية علىٰ المنظومة الرحبية.

٤- أحكام الوصية الواجبة.

٥- الشرح المختصر علىٰ البداية في المواريث.

الآداب الإسلامية:

١- اللآلئ البهية شرح صحيح الآداب الإسلامية.

٢- المفيد في آداب العيد.

٣- مختصر الآداب الإسلامية.

أصول الفقه:

١- الكفاية في شرح البداية في أصول الفقه.

٢- السنة النبوية ومكانتها في التشريع الإسلامي.

٣- الشرح المختصر علىٰ البداية في أصول الفقه.

٤-أوضح الكلمات في شرح الورقات.

القواعد الفقهية:

١- الكواكب الدرية علىٰ منظومة القواعد الفقهية.

٢- قواعد الترجيح بين النصوص الشرعية التي ظاهرها التعارض «**دراسة تأصيلية تطبيقية**»، «**جزء من رسالة ماجستير**».

٣- مختصر قواعد الترجيح بين النصوص الشرعية التي ظاهرها التعارض.

مصطلح الحديث:

١- المختصر في علم مصطلح الحديث والأثر.

٢- علم المصطلح في الحديث دراسة تطبيقية «**صحيح البخاري أنموذجا**».

٣- نشأة وتطور علم مصطلح الحديث.

٤- مبادئ علم مصطلح الحديث، والأثر.

٥- الشرح الميسر للمنظومة البيقونية.

السيرة النبوية:

١- إسعاد البرية بشرح الخلاصة البهية في ترتيب أحداث السيرة النبوية.

٢- الدُّر المجتبىٰ في وصف المصطفىٰ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

٣- تيسير الوصول إلىٰ غزوات الرسول صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

٤- المختصر في السيرة النبوية.

٥- المختصر في وصف المصطفىٰ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ.

اللغة:

١- المختصر في النحو «كتاب غني بالأمثلة، والجداول، والتدريبات».

٢- البِنَايةُ في شرح البداية في علوم البلاغة.

٣- البداية في علوم البلاغة.

٤- الخليل بن أحمد ومنهجه في كتاب «**العين**».

٥- مباحث حول مسألة «**نزع الخافض**».

٦- مبادئ علم النحو.

٧- الشرح المختصر علىٰ البداية في علوم البلاغة.

الخطب المنبرية:

١- نور المحراب في خطب العقيدة، والفقه، والآداب «**١٠٠ خطبة شاملة لمواضيع العقيدة، والفقه، والآداب**».

٢- تحفة الأبرار في الخطب القصار.

٣- الفواكه الشهية في الخطب المنبرية.

٤- قُرة العينين في خطب العيدين.

الأبحاث العلمية:

١- التجارة الالكترونية في ميزان الشريعة الإسلامية.

٢- التسويق الشبكي من وجهة نظر إسلامية.

٣- حكم اعتماد الخطيب على العصا والقوس والسيف أثناء خطبة الجمعة.

٤- القول الفصيح في الأعور يفقأ عين الصحيح.

٥- هل الأمم التي مُسخت قردة وفئرانا تناسلت، وتوالدت؟

كتب متنوعة:

١- المختصر في مبادئ العلوم الشرعية.

٢- موسوعة العلوم الإسلامية للأسرة المسلمة «**تشتمل على ٢٩ كتابا في مختلف العلوم الإسلامية**».



من إصداراتنا



لأبي جعفر الطحاوي رحمه الله

المتوفى سنة ٣٢١ هـ

تأليف

د. خالد بن محمود الجهني

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

من إصداراتنا

قضايا المرأة المعاصرة في الشريعة الإسلامية

تأليف

د. خالد بن محمود الجهني

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

من إصداراتنا

موسوعة التربية والرقائق

كشف الدقائق عن البداية في الرقائق

تأليف
د. خالد بن محمود الجهني
غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين